مناظرات في الإمامة

الجزء الثالث

تأليف وتحقيق
الشيخ عبد الله الحسن



منشورات
شركة دار المصطفى لإحياء التراث

مناظرات

في الإمامة

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ
وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ

صدق الله العلي العظيم

مناظرات

في الإمامة

الجزء الثالث



تأليف وتحقيق
الشيخ عبد الله الحسن



منشورات
شركة دار المصطفى لإحياء التراث

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

يطلب من:

لبنان - بيروت - جادة السيد هادي - مفرق الرويس - بناية اللؤلؤة ط١ -

ص.ب: برج البراجنة - بعبدا - ٢٠٢٠ ١٠١٧ - هاتف: ٠٠٩٦١١٥٤٠٦٧٢

سوريا - دمشق - ص.ب: ٧٣٣ - السيدة زينب - تلفاكس: ٠٠٩٦٣١١٦٤٧٠١٢٤

محمول: ٠٠٩٦٣٩٤٣٥٦٥٨٤

إيران - قم - خ سمية - ١٦ مترى عباس آباد بلاك ٢٤ تلفاكس: ٧٧٣٨٨٥٥ - ٠٠٩٨٢٥١

البريد الإلكتروني E-mail: mnmnmn3@hotmail.com

منشورات

شركة دار المصطفى لإحياء التراث

الإهداء

إلى من قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وآله - يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

إلى من أحله رسول الله - صلى الله عليه وآله - محل هارون من موسى، فقال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

إلى من زوجه رسول الله - صلى الله عليه وآله - ابنته سيدة نساء العالمين، وأحل له من مسجده ما حل له، وسد الأبواب إلا بابه وأودعه علمه وحكمته، فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها.

إليك يا سيدي أمير المؤمنين أهدي هذا المجهود المتواضع راجياً القبول والشفاعة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

«يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين» يوسف ٨٨

عبد الله الحسن

(١)

لقد أتحفنا الأديب اللامع والشاعر المبدع الأخ الأستاذ فرات الأسدي بهذه القصيدة ومؤرخاً لصدور كتابنا فشكراً له على ماجادت به قريحته.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الأخ العزيز الشيخ عبدالله الحسن ـ رعاه الله ـ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدّم لكم مع الاعتذار، الأبيات التي كنت[1] وعدتكم بها لكتابكم الكريم، فأرجو القبول.

أخوكم: فرات الأسدي

لأُفُقٍ بهِ ناعساتُ الضفافِ ... يُهَدهِدُها البحرُ.. حسرى غوافي
يَمُدُّ إلىٰ حُسنها كَفَّهُ ... فتشهقُ بالوجدِ سُمرُ المرافي
ويهتزُّ نخلُ الهوى والشراعُ ... مَا مَلَّ من لُجَّةٍ في الطوافِ
-كأن لم أُطرّزْ على مثلِهِ ... دموعيَ ذاهلةً في المنافي
ولم أتذكّرْ بهنَّ الفراتَ ... مناديلَ دامعةَ الارتجافِ
تَرُدُّ إلى فرحتي لونَها.. ... وتحملني عبر ذكرى زفافِ
زفافِ الدم المرِّ في كربلاءَ ... وزغردة الجرح رهْنَ انتزافِ
ونخلُ الجنوب بأعذاقهِ ... تَدلّى الردىٰ، رائعَ الاصطفافِ! ـ
.. وتصدحُ أغنيةٌ حلوةٌ ... يُرقرقُها لهبٌ في الشغافِ
فتصبو القلوبُ إلى جمرها ... وتهوي عليها سُكارى سُلافِ
ويندى على كأسِها دمُها ... وما دمُها غيرُ خمر القطافِ
بهِ رُوحُها ثمرٌ والدِّنانُ ... مفاتنُها.. نهَباً لارتشافي!

لأُفُقٍ بهِ ناعساتُ الضفافِ ... كتبتُ، وحبرُ الوريد القوافي
إلى اليوم في جانحَيهِ النبوغُ ... ترفُّ قوادمُه والخوافي

ويـــصطافُ بـــالشمسِ نُـــوتِيُّها وبـــاللؤلؤِ الرطبِ أيَّ اصـــطيافِ
تَـــحَضَنَهُ لـلــــوصيِّ الولاءُ وللـــناكـــثين القـــلا والتّـــجافي
ومـــا راعَـــهُ أنَّ هُـــوجَ الريـــاحِ ســـتأتي لهُ بـــالسنينِ العـــجافِ
وأنَّ اللّـــــظى شـــجرُ عـــلقمٌ ســـتورقُه عـــاقراتُ الفـــيافي
بـــل أنـــثالَ للـــنبع يـــروي الظِـــماءَ ويـــنهلُ ســـلساله وهـــو صـــافي

***

وحـــــيثُ رعـــى ودَّهُ مـــاجدٌ بآبـــائهِ، طـــاهرٌ فـــي النـــطافِ
عـــلى العـــلم مـــعتكفٌ لايـــحولُ فـــبُورِكَ مـــنهُ طـــويلُ اعـــتكافِ
وبُـــورِكَ فـــي يـــدهِ مِـــزبرٌ أبـــانَ مـــن الحـــقّ أجـــلى صـــحافِ
وســـطَّر فـــي حـــيدرٍ مُـــصحفاً سـيُطربُ ســـمعَ المـــوالي المـــصافي
ويـــقرعُ ســـمعَ الخـــصوم اللّـــدودِ بـــصوتٍ جـــريءٍ جـــهيرِ الهـــتافِ
يُـــناظِرُ بـــالحُجج الدامـــغات ويـــروي عـــن القـــوم كـــلَّ اعـــترافِ
بأنَّ الإمـــامة نـــصٌ جـــليٌّ وحـــقُّ عـــليٍّ بـــها غـــيرُ خـــافي
وأبـــناءه الطـــاهرين الهُـــداةَ ليسَ بـــتفضيلِهمْ مـــن خـــلافِ
إليـــهمْ يُشـــيرُ الدليـــلُ الصـــريحُ وعـــنهم بكـــلِّ (صـــحيحٍ) يُـــوافـــي
فـــياربِّ بـــارِكْ بـــهم عُـــلقتي وأحسِـــنْ لهُـــمْ أوبـــتي وانـــصرافـــي

وأما تاريخ طبع الكتاب فهو:

أيُّـــها الكـــاتبُ الذي هـــو للـــمرتضى وَليْ
لكَ فـــيما جـــمعتَهُ خـــيرُ نـــصٍّ بـه جـليْ
نـــاظِر الخـــصم واثـقاً بكـــتابٍ ومِـــقولِ
وإذا مـــاظفرتَ فـــي الرأي مـــنهُ بـــمقتلِ
قُلْ لهُ الحـــقُّ تـــاريخُهُ:- سَـــلْ بـــخٍ بـــخٍ يـاعليْ

١٤١٥هـ

فرات الأسدي

٦/ جمادى الثانية/ ١٤١٥

(٢)

ولقد أتحفنا كذلك الأديب خادم أهل البيت الخطيب الشيخ محمد باقر الإيرواني النجفي دام عزه بهذه القصيدة ومؤرخاً لصدور الكتاب فشكراً له على ما تفضل به.

فـــي كـــتاب الـــمناظراتِ نَـــظرْنا ... نـــظرة الشَّـــوق بـــدءه وخـــتامَه
فـــوجدناه جـــامعاً لـــلمغازي ... مـــن بـــحوثٍ دقـــيقةٍ بـــاستدامـــه
وعـــن الســـنة المـــصادرُ تـــبدُو ... واضـــحاتٍ صـــريحةً بـــصرامـــه
ذاك أن النـــبيَّ لمْ يُـــوص إلاّ ... لعـــلي والله أعـــلى مـــقامه
وإذا الخـــصم قـــد تـــجاوز ظُـــلماً ... فـــلقدْ بـــاءَ وزرَهُ وأثـــامه
إنـــما الأمـــرُ والخـــلافةُ خُـــصَّتْ ... لقـــرينِ الزهـــراء رمـــز الكـــرامـــه
هـــل ســـواهُ قـــد كـــان آمـــن قـــبلاً ... أســـبق النـــاسِ مـــعلناً إســـلامه
هـــل أتـــى (هـــل أتـــى) لشـــخصٍ ســـواه ... ومـــن الرّبِ قـــد حـــباه وســـامه
حـــبّهُ واجبٌ وفـــرضٌ أكـــيدٌ ... وهـــو لـــلمؤمنين أجـــلى عـــلامه
حـــربُه حـــربُ أحـــمدٍ ويـــقيناً ... ســـلمُه ســـلمُه ليـــوم القـــيامة
قـــل لمـــن أنكـــر الحـــقيقةَ زوراً ... وإلى الحـــق قـــد ألدَّ خـــصامَه
لاتكـــنْ حـــاقداً عـــلى الحـــق واتـــبعْ ... مـــنهجَ الحـــق كـــي تـــنال الســـلامه
إن تـــجاهَلت فـــالحسابُ عســـيرٌ ... لك ويـــلُ الوبـــالِ ثـــمَّ المـــلامه
هـــذه كـــتْبُكُم تُـــصرّحُ جـــهراً ... فـــلراوي الحـــديث فـــافهم كـــلامه
لاتكـــن كـــالذي عـــناداً وبـــغضاً ... ضِـــدَّ آلِ الرَّســـولِ ســـلَّ حُســـامه
ودعـــاه نكـــرانُ فـــضلِ عـــليٍّ ... دون جـــدوى فـــجدَّ يـــرمي ســـهامه
ألزمَ النـــفسَ بـــالخلافِ جـــحوداً ... ليس لـــلجاحدين إلا النـــدامـــه
فـــاقْبل النـــصح مـــن وفـــي نـــصوحٍ ... إنّـــما النـــصحُ مـــن وفـــاءِ الشـــهامه
كُـــنْ مـــع المـــرتضى بـــقلبٍ ســـليمٍ ... وعـــن الفكـــر فـــاطّرِحْ أوهـــامه
فـــاز بـــالنّصر مَـــنْ يـــعي ويُـــراعـــي ... سِـــرَّ إرشـــاد نـــفسه اللّـــوامـــه
دربُـــنا المســـتقيمُ لـــلحقِّ يـــهدي ... وعـــلى الحـــقِّ والهُـــدَى الاســـتقامه
مـــن كـــتاب المـــناظرات تـــزوَّد ... تـــجد الرُّشْـــدَ إن أردت اغـــتِنامه
هـــو نـــعم الكـــتاب أقســـمتُ حـــقاً ... وبـــه الكـــاتبُ اســـتثار اهـــتِمامه
فـــاز فـــي النشأتـــين وعـــياً وســـعياً ... وبـــحبل الولاء نـــال اعـــتصامه
وســـيحظى بـــالخير والنـــصرِ دَومـــاً ... كـــلما للـــوصي أبـــدى التـــزامـــه
ولِمـــنْ رام خـــيرَ دنـــياً وأُخـــرى ... فـــبنهج الهـــدى يـــنال مـــرامـــه
ويـــقيناً أرَّختُ: يـــبقى بـــطيب ... لعـــلي إثـــباتُ حَـــقّ الإمـــامة

١٤١٥هـ

محمد باقر الايرواني النجفي

تقـديم:

بقلم العلاّمة المحقق آية الله الشيخ محمد رضا الجعفري (حفظه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّد خلقه وخاتم أنبيائه محمّد وآله الطيّبين الطـاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

١ ـ طُلب إليّ أن أُقدم لكتاب (مناظرات في الإمامة) في ظروف لم تكن تحملني على هذا النوع من العمل الفكري إن لم تكن تعوقني، والله سبحانه هو المرجو في السرّاء والضرّاء وبه المعاذ والملاذ في الشّدة والرخاء، قلت هذا كي يغفر لي القاريء الكريم إن لم يجد في تقديمي هذا كلّ ما كان يأمل أن يقرأ حول الكتاب وموضوعه.

ولا يعنيني هنا أن أتكلّم عن مدلول (المناظرة) لغوياً بعد أن اصطلح عليها على أن تؤدّي معنى الجدل الكلامي المباشر، القائم على المواجهة واستماع كلّ من المتجادلَيْنِ كلام الآخر والردّ عـليه فـي محضر المواجهة، فتكون قسماً من أقسام (الردّ) و (النقض).

٢ ـ وإذا كان أوّل خلاف وقع بين الأمّة الخلاف في الإمامة والإمام، وإذا كان الجـدل والنـقاش وعرض وجهات النّظر، والردّ على الرأي المخالف من طريق الكلام والمواجهة أسبق وقوعاً من الردّ كتابة وتأليفاً ـ وهذا واضح ـ فبهذا تكون (المناظرة) والجدل عن طريق الحوار قد سبقت سائر أنواع الجـدل والنقاش الفكري سبقاً زمنياً، فلابد لنا من القول بأن المناظرة حول الإمامة قد سبقت كلّ مناظرة كلامية تدور حول الصراع الفكري الذي حدث بين المسلمين في شتى نقاط الخلاف العقائدي والمذهبي بينهم.

وإن كانت المناظرة حول الإمامة والخلافة في أشكالها الأُوَل قد تأطَّرَت بإطار (الاحتجاج) من المعارضين على الفائزين في الصراع السياسي حول قيادة الأمة، وقد أعطي لها هذا العنوان: (الاحتجاج) إلّا أنّه لا يخرجها عن شمول عنوان (المناظرة) لها، فإنّ الاحتجاج في نفسه هو نوع من أنواع المناظرة، ويعتمد على إدلاء الحجج واعتماد الأدلّة والاعتبارات المناسبة لتصحيح المعارضة وعدم الخضوع لموقف الفئة الحاكمة أو التي تحاول أن تكسب الحكم، ولا تسلب من الخصم إمكانية الدفاع عـن نـفسه وعـن وجهات نظره ونقض حجج من يحتج عليه.

بل وإنّ الغلبة في الحجة والفوز في الخصومة الكلامية إن كانتا في جانب المعارضين، فـإنّ ذلك يدلّ دلالة أقوى وآكد على أنّ الحق معهم، إذ أنّ خصومهم الذين يعتزّون عليهم بما كسـبوه مـن القـدرة السياسية والعسكرية لا يأنفون أن يدلوا بحججهم ونقض حجج معارضيهم، فإن سكتوا هنا أمام معارضيهم، فستكون له دلالة أقوى من سكوت أحد المتناظرين.

حول الإمامة تشكّل القسم الأكبر والأوسع من المناظرات الكلامية لعلماء الإمامية ومتكلّميهم أعلى الله درجتهم ورضي عنهم وأرضاهم.

٣ ـ وهذا الكتاب أوّل محاولة مستوعبة تجمع كلّ صورة من صور المناظرة حول الإمامة، أمكن للمؤلف ـ حفظه الله ـ أن يصل إليها، وشيخنا الطبرسي رحمه الله وإن كان قد سبقه إليه في كتابه الشهير (الاحتجاج) لكنّه لم يخصّ موضوع كتابه بالإمامة وحدها، وقد انتهى به إلى عصره وهو القرن السادس، وقد نَظَم المؤلف مادة الكتاب حسب التسلسل الزمني، وهذه حسنة أخرى.

والمناظرة حيث أنّها تقوم على الحوار المباشر بين المتناظِرَيْن وَجْهاً لوَجْهٍ، فلا يكون أحدهما هو المدلي بحجّته والداخل إلى مجلس القضاء وحده كي يقال: من كان في مثل حاله سيكون هو الفائز بحجته والمنتصر على خصمه الغائب عنه، وهذه بعض السمات الخاصة للمناظرات والتي تمتاز بها عن بقية أنواع النقاش والردّ.

وهناك شكل آخر من أشكال المناظرة اصطلح عليه بعنوان (الردّ) و (النّقض) ويقوم على الاستعانة بالكتابة وتأليف الرسائل والكتب، وإن كان هذا العنوان لا يختص به من حيث المدلول اللغوي، وقد أكثر منه علماؤنا الأبرار أيضاً وحسبك أن ترجع إلى الذريعة ج ١٠ ص ١٧٤ ـ ٢٣٧، ٣٥٤ ـ ٧٥١ فيما جاء بعنوان (الرّدّ) و ج ٢٤ ص ٢٨٣ ـ ٢٩٢، ٤٥٩ ـ ٥١٦ فيما جاء بعنوان: (النقض) عدا ما كان له اسم خاص، فلم يذكر إلّا حسب وقوع اسمه في موقعه الخاص من سلسلة الحروف العربية.

وإذا أضفنا إلى هذين القسمين قسماً ثالثاً لم يظهر إلا في العصور الحديثة وهو المقالات التي لا تنشر إلا في الصحف والمجلات والدوريّات، ويشكّل كميّة ضخمة لا يستهان بها حجماً وعطاءً. وأرجو أن يقيض الله سبحانه من يتولّى جمعها أو فهرستها، لأدركنا مدى غزارة هذا التراث الثر المعطاء الذي لا يسعنا أن نفرط به.

وقد أحسن المؤلف صُنعاً حينما نظم هذه المناظرات حسب التسلسل الزمني لوقوعها، وبهذا مكّن الدارسين من متابعة دراستها للكشف عن نقاط القوة والضعف فيها وفي خلفياتها من حيث قدرة المتناظرين وضعفهما، وازدهار الثقافة الدينية والتمكن العلمي وضمورهما، حسب مختلف العصور، والله سبحانه أسأل أن يجعل عمله هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقه إلى أن تكون أعماله الآتية ـ سواءً التي ترجع إلى كتابه هذا أو إلى غيره ـ أوسع وأكمل، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

محمد رضا الجعفري

٣ / ١١ / ١٤١٤هـ

تفضل علينا المحقق الكبير آية الله الشيخ محمد الغروي دامت تأييداته بهذه الكلمة القيمة بمناسبة صدور كتابنا هذا، فجزاه الله خير الجزاء وشكر الله سعيه الدؤوب لإحياءه مآثر أهل البيت عليهم السلام الخالدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله وآل الله. واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الله إلى يوم لقاء الله.

أمامك عزيزي القارىء الكريم كتاب كريم لو وزن بأوزان ثقيلة لرجح عليها، ألا وهو: (مناظرات في الإمامة) محاورات فكريّة حرّة في حديث الإمامة من صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

بهذا الاسم المبارك أسماه مؤلّفه ومحقّقه أحد حسنات العصر الشيخ عبدالله الحسن، وإذ أبارك له هذه الحسنة الجارية أشعر أنّها نورٌ في الدرب لمن حَضَرَ، وللأجيال القادمة عَبر العصور.

قد يقال: ليس من الجميل المناظرة في الإمامة بعد أن أصبحت في ذمّة التأريخ، ومسألة تاريخية بحتة، فترى مؤلّف كتاب (فجر الإسلام) في مقدمة (تاريخ القرآن) لأبي عبدالله الزنجاني يناقش، ويرشد إلى حلّ له، أو لغيره ممّن تسمعه.

يقول في المقدمة مقرّضاً، مناقشاً: (... ويعجب المؤرخ أن يرى النزاع يبلغ هذا المبلغ بين فئتين يجمعهما الإعتقاد بأن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وأن المؤمنين إخوة، ولئن ساغ في العقل أن يقتتلوا أيّام كان هناك نزاعٌ، فعلى الخلافة مَن هو أحق [بها] منها ومن يتولّاها، فليس يسوغ بحال من الأحوال أن يقتتلوا على خلاف أصبح في ذمة التأريخ، لا يستطيع القتال والنزاع أن يعيده إلى الوجود، بل أن أصبحت الخلافة نفسها مسألة تاريخية بحتة، وليس للمسلمين خليفةٌ فعِليٌّ يضم كلمتهم ويجمع شتاتهم، وأصبح الخلاف خلافاً في التاريخ وخلافاً في الإجتهاد، ولو لا ألاعيب السياسة واستغفال الماكرين لعقول العامة، واحتفاظ أرباب الشهوات والمطامع تجاههم وسلطانهم لا نمحى الخلاف بين الشيعي والسنّي، ولأصبحوا بنعمة الله إخواناً ولتعاونوا على جلب المصالح ودرء المفاسد لجميعهم، ولنظر بعضهم إلى بعض كما ينظر حنفي إلى مالكي ومالكي إلى شافعي.

وأظنّ أنّ الوقت قد حان لأن يفكّر عقلاء الطائفتين في سبيل الوئام ويعملوا على إحياء عوامل الأُلفة، وإماتة الخصام، ويتركوا للعلماء البحث حرّاً في التأريخ،

ويتلقوا النتائج بصدر رحب كما يتلقّون النتائج في أي بحث علميّ وتاريخيّ. وتبعة هـذا الخلاف تقع على رؤساء الطائفتين، ففي يدهم تقليله كما في يدهم إشعاله وإنماؤه) المصدر ص ٩ ـ ١٠.

وفي كتاب السيد مرتضىٰ العسكري المسمّى (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) ص ٥ ـ ٦، ما يلي بهذا الشأن:

(... ثانياً: يعترض الباحث فيما إذا وفّق إلى ترويض نفسه، وتذليل العقبة الآنفة الذكر عقبة أخرىٰ بعدها، وهي الخوف من تأثير نشر هذه الدِراسات على وحدة كـلمة المسـلمين ... وهل يجوز لمن يَغار على مصالح المسلمين أن يبحث اليوم في الماضي السحيق، وينشر منه مايوجب النقد والرد، ويثير الحفيظة وينتج النفرة؟! وإذا كـان ذلك مـما لايستسيغه أحـدٌ فليمتنع الجميع عن البحث والتحقيق كي لا يسبّب ذلك عُقم جـهود المـصلحين، ويـؤدي بالمسلمين إلى ما لا يُحمد عُقباه ؟ !

أمّا نحن فلا نرى هذا، فإنّنا حين نـدعوا الله مـخلصين أن يـوفّق المسـلمين لتـلبية نـداء المصلحين بنبذ الحزازات وتوحيد الكلمة، لا نريد ذلك عـلى حسـاب العـلم والمـعرفة، ونعتقد أنّ المصلحين أنفسهم أيضاً لا يريدونها كذلك ؛ فإنّ المصلحين الغيارى يدعون الى الاجتماع حول صعيد الإسلام، والإسلام ليس برأي سياسي دولي، وإنّما هو إيمان وعقيدة، وهما لا يتأتّيان من كتم الحقيقة، بل إنّهما ينتجان من بحث وتحقيق ونقد علميّ خـالص، على أن لا ينبعث ذلك من هوى النفس بدافع الحب والبغض، وإنّ هذا لهو مـا يـدعو إليـه المصلحون، ونسأل الله تعالى أن يوفّقنا إلى الإلتزام بهذا الطريق السّوي، وهو المـوفق إلى الصواب ...

والحق الصحيح أنّ السعي لتقريب المسلمين بعضهم من بعض، والجهاد في سـبيل إعـادة حياة إسلاميّة، والقيام بالبحث والتحقيق في تاريخ الإسلام، وحديث نبيّه صلى الله عليه وآله لا يـنافي بعضهم الآخر، وإنّما يتممّ بعضهم بعضاً ؛ فإنّه لا يتمكن من إقامة مجتمع اسلامي دون جمع الكلمة، وبلا فهمٍ لقرآنه وحديث نبيّه وتأريخه، كما لا يتأتى التآخي الصحيح دون الإيمان بوجوب إعادة حياة إسلامية، وإلاّ فعلىٰ مَ يجتمع المسلمون ؟ وما الذي يوحّد كلمتهم ؟ ولا يتأتّى التآخي أيضاً دون ترويض المسلمين أنفسهم على سماع آرآء بعضهم ومـناقشاتها مناقشة مَن يطلب الحق ليتبعه، ليصدق عليهم قول الله سـبحانه: **﴿فَـبشّر عِـبادِ ۞ الذيـنَ**

يَستمعُونَ القَولَ فَيتّبِعُونَ أحسَنَهُ﴾[١] وهذا ما ندعوا إليه، ونسأل الله أن يوفّقنا وجميع إخواننا المسلمين إلى الإهتداء بهذا القول الكريم).

ولو لا الحُسن والقبح العقليّان، وأنّهما أصلان ثابتان في العقول، لما كان لمدح الله وتبشيره العباد المستمعين القول المتّبعين أحسنه موضع، وليس استماع القول واتباع أحسنه، ومنه الإمامة مسألة تاريخية، أو هي في ذمّة التأريخ على حدّ تعبير أحمد أمين، وهو بين أمرين: إمّا أن يردّ رغبة القرآن حُسن الاستماع واتباع الأحسن إطلاقاً، ومنه المناظرة حول الإمامة ولا سبيل إليه، وإمّا القبول، فهلُم واستمع قول أوّل واضع للغة العربية والعروض الخليل بن أحمد في عليّ عليه السلام: (استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل أنه إمام الكل ـ كتاب التأسيس ص ١٥٠) (جاء العيان فألوىٰ بالأسانيد ـ مجمع الأمثال ١ / ١٩، حرف الجيم) وكفى بالقرآن والعيان سنداً وبياناً، وقول ابن أبي الحديد المعتزلي في فضائله، قال:

فأمّا فضائله عليه السلام؛ فإنّها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمجُ معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعُبيد الله بن يحيىٰ بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني فيما أتعاطىٰ من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أنّي حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.... شرح النهج ١ / ١٦ ـ ٣٠.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

٢ جمادى الأولى ١٤١٦هـ

محمد الغروي

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٧ ـ ١٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن مسألة الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله هي أهم المسائل التي دارت عليها رحى الخلاف بين المسلمين قديماً وحديثاً، واحتدم فيها الصراع الفكري بينهم وكانت النتيجة الطبيعية لذلك الصراع انقسام الأمة الإسلامية إلى فرق متعددة[1] إلا أن أبرز هذه الفرق فرقتان:

السنة الأشاعرة والشيعة الإمامية وإن كانت هناك فرق أخرى برزت في فترات من التاريخ كالمعتزلة وغيرها ولسنا في مقام التصدي لاستعراض أدلة كل فريق وتقييمها فإن مجاله علم الكلام وإنما نشير إجمالاً إلى رأي ذينك الفريقين:

فذهبت العامة إلى أن الخلافة لانص عليها بل هي موكولة إلى الأمة، فهي التي تختار الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله واختلفوا في كيفية انعقادها بين قائل بالبيعة، وقائل بالشورى، وآخر بالإجماع حتى صرح بعضهم بانعقادها بشخصين[2]

---

(١) ولعل الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله: ستفترق أمتي بعدي على ثلاثة وسبعين فرقة...إلخ إشارة إلى ذلك، انظر: إحقاق الحق ج٧ ص١٨٥، نفحات اللاهوت ص١١٤ ـ ١١٥.

(٢) راجع: الأحكام السلطانية للماوردي: ج٢ ص٧، الطرائف على شرح المواقف: ص٣٥٣.

وبعضهم صرّح أنها تنعقد أيضاً بالقهر والغلبة[١].

وأما الإمامية فذهبت إلى أن الخلافة لاتكون إلا بالنص انطلاقاً من نظرتها الخاصة في مسألة الخلافة باعتبارها منصباً إلهياً وأمره ليس بيد البشر، وترى لزوم توفر مواصفات معينة في خليفة النبي صلى الله عليه وآله من قبيل نزاهة الباطن، التي لايطلع عليها إلّا علّام الغيوب.

ويتأكد على هذا الأساس كما ذكروا في محلّهِ أنه يجب على الله تعالى من باب اللطف[٢] أن يختار للأمة خليفة للنبي صلى الله عليه وآله لتناط به مسؤولية الأمة بعده مباشرة، ويعيّنه من خلال نص النبي صلى الله عليه وآله عليه بكل صراحة ووضوح.

ومن هذا المنطلق تحركت الشيعة الإمامية لإثبات نظريتها في الإمامة ووضعت النقاط على الحروف وساقت الكثير من الأدلة والبراهين العقلية والنقلية من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتفق عليها عند جمهور المسلمين لإثبات الأمرين معاً:

الأمر الأول: أن الخلافة والإمامة منصب إلهي وعهد رباني لايناله إلا ذو حظ عظيم يمتاز عن سائر أفراد الأمة بعلمه الجمّ وفضائله الفائقة وعصمته ونزاهة باطنه.

الأمر الثاني: أنه قد تم التعيين بأمر من الله تعالى، وبنص صريح وواضح جلي في مواقف عديدة ومناسبات كثيرة من النبي ـ صلى الله عليه

---

(١) قال الماوردي في الأحكام السلطانية: ج١ ص٢٣: وروي عنهُ ـ أي أحمد ـ مادلّ على أنّها تثبت بالقهر والغلبة، ولاتفتقر إلى العهد، فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفةً وسمّي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولايراه إماماً، براً كان أو فاجراً.

(٢) وجوب نصب الامام على الله تعالى هو بمقتضى قاعدة اللطف بالعباد إذ لايمكن أن يوجب العبدُ شيئاً على مولاه، وهناك أيضاً من المذاهب من يرى أن طريق وجوبها الشرع. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص٣٠٨، ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع: كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد للعلامة الحلي: ص٣٢٤ و ٣٦٢، حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد عبد الله شبّر: ج١ ص١٣٦ ـ ١٤٠، كتاب الإمامة في أهم الكتب الكلامية للعلامة السيد علي الميلاني: ص٤٥.

وآله وسلّم ـ علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ابتداءً بالإنذار يوم الدار وانتهاءً بالساعات الأخيرة من حياة النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فكان لا يدع فرصة يمكنه الإشارة فيها أو التصريح بإمامة علي ـ عليه السلام ـ من بعده إلا وبين فيها أمر الإمامة والإمام من بعده، ولعل أبرز تلك المناسبات قضية الغدير وهي أشهر من أن تذكر، ولا يختلف في تواترها أحد من المسلمين وإن اختلفوا في دلالة الولاية المنصوص عليها في هذا الحديث المتواتر، وقد أثبت علماؤنا دلالتها علىٰ الأولىٰ بالتصرف.

وانطلاقاً من هذا الامر أخذت الشيعة الإمامية تحتج لأحقية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وأبنائه الأحد عشر ـ عليهم السلام ـ في الخلافة، ـ مستخدمين في ذلك البراهين النقلية والعقلية ـ وأثبتوا ذلك في مؤلفاتهم الكثيرة[١] في هذا الشأن قديماً وحديثاً، وفي خطبهم وشعرهم وأدبهم فإن أدب الغدير، وأدب الإمامة والخلافة يحتلُ جانباً كبيراً من الأدب الاسلامي خصوصاً في القرون الأولىٰ.

ومن أقدم تلك الاحتجاجات التي بدأت منذ الساعات الأولىٰ من ارتحال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إلى الرفيق الأعلىٰ، المحاورات والمناظرات حول هذه المسألة التي كانت تدور بين الحين والآخر واستمرت مع التأريخ وتطورت فيها أساليب النقاش ووسائل الإثبات مع اختلاف المناسبات.

ومما لا يخفىٰ أن أسلوب المناظرة من أحسن الأساليب إقناعاً، ومن أسهلها استيعاباً، وأوقعها في النفس، حيث يتفاعل معها الإدراك من خلال

---

(١) راجع: الشافي في الإمامة للسيد المرتضىٰ، الألفين للعلامة الحلي، تلخيص الشافي للشيخ الطوسي، دلائل الصدق للمظفر، المراجعات لشرف الدين، الغدير للأميني، وغيرها.

الأخذ والرّد، ويستفيد منها عامة الناس مع اختلاف مستوياتهم الفكرية.

ومن ناحية أخرى ان طرح موضوع الخلافة كمسألة علمية في اطار المناظرات والتي احتوت على كثير من الحقائق التاريخية والعلمية مما يؤدي الى عمق اكثر في التعرف على نظريات وادلة كل من المذاهب الاسلامية في شؤون الخلافة الاسلامية وخصوصاً الشيعة الإمامية والوقوف على نظرياتها في هذه المسألة.

ومن هنا رأيت ان أجمع بعض تلك المحاورات والمناظرات التي جرت في مسألة الخلافة بالذّات، والتي أثبتوا فيها بالأدلة دلالة النصوص المتظافرة علىٰ خلافة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، مع احتوائها لكثير من الاستدلالات المختلفة المتنوعة، كما أضفت إليها بعض المناظرات المخطوطة في هذا الباب وقد اعتمدت في إخراجها علىٰ المصادر الموثوقة والمعتمدة مع تخريج مصادرها من كتب الجمهور.

وسيلاحظ القارىء الكريم لهذه المناظرات أن وسائل الإثبات في بعضها مرتكزة علىٰ الآيات الشريفة، والنصوص المأثورة عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ المتفق عليها بين الفريقين، وأخرىٰ علىٰ الشواهد والوقائع التاريخية، وتارة يستدل من خلال بعض الممارسات والمقارنة بينها وبين ممارسات النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في نظائر تلك الوقائع، كما أن للأدلة العقلية دوراً كبيراً في هذا المجال.

وسيُلاحظ أيضاً أن بعض الاستدلالات بالآيات أو الأحاديث أو غيرهما قد تكررت في بعض المناظرات، إلا أن المتأمل فيها يجدُ أنَّ كلَّ مناظر له أسلوبه الخاص المتميز في الاستدلال، وربما تناول فيها جانباً أغفله الآخر، وإن تكررت فيها نفس النصوص.

وقد آثرنا في فهرسة وترتيب المناظرات الاعتماد علىٰ التسلسل التاريخي لوقوعها، ليتسنىٰ للقارىء الكريم الاطلاع علىٰ سيرها في حقل الإمامة في أحقاب زمنية متوالية، ابتداءً من الصدر الأول وإلىٰ وقتنا الحاضر.

وبالإمكان الوقوف ـ من خلال هذا التسلسل لهذه المناظرات ـ علىٰ وسائل الاستدلال لدىٰ الطرفين عبر عصورها المختلفة، ومدىٰ تطورها.

وهذا الكتاب ليس هو الأول في هذا الباب بل هناك الكتب الكثيرة التي حوت مثل هذه المناظرات والمحاورات مثل: كتاب الفصول المختارة للشيخ المفيد ـ أعلى الله مقامه ـ وكتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ـ أعلى الله مقامه ـ، فقد جمع فيه مناظرات واحتجاجات النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والزهراء والأئمة ـ عليهم السلام ـ مع اليهود والنصارىٰ والزنادقة والملاحدة ومع مختلف المذاهب، والبحار للشيخ المجلسي ـ أعلىٰ الله مقامه ـ في بعض أجزائه، والمراجعات للسيد شرف الدين ـ قدّس الله سره ـ، والغدير للأميني ـ طاب ثراه ـ في الجزء الأول، وغيرها.

إلا أننا اقتصرنا في هذا الكتاب علىٰ المناظرات التي جرت بشأن الخلافة والإمامة فقط، كما مرت الإشارة إليه آنفاً.

هذا وباب المناظرات في الخلافة بابٌ لا يسع استيفاؤه ولا يمكن استيعابه، وعسىٰ أن يكون فيما ذكرناه كفاية لمن طلب الحق في هذا المجال.

وقد رأيت من الضرورة بمكانٍ أن أُصدِّر الكتاب ـ بمناسبة موضوعه ـ ببيانٍ لحكم المناظرة في الشريعة الإسلامية وآدابها وتاريخها

في الخلافة ومتى بدأت.

وأخيراً أرجو من القارىء الكريم أن تكون قراءتُه بدقة وتمعن بالغين، وبكل موضوعية بعيداً عن التعصب، ومما لا يخفىٰ علىٰ كل باحث أن ترك التعصب وتحكيم العقل يؤدي إلىٰ رؤية الحقيقة بأجلىٰ مظاهرها وأصدق معانيها، هذا والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها.

والله تعالىٰ أسأل في هذه الظروف العصيبة أن يلم شمل المسلمين جميعاً ويوحد كلمتهم على الحق ليكونوا يداً واحدة علىٰ أعدائهم قال تعالىٰ: ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾[١] وقال تعالىٰ: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم علىٰ شفا حُفرةٍ من النَّار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾[٢] ولا يفوتني أن أقدم جزيل الشكر والامتنان لكل من ساهم في مراجعة وإبراز هذا الكتاب راجياً لهم التوفيق، وإياه تعالى أسأل أن ينفع بهذه المناظرات إخواني المؤمنين ويجعلها ذخراً ليوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله من وراء القصد والهادي الىٰ سواء السبيل، وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين.

عبدالله الحسن

يوم الجمعة ٢٩ / ١١ / ١٤١٣هـ

---

(١) سورة الانبياء: الآية ٩٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

حكم المناظرة في الشريعة الإسلامية:

تمهيد:

عُرِفتْ المناظرة أو المجادلة في الفلسفة اليونانية باسم: «طوبيقا»، وهي إحدىٰ الصناعات الخمس المهمة التي ينقسم إليها القياس المنطقي، ويتوقف فهم هذه الصناعة علىٰ مقدمات ومبادىء أساسية لاغنىٰ عنها لمن يروم الدفاع عما يراه جديراً بالدفاع عنه لشتىٰ الأغراض، سواء أكان ذلك في مجال العقيدة أم لم يكن.

علىٰ أن رجوع طالب المناظرة أو الجدل إلىٰ المصادر الأولية للوقوف علىٰ مقدمات ومبادىء هذه الصناعة قد لا يخلو من صعوبة، لما اكتنف تلك المصادر من غموض في العبارة، وإجمال يتيه معه المُبتديء في خِضَمِ الأساليب المنطقية التي لم يعتدها من قبل، ولهذا ننصح بالرجوع إلىٰ ما كتبه الشيخ محمد رضا المظفر ـ رحمه الله ـ في كتابه المنطق، إذ فيه مادة غنية مبسطة تغني عن الرجوع إلىٰ غيره في تحصيل أوليات المناظرة فيما يتعلق بصناعة الجدل.

ومن المهم أن نشير في هذا التمهيد إلىٰ أن القياسات الجدلية، ـ التي ينبغي معرفتها في مقام المناظرة أو المجادلة ـ تهدف بالدرجة الأساس إلىٰ تحصيل ما يفحم به الخصم عند المناظرة، وقطع حجته والظهور عليه بين السامعين، سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً، إذ ليس الغرض من القياسات الجدلية هو الحق أو الباطل، وإن كان أحدهما داخلاً في طلب ما يفحم به

الخصم، إلا أنه لم يكن مُراداً ومقصوداً بعينه[١].

وهذا ما يُفَهمُ من تعريف الجدل أيضاً، إذ لم يُذكر في التعريف أي شرط يُقيِّد معناه بالدفاع عن الحق مثلاً، ولهذا قالوا: الجدل «صناعة علمية يقتدر معها علىٰ إقامة الحجة من المقدمات المسلمة علىٰ أي مطلوب يراد، وعلىٰ محافظة أي وضع يتفق، علىٰ وجه لا تتوجه عليه مناقضة بحسب الإمكان»[٢].

ومن هنا كان لا بد من بيان رأي شريعتنا الغراء في المناظرة ما دامت رحاها تدور علىٰ إثبات صحة الآراء والأفكار التي يدعيها كل من الطرفين المتناظرين بغض النظر عن موافقة تلك الآراء أو مخالفتها لشريعة الإسلام، وذلك بحسب التقسيم التالي للمناظرة.

---

(١) رسالة التصور والتصديق لصدر المتألهين الشيرازي ص ٢٣٣، مطبوعة بهامش الجوهر النضيد للعلامة الحلي.

(٢) الجوهر النضيد للعلامة الحلي ص٢٣٣، والمنطق للشيخ المظفر ج٣ ص٣٣٥.

أقسام المناظرة:

تناول القرآن الكريم في العديد من الآيات الشريفة، وكذلك السنة المطهرة في جملة من الأحاديث، موضوع المناظرة والجدل تارة بالتأييد وأخرى بالتفنيد ومن هنا يمكن القول بأن المناظرة بحسب نظرة الشريعة الإسلامية تنقسم إلى قسمين وهما:

القسم الأول: المناظرة المشروعة.

القسم الثاني: المناظرة غير المشروعة.

المناظرة المشروعة:

لقد شرع القرآن الكريم المناظرة وجعل لها حدود وضوابط وأكد على ضرورتها وأهميتها، وذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم، وهذا ما يصور لقارىء القرآن الكريم احتلال المناظرة جانباً حيوياً في حياة سائر الأديان، إذ ما من رسول أو نبي إلّا وقد ناظر قومَهُ وحاجَجهم وجادلهم في إثبات صحة ما يدعوهم إليه.

ومما يزيد الأمر وضوحاً هو أن الله تعالىٰ قد أمر رسوله الكريم ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بمجادلة المشركين ودعوتهم إلىٰ الحق، بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال تعالىٰ: ﴿ **ادع إلىٰ سبيلِ ربكَ بالحكمةِ والموعظة الحَسَنَةِ وجادلهُم بالتي هي أحَسنُ إنَّ ربَكَ هوَ أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيلهِ وهو أعلمُ بالمهتدين** ﴾[١].

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

كما أمر تعالىٰ بمجادلة أهل الكتاب عن طريق الحكمة والموعظة لما في ذلك من إلانة قلوبهم وانصياعهم إلىٰ الحق، فقال تعالىٰ: ﴿ **ولا تجادلوا أهلَ الكتابِ إلا بالتي هي احسن..** ﴾[١].

لأن الغلظة في المناظرة والجدل لا تزيد الطرف الآخر إلا نفوراً، وعناداً، وتعصُباً، وتَمسكاً بالباطل كما أوضحه تعالىٰ في قوله الكريم: ﴿ **ولو كنت فظّاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ..** ﴾[٢].

وهذا ما يكشف عن أسلوب المناظرة النبوية، فهو الأسلوب الأمثل الذي يجب مراعاته بين المتناظرين.

ومن الأدلة والشواهد القرآنية التي تبين مشروعية المناظرة في الإسلام، قوله تعالىٰ: ﴿ **وضربَ لنا مثلاً ونسيَ خلقَهُ قالَ من يحيي العظامَ وهيَ رميمٌ، قل يحييها الذي أنشأهَا أوّلَ مرةٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليمٌ، الذي جعلَ لكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأخضرِ ناراً فإذا أنتم منه توقدونَ، أوليس الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بقادرٍ علىٰ أنْ يَخْلُقَ مِثلَهُمْ بلىٰ وهَو الخلّاقُ العليمُ، إنّما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فسبحانَ الّذي بيدهِ ملكوتُ كُل شيءٍ وإليه ترجَعُونَ** ﴾[٣].

وهنا يلاحظ ما في جواب من أنكر الإحياء بعد الإماتة، وما فيه من أدلة عظيمة، وأسلوب رائع يأخذ بمجامع القلوب ويسوقها طوعاً إلىٰ الإذعان والتصديق، ومنه ينكشف مدىٰ تأثير الدليل وطريقة عرضه، إذ بهما يخلق من الطرف الآخر إنساناً سَلِس الانقياد.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) سورة يس: الآية ٧٨ ـ ٨٢.

ولم يقتصر هذا الأمر علىٰ مناظرات نبينا ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مع مشركي مكة ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، وإنما كان ذلك الأسلوب من المناظرة والجدل متبعاً من قبل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مع مشركي أقوامهم كما في قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع نمرود كما في قوله تعالىٰ : **﴿ ألم تر إلىٰ الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاهُ الله المُلك إذ قال إبراهيمُ ربّي الذي يُحي ويُميتُ قال أنا أُحي وأُميتُ قالَ إبراهيم فإنَّ الله يأتي بالشمس من المشرق فاَتِ بها من المغرب فبُهِتَ الذي كفرَ واللهُ لا يهدي القوم الظالمين ﴾**[1] .

ومثله أيضاً ما جاء في محاجّة قومه له ـ عليه السلام ـ وجوابه لهم كما في قوله تعالىٰ : **﴿ وحاجّهُ قومه قال أتحاجُّوني في الله ﴾** ـ إلىٰ قوله ـ **﴿فأيُّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾**[2] .

ومثله أيضاً ما جاء في محاجّته ـ عليه السلام ـ لقومه حينما كسَّر أصنامهم وقد ألزمهم بالحجة والعقل والرجوع إلىٰ وجدانهم وعقولهم ، كما في قوله تعالىٰ : **﴿ قالُوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم ، قال بل فعلهُ كبيُرهُم هذا فاسألوهم إن كانُوا ينطقون ، فَرَجعُوا إلىٰ أَنفُسِهِم فقالُوا إنّكم أنتم الظالمُون ، ثم نُكِسُوا علىٰ رُؤُسِهِم لقد علمِتَ ما هٰؤلاءِ ينطقون ، قال أفتعبُدُون من دون الله ما لا ينفعُكُم شيئاً ولا يَضُرُّكُم ، أُفٍّ لَّكُم ولِمَا تعبُدُونَ من دُونِ اللهِ أفَلاَ تعقلونَ ﴾**[3] .

ومنها مجادلة نوح ـ عليه السلام ـ لقومه الذين ركبوا رؤوسهم عناداً وازدادوا غيّاً وفساداً ، حيث قالوا له وهو يجادلهم في الله تعالىٰ : **﴿ يا نوح**

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٨ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٨٠ ـ ٨١ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٦٢ ـ ٦٧ .

قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾[١].

ومن هنا يتبين أن المناظرة أو الجدل لو لم تكن مشروعة لما أمر الله تعالىٰ بها أنبياءه ـ عليهم السلام ـ، في حين أن القرآن الكريم يزخر بمحاججات الأنبياء لأقوامهم لا سيما نبينا ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وهو القدوة الحسنة والمثل الأعلىٰ الذي لا ينتهي حديث عظمته، ولا تزيده الدهور إلا سناءاً وعلواً.

هذا هو موقف القرآن الكريم من المناظرة المشروعة بشكل موجز، والذي يمكن أن تكون خلاصته: أن ينظر كل من المتناظِرَيَن بعين الاعتبار إلىٰ الآخر، ولا يستهين بآرائه وإن كانت مخالفة للحق في بداية الأمر وان لاينسب أراءه الى محض الباطل حتى ولو كان كذلك في نظره لاحظ قوله تبارك وتعالى: **﴿ وانّا او إيّاكم لعلى هُدى او في ضلال مبين ﴾**[٢] حيث ان النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، يجمل اجمالا الضلالة بين الفريقين تمهيداً للجو الملائم للمناظرة الصحيحة بهدف الوصول الى الحقيقة ولا يفاجأهم مباشرة بتفنيد مزاعمهم جملة وتفصيلا رغم انها كانت محض الباطل في اعتقاده ـ صلى الله عليه وآله ـ، ثم عليه أن يسوق الدليل الذي يعرفه المقابل نفسه، وأن يعرض الدليل بالطريقة الهادئة مقروناً بالحكمة والموعظة الحسنة، علىٰ أن يكون مراده تحصيل الحق، وإلا ستكون المناظرة غير مشروعة كما سيأتي الحديث عنها في محله.

أما موقف السنة المطهرة من المناظرة، فهو لا يختلف عن حكم القرآن، فكلاهما ـ القرآن والسنة ـ صنوان لمشرع واحد، قال تعالىٰ: **﴿ وما**

---

(١) سورة هود: الآية ٣٢.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

ينطق عن الهوىٰ ، إن هو إلا وحي يوحىٰ ﴾[١] .

ومما ورد من الأدلة والشواهد علىٰ مشروعية المناظرة من السنة الشريفة:

منها : ما روي عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنه قال : « نحن المجادلون في دين الله علىٰ لسان سبعين نبيّاً »[٢] .

ومنها : ما روي من مناظرات النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مع أهل الاديان وغيرهم، ومما يُروى بهذا الصدد من اجتماع أهل خمسة أديان وفرق ـ وهم اليهود ـ والنصارىٰ، والدهرية، والثنوية، ومشركوا العرب ـ عند النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، واحتجاج كل فريق منهم لدعواه وجواب النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لهم وإبطاله لمزاعمهم.[٣]

كما أن المتتبع لسيرة الأئمة ـ عليهم السلام ـ يجد أمثلة كثيرة جداً في مناظراتهم واحتجاجاتهم مع خصومهم ، كما وردت عنهم ـ عليهم السلام ـ أخبار كثيرة بشأن مجادلة الخصوم وإقناعهم، وكانوا ـ عليهم السلام ـ يأمرون بعض أصحابهم بذلك ممن يتوسمون فيه القدرة على مقارعة الحجة بالحجة ، كما هو المشهور في موقف الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ من هشام بن الحكم وثلة من أصحابه الذين كانوا بالمرصاد في تصديهم للزنادقة والملحدين والمخالفين في المسائل الاعتقادية كالمجبرة والمفوضة والمجسِّمة وغيرها من المذاهب الأخرى .

كما كانت لمسائل الإمامة الحصة الكبرى في مناظرات هؤلاء

---

(١) سورة النجم : الآية ٣ و ٤ .

(٢) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ـ ص ١٥ .

(٣) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٢ ـ ٢٨، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ج ٢ ص ١١٦ ـ ١٢٠ .

الأصحاب وغيرهم مع خصومهم، كما سيبينه كتابنا هذا: مناظرات في الإمامة.

وفيما يلي نذكر بعض الروايات عن أهل بيت النبوة ـ عليهم السلام ـ الدالة علىٰ ما أسلفناه:

منها: رواية الشيخ المفيد بإسناده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الباقر ـ عليهما السلام ـ قال: من أعاننا بلسانه علىٰ عدونا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجل[(١)].

ومنها: قول الصادق ـ عليه السلام ـ: حاجوا الناس بكلامي، فإن حاجوكم فأنا المحجوج[(٢)].

ومنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي[(٣)] من مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد، حتىٰ أن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أحب أن يسمع من هشام نفسه ما جرىٰ بينه وبين عمرو بن عبيد، كما ستأتي مفصلة في هذا الكتاب.

ومع هذا كله فقد تخيل بعض المخالفين أن المناظرة محرمة في رأي أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، وأن ما يفعله الشيعة يخالف أمر أئمتهم.

يقول الشريف المرتضىٰ (ره): قلت للشيخ أبي عبدالله أدام الله عزه: إن المعتزلة والحشوية يزعمون أن الذي نستعمله من المناظرة شيء يخالف أصول الإمامية ويخرج عن إجماعهم لأن القوم لا يرون المناظرة ديناً وينهون عنها ويروون عن أئمتهم تبديع فاعلها وذم مستعملها، فهل معك رواية عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في صحتها أم تعتمد علىٰ

---

(١) أمالي المفيد ص ٣٣ ح ٧.
(٢) تصحيح الاعتقاد الشيخ المفيد: ص ٢٧.
(٣) الأصول من الكافي للكليني ج ١ ص ١٦٩ ـ ١٧١.

حجج العقول ولا تلتفت إلىٰ من خالفها وإن كان عليه إجماع العصابة ؟

فقال : أخطأت المعتزلة والحشوية فيما ادعوه علينا من خلاف جماعة أهل مذهبنا في استعمال المناظرة وأخطأ من ادعىٰ ذلك من الإمامية أيضاً وتجاهل ، لأن فقهاء الامامية ورؤساءهم في علم الدين كانوا يستعملون المناظرة ويدينون بصحتها وتلقىٰ ذلك عنهم الخلف ودانوا به ، وقد أشبعت القول في هذا الباب وذكرت أسماء المعروفين بالنظر وكتبهم ومدائح الأئمة لهم في كتابي الكامل في علوم الدين ، وكتاب الأركان في دعائم الدين ، وأنا أروي لك في هذا الوقت حديثاً من جملة ما أوردت في ذلك إن شاء الله .

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد (بسنده) عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ قال : قال لي : خاصموهم وبينوا لهم الهدىٰ الذي أنتم عليه ، وبينوا لهم ضلالهم وباهلوهم في علي ـ عليه السلام ـ[1] .

إلىٰ غير ذلك من الأدلة والشواهد التي تنص علىٰ مشروعية المناظرة علىٰ أن التوسع في إيراد الشواهد والأدلة علىٰ مشروعية المناظرة قد يكون علىٰ حساب مادة الكتاب ، إذ فيه الشيء الكثير الذي لا يمكن بموجبه إنكار مشروعية المناظرة في الإسلام ، زيادة علىٰ ما كتب من كتب إسلامية في هذا المجال بعض المناظرات التي وقعت بين علماء المسلمين في جوانب شتىٰ من العقيدة وغيرها ، ولعل في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ـ أعلى الله مقامه ـ خير دليل على ذلك .

---

(١) الفصول المختارة : ص ٢٨٤ .

المناظرة غير المشروعة :

وأما ما هو غير مشروع من المناظرة فقد سبق وأن ألمحنا الىٰ أن القرآن الكريم بَيَّن ضوابط المناظرة المشروعة وحدد معالمها، ووضعها في إطارها الصحيح، وذلك بعبارة جامعة مانعة وهي أن تكون الدعوة فيها إلى الحق وهو ما عبر عنه تعالى بـ«سبيل الله» وأن تكون بالحكمة والموعظة والمجادلة الحسنة كما في قوله عز شأنه: ﴿ **ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾[١].

وحيث إن القرآن الكريم وضع الضوابط والمقاييس للمناظرة المشروعة فإذا تخلف عنها ماهو شرط أو شطر خرجت المناظرة عن كونها مشروعة وذلك فيما إذا كانت لإثبات باطل أو للغلبة على الحق أو كانت عن غير علم، ونحو ذلك فهذه المناظرة هي التي لا يرضاها الله تعالى ولا يقرها حتى لأنبيائه ومن هذه المناظرات غير المشروعة مناظرات ومجادلات أهل الكتاب والمشركين والمنافقين مع نبينا محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وكذا مجادلات الأمم السابقة مع أنبيائهم ـ عليهم السلام ـ وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النحو من المناظرات والمجادلات غير المشروعة في مواضع شتى منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾[٢].

٢ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل**

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة المؤمن: الآية ٥.

شيطان مريد ﴾[١].

٣ـ قوله تعالىٰ: **﴿ يجادلونك في الحق بعدما تبين ﴾**[٢].

٤ـ قوله تعالىٰ: **﴿ ويعلَم الذين يُجادِلُونَ في آياتِنا مالهُم من محيص ﴾**[٣].

٥ـ قوله تعالىٰ: **﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾**[٤].

٦ـ قوله تعالى: **﴿ فلِمَ تُحاجُّون فيَما ليس لكمْ به علمٌ واللهُ يعلمُ وأنتُم لاتعلمون ﴾**[٥].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة الأخرىٰ الناهية عن مثل هذه المجادلات التي لا يبتغىٰ من ورائها إلا الباطل.

فهي إما أن تكون مجادلة في حق قد تبين، وإما أن تكون لإماتة الحق ونصرة الباطل، وإما أن تكون عن جهل وما يستتبعه من عناد وإصرار علىٰ الباطل، وإما أن تكون بغير هذا وذاك من الدواعي الأُخرىٰ التي لا يقرها دين ولا يؤيدها وجدان، وحري بالمسلم أن يتبع الحق فالحق أحق بأن يتبع من أي طريق كان.

---

(١) سورة الحج: الآية ٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦.

(٣) سورة الشورى: الآية ٣٥.

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٠.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

آداب المناظرة:

لكي تكون المناظرة ناجحة وبناءة هادفة، ولكي يخرج الطرفان منها بفائدة ونتيجة مثمرة، يحسن بهما أن يتبعا آداب المناظرة التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾[1] وفيما يلي نذكر أهم الآداب التي ينبغي مراعاتها في المناظرة وهي:

١ ـ أن يكون (المناظِر) في طلب الحق كمنشد ضالة يكون شاكراً متى وجدها، ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو على يد غيره، فيرى رفيقه معيناً لا خصيماً ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالة فنبهه غيره على ضالته في طريق آخر، والحق ضالة المؤمن يطلبه كذلك، فحقه إذا ظهر الحق على لسان خصمه أن يفرح به ويشكره، لا أنه يخجله ويُسَوّد وجهه ويزيل لونه، ويجتهد في مجاهدته ومدافعته جُهْدَه.

٢ ـ أن لا يمنع مُعينَه من الانتقال من دليل إلى دليل، ومن سؤال إلى سؤال، بل يمكِّنه من إيراد ما يحضره ويخرج من كلامه ما يحتاج إليه في إصابة الحق، فإن وجده في جملته أو استلزمه وإن كان غافلاً عن اللزوم فليقبله ويحمد الله تعالى، فإن الغرض إصابة الحق، وإن كان في كلام متهافت إذا حصل منه المطلوب.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

فأما قوله: «هذا لا يلزمني فقد تركت كلامك الأول وليس لك ذلك» ونحو ذلك من أراجيف المناظرين، فهو محض العناد والخروج عن نهج السداد.

وكثيراً ما ترى المناظرات في المحافل تنقضي بمحض المجادلات حتى يطلب المعترض الدليل عليه ويمنع المدعي ما هو عالم به، وينقضي المجلس على ذلك الإنكار والإصرار على العناد، وذلك عين الفساد، والخيانة للشرع المطهر، والدخول في ذم من كتم عِلْمَه.

٣ ـ أن يقصد بها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق لا ظهور صوابه وغزارة علمه، وصحة نظره، فإن ذلك مراء قد عرفت ما فيه من القبائح والنهي الأكيد.

ومن آيات هذا القصد أن لا يوقعها إلا مع رجاء التأثير، فأما إذا علم عدم قبول المناظر للحق وأنه لا يرجع عن رأيه وإن تبين له خطأه فمناظرته غير جائزة لترتب الآفات وعدم حصول الغاية المطلوبة منها.

٤ ـ أن يناظر في واقعة مهمة، أو في مسألة قريبة من الوقوع، وأن يهتم بمثل ذلك، والمهم أن يبين الحق ولا يطول الكلام زيادة عما يحتاج إليه في تحقيق الحق.

ولا يغتر بأن المناظرة في تلك المسائل النادرة توجب رياضة الفكر وملكة الاستدلال والتحقيق، كما يتفق ذلك كثيراً لقاصدي حظ النفوس من إظهار المعرفة فيتناظرون في التعريفات وما تشتمل عليه من النقوض والتزييفات وفي المغالطات ونحوها، ولو اختبر حالهم حق الاختبار

لو جد مقصدهم على غير ذلك الاعتبار[١].

٥ ـ أن يتخير الألفاظ الجزلة الفخمة، و يتجنب العبارات الركيكة العامية، ويتقي التمتمة والغلط في الألفاظ والأسلوب.

٦ ـ أن يكون متمكناً من إيراد الأمثال والشواهد من الشعر، والنصوص الدينية، والفلسفية، والعلمية، وكلمات العظماء، والحوادث الصغيرة الملائمة ـ وذلك عند الحاجة طبعاً ـ بل ينبغي أن يكثر من ذلك ما وجد إليه سبيلاً وذلك يُعينه على تحقيق مقصوده وهدفه، والمثل الواحد قد يفعل في النفوس ما لا تفعله الحجج المنطقية من الانصياع إليه والتسليم به.

٧ ـ أن يتجنب عبارة الشتم واللعن، والسخرية والاستهزاء، ونحو ذلك مما يثير عواطف الغير ويوقظ الحقد والشحناء، فإن هذا يفسد الغرض من المجادلة التي يجب أن تكون بالتي هي أحسن.

٨ ـ ألا يرفع صوته فوق المألوف المتعارف، فإن هذا لا يكسبه إلا ضعفاً، ولا يكون إلا دليلاً على الشعور بالمغلوبية، بل يجب عليه أن يلقي الكلام قويَّ الأداء لا يشعر بالتردد والارتباك والضعف والانهيار، وإن أداه بصوت منخفض هادىء فإن تأثير هذا الأسلوب أعظم بكثير من تأثير أسلوب الصياح والصراخ.

٩ ـ أن يتواضع في خطاب خصمه، ويتجنب عبارات الكِبْرِيَاء والتعاظم، والكلمات النابية القبيحة.

١٠ ـ أن يتظاهر بالإصغاء الكامل لخصمه، ولا يبدأ بالكلام إلا من حيث ينتهي من بيان مقصوده، فإن الاستباق إلى الكلام سؤالاً وجواباً قبل

(١) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد: لزين الدين العاملي ص ١٥٤.

أن يتم خصمُه كلامَه يربك على الطرفين سير المحادثة، ويعقِّد البحث من جهة، ويثير غضب الخصم من جهة أخرى.

١١ ـ أن يتجنب ـ حد الإمكان ـ مجادلة طالب الرياء والسمعة ومُؤْثِر الغلبة والعناد ومدعي القوة والعظمة فإن هذا من جهة يعديه بمرضه فينساق بالأخير مقهوراً إلى أن يكون شبيهاً به في هذا المرض، ومن جهة أخرى لا يستطيع مع مثل هذا الشخص أن يتوصل إلى نتيجة مَرْضِيَّة في المجادلة[١].

١٢ ـ أن يكون مُطَّلِعاً على أفكار وآراء خصمه من كتبه ومصادره لا من كتبه ومصادره هو.

١٣ ـ أن يكون هاضماً للفكرة التي يريد طرحها ومحيطاً بها تماماً، ومقتنعاً بها، لكي يتمكن من إقناع خصمه.

١٤ ـ وينبغي أن يختار الكلام المناسب للزمان والمكان فإن لهما تأثيراً كبيراً في النفوس، ومن هنا قيل في المثل المشهور: لكل مقام مقال.

١٥ ـ أن يخاطب خصمه بكلام مفهوم مراعياً مقدار فهمه، ومستواه الفكري، بأسلوب حسن ومنطق سديد.

---

(١) المنطق: للمظفر ص ٣٦٢.

تاريخ الاحتجاج والمناظرة في الخلافة الإسلامية:

قد يتصور البعض أن تاريخ الاحتجاج والمناظرة في الإمامة وإثبات حق أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يعود إلى زمان متأخر، وبالتحديد إلى ظهور علم الكلام بين الشيعة، وهذا ما دعاني لإثبات ما يؤكد أن تلك المناظرات والاحتجاجات كانت منذ اليوم الأول لتسلّم الخلافة بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مباشرة إثر أحداث السقيفة التي غيرت مجرى التاريخ، كما اعتُبِر ذلك النزاع أول نزاع حدث بين المسلمين بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ[١] في الإمامة.

وأول من فتح باب الاحتجاج والمناظرة ـ في هذا الأمر ـ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ صاحب الحق الذي ثبت له بالنصوص الشرعية، كما أن للزهراء والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ وبني هاشم وجملة من الصحابة الدور الكبير في ذلك، وكتب التاريخ والحديث والسيرة زاخرة باحتجاجاتهم ومناظراتهم في هذا الأمر، وفيما يلي نذكر بعضاً من احتجاجاتهم:

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ومطالبته بحقه

الذي يراجع كتب الحديث والسيرة ـ في خصوص هذا الشأن ـ يجد كثيراً من احتجاجاته ومناشداته ـ عليه السلام ـ في الخلافة، وكذلك من

---

(١) انظر: مقالات الاسلاميين للاشعري ص ٢.

يراجع نهج البلاغة يجد كثيراً من الخُطب والكلمات التي تكشف عن مدى تأثره ـ عليه السلام ـ، ويجد تلك النفس التي ملؤها الحسرة والتأسف كل ذلك بسبب ما حصل من القوم في حقه.

فقد روى كثير من المحدّثين أنّه عقيب يوم السّقيفة تألّم وتظلّم، واستنجد واستصرخ، حيث ساموه الحضور والبيعة، وأنّه قال وهو يشير إلى القبر: ﴿ **يابن أُمَّ إن القوم استضعفوني وكادُوا يقتُلُونني** ﴾(١)، وأنه قال: واجعفراه! ولا جعفر لي اليوم! واحمزتاه ولا حمزةَ لي اليوم!(٢)

وفيما يلي نذكر بعض خطبه واحتجاجاته في الخلافة، وبعض النصوص التي تكشف عن موقفه تجاههم:

١ ـ روي أن علياً ـ عليه السلام ـ أُتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبد الله، وأخو رسوله، فقيل له بايع أبا بكر.

فقال: أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ـ صلَى الله عليه وآله وسلّم ـ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمّا كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع.

فقال له عليّ: احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردد عليك

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ١١١.

غداً، ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه. ـ إلى أن قال لهم ـ:

الله الله يا معشر المهاجرين، لا تُخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته، إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحقُّ بهذا الأمر منكم، أما كان فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بُعداً[١].

٢ ـ لما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجُددت البيعة له يوم الثلاثاء علىٰ العامة، خرج علي ـ عليه السلام ـ فقال: أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم تَرْعَ لنا حقاً.

فقال أبو بكر: بلىٰ، ولكني خشيت الفتنة[٢].

٣ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: واعجباً أن تكون الخلافةُ بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة.

قال الشريف الرضي ـ رحمه الله ـ: وقد رويَ له شعر قريب من هذا المعنىٰ وهو:

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨ ـ ١٩، السقيفة للجوهري ص ٦٠ ـ ٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١١ ـ ١٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٠٧.

فإن كنتَ بـالشُّورَىٰ مـلكت أُمُـورَهُمْ
فكـيف بـهذا والمشـيرُونَ غُـيَّبُ
وإنكنتَ بالقربىٰ حججت خصيمَهُمْ
فـغيرُك أَوْلىٰ بـالنَّبِي وأَقـرَبُ[١]

٤ ـ قوله ـ عليه السلام : اللّـهم إنـي أستعديك عـلىٰ قـريش ومـن أَعانهم ، فإنهم قد قطعوا رحمي ، وأَكفئوُا إنائي ، وأجمعوا علىٰ منازعتي حقاً كنت أولىٰ به من غيري ، وقالوا : ألا إنَّ في الحق أَن تأخذَه وفي الحق أن تُمنَعَهُ ، فاصبر مغمُوماً ، أومُت مُتأسفاً .

فنظرتُ فإذا ليس لي رَافِـدٌ ، ولا دابٌّ ولا مُسـاعِدٌ ، إلّا أهـل بـيتي ، فضننت بهم عن المنيَّةِ ، فأَغضيتُ عـلىٰ القـذىٰ ، وجـرعْتُ ريـقي عـلىٰ الشَّجا ، وصبرت من كظم الغيظ علىٰ أمَرَّ من العلقمِ ، وآلم للقلب من وخز

(١) نهج البلاغة للامام علي ـ عليه السلام ـ ص ٥٠٢ من حكمه رقم : ١٩٠ .

قال بن أبي الحديد في شرح النهج ج١٨ ص٤١٦ : حديثه ـ عليه السلام ـ في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر.

أما النثر فإلىٰ عمر توجيهه ، لأن أبا بكر لما قال لعمر : امدد يدك ، قال له عمر : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها ، شدّتها ورخائها ، فامدد أنت يدك . فقال عليّ ـ عليه السلام ـ : إذا احتججتَ لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في المواطن كلّها ، فهلا سلّمت الأمر إلىٰ من قد شركه في ذلك ، وزاد عليه بالقرابة !!.

وأما النظم فموجّه إلىٰ أبي بكر ؛ لأن أبا بكر حاج الأنصار في السقيفة . فقال : نحن عترة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ، وبيضته التي تفقّأت عنه ، فلما بويع احتجّ علىٰ الناس بالبيعة ، وأنها صدرت عن أهل الحلّ والعقْد . فقال علي ـ عليه السلام ـ : أما احتجاجك علىٰ الأنصار بأنك من بيضة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ومن قومه ، فغيرك أقرب نسباً منك إليه .

وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك ، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت !.

الشفار(١).

٥ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ نذيراً للعالمين، ومهيمناً علىٰ المُرسلين، فلما مضىٰ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ تنازع المسلمون الأمر من بعدهِ، فو الله ما كان يُلقىٰ في روعي، ولا يخطرُ ببالي أن العرب تُزعجُ هذا الأمرَ من بعده ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عن أهل بيته، ولا أنّهمُ مُنحُّوه عنّي من بعده، فما راعني إلّا انثيالُ الناس علىٰ فُلان يُبايعُونَهُ، فأمسكتُ بيدي حتىٰ رأيتُ راجعة النَّاس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فخشيت إن لم أَنْصُر الإسلام وأهله أن أرىٰ فيه ثلماً أو هدماً، تكون المُصيبةُ به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاعُ أيَّام قلائِل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السَّحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتىٰ زاح الباطل وزهق، واطمأنَّ الدين وتنهنه(٢).

٦ ـ قال ـ عليه السلام ـ في خطبته الشقشقية:

أما والله لقد تقمَّصها فلان، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقىٰ إليَّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذاءَ أو أصبر علىٰ طخيّة عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن

---

(١) نهج البلاغة للامام علي ـ عليه السلام ـ ص ٣٣٦ من كلام له رقم: ٢١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة للامام علي ص ٤٥١ كتاب رقم: ٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٧ ص ١٥١، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٣٣ بتفاوت.

حتىٰ يلقىٰ ربه ، فرأيت أن الصبر علىٰ هاتا أحجىٰ ، فصبرت وفي العين قذىٰ ، وفي الحلق شجا أرىٰ تراثي نهباً ، حتىٰ مضىٰ الأول لسبيله ، فأدلىٰ بها إلىٰ ابن الخطاب بعدَهُ ثم تمثل بقول الاعشى:

شتان ما يومي علىٰ كُورِها ويومُ حيَّانَ أَخي جابر

فيا عجباً ! بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّما تشطرَا ضرعيها ! فصيرها في حوزةٍ خشناءَ يغلُظُ كلمُها ، ويخشن مسُّها ، ويكثر العثار فيها والاعتذارُ منها ، فصاحبُها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، وإن أسْلسَ لها تقحَّمَ ، فمُنِي الناس لعمْرُ الله بخبطٍ وشِماسٍ ، وتلوُّنٍ واعتراض ، فصَبَرْتُ علىٰ طولِ المُدَّة ، وشدَّة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعةٍ زعم أنِّي أحدُهم ، فيا لله وللشورى متى اعترض الرَّيْبُ فيَّ مع الأوَّل مِنهم ، حتى صِرتُ أُقْرَنُ إلى هذه النظائر ! لكني أسْفَفتُ إذ أسَفُّوا ، وَطِرتُ إذْ طارُوا ، فصغا رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هَنٍ وهنٍ إلى أنْ قام ثالِثُ القوم نافجاً حضنيه ، بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمةَ الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فَتلُهُ ، وأجهزَ عليه عَمَلهُ ، وكبت به بطْنَتُهُ ! .... الخ الخطبة[١] .

٧ ـ ومن خطبة له ـ عليه السلام ـ يقول : وقد قال قائلٌ : إنك علىٰ هذا

---

(١) نهج البلاغة للامام علي عليه السلام ص ٤٨ وهي الخطبة الثالثة ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص ١٢٤ ،الاحتجاج ج ١ ص ١٩١ ، الارشاد للمفيد ص ١٦٧ ، معاني الأخبار للصدوق ج ٢ ص ٣٤٣ ، مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء الخطيب ج ٢ ص ٢٠ ـ ٣١ ، مدارك نهج البلاغة لكاشف الغطاء ص ٢٣٧ ، الغدير للعلامة الأميني ج ٧ ص ٨٢ ـ ٨٥ ، فإنه ذكر ٢٨ مصدراً ، المعيار والموازنة لأبي جعفر الأسكافي ، والجدير بالذكر ان سنة وفاته ٢٤٠ هـ ، وهو معتزلي وهذا يعني ان الخطبة الشقشقية كانت معروفة قبل وفاة الشريف الرضي بأكثر من قرن ونصف من الزمان .

الأمر يا بن أبي طالب لحريصٌ، فقلت: بل أنتم والله لأحرصُ وأبعد، وأنا أخصُّ وأقربُ، وإنَّما طلبتُ حقاً لي، وأنتم تحولون بيني وبينهُ، وتضربون وجهِي دُونَهُ، فلما قرّعتُهُ بالحُجةِ في الملأ الحاضرين هَبَّ كأنهُ بُهتَ لا يدري ما يُجِيبني به؟

اللّهم إني أستعَديك علىٰ قُريش ومن أعانهُم! فإنهُم قطعوا رحمي، وصغَّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا علىٰ منازعتي أمراً هولي، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذهُ وفي الحق أن تتركه ... الخ الخطبة(١).

٨ ـ سأله بعض أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

فقال ـ عليه السلام ـ: يا أخا بني أسد إنك لقلق الوضين، تُرسِلُ في غير سدد، ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة، وقد استعلمت فاعلم:

أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً، والأشدون برسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ نوطاً، فإنها كانت أثرةً(٢) شحت

---

(١) نهج البلاغة للإمام علي ـ عليه السلام ـ ص ٢٤٦ رقم الخطبة: ١٧٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٣٠٥، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٤ ط مصطفىٰ محمد بمصر وج ١ ص ١٣٤ ط الحلبي، بتفاوت.

علىٰ أن تذمر الإمام عليّ ـ عليه السلام ـ من قريش لا يخفىٰ علىٰ كل باحث إذ أعرب بصراحة في مواقف عديدة عن عداء قريش لآل محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وكذلك أخبر النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بذلك وقد روته كتب السنّة أجمع، فكان صرف الخلافة عنه لازماً بموجب هذا العداء، وأما تذرع من يتذرع بصغر سن الإمام وخوف الفتنة فما هو إلا كتمسك الغريق بقشة، راجع: كتاب الغدير والمعارضون للسيد جعفر مرتضىٰ العاملي لتقف علىٰ عشرات النصوص المصرحة بهذا العداء بعهد النبي الاكرم ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ والمنقولة من كتب السنة.

(٢) وقد أشار النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ إلىٰ ذلك بقوله للأنصار: ستلقون بعدي أثرة، والأثرة هي: الاستئثار والاستبداد بالأمر. راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٢٤٣.

عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله والمعود إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ ولكِنْ حَديثاً ما حديثُ الرَّواحلِ[١]

٩ - ومن خطبة له - عليه السلام - قال: حتىٰ إذا قبض الله رسوله - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم -، رجع قومٌ علىٰ الأعقاب[٢]، وغالتهم السبل، واتكلوا علىٰ الولائج[٣]، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب[٤] الذي أُمِرُوا بمودته، ونقلوا البناءَ عن رص[٥] أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأَبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة، علىٰ سُنَّةٍ من آل فرعون، من مُنَقِطعٍ إلىٰ الدنيا راكن، أو مُفارِقٍ للدين مُبَاين[٦].

---

(١) نهج البلاغة للإمام علي - عليه السلام - من كلام له رقم: ١٦٢ ص ٢٣١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٢٤١.

(٢) وهذا الحدث التاريخي قد صرحت به الآية الشريفة ﴿ **وما مُحَمّد إلّا رسول قد خَلت مِنْ قَبله الرّسُل أفائِن مات او قُتِلَ انقلبتُم على أعقابكم ومَنْ ينقَلِب على عَقبيه فلن يَضُرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٣) الولائج جمع وليجة، وهي: البطانة يتخذها الإنسان لنفسه.

(٤) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٩ ص ١٢٣، في شرحه لهذه الخطبة: وهجروا السبب، يعني أهل البيت أيضاً، وهذه إشارة إلىٰ قول النبي - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم -: خلّفت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلىٰ الأرض، لا يفترقان حتىٰ يردا عليّ الحوض، فعبّر أمير المؤمنين - عليه السلام - عن أهل البيت - عليهم السلام - بلفظ (السبب) لمّا كان النبي - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - قال: (حبلان)، والسبب في اللغة: الحبل.

(٥) الرّصّ مصدر رصصت الشيء أرصّه، أي ألصقت بعضه ببعض، ومنه قوله تعالى: ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ سورة الصف: الآية ٥.

(٦) نهج البلاغة للإمام علي - عليه السلام - ص ٢٠٩ رقم الخطبة: ١٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٣٢.

١٠ ـ ومن خطبة له ـ عليه السلام ـ قال: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا[١]؟ كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأَعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهُدىٰ، ويُستجلىٰ العمىٰ، إن الأئمة من قريش غُرِسُوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلُح علىٰ سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم ... الخ[٢].

١١ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: اللّهم فاجز قريشاً عني الجوازي فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليَّ، ودفعتني عن حقّي، وسلبتني سلطان ابن أمّي، وسلّمت ذلك إلىٰ مَنْ ليس مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتي في الإسلام إلّا أنْ يدعي مدعٍ ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله علىٰ كل حال[٣].

١٢ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: إن لنا حقاً إن نعطَه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السُرَى.

١٣ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: مازلت مظلوماً منذ قَبَضَ الله رسوله حتىٰ يوم الناس هذا.

١٤ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: اللهم أخزِ قريشاً فإنّها منعتني حقّي، وغصبتني أمري.

١٥ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: فجزىٰ قريشاً عنّي الجوازِي، فإنهم

---

(١) لا شك أن العقل والشرع يقضيان بالفارق الكبير بين من يقول: أقيلوني، وبين من يقول: سلوني.

(٢) نهج البلاغة للإمام علي ـ عليه السلام ـ ص ٢٠١ خطبة رقم: ١٤٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩ ص٨٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص١١٩، ومثله بتفاوت في ج١٦ ص١٤٨، ونهج البلاغة ص ٤٠٩ رقم الكتاب: ٣٦.

ظلموني حقي، واغتصبوني سلطان ابن أمّي.

١٦ـ قوله ـ عليه السلام ـ وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: هلمّ فلنصرُخ معاً، فإني مازلت مظلوماً.

١٧ ـ قوله عليه السلام: اللّهم إني استعديك على قريش فإنّهم ظلموني حقي وغصبوني إرثي.

١٨ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: مازلت مستأثراً عليّ، مدفوعاً عمّا أستحقه وأستوجبه.

١٩ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: لقد ظلمت[١] عدد الحجر والمدر[٢].

٢٠ ـ ومن خطبة له ـ عليه السلام ـ بعد البيعة له قال: لا يقاس بآل محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من هذه الأمة أحد، ولا يسوىٰ بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلىٰ أهله[٣]، ونقل إلىٰ منتقله[٤].

٢١ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: فنظرت فإذا ليس لي مُعين إلّا أهلُ بيتي

---

(١) جاء في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٤ ص ١٠٦ عن المسيّب بن نجبة قال: بينا عليّ ـ عليه السلام ـ يخطب إذ قام أعرابيّ، فصاح وامظلمتاه! فاستدناه عليّ ـ عليه السلام ـ، فلما دنا، قال له: إنما لك مظلمة واحدة، وأنا قد ظُلمت عدد المدَر والوبر، قال: وفي رواية عباد بن يعقوب، أنّه دعاه، فقال له: ويحك! وأنا والله مظلوم أيضاً، هاتِ فلنَدْعُ على مَنْ ظلمنا.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ وج ١٠ ص ٢٨٦.

(٣) قوله ـ عليه السلام ـ: الآن إذ رجع الحق الىٰ أهله: صريح كل الصراحة ولا يحتاج إلىٰ تأويل أو تفسير، ولازمه: أن الخلافة لم تكن عند أهلها وفي موضعها وقد فهم ابن أبي الحديد هذا المعنىٰ، ولكن حاول ان يؤوّله كما هي عادته في كل نص صريح لا يقبل التأويل والتفسير.

(٤) نهج البلاغة للإمام علي ـ عليه السلام ـ ص ٤٧ من الخطبة الثانية، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص١٣٨ ـ ١٣٩.

فَضَنِنْتُ بهم عن الموت، وأغضيتُ على القذىٰ، وشربتُ علىٰ الشجىٰ، وصبرتُ علىٰ أخذِ الكظم وعليَّ أَمَرَّ مِن طعمِ العلقَم(١).

٢٢ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: اللّهم إني أستعديكَ علىٰ قريش، فإنهم أضمَرُوا لرسولك ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ضروباً من الشر والغدر، فعجزوا عنها، وحُلتَ بينهم وبينها، فكانت الوجبةُ بي والدائرة عليَّ، اللّهم احفظ حسناً وحسيناً، ولا تُمَكن فجرةَ قريشٍ منهما ما دمتُ حيّاً، فإذا توفيَّتني فأنت الرَّقيبُ عليهم، وأنت علىٰ كل شيء شهيدٌ(٢).

٢٣ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: أما والذي فلق الحبَّةَ، وبرَأَ النسَمَة، إنه لعَهدُ النبيِّ الأُمي إليَّ أنَّ الأمّة ستغدِرُ بك من بعدي(٣).

٢٤ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: قالَ لي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: إن اجتمعوا عليكَ فاصنع ما أمرتُك، وإلّا فألصق كلكلك بالأرض، فلما تفرقوا عنّي جررتُ علىٰ المكرُوهِ ذيلي، وأغضيتُ علىٰ القذىٰ جفني، وألصقت بالأرض كلكلي(٤).

٢٥ ـ عن أنس بن مالك، قال: كنا مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله

---

(١) نهج البلاغة للإمام علي ـ عليه السلام ـ ص ٦٨ رقم الخطبة: ٢٦، الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٣٤ بتفاوت، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص ٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص٢٩٨، من حكمه المنسوبة اليه ـ عليه السلام ـ رقم: ٤١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ ص ٣٢٦، من حكمه المنسوبة اليه ـ عليه السلام ـ رقم: ٧٣٤، وجاء في شرح النهج ايضاً ج ٦ ص ٤٥: عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد، قال: سمعت علياً يقول: أما وربّ السماء والأرض، ثلاثاً، إنه لعهد النبيّ الأمي إليّ لتغدرَنّ بك الأمة من بعدي.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص٣٢٦، من حكمه المنسوبة اليه ـ عليه السلام ـ رقم: ٧٣٦.

وسلّم ـ، وعلي بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقة، فقال عليّ: يا رسول الله، ألا ترَىٰ ما أحسن هذه الحديقة!.

فقال: إن حديقتك في الجنّة أحسن منها، حتىٰ مرزْنا بسبع حدائق، يقول عليّ ما قال: ويجيبه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بما أجابه، ثم إن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وقف، فوقفنا، فوضع رأسه علىٰ رأس عليّ وبكىٰ.

فقال علي ـ عليه السلام ـ: ما يبكيك يا رسول الله ؟

قال: ضغائن في صدور قوم لا يُبدُونها لك حتىٰ يفقدوني.

فقال: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي علىٰ عاتقي فأبيد خضراءهم.

قال: بل تصبر.

قال: فإن صبرت ؟

قال: تلاقي جهداً.

قال: أفي سلامةٍ من ديني ؟

قال: نعم.

قال: فإذاً لا أبالي[1].

٢٦ ـ ومن احتجاجاته الشديدة قوله ـ عليه السلام ـ: لو وجدت أربعين ذوِي عزم منهم لناهضت القوم[2].

٢٧ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: لمّا عزموا علىٰ بيعة عثمان: لقد علمتم أني أحقّ الناس بها من غيري، ووالله لأُسْلِمَنَّ ما سلمت أمُور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلّا عليَّ خاصّة، التماساً لأجرِ ذلك وفضله، وَزُهْداً فيمَا

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص٤٧، سفينة البحار للقمي ج ١ ص ٥٠٣ و ٥٠٤.

تنافسْتُمُوهُ مِنْ زُخرُفِهِ وَزبرجه[١].

٢٨ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: فإنه لما قَبضَ الله نبيّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته، وأولياؤه دون الناس، لا ينازعُنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انبرىٰ لنا قومُنا فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، ويتعزّز علينا الذليل، فبكتِ الأعين مِنّا لذلك، وخشِيت الصدور، وجزعت النفوس، وأيمُ الله لو لا مخافة الفُرْقة بين المسلمين، وأن يعودَ الكفر، ويبور الدين، لكنّا علىٰ غير ما كنّا لهم عليه ... الخ[٢].

٢٩ ـ قوله ـ عليه السلام ـ في خطبته عند مسيره للبصرة:

إنّ الله لما قبض نبيّه، استأثرتْ علينا قريش بالأمر، ودفعتْنا عن حقٍ نحن أحقُّ به من الناس كافّة، فرأيت أنّ الصّبر علىٰ ذلك أفضلُ من تفريق كلمة المسلمين، وسَفْكِ دمائهم، والناس حديثُوا عهد بالإسلام، والدين يُمخَضُ مَخْضَ الوطْب، يُفسِدُه أدْنىٰ وَهن، ويعكسه أقلّ خُلف، فولي الأمرَ قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثم انتقلوا إلىٰ دار الجزاء، والله وليُّ تمحيص سيئاتهم، والعفو عن هفواتهم ... الخ[٣].

٣٠ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: لا يُعابُ المرءُ بتأخير حقه، إنما يُعابُ من أخذَ ما ليس لهُ.[٤]

---

(١) نهج البلاغة للامام علي ـ عليه السلام ـ ص ١٠٢ رقم الخطبة: ٧٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص٣٠٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص٣٠٨.

(٤) نهج البلاغة للإمام عليّ ـ عليه السلام ـ ص ٥٠٠ من حكمه رقم: ١٦٦.

٣١ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: كنتُ في أيَّام رَسُولِ الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كجزء من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يَنظُرُ إليَّ كما يُنظرُ إلىٰ الكواكبِ في أفق السماء، ثم غضَّ الدهرُ مني، فقرنَ بي فلانٌ وفلانٌ، ثم قُرنتُ بخمسةٍ أمثلهُم عثمانُ، فقلت: واذَ فَراه! ثُمَّ لم يرضَ الدهرُ لي بذلك، حتىٰ أرذلني، فجعلني نظيراً لابن هندٍ وابن النابغة! لقد استنت الفصالُ حتىٰ القَرْعىٰ[1].

٣٢ ـ قوله ـ عليه السلام ـ: كل حقدٍ حقدتهُ قريشٌ علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أظهرتهُ فيَّ وستُظهِرهُ في ولدي من بعدي، مالي ولقريش! إنما وترتُهُم بأمر الله وأمر رسولِهِ، أفهذا جزاءُ مَنْ أطاعَ الله ورسُولَهُ إن كانوا مُسلمِينَ[2].

٣٣ ـ قال له قائل: يا أمير المؤمنين، أرأيت لو كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحُلم، وآنس منه الرشد، أكانت

← قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١٨ ص ٣٩٠ في شرحه لهذه الكلمة: لعل هذه الكلمة قالها في جواب سائل سأله: لم أخرت المطالبة بحقك من الإمامة، ولا بد من إضمار شيء في الكلام علىٰ قولنا وقول الامامية لإنّا نحن نقول: الأمر حقّه بالأفضلية، وهم يقولون: إنه حقّه بالنصّ وعلىٰ كلا التقديرين فلا بد من إضمار شيء في الكلام لأن لقائل أن يقول له ـ عليه السلام ـ: لو كان حقك من غير أن يكون للمكلفين فيه نصيب لجاز ذلك أن يؤخر كالدين الّذي يستحقّ علىٰ زيد يجوز لك أن تؤخره لأنه خالصٌ لك وحدك، فأما إذا كان للمكلفين فيه حاجةٌ ماسّة لم يكن حقك وحدك لأن مصالح المكلفين منوطة بإمامتك دون إمامة غيرك، فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحة المكلفين؟ فإذن لا بد من إضمار شيء في الكلام، وتقديره لا يعاب المرء بتأخير حقه إذا كان هناك مانع عن طلبه ويستقيم المعنىٰ حينئذٍ علىٰ المذهبين ...

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص٣٢٦، من حكمه المنسوبة إليه ـ عليه السلام ـ رقم: ٧٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص٣٢٨، من حكمه المنسوبة اليه ـ عليه السلام ـ رقم: ٧٦٤.

العربُ تسلّمُ إليه أمرها ؟

قال : لا ، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلتُ ، إنّ العرب كرهَت أمر محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ وحسدتهُ على ما آتاه الله من فضله ، واستطالت أيّامَهُ حتى قذفَت زوجته ، ونفَّرَت به ناقته ، مع عظيم إحسانه إليها ، وجسيم مننه عندها وأجمعت مذ كان حيّاً على صرفِ الأمر عن أهل بيته بعد موته ... إلى آخر كلامه ـ عليه السلام ـ[1].

٣٤ ـ قال محمد بن حرب : لما توفي النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ، وجرى في السقيفة ماجرى تمثّل عليّ ـ عليه السلام ـ :

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا ويطغون لما غال زيداً غوائله[2]

٣٥ ـ قال عاصم بن قتادة : لقي عليّ ـ عليه السلام ـ عمر ، فقال له عليّ : أُنشدك الله هل استخلفك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ؟

قال : لا .

قال : فكيف تصنع أنت وصاحبك ؟!!

قال : أما صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأما أنا فسأخلعها من عنقي إلى عنقك .

فقال : جذع الله أنف من ينقذك منها ! لا ولكن جعلني الله علماً فإذا قمتُ فمن خالفني ضَلّ.[3]

٣٦ ـ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً ـ عليه السلام ـ يقول :

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ٢٩٨ رقم: ٤١٤.

(٢) السقيفة للجوهري ص ٦٢ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ ص ١٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٨ .

بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقُّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقُّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان؟!!! إذاً لا أسمع ولا أطيع وإنّ عمر جعلني من خمسة نفرٍ أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كلّنا فيه شرع سواء وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم ثمّ لا يستطيع عربيّهم ولا عجميهم ولا معاهدٌ منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها لفعلت(١).

إلىٰ غير ذلك من احتجاجاته ـ عليه السلام ـ في شأن الخلافة، وناهيك عن احتجاجاته ومناشداته بحديث الغدير في مواطن كثيرة منها في مسجد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بعد وفاته، ويوم الشورىٰ، وأيام عثمان، ويوم الرحبة، ويوم الجمل، وفي الكوفة، ويوم صفين، ومواطن أخرىٰ(٢).

احتجاج فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ في الخلافة:

١ ـ فمن خطبة لها حينما عدنها نساء المهاجرين والأنصار، قالت: ويحهم أنّى زحزحوها ـ أي الخلافة ـ عن رواسي الرسالة ؟! وقواعد النبوّة، ومهبط الروح الأمين، الطبن بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟ نقموا والله نكير سيفه، وشدة

---

(١) فرائد السمطين ج١ ص٣٢٠ ح٢٥١.

(٢) راجع في ذلك: الغدير للأميني ج١ ص١٥٩ ـ ١٩٦، والاحتجاج للطبرسي.

وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله، وتالله لو تكافأوا علىٰ زمام نبذه إليه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لاعتقله وسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه، ولا يتتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً رويّاً فضفاضاً تطفح ضفتاه، ولا يترنم جانباه، ولأصدرهم بطانة ونصح لهم سراً وإعلاناً، غير متحلّ منهم بطائل إلّا بغمر الناهل، وردعة سورة الساغب، ولفُتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلمّ واستمع وما عشت أراك الدهرُ عجباً، وإن تعجب، فقد أعجبك الحادث، إلىٰ أي لجأ لجأوا؟ وبأي عروة تمسكوا، لبئس المولىٰ ولبئس العشير، بئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابا بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم **﴿أفمن يهدي إلىٰ الحق أحق أن يُتبَع أمن لا يَهدّي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمُون﴾**[1] ... إلىٰ آخر الخطبة[2].

٢ ـ ومن خطبة لها ـ عليها السلام ـ لما منعوها فدكاً قالت:

فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوىٰ أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النّفاق، وسمُل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٢) راجع: بلاغات النساء لابن أبي طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ص١٢ ـ ١٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢٣٣ ـ ٢٣٤، أعلام النساء لعمر رضا كحالة ج٣ ص٢٠٨ ـ، الاحتجاج للطبرسي ج١ ص١٠٨ ـ ١٠٩.

استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة[1] ﴿ **ألا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾[2] فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون! وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً، ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[3] ... إلىٰ آخر الخطبة[4].

احتجاج الإمام الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ:

١ ـ لما رأىٰ الحسن ـ عليه السلام ـ أبا بكر وهو يخطب علىٰ المنبر قال له: انزل عن منبر أبي.

فقال أبو بكر: صدقت والله إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي[5].

---

(١) اشارة الى قول أبي بكر ـ وذلك لمّا بويع ـ قال له أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم ترع لنا حقاً، فقال أبو بكر: بلى، ولكني خشيت الفتنة. انظر: مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٠٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٤) راجع: الاحتجاج للطبرسي ج١ ص١٠١، بلاغات النساء لابن أبي طيفور ص١٩ ـ ٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢٥١ بتفاوت، أعلام النساء لكحالة ج٣ ص٢١٩.

(٥) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص٤٢ ـ ٤٣، الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٧٥ ط المحمدية وص١٠٥ ط الميمنية بمصر، الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص٧.

٢ ـ احتجاجه علىٰ معاوية في الإمامة قال ـ عليه السلام ـ:

نحن نقول أهل البيت: إن الأئمة منا، وإنَّ الخلافة لا تصلح إلّا فينا، وإنَّ الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيّه، وإنَّ العلم فينا ونحن أهله، وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره، وإنه لا يحدث شيء إلىٰ يوم القيامة حتىٰ أرش الخدش إلّا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وبخط عليّ ـ عليه السلام ـ بيده وزعم قومٌ: أنهم أولىٰ بذلك منّا حتىٰ أنت يا بن هند تدّعي ذلك ... إلىٰ آخر احتجاجه عليه السلام[1].

احتجاج الإمام الحسين بن علي ـ عليه السلام ـ:

١ ـ روي أن عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فذكر في خطبته أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال له الحسين ـ عليه السلام ـ من ناحية المسجد: انزل عن منبر أبي رسول الله، لا منبر أبيك، فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي[2].

احتجاج العباس بن عبد المطلب:

١ ـ احتج علىٰ أبي بكر إذ قال له في كلام دار بينهما[3]:

فإن كنت برسول الله طلبت، فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧٥ ط المحمدية وص ١٠٥ ط الميمنية بمصر، الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٩٢.

(٣) سوف تأتي هذه المناظرة.

طلبت ، فنحن منهم متقدمون فيهم ، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك ، فما وجب إذ كنا كارهين ... إلىٰ آخر احتجاجه[١] .

٢ ـ قال اليعقوبي في تاريخه في خبر سقيفة بني ساعدة : وجاء البراء بن عازب ، فضرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشر بني هاشم ، بويع أبو بكر. فقال بعضهم : ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ، ونحن أولى بمحمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

فقال العباس : فعلوها ، ورب الكعبة[٢] ؟!!

احتجاج الفضل بن العباس :

١ ـ فمن احتجاج له علىٰ قريش قال فيه : يا معشر قريش ، وخصوصاً يا بني تيم ، إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ، ونحن أهلها دونكم ، ولو طلبنا هذا الأمر الّذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا ، حسداً منهم لنا ، وحقداً علينا ، وإنّا لنعلم أنّ عند صاحبنا عَهداً هو ينتهي إليه[٣] .

٢ ـ وقال أيضاً لمّا بلغه نبأ بيعة أبي بكر : يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ، ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولىٰ بها منكم[٤] .

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٥ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٤ ، شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢١ ، بحار الانوار ج ٢٨ ص ٣٥٢ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٤ .

احتجاج ابن عباس :

لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ الكثير من الاحتجاجات والمناظرات في أحقية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بالخلافة ، سوف تأتي في طيّات هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

احتجاج سلمان المحمدي :

١ ـ احتجاج سلمان المحمدي ـ يوم بويع أبو بكر ـ قال ـ رضي الله عنه ـ:

أصبتم ذا السنِّ منكم وأخطأتم أهل بيت نبيكم ، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولأكلتموها رغداً[(١)] .

٢ ـ احتجاج سلمان المحمدي ـ رضي الله عنه ـ بعد وفاة النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لمّا ترك القوم أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ

ومن جملة ما قال في احتجاجه : أما والله لتركبن طبقاً عن طبق ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة[(٢)] ، أما والّذي نفس سلمان بيده ، لو ولّيتموها عليّاً لأكلتم من فوقكم ، ومن تحت أقدامكم[(٣)] ، ولو دعوتم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص٤٩ و ج٦ ص٤٣.

(٢) اشارة الى الحديث النبوي الشريف: (ستحذو أُمتي حذو النعل بالنعل ، والقذّة بالقذّة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه).

راجع: مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٠، كنز العمال ج ١١ ص ١٣٤ ح ٣٠٩٢٤، كتاب السنة لابن أبي عاصم ج ١ ص ٢٥ ح ٤٥، المعجم الكبير للطبراني ج١٧ ص ١٣ ح ٣، مستدرك الحاكم ج ١ ص ١٢٩، جامع الاصول ج ١٠ ص٤٠٨ ح ٧٤٧١، مجمع الزوائد ج٧ ص ٢٦٠، الدر المنثور ج ٢ ص ٦٢، كتاب سليم بن قيس ص٧٩ ـ ٩٣، بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٨٠ ح ١٠.

(٣) جاء في انساب الاشراف للبلاذري ج ١ ص ٥٩١ قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر : كرداذ وناكرداذ ، اي عملتم وما عملتم ، لو بايعوا علياً لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

الطير لأجابتكم في جو السماء، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولكن أبيتم فوليتموها غيره، فأبشروا بالبلايا واقنطوا من الرخاء، وقد نابذتكم علىٰ سواء، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء.

عليكم بآل محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، فإنَّهم القادة إلىٰ الجنة، والدعاة إليها يوم القيامة، عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فوالله لقد سلَّمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين، مراراً جمة مع نبينا، كل ذلك يأمرنا به، ويؤكده علينا، فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه ؟! وقد حسد هابيل قابيل فقتله ... إلىٰ آخر احتجاجه[(١)].

احتجاج أبي ذر :

١ ـ قال ابن لهيعة : لما مات رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وأبو ذر غائب، وقدم وقد ولي أبو بكر، فقال : أصبتم قناعه، وتركتم قرابه، لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان[(٢)].

٢ ـ روي أن أبا ذر كان يقول في عهد عثمان وقد كان واقفاً بباب المسجد: وعلي بن أبي طالب وصيّ محمد ووارث علمه، أيتها الأمة المتحيِّرة بعد نبيها أما لو قدّمتم من قدم الله وأخّرتم من أخرّ الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليُّ الله ولا طاش سهمٌ من فرائض الله، ولا اختلف

---

(١) الاحتجاج ج ١ ص ١١١.

(٢) السقيفة للجوهري ص ٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣.

اثنان في حكم الله إلّا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسُنّة نبيه، فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم، ﴿ **وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾[١]، [٢].

احتجاج المقداد:

١ ـ من احتجاج له لما بويع عثمان، روىٰ بعضهم قال: دخلت مسجد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فرأيت رجلاً جاثياً علىٰ ركبتيه يتلهف تلهف من كانت الدنيا له فسلبها، وهو يقول: واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين...[٣].

٢ ـ عن المعروف بن سويد، قال: كنت بالمدينة أيّام بويع عثمان، فرأيت رجلاً في المسجد جالساً وهو يصفق بإحدى يديه على الأخرى، والناس حوله ويقول: واعجباً من قريش واستئثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت، معدن الفضل، ونجوم الأرض ونور البلاد، والله إن فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أولى منه بالحق، ولا أقضى بالعدل، ولا آمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر.

فسألت عنه فقيل: هذا المقداد، فتقدمت إليه وقلت: أصلحك الله مَنْ الرجل الذي تذكره؟ فقال: ابن عم نبيك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ

قال: فلبثت ما شاء الله، ثم أني لقيت أبا ذر ـ رحمه الله ـ فحدثته ما قال

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧١ عند ذكر ما نقم علىٰ أبي ذر.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٤.

المقداد .

فقال : صدق .

قلت : فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم ؟

قال : أبى ذلك قومهم .

قلت : فما يمنعكم أن تعينوهم ؟

قال : مه لا تقل هذا ، إياكم والفرقة والاختلاف .

قال : فسكت عنه ثم كان من الأمر بعد ما كان(١) .

احتجاج قيس بن سعد بن عبادة :

قال علي بن سليمان النوفلي : سمعتُ أُبَيّاً يقول : ذكر سعد بن عبادة يوماً عليّاً بعد يوم السقيفة ، فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن ، يوجب ولايته ، فقال له ابنه قيس بن سعد : أنت سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول هذا الكلام في عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ثم تطلب الخلافة ، ويقول أصحابك منّا أمير ومنكم أمير ! لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً .(٢)

وسوف يأتي احتجاجه على معاوية في شأن الخلافة ودفاعه عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

احتجاج أبي سفيان :

لما اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان وهو

---

(١) السقيفة للجوهري ص ٨١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٢١ ـ ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤٤.

يقول: أما والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم، يالعبد مناف، فيم أبو بكر من أمركم! أين المستضاف؟ أين الأذلّان! ـ يعني عليّاً والعباس ـ ما بال هذا في أقلّ حيّ من قريش، ثم قال لعلي: ابسط يدك أُبايعك، فو الله إن شئت لأملأنّها على أبي فضيل ـ يعني أبا بكر ـ خيلاً ورجالاً، فامتنع عليه عليّ ـ عليه السلام ـ، فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمس:

ولا يُـقيمُ عـلى ضـيم يُـرادُ بـهِ إلّاالأذلان، عَـيرُ الحـيّ والوتـد
هذا على الخسف مربوط برمتِهِ وَذا يُشجُّ فـلا يَـرثِي لهُ أحَـدُ[1].

ونكتفي بهذا القدر من الاحتجاجات مع الإحالة إلىٰ بقية المناظرات الأخرىٰ في أصل هذا الكتاب لما في بعضها من السبق الزماني الذي يعود إلىٰ عصر صدر الإسلام.

وبعد كل هذه الشواهد والبراهين التي مرت عليك نستكشف أن مسألة الاحتجاج والمناظرة في أحقية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وإثبات ذلك بالنصوص الشرعية وغيرها تعود إلىٰ الصدر الأول من الإسلام، وهكذا استمرت عبر العصور المختلفة وإلىٰ يومنا هذا.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

المناظرة الأولىٰ

مناظرة العباس[1] بن عبد المطلب (ره) مع أبي بكر وعمر

قال البرَاء بن عازب من حديث له في أمر الخلافة :

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، حتى دخلوا على العباس بن عبد المطلب في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله .

قال : فتكلم أبو بكر فحمد الله جل وعز وأثنى عليه ثم قال : إن الله بعث لكم محمداً نبياً ، وللمؤمنين ولياً ، فمنّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم ، حتى اختار له ما عنده ، وترك للناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصلحتهم متفقين لا مختلفين ، فاختاروني عليهم والياً ، ولأمورهم راعياً ، فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وهناً ولا حيرة ولا جبناً ، وما توفيقي إلا بالله ، غير أني لا أنفك من طاعن يبلغني فيقول بخلاف قول العامة ، فيتخذكم لجأً فتكونوا حصنه المنيع ، وخطبه البديع ، فإمّا دخلتم مع فيما اجتمعوا عليه ، أو صرفتموهم عمَّا مالوا إليه ، فقد

(١) هو: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله صلّى الله عليه وآله، يكنى أبا الفضل ، كان شريفاً مهيباً عاقلاً جميلاً ، صبيحاً حلو الشمائل ، وله عدة احاديث يرويها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ووردت في حقه روايات تتضمن اصرار النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على اكرامه وعدم هضمه، أسلم قبل الهجرة ، وخرج يوم بدر مع المشركين مكرهاً واستأسر للمسلمين ثم فدى نفسه، كانت ولادته قبل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بثلاث سنين ، وتوفي سنة اثنين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

راجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٨ ، تاريخ البخاري ج ٧ ص ٢، تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٢٢٥ ، تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ١٢٦ .

جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك، إذ كنت عم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وإن كان الناس أيضاً قد رأوا مكانك ومكان صاحبك فعدلوا بهذا الأمر عنكما.

فقال عمر(١): إي والله، وأُخرى، يا بني هاشم على رسلكم فإن رسول الله منا ومنكم، ولم نأتكم لحاجة منا إليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعنُ فيما اجتمع عليه المسلمون، فيتفاقم الخطب بكم فانظروا لأنفسكم وللعامة.

فتكلم العباس فقال: إن الله ابتعث محمداً ـ صلّى عليه وآله وسلّم ـ كما وصفت نبياً وللمؤمنين ولياً، فإن كنت برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ طلبت هذا الأمر فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم، ما تُقدّمنا في أمرك ولا تشاورنا ولا تؤامرنا، ولا نحب لك ذلك إذ كنا من المؤمنين وكنا لك من الكارهين !!

وأما قولك أن تجعل لي في هذا الأمر نصيباً، فإن كان هذا الأمر لك خاصة، فأمسك عليك فلسنا محتاجين إليك، وإن كان حق المؤمنين فليس لك أن تحكم في حقهم، وإن كان حقنا فإنا لا نرضى منك ببعضه دون بعض، وأما قولك يا عمر إن رسول الله منا ومنكم، فإن رسول الله شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها فنحن أولى به منكم ؟!

وأما قولك إنا نخاف تفاقم الخطب بكم بهذا الّذي فعلتموه أوائل

---

(١) فاعترض كلامه عمر وخرج الى مذهبه في الخشونة والوعيد، وإتيان الأمر من أصعب جهاته. فقال: أي والله، واخرى لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا ... (الخ). هكذا في شرح النهج ج ١ ص ٢٢٠.

ذلك والله المستعان[١]. فخرجوا من عنده وأنشأ العباس يقول[٢]:

ما كنت أحسب هذا الأمر منحرفاً عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
أليس أول من صلّى لقبلتكم وأعلم الناس بالآثار والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له بالغسل والكفن
من فيه ما في جميع الناس كلهم وليس في الناس ما فيه من الحسن
من ذا الذي ردكم عنه فنعرفه ها أن بيعتكم من أول الفتن[٣]

---

(١) الى هنا تجد هذه المناظرة في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٢٠.

(٢) ذكر هذه الابيات الجويني في فرائد السمطين ج ٢ ص ٨٢ ونسبها الى العباس بن عبد المطلب (رض).

وذكرها ايضاً اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٢٦ ط دار صادر بيروت، وج ٢ ص ١٠٣ ط الغري النجف، ونسبها الى عتبة ابن أبي لهب، ولم يذكر البيت الخامس.

وذكرها الشيخ المفيد (ره) في كتابه الجمل ص ٥٨ ونسبها الى عبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.

وذكرها ايضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١٣ ص ٢٣٢، ونسبها الى أبي سفيان بن حرب بن أمية.

(٣) كتاب سليم بن قيس ص ٧٦ منشورات دار الكتاب الاسلامية وط آخرى ص ٢٧ بتحقيق السيد علاء الدين الموسوي.

كتاب سليم بن قيس كتابٌ مشهور معتمد عليه عند المحدثين والمؤرخين، قال عنه ابن النديم في الفهرس ص ٣٠٧: أول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم، وذكر ذلك أيضاً في محاسن الرسائل في معرفة الأوائل، وروى عن سليم غير واحد من أعلام العامة منهم: الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، والجمويني في فرائد السمطين، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة، والسيد أبو شهاب الهمداني في مودة القربى وغيرهم.

المناظرة الثانية

مناظرة العباس بن عبد المطلب مع عمر

عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام لقيَه أساقفتها ورؤساؤها وقد تقدمه العباس بن عبد المطلب على فرس ، وكان العباس جميلاً بهياً فجعلوا يقولون: هذا أمير المؤمنين ، ويقولون له : السلام عليك يا أمير المؤمنين فيقول : لست بأمير المؤمنين وأمير المؤمنين ورائي وأنا والله أولى بالأمر منه ، فسمعه عمر فقال : ما هذا يا أبا الفضل؟

قال : هو الّذي سمعت .

فقال: لكن أنا وإياك قد خلّفنا بالمدينة من هو أولى بها مني ومنك.

قال العباس : ومن هو ؟

فقال : عليّ بن أبي طالب .

قال : فما الذي منعك وصاحبك أن تقدّماه ؟

فقال : خشية أن يتوارثها عقبكم إلى يوم القيامة ، وكرهنا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة .

قال له العباس : من حسدنا فإنما يحسد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ[1] .

---

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب لمحمد بن جرير الطبري ص ١٦٨ ، بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٠٩ ط حجر ، وفي هامش الإيضاح لابن شاذان ص ٩١ .

المناظرة الثالثة

مناظرة ابن عباس[1] مع عمر بن الخطاب

قال ابن عباس:

دخلتُ على عُمَر في أوّل خلافته، وقد أُلقِيَ له صاعٌ من تمر على خصفة[2]، فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتّى أتى

(١) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس الهاشمي المكّي ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وَولد قبل الهجرة في الشعب بثلاث سنين، هاجر الى المدينة المنورة مع أبويه عام الفتح، وصحب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ثلاثين شهراً، وكان عمره حين وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما روى عنه الكثير من الصحابة والتابعين، كان محبا لعلي ـ عليه السلام ـ وتلميذه، وحاله في الاخلاص والموالات والنصرة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ والذب عنه والخصام في رضاه والموازرة من لا شبهة فيه، وهو حبر هذه الأمة وعالمها، دعى له النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بالفقه والحكمة والتأويل، وقال عنه معروف: كنت اذا رأيت عبد الله بن عباس قلت: أجمل الناس، فاذا تحدث قلت أعلم الناس، فاذا تكلم قلت: افصح الناس، وقد استفاض في الأخبار من مجادلته مع عمر بن الخطاب، ومعاوية وغيرهم في الخلافة، وكف بصره في آخر عمره، ومات بالطائف سنة ثمان او تسع وستين، وقال في مرضه الذي توفي فيه: اللهم اني أحيا على ما حيي به علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وأموت على ما مات علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ثم مات، وصلى عليه محمد بن الحنفية.

راجع ترجمته في: تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ١٩١، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٣١، الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٣٦٥، حلية الاولياء ج ١ ص ٣١٤.

(٢) الخصفة: الجلة تعمل من الخوص للتمر.

عليه، ثم شرب من جَرٍّ[١] كان عنده، واستلقى على مِرْفقةٍ له، وطفق يَحْمَدُ الله، يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟

قلت: من المسجد.

قال: كيف خلّفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبدالله بن جعفر.

قلت: خلّفتُه يلعبُ مع أترابه.

قال: لم أعنِ ذلك، إنّما عنيتُ عظيمكم أهل البيت.

قلت: خلّفُته يمتح بالغرْب[٢] على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن.

قال: عبدَالله، عليك دماء البُدن إن كتمتنيها؟ هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ نص عليه؟

قلت: نعم وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدَق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في أمره ذَرْوٌ[٣] من قول لا يثبتُ حُجّةً، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربَع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه[٤] فمنعت من ذلك[٥] إشفاقاً

---

(١) الجر: آنية من خزف، الواحدة جرة.

(٢) الغرب: الدلو.

(٣) ذرو: طرف.

(٤) اشارة الى قول النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: آتوني بدواة وكتف لاكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده.

(٥) اعتراف الخليفة عمر انما صد عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الامر لعلي ـ عليه السلام ـ.

←

وحيْطة على الإسلام ! لا وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً ؟

ولو وليها لا نتقضتْ عليه العرب من أقطارها ، فعلم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّي علمت ما في نفسه ، فأمسك ، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم (١) .

← راجع : شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٧٨ ـ ٧٩ . ومما يفيد ذكره هنا بمناسبة منع عمر لكتابة الكتاب ما ذكره المرحوم الشهيد الصدر (قدس سره) يقول الدكتور التيجاني في كتابه ثم اهتديت ص ٩٨ ـ ٩٩ : وإنّي لا زلت أذكر إجابة السيد محمد باقر الصدر ، عندما سألته : كيف فهم سيدنا عمر من بين الصحابة ما يريد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كتابته وهو استخلاف علي ـ عليه السلام ـ على حد زعمكم ، فهذا ذكاء منه ؟! قال السيد الصدر : لم يكن عمر وحده فهم مقصد الرسول ، ولكن أكثر الحاضرين فهموا ما فهمه عمر ، لأنه سبق لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن قال مثل هذا إذ قال لهم : إنيّ مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ، وفي مرضه قال لهم : هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً ، ففهم الحاضرون ومن بينهم عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يريد أن يؤكد ما ذكره في غدير خم كتابيّاً ، وهو التمسك بكتاب الله وعترته ، وسيد العترة هو علي ـ عليه السلام ـ ، فكأنه ـ صلى الله عليه وآله ـ أراد أن يقول : عليكم بالقرآن وعلي ، وقد قال مثل ذلك في مناسبات أخرى كما ذكر المحدّثون .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٢٠ ـ ٢١، كشف اليقين في فضائل امير المؤمنين للحلي ص٤٦٢ ح ٥٦٢، كشف الغمة ج ٢ ص ٤٦ ، بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٥٦ .

المناظرة الرابعة

مناظرة ابن عباس مع عمر

يقول ابن عباس :

إنّي لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة ، يده في يدي .

فقال : يا بن عباس ، ما أظنّ صاحبك إلاّ مظلوماً ، فقلت في نفسي : والله لا يسبقُني بها .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، فاردُدْ اليه ظلاّمتَه ، فانتزع يدَه من يـدي ، ثم مرّ يهمهم ساعة ثم وقف ، فلحقته .

فقال لي : يا بن عباس ، ما أظنّ القوم منعهم من صـاحبك إلاّ أنّـهم استصغروه.

فقلت في نفسي : هذه شرّ من الأولى ، فقلت : والله ما استصغره الله حين أمرَه أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر[1] .

---

(١) روى احمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٣ : عن أبي بكر ان النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعثه ببراءة لأهل مكة (لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله) .

قال : فساربها ثلاثاً ثم قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ : لعلي ـ عليه السلام ـ الحقه فرد عليَّ أبا بكر وبلغها أنت ، قال : ففعل قال : فلما قدم على النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أبو بكر بكى وقال : يا رسول الله حدث فيّ شيء .

←

قال: فأعرض عني وأسرع، فرجعت عنه[1].

→ قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ما حدث فيك الاخير ولكن أُمرتُ ان لا يبلّغه إلاّ أنا أو رجل مني.

وللحديث مصادر كثيرة منها:

صحيح الترمذي ج ٥ ص ٢٥٧ ح ٣٠٩١، المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٣١، تفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٥، الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢٠٩ و ص ٢١٠، الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤٥، فرائد السمطين ج ١ ص ٦١ ح ٢٨ و ص ٣٢٨ ح ٢٥٥، الغدير للاميني ج ٣ ص ٢٤٥ و ج ٦ ص ٣٣٨.

(١) السقيفة للجوهري ص ٧٠، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤٥، كشف اليقين للحلي ص ٤٦١ ح ٥٦١، كشف الغمة ج ٢ ص ٤٥.

المناظرة الخامسة

مناظرة ابن عباس مع عمر

قال ابن عباس :

كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس فقرأ آية فيها ذكر عليٍّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

فقال : أما والله يا بني عبد المطلب ؟ لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر . فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلْته .

فقلت : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وأنت وصاحبك وثبتما وأفرغتما الإمر منّا دون الناس .

فقال: إليكم يابني عبد المطلب ؟ أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب .

فتأخَرتُ وتقدم هنيهة .

فقال : سِر لا سرتَ ، وقال : أعد عليَّ كلامك .

فقلت : إنّما ذكرتَ شيئاً فرددتُ عليه جوابه ولو سكتَّ سكتنا .

فقال : إنّا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوةٍ ولكن استصغرناه ، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها .

قال : فأردتُ أن أقول : كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يبعثه فينطح كبشها فَلَمَ يَستصغره ، أفتستصغره أنت وصاحبك ؟

فقال : لا جرم ، فكيف ترى ؟ والله ما نقطع أمراً دونه ، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه[١] .

---

(١) محاضرات الراغب الاصفهاني ج ٧ ص ٢١٣ ، الغدير للاميني ج ١ ص ٣٨٩ .

المناظرة السادسة

مناظرة ابن عباس مع عمر بن الخطاب

قال عبدالله بن عمر :

كنت عند أبي يوماً ، وعنده نفر من الناس، فجرى ذكر الشعر ، فقال: مَنْ أشعرُ العَرب ؟

فقالوا : فلان وفلان ، فطلع عبدالله بن عباس ، فسلّم وجلَس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ، مَنْ أشعرُ الناس يا عبدالله ؟

قال : زهير بن أبى سلمى .

قال : فأنشدْني مما تستجيده له .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه مدح قوماً من غطفان ، يقال لهم بنو سنان ، فقال :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ قومٌ بأوَّلهمْ أو مجدِهمْ قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تَنسبُهُمْ طابوا وطاب من الاولاد ما وَلَدُوا
إنسٌ إذا أمِنوا ، جِنٌّ إذا فزعوا مُرَزَّؤون بها ليلٌ إذ جُهِدوا
مُحسّدون على ما كان من نعمٍ لا ينزع الله منهم ماله حُسِدوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلاّ لهذا البيت من هاشم ، لقرابتهم من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ .

فقال ابن عباس : وفّقك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل موفقاً .

فقال : يا بن عباس ، أتدري ما منع الناس منكم ؟

قال: لا يا أمير المؤمنين.

قال: لكني أدري.

قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟

قال: كرهتْ قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فيجخِفوا جِخْفاً[١]، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت.

فقال ابن عباس: أيَميطُ أمير المؤمنين عنّي غضبه فيسمع؟

قال: قل ما تشاء.

قال: أما قول أمير المؤمنين: إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم: **﴿ ذَلِك بأنّهُمْ كَرِهُوا ما أنزل اللهُ فأحبط أعْمَالَهُمْ ﴾**[٢].

وأما قولك: (إنّا كنّا نجخف)، فلو جَخَفْنا بالخلافة جَخَفْنا بالقرابة، ولكنّا قوم أخلاقُنا مشتقةٌ من خُلق رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الذي قال الله تعالى: **﴿ وَإنّك لَعَلَى خُلقٍ عظيم ﴾**[٣]، وقال له: **﴿وَاخْفِض جَنَاحَكَ لِمَنِ اتبعكَ من المؤمنين ﴾**[٤].

وأما قولك: «فإن قريشاً اختارت»، فإنّ الله تعالى يقول: **﴿ وربك يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ ما كان لَهُمُ الخَيَرة ﴾**[٥] وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك مَنْ اختار[٦]، فلو نظرتْ قريش من حيث نظر

---

(١) جخف: تكبر.

(٢) سورة محمّد: الآية ٩.

(٣) سورة ن: الآية ٥.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

(٥) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٦) هذه الكلمة من ابن عباس تدل على أنه من المتسالم عليه عندهم أن الخلافة قد ثبتت بالنص

الله لها لو فقت وأصابت قريش .

فقال عمر : على رِسْلك يابن عباس ، أبت قلُوبكم يا بني هـاشم إلا غِشًا في أمر قريش لا يُزول ، وحقداً عليها لا يَحول .

فقال ابن عباس : مَهْلاً يا أمير المؤمنين ؟ لا تنسُب هاشماً إلى الغشّ ، فإن قلوبهم من قلب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الذي طهّره الله وزكّاه ، وهم أهلُ البيت الذين قال الله تعالى لهم : ﴿ **إنما يرُيدُ الله ليُذهِبَ عـنكم الرجسَ أهْل البيت ويُطَهِّرَكم تطهيراً** ﴾[1] .

وأما قولك : « حقداً » فكيف لا يحقد من غُصِب شيئه ، ويراه في يد غيره .

فقال عمر : أما أنت يا بن عباس ، فـقد بـلغَني عـنك كـلامٌ أكـره أن

← على الامام علي ـ عليه السلام ـ وأنها بأمر الله واختياره ، ولو لم يكن كـذلك لاعـترض عـليه الخليفة في ذلك ، والحق يقال أن انعقاد الخلافة بالشورى أو الاجماع أو البيعة ما هو الا اجتهاد في مقابل النص وقد قال تعالى : ﴿ **وماكان لمؤمنٍ ولا مؤمنة اذا قضى اللهُ ورسولهُ امراً أن يكون لهم الخيرةُ من امرِهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ سورة الاحزاب : الآية ٣٦.

(١) سورة الاحزاب : الآية ٣٣.

فقد روى الجمهور أن هذه الآية الشريفة نزلت في خمسة وهم : النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ.

راجع : صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي ـ صلى الله عـليه وآله وسـلم ـ ج ٤ ص ١٨٨٣ ح ٦١ ، صـحيح التـرمذي ج ٥ ص ٣٢٧ ح ٣٢٠٥ و ح ٣٢٠٦ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٣ و ص ١٤٦ و ج ٢ ص ٤١٦ ، شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ ص ١٨ ـ ١٤١ ح ٦٣٧ و ح ٤٧٤ ، مسند أحمد بن حـنبل ج ٣ ص ٢٥٩ ج ٤ ص ١٠٧ و ج ٦ ص ٢٩٢ ، أسباب النزول للواحدي ص ٢٣٩ ، المناقب للخوارزمي ص ٦٠ ـ ٦١ ح ٢٨ ـ ٢٩ ، تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١٨٢ ، الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٥٣٧ ، الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٦٠٣ ، فرائد السمطين ج ٢ ص ٩ ح ٣٥٦ ، الصـواعـق المـحرقة ص ١٤٣ ، فـضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٨٩ ، وغيرها الكثير من المصادر .

أخبرك به، فتزول منزلتك عندي.

قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به، فإنْ يكُ باطلاً فمثلي أماط الباطلَ عن نفسه، وإنْ يكُ حقاً فإنّ منزلتي لا تزولُ به.

قال: بلغني أنّك لا تزال تقول: أُخِذَ هذا الأمر منك حسداً وظلماً.

قال: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: (حسداً)، فقد حسد إبليس آدم، فأخرجه من الجّنة، فنحن بنو آدم المحسود.

وأما قولك: «ظلماً» فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحقِّ من هو!

ثم قال: يأمير المؤمنين، ألم تحتجّ العرب على العجم بحق رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ واحتّجت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ! فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش.

فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك، فقام، فلّما ولّى هتف به عمر: أيها المنصرف، إنّي على ماكان منك لراعٍ حقك!

فالتفت ابن عباس فقال: إنّ لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كلّ المسلمين حقاً برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فمن حفظه فحقّ نفسه حفِظ، ومَنْ أضاعه فحقّ نفسه أضاع، ثم مضى.

فقال عمر لجلسائه: واهاً لا بن عباس، ما رأيته لاحى أحداً قطّ إلاّ خصَمه![1].

---

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٢ ص ٥٢ ـ ٥٥ ،تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٣، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٢ (في حوادث سنة ٢٣)، الايضاح لابن شاذان ص ٨٧.

المناظرة السابعة

مناظرة ابن عباس مع عمر

عن ابن عباس قال :

مرّ عمر بعليّ ـ عليه السلام ـ، وأنا معه بفناء داره فسلّم عليه .

فقال له عليّ ـ عليه السلام ـ : أين تريد ؟

قال : البقيع .

قال : أفلا تصل صاحبك ويقوم معك .

قال : بلىٰ .

فقال لي عليّ ـ عليه السلام ـ : قم معه ، فقمت فمشيتُ إلى جانبه ، فشبك أصابعه في أصابعي ، ومشينا قليلاً ، حتى إذا خلّفنا البقيع .

قال لي : يابن عباس ، أما والله إنَّ صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلاَّ أنّا خفناه على اثنين .

قال ابن عباس : فجاء بكلام لم أجد بُدّاً من مسألته عنه .

فقلت : ما هما يا أمير المؤمنين ؟

قال : خِفْناه على حداثة سنِّه ، وحبّه بني عبد المطلب[1] .

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٥٠ .

المناظرة الثامنة

مناظرة ابن عباس مع عمر

قال ابن عباس :

كنت عند عمر ، فتنفّس نفساً ظننتُ أنّ أضلاعه قد انفرجت .

فقلت : ما أخرج هذا النَّفَس منك يا أميرَ المؤمنين إلاّ همٌّ شديد !

قال : إي والله يا بن عباس ! إني فكّرتُ فلم أدْرِ فيَمنْ أجعلُ هذا الامر بعدي ، ثم قال : لعلّك ترى صاحبك لها أهلا !

قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه !

قال : صدقت ، ولكنه امرؤ فيه دُعابة .

قلت : فأين أنت عن طلحة !

قال : ذو البَأو[1] وبإصبعه المقطوعة !

قلت : فعبد الرحمن ؟

قال : رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته .

قلت : فالزّبير ؟

قال : شكسٌ لقس[2] يُلاطم في النقيع في صاعٍ من بُرّ !

قلت : فسعد بن أبي وقاصٍ ؟

---

(١) البأو : العُجب والتفاخر .

(٢) الشكسُ اللقس : سيّ الخلق .

قال : صاحب سلاح ومِقْنب[١] .

قلت : فعثمان ؟

قال : أوَّه ! ثلاثاً ، والله لَئِن وليَها ليحملَنَّ بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، ثم لتنهض العرب إليه .

ثم قال : يا بن عباس ، إنه لا يصلُح لهذا الأمر إلاّ خَصِف العقدة ، قليل الغِرّة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم يكون شديداً من غير عنف ، ليّنا من غير ضعف ، سخيّاً من غير سرف ، ممسكاً من غير وكَف[٢] .

قال : ثمّ أقبل عليَّ بعد أن سكت هُنَيئة ، وقال : أجرؤهم والله إن وَليها أنّ يحملهم على كتاب ربّهم وسنة نبيّهم لصاحِبُك ! أما إن وليَ أمرهم حملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم[٣] .

---

(١) المقِنبْ : جماعةُ الخيل .

(٢) الوكف : العيب .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٥١ ـ ٥٢ .

المناظرة التاسعة

مناظرة ابن عباس مع عثمان

ومن كلام دار بينهما ، قال له عثمان : إني أنشدك يا بن عباس الإسلام والرَّحم ، فقد والله غلبت وابتليت بكم ، والله لوددت أنّ هذا الأمر كان صار إليكم دوني فحملتمُوه عنّي ، وكنت أحد أعوانكم عليه، إذاً والله لوجدتموني لكم خيراً مما وجدتكم لي ، ولقد علمت أن الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم ، فوالله ما أدري أدفعوه عنكم أم دفعوكم عنه ؟!

قال ابن عباس : مهلاً يا أميرالمؤمنين ، فإنّا ننشدك الله والإسلام والرحم ، مثل ما نشدتنا ، أن تطمِع فينا وفيك عدواً ، وتُشمت بنا وبك حسوداً! إن أمرَك إليك ما كان قولاً ، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يديك، وإنّا والله لنخالفن إن خولفنا ، ولننازعنّ إن نوزعنا ، وما تمنّيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلّا أن يقول قائل منا مايقوله الناس ويعيب كما عابوا!

فأما صرْف قومنا عنّا الأمر فعن حسدٍ قد والله عرفته ، وبغي قد والله علمته ، فالله بيننا وبين قومنا !

وأما قولك : إنك لا تدري أدفعوه عنّا أم دفعونا عنه ؟ فلعمري إنّك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما زدنا به فضلاً إلىٰ فضلنا ولا قدراً إلىٰ قدرنا وإنّا لأهلُ الفضل وأهل القدر ، وما فضل فاضل إلا بفضلنا ، ولا سبق سابق إلّا بسبقنا ، ولولا هدينا ما اهتدىٰ أحد ولا أبصروُا من عمىٰ ، ولا قصدوا من جَوْر ... الخ[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٩ ، الموفقيات ص ٦٠٦ .

المناظرة العاشرة

مناظرة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مع الحرورية[1]

قال عبدالله بن عباس : لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دارهم وكانوا ستة آلاف .

فقلت لعلي ـ عليه السلام ـ : يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر ، لعَليّ آتي هؤلاء القوم فأكلمهم .

قال : إني أخاف عليك .

قلت : كلا .

قال : فقمت وخرجت ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون ، فسلمت عليهم .

فقالوا : مرحباً بك يابن عباس ، فما جاء بك ؟

---

(١) الحرورية : جماعة من الخوارج النواصب ، والنسبة لبلد قرب الكوفة على ميلين منها تسمى حرُوراء ، نزل بها هؤلاء بعد خروجهم على أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ حينما قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية ، قيل لهم حينئذاك : أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء ، وقال شاعرهم :

اذا الحرورية الحرى ركبوا   لا يستطيع لهم أمثالك الطلبا

وقالوا يومها : لا حكم إلا لله ، فقال علي ـ عليه السلام ـ : كلمة حق أريد بها باطل ...).

وسُموا ايضاً بالخوارج والمحكمة ، والسبب الذي له سُمّوا خوارج : خروجهم على أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ، والذي له سُمّوا محكمة : إنكارهم الحكمين ، وقولهم لا حكم الا لله .

راجع : معجم الفرق الاسلامية لشريف الأمين ص ٩٤ ، مقالات الاسلامين للأشعري ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

قلت لهم : أتيتكم من عند أصحاب النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وصهره ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم منهم أحد ، لأبلّغكم ما يقولون ، وأخبرهم بما تقولون .

قلت : أخبروني ماذا نقمتم علىٰ أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وابن عمه ؟

قالوا : ثلاث .

قلت : ما هن ؟

قالوا : أما إحداهن ، فإنه حَكّم الرجال في أمر الله ، وقال الله تعالىٰ : **﴿إن الحكم إلا لله ﴾**[١] ، ما شأن الرجال والحكم ؟ !

فقلت : هذه واحدة .

قالوا : وأما الثانية ، فإنه قاتل ولم يَسبِ ولم يغنم ، فإن كانوا كفاراً سلبهم ، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم[٢] .

قلت : هذه اثنتان ، فما الثالثة ؟

قالوا : إنه محى نفسه عن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين .

قلت : هل عندكم شيء غير هذا ؟

قالوا : حسبنا هذا .

قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ما يردّ قولكم، أترضون ؟

قالوا : نعم .

---

(١) سورة الانعام : الآية ٥٧ .

(٢) المقصود من كانوا في حرب الجمل ، فان أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ نهىٰ عن قتل جريحهم وسبيهم وسلبهم واتباع مدبرهم .

قلت: أما قولكم حَكَّم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيَّر الله حكمه إلىٰ الرجال في ثَمَن ربع درهم، فأمر الله الرجال أن يحكّموا فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾[1] الآية، فأنشدتكم بالله تعالىٰ: أحكمُ الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل؟ أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم، وأنت تعلمون أن الله تعالىٰ لو شاء لحكم ولم يصيّر ذلك إلىٰ الرجال؟

قالوا: بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال الله عزوجل: ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾[2] الآية، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة؟ أخرجتُ من هذه؟

قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسَبِ ولم يغنم، أفَتسْبوُن أمَّكم عائشة، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها، وهي أمُكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها، فقد كفرتم، ولأن قلتم: ليست بأمنا، فقد كفرتم، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ **النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾[3]. فأنتم تدورون بين ضلالتين، فأتوا منهما بمخرج؟

قلت: فخرجتُ من هذه؟

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٥.

(٣) سورة الاحزاب: الآية ٦.

قالوا: نعم.

وأما قولكم: محى اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، وأراكم قد سمعتم أن النبي - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي - عليه السلام -: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - فقال المشركون: لا والله، ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك، فاكتب محمد بن عبدالله، فقال رسول - الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم -: امح يا عليّ «رسول الله» اللّهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا عليّ واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله. فوالله لرسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة؟[1].

خرجتُ من هذه؟

قالوا: نعم.

فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فَقُتِلوا علىٰ ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار[2].

---

(١) خصائص امير المؤمنين للنسائي ص ١٥٠ - ١٥٢ ح ١٨٥، دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤٧، المناقب للخوارزمي ص ١٩٢ ح ٢٣١، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤، شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٢ وج ١٠ ص ٢٥٨، الارشاد للمفيد ص ٦٣، مجمع البيان ج ٥ ص ١١٩.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ١٥٧ - ١٦٠، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤، الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ١٥٠، مناقب ابن المغازلي ص ٤٠٦ ح ٤٦٠.

المناظرة الحادية عشر

مناظرة ابن عباس مع معاوية بن ابي سفيان

حضر عبدالله بن عبّاس مجلس معاوية بن أبي سفيان فأقـبل عـيه معاوية.

فقال: يابن عبّاس إنّكم تريدون أن تُحرزوا الإمامة كما اخـتصصتم بالنبوَّة، والله لا يجتمعان أبداً، إنَّ حجَّتكم في الخلافة مشتبهةٌ على الناس، إنَّكم تقولون: نحن أهل بيت النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فما بـال خـلافة النبوَّة في غيرنا؟

وهذه شبهة لأنَّها تشبه الحقَّ وبها مسحة من العدل، وليس الأمر كما تظنُّون، إنَّ الخلافة تتقلب في أحياء قريش برضا العامّة، وشورى الخاصّة ولسنا نجد الناس يقولون: ليت بني هاشم ولونا، ولو ولونا كان خيراً لنا في دنيانا وأخرانا، ولو كنتم زهدتم فيها أمس كما تقولون، مـا قـاتلتم عـليها اليوم، والله لو ملكتموها يا بني هاشم لما كانت ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم.

فقال ابن عبّاس ـ رحمه الله ـ: أمّا قولك يا معاوية: إنّا نحتجُّ بالنبوَّة في استحقاق الخلافة، فهو والله كذلك، فإن لم تُستحقَّ الخلافة بالنبوَّة، فـبم تُستحقُّ؟

وأمّا قولك: إنَّ الخلافة والنبوَّة لا يـجتمعان لأحـد، فأيـن قـول الله عزَّوجلَّ: **﴿ أم يحسُدونَ النّاسَ على ما آتاهُمُ الله من فَضلِه، فقد آتينا آلَ**

إبراهيم الكِتَابَ والحِكْمَة وآتيناهُمْ مُلكاً عظيماً ﴾[١] فالكتاب هو النبوَّة، والحكمة هي السنّة، والملك هو الخلافة، فنحن آل إبراهيم، والحكم بذلك جار فينا إلى يوم القيامة.

وأمّا دعواك على حجّتنا أنّها مشتبهة، فليس كذلك، وحجّتنا أضوأ من الشمس وأنور من القمر، كتاب الله معنا، وسنَّة نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فينا، وإنّك لتعلم ذلك، ولكن ثنى عطفك وصعَّرك[٢] قتلنا أخاك وجدَّك وخالك وعمَّك، فلا تبك على أعظُم حائلة وأرواح في النار هالكة، ولا تغضبوا الدماءِ أراقها الشرك، وأحلّها الكفر، ووضعها الدِّين.

وأمّا ترك تقديم النّاس لنا فيما خلا، وعدولهم عن الإجماع علينا، فما حُرموا منّا أعظم ممّا حُرمنا منهم، وكلُّ أمرٍ إذا حصل حاصله ثبت حقّه، وزال باطله.

وأمّا افتخارك بالملك الزائل، الّذي توصّلت إليه بالمحال الباطل، فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه الله، وما تملكون يوماً يا بني أميَّة إلّا

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.

والجدير بالذكر أن هذه الآية الشريفة نزلت في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وأنهم هم المحسودون، كما ورد عن الامام الباقر ـ عليه السلام ـ في تفسير هذه الآية انه قال: نحن الناس المحسودون والله.

راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٨٣ ح ١٩٥ ـ ١٩٨، مناقب الامام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ لابن المغازلي الشافعي ص ٢٦٧ ح ٣١٤، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٩٨، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ١٥٢، نور الابصار للشبلنجي ص ١٠٢ ط السعيدية و ص ١٠١ ط العثمانية، اسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار ص ١٠٨ ط السعيدية وص ١٠٠ ط العثمانية، الغدير للاميني ج ٣ ص ٦١.

(٢) قال الجوهري: «يقال ثني فلان عَنّي عطفه، اذا عرض عنك. وقال: صعّر خدَّه وصاعر: أي أماله من الكسر». ومنه قوله تعالى: ﴿ **ثاني عِطْفِهِ لِيُضلّ عن سبيلِ الله له في الدُّنيا خِزيٌ ونُذيقُه يَومَ القيامة عَذاَب الحَريق** ﴾ سورة الحج: الآية ٩، صحاح الجوهري ج ٤/ص ١٤٠٥.

ونملِكُ بعدكُم يومين، ولا شهراً إلّا شهرين، ولا حولاً إلّا ملكنا حولين.

وأمّا قولك: إنّا لو ملكنا كان ملكنا أهلَكَ للناس من ريح عاد وصاعقة ثمود، فقول الله يكذّبك في ذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين** ﴾(١) فنحن أهل بيته الأدنون، وظاهر العذاب بتملّكك رقاب المسلمين ظاهر للعيان، وسيكون من بعدك تملّك ولدك وولد أبيك أهلك للخلق من الرِّيح العقيم، ثمّ ينتقم الله بأوليائه، وتكون العاقبة للمتّقين(٢).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) أمالي الشيخ المفيد ص ١٥، بحار الانوار ج ٤٤ ص ١١٧ ح ١١.

المناظرة الثانية عشر

مناظرة محمد بن أبي بكر[1] مع معاوية

لما صرف عليّ ـ عليه السلام ـ قَيْسَ بن سعد بن عبادة عن مصر، وجَّه مكانه محمد بن أبي بكر، فلما وصل إليها كتب إلىٰ معاوية كتاباً فيه:

من محمد بن أبي بكر، إلىٰ الغاوي معاوية بن صخر، أما بعد، فإن الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه، ولا ضعف في قوته، ولا حاجة به إلىٰ خلقهم، ولكنه خلقهم عبيداً، وجعل منهم غويّاً ورشيداً، وشقيّاً

---

(١) هو: محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة القُرَشيّ التيميّ، جليل القدر عظيم المنزلة، كان شجاعاً زاهداً فاضلاً، صحيح العقل والرأي، من خواص علي ـ عليه السلام ـ ومن حواريه المجتهدين في طاعته، وأمه أسماء بنت عُميس بن النعمان، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلىٰ الحبشة، ، فولدت له هناك عبدالله بن جعفر الجواد، ثم قُتل عنها يوم مُؤتة، فخلف عليها أبو بكر، فأولدها محمداً، ثم مات عنها، فخلف عليها علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وكان محمد ربيبه وخرّيجه، وجارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصِّبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أباً غير عليّ، ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، حتىٰ قال علي ـ عليه السلام ـ: محمد ابني من صلب أبي بكر، ولد ـ رضي الله عنه ـ في حجة الوداع، وقتل بمصر في خلافة علي ـ عليه السلام ـ سنة ٣٨ هـ ـ بعد واقعة صفين ـ وكان عامله عليها، وقال فيه ـ عليه السلام ـ لما استشهد: فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً. (نهج البلاغة ص٤٠٨ رقم الكتاب: ٣٥) ومن ولده: القاسم فقيه الحجاز، ومن ولد القاسم: عبد الرحمن من فضلاء قريش ومن ولد القاسم ايضاً أم فروة، تزوجها الباقر محمد بن علي ـ عليه السلام ـ، فأولدها الصادق أبا عبدالله جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ

راجع ترجمته في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٥٣ وج ١٠ ص٢٤٩، تهذيب الكمال ج ٢٤ ص ٥٤١، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٨٠، تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص٥٨.

وسعيداً ، ثم اختار علىٰ علم واصطفىٰ وانتخب منهم محمداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فانتخبه بعلمه ، واصطفاه برسالته ، وائتمنه علىٰ وحيه ، وبعثه رسولاً ومبشراً ونذيراً ووكيلاً فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدّق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ صدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره علىٰ كل حميم ، ووقاه بنفسه كل هول ، وحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع ، حتىٰ برز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ، ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تُساميه وأنت أنت ، وهو هو ، أصدق الناس نيّةً ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم ، أخوه الشاري بنفسه يوم مؤتة ، وعمه سيّد الشهداء يوم أحد ، وأبوه[1] الذابُّ عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وعن حوزته ،

---

(١) هو : عبد مناف ـ وقيل عمران ـ ، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكافله وكاشف كربه ، وابو الأئمة الاطهار ـ عليهم السلام ـ ، وكان أبو طالب ـ عليه السلام ـ شيخاً جسيماً وسيماً عليه بهاء الملوك ووقار الحكماء ، وهو الذي كفل الرسول صغيراً وحماه وحاطه كبيراً ، ومنعه من مشركي قريش ، ولقى لأجله عناءاً عظيماً وقاسى بلاءً شديداً ، وصبر على نصره والقيام بأمره ، وقد جاء في الخبر أنه لما توفي ابو طالب أوحى الله للنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وقيل له اخرج منها فقد مات ناصرك .

فقد كان ـ عليه السلام ـ بحق نعم الناصر والكافل والمحامي المجاهد بالنفس والولد والأهل ، والى هذا ، يشير ابن أبي الحديد المعتزلي في ميميته العصماء :

ولولا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدّين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب جسّ الحماما
فللّه ذا فاتحاً للهُدى ... وللّه ذا للمعالي ختاما

والادلة والشواهد على ايمان ابي طالب ـ عليه السلام ـ ظاهرة كظهور الشمس في رابعة النهار لا تخفى على من له ادنى بصيرة ، إلا أن حاسدي ومبغضي امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ

←

← يأبوا الا أن يكفّروه حسداً وحقداً.

ان يحسدوك على علاك فانما　　　متسافل الدرجات يحسد من علا

وذلك مع وجود الادلة الواضحة، والشواهد اللائحة والتي منها: مواقفه المشهورة تجاه النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ والتي تدل على ايمانه العميق بوحدانية الله تعالى وبرسالة رسوله الكريم ومن تلك الدلائل الواضحة على ايمانه هو: ان فاطمة بنت أسد ـ عليها السلام ـ من السابقات الى الاسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات، وان الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وكان امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يأمر أن يُحج عن عبد الله وأبيه وأبي طالب، ولا يُحج عن كافر. وتولى هو ـ عليه السلام ـ غسل أبيه، والمسلم لا يجوز له أن يتولى غسل الكافر.

ومن الشواهد الدالة على ايمانه، الاشعار التي تضمنت اقراره بالله تعالى وبالنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وحيث انه لا فرق بين ان يكون هذا الاقرار في النثر او الشعر.

فمنها قوله ـ عليه السلام ـ:

نصرتُ الرَّسولَ رسولَ المليكِ　　　ببيضٍ تلالا كلمع البروقْ

أذبُّ وأحمي رسولَ الالهِ　　　حماية حامٍ عليه شفيقْ

ومنها أيضاً قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم　　　حتى أوسد بالتراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة　　　وابشر بذاك وقرّ منك عيونا

وعرضت ديناً قد عرفت بأنه　　　من خير أديان البرية دينا

وانما لم يظهر الاسلام ويجاهر به، لأنه لو أظهره لم يتهيأ له من نصرة النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ما تهيأ له.

ومن تلك الادلة ايضاً اجماع اهل البيت، الأئمة الطاهرين ـ عليهم السلام ـ الذين هم كسفينة نوح، من ركبها نجى ومن تأخر عنها غرق وهوى، وهم العترة الذين من تمسك بهم لن يضل ابداً.

ومما ورد عنهم في ذلك: ما ورد عن عبد العظيم بن عبد الله العلوي انّه كان مريضاً فكتب الى ابي الحسن الرّضا ـ عليه السلام ـ عرّفني يابن رسول الله عن الخبر المروي انّ ابا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه فكتب اليه الرّضا ـ عليه السلام ـ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، اما بعد: فأنّك ان شككت في ايمان أبي طالب كان مصيرك الى النار.

←

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان علىٰ ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلبان عليه القبائل، وعلىٰ ذلك مات أبوك، وعليه خلفته، والشهيد عليك من تدني ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق، والشاهد لعليّ ـ مع فضله المبين القديم ـ أنصارُهُ الذين معه وهم الذين ذكرهم الله بفضلهم، وأثنىٰ عليهم من المهاجرين والأنصار، وهم معه كتائب وعصائب، يرون الحق في اتّباعه، والشقاء في خلافه، فكيف يالك الويل! تعدلُ نفسك بعليّ وهو وارث رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ووصيّه وأبو ولده، أول الناس له اتباعاً، وأقربهم به عهداً، يخبره بسره، ويطلعه علىٰ أمره، وأنت عدوه وابن

← واما الاخبار التي يرويها البعض في كفر ابي طالب فلا اساس لها من الصحة، واما احاديث الضحضاح فانما تروى عن المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ مشهور معلوم وفسقه غير خافٍ.

وتوفي ابو طالب ـ عليه السلام ـ في آخر السنة العاشرة من الهجرة وتوفيت السيدة خديجة ام المؤمنين ـ عليها السلام ـ بعده بثلاثة ايام، فسمى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ذلك العام عام الحزن، وقال: ما زالت قريش قاعدة عني حتى مات ابو طالب.

وقد رثاه امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ ... فصلّى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه ... فقد كنت للطهر من خير عم

فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم مات ويم يُبعث حيا. ورزقنا الله شفاعته.

راجع: رسالة ايمان ابي طالب للشيخ المفيد، اسنى المطالب في ايمان ابي طالب للعلامة احمد زيني دحلان، ديوان ابي طالب وذكر إسلامه لابي نعيم علي بن حمزة البصري، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٤ ص ٦٥ ـ ٨٤، سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ٨٧ ـ ٩٠، ابو طالب مؤمن قريش للعلامة الشيخ عبد الله الخنيزي.

عدوه ، فتمتَّع في دنياك ما استطعت بباطلك ، وليمددك ابن العاص في غوايتك ، فكأن أجلك قد انقضىٰ ، وكيدك قد وهى ، ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي أمِنت كيده ، ويئست من روحه ؛ فهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ .

فكتب إليه معاوية : من معاوية بن صخر ، إلىٰ الزاري علىٰ أبيه محمد ابن أبي بكر ، أما بعد : فقد أتاني كتابُك تذكر فيه ما الله أهلُه في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما اصطفىٰ به رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مع كلام كثير لك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه ، وقرابته إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ومُواساته إيّاه في كل هول وخوف ، فكان احتجاجك عليَّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمد ربّاً صرف هذا الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحَقه لازماً لنا مبروراً علينا ، فلما اختار الله لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأبلج حُجَّته ، وقبضه الله إليه ـ صلوات الله عليه ـ فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقَّه ، وخالفه علىٰ أمره ، علىٰ ذلك اتفّقا واتّسقا .

ثم إنهما دعواه إلىٰ بيعتهما فأبطأ عنهما ، وتلكأ عليهما ، فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ، ثم إنه بايع لهما وسلّم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ، ولا يُطْلعانه علىٰ سرهما ، حتىٰ قبضهما الله .

ثم قام ثالثهما عثمان فهدىٰ بهديهما وسار بسيرهما ، فعبته أنت وصاحبك حتىٰ طمع فيه الأقاصىٰ من أهل المعاصي ، فطلبتما له الغوائل ،

وأظهرتما عداوتكما فيه حتىٰ بلغتما فيه مُناكما ، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر ، وقس شبرك بفترك ، يقصر عن أن توازي أو تساوي من يزنُ الجبال بحلمه ، لا يلين عن قسر قناته ، ولا يدرك ذو مقال أناته أبوك مهَّدمهاده ، وبنىٰ لملكه وساده ، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدَّ به ونحن شركاؤه ، ولو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ، ولسلمنا إليه ، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله ، فعب أباك بما بدا لك أو دَعْ ذلك ، والسلام علىٰ من أناب[1] .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٣ ص ٢٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٨ ، الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٨٣ ، بحار الانوار ج ٣٣ ص ٥٧٥ ح ٧٢٣ .

المناظرة الثالثة عشرة

مناظرة عبدالله بن جعفر[1] مع معاوية بن أبي سفيان

قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب: كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ وعنده عبدالله بن عباس فالتفت إليّ معاوية فقال: يا عبدالله ما أشدَّ تعظيمك للحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ؟! وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك، ولو لا أن فاطمة بنت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لقلت ما أمك أسماء بنت عميس بدونها.

فقلت: والله إنّك لقليل العلم بهما وبأبيهما وبامِّهما، بل والله لهما خيرٌ منّي، وأبوهما خيرٌ من أبي، وأمهما خير من أمي.

---

(١) هو: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الهاشمي يكنى أبا جعفر المدني، أمه اسماء بنت عميس، وأول مولود ولد في الاسلام بارض الحبشة، كفله النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعد استشهاد أبيه في معركة مؤتة، فنشأ في حجره، وكان من أصحابه، وكان كريماً، جواداً، عظيم الشأن واسع العطاء، وله اقاصيص في الكرم هي أشهر من أن تذكر، شهد يوم صفين مع عمه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، وله مواقف مشهورة مع معاوية وعمر بن العاص في دفاعه عن عمه، وواسى ابن عمه الحسين ـ عليه السلام ـ بولده عون ومحمد و عبد الله وقتلوا معه بالطف لما كان هو معذوراً في الخروج معه، وعاش الى زمان السجاد ـ عليه السلام ـ ومات بالمدينة سنة ثمانين، ودفن بالبقيع، وقال المدائني كان عمره تسعين سنة.

راجع ترجمته في تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ١٧٣، سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٥٦، الاصابة ج ٢ ص ٢٨٩، الاستيعاب ج ٢ ص ٨٨٠.

يا معاوية ، إنك لغافلٌ عمّا سمعته أنا من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول فيهما وفي أبيهما وأمّهما ، قد حفظته ووعيته ورويته .

قال : هات يا بن جعفر فو الله ما أنت بكذّاب ولا متّهم ؟

فقلت : إنَّه أعظم مّما في نفسك .

قال : وإن كان أعظم من أحدٍ وحِراَء جميعاً ، فلست أبالي إذا قَتَل الله صاحبك ، وفرَّق جمعكم وصار الأمر في أهله ، فحدِّثنا فما نبالي بما قلتم ولا يضرُّنا ما عدمتم .

قلت : سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وقد سُئل عن هذه الآية: **﴿ وما جعلنا الرُّؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناسِ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾**[1] .

فقال : إنّي رأيت اثني عشر رجلاً من أئمّة الضلالة يصعدون منبري وينزلون ، يردّون أمّتي على أدبارهم القهقرى[2] وسمعته يقول : إنَّ بني

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٦٠ .

(٢) جاء في تفسير الرازي ج ٢٠ ص ٢٣٦ : قال سعيد بن المسيّب : رأى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك ، وفي ص ٢٣٧ قال ابن العباس ـ رضي الله عنهما ـ : الشجرة بنو أمية ، يعني الحكم بن أبي العاص ، قال : ورأىٰ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره ... الحديث .

وجاء في الدر المنثور ج ٥ ص ٣١٠ : عن عائشة انها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول لأبيك وجدك : « إنكم الشجرة الملعونة في القرآن » .

وجاء في تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٧ : رأىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بني فلان ينزون علىٰ منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتىٰ مات ، قال : وأنزل الله عزوجل في ذلك **﴿ وما جعلّنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس ﴾** .

وجاء في دلائل النبوة للبيهقي ج ٦ ص ٥١١ ، عن أبي هريرة ان النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله ←

أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً[(١)].

يا معاوية إنّي سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول على المنبر وأنا بين يديه وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وسلّمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد، والزبير بن العوام، وهو يقول: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا: بلى. يا رسول الله، قال: أليس أزواجي أمّهاتكم؟!

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، أولى به من نفسه، وضرب بيده على منكب عليّ فقال: اللهمّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه[(٢)]، أيّها الناس،

← وسلّم ـ قال: رأيت في النوم بني الحكم أو بني العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة. قال: فما رؤي النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي.

(١) ذكره الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٤٨٠ باختلاف يسير.

وقد ذكر المؤرخون ان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لعن آل أبي العاص في مواطن كثيرة راجع: مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ للخوارزمي ج ١ ص ١٧٢، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٠٧، أسد الغابة ج ٢ ص ٣٤، شيخ المضيرة أبو هريرة ص ١٦٠، الغدير للأميني ج ٨ ص ٢٤٥.

(٢) هذا الحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعادِ من عاداه) هو أشهر من أن يذكر، فقد ذكرته جلّ مصادر أهل السنة فمنها على سبيل المثال:

مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١، كنز العمال ج ١١ ص ٣٣٢، ح ٣١٦٦٢ و ص ٦٠٢ ح ٣٢٩٠٤، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ ص ٢٣١ ح ٢٧٥ و ج ٢ ص ٥ ح ٥٠١ و ٥٠٣، خصائص أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ للنسائي الشافعي ص ٩٦ ح ٩٠، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٥٦ وص ٥٩، اسد الغابة لابن الأثير الشافعي ج ١ ص ٣٦٧ وج ٢ ص ٢٣٣ وج ٣ ص ٩٢، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٨ ح ٢٤٤ ـ ٢٥٠، مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج ٧ ص ١٧ وج ٩ ص ١٠٤، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠ وص ٣١ وص ٣٢، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٢، ←

أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ليس لهم معي أمر، وعليٌّ من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ليس لهم معه أمر، ثمّ ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ليس لهم معه أمر، ثمّ عاد فقال: أيّها الناس، إذا أنا استشهدت فعليّ أولى بكم من أنفسكم، فإذا استشهد عليٌّ فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فاذا استشهد الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر، ثم أقبل عليّ ـ عليه السلام ـ فقال: يا علي، إنك ستدركه فأقرأه مني السلام، فإذا استشهد فابني محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، وستدركه أنت يا حسين فأقرأه مني السلام، ثم يكون في عقب محمد رجال، واحد بعد واحد، وليس منهم أحد إلّا وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر، كلّهم هادون مهتدون[1].

← أنساب الاشراف للبلاذري ج ٢ ص ١١٢ ح ٤٩، ذخائر العقبى ص ٦٧، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ١٣٥ ح ١٥٢، ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٢٩٤، الصواعق المحرقة ص ١٢٢ ح ٤، شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج ١٩ ص ٢١٧ وج ١٢ ص ٤٩.

(١) فقد نَص النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ على الائمة الاثني عشر ـ عليهم السلام ـ تارة بعددهم وتارة بإسمائهم.

أمّا النّص على عددهم: فقد رواه جمهور علماء المسلمين من أئمة الحديث وأهل السير والتواريخ بطرق عديدة، فقد أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٣٩٨ وص ٤٠٦ وج ٥ ص ٨٩ عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول في حجة الوداع: لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه ولا يضره مخالف ولا مطارق حتى يمضي من امتي إثنا عشر اميراً كلهم من قريش.

واخرج مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٤٥٢ ـ ١٤٥٣ ح ٥ ـ، عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ انه قال: لا يزال الدّين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم أثنا عشر خليفة كلهم من قريش.
←

← وفي بعضها: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلا كلهم من قريش.

وفي بعضها: لا يزال الاسلام عزيزاً الى اثني عشر خليفة كلهم من قريش.

وفي صحيح البخاري ج ٩ كتاب الاحكام ص ١٠١ عن جابر بن سمرة أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: (يكون بعدي أثنا عشر أميراً) فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: (كلّهم من قريش).

وفي كنز العمال ج ١١ ص ٦٢٩ ح ٣٣٠٦٥ عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ انه قال: (يكون بعدي أثنا عشر خليفة).

وأيضاً ابن حجر في صواعقه الباب ١١ فصل ٢ ص ١٨٩، والقندوزي الشافعي في ينابيع المودة باب ٧٧ ص ٤٤٤ وص ٤٤٥ ط ٨.

وأما النص على اسمائهم:

فقد ذكره القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بطرق مختلفة باب ٧٦ ص ٤٤١ وص ٤٤٢ وص ٤٤٣، باب ٧٧ وص ٤٤٥ ص ٤٤٧ وباب ٩٣ ص ٤٨٦ وص ٤٨٧.

وفي الباب ٩٤ ص ٤٩٤ عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: قال لي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي، ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه ياجابر فإذا لقيته فأقرءه مني السلام ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الارض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لايثبت على القول بامامته إلا من امتحن الله قلبه للايمان.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله فهل للناس الانتفاع به في غيبته، فقال إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن سترها سحاب، هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلاّ عن أهله.

فالمحصل من ذلك أن الاحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ـ صلّى الله عليه وآله ـ اثنى عشر، لا تنطبق إلا على ائمة أهل البيت الاثني عشر ـ عليهم السلام ـ فلا يمكن أن تحمل هذه الأحاديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن تحمل على الخلفاء الأمويين أو العباسيين لأنهم يزيدون على العدد المذكور.

←

(الى أن قال) : فقال معاوية : يا بن جعفر ، لقد تكلّمت بعظيم ولئن كان ما تقول حقّاً لقد هلكت أُمّة محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت وأولياءكم وأنصاركم ؟

فقلت : والله إنّ الّذي قلتُ حقّ سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ .

قال معاوية : يا حسن ويا حسين ويا بن عباس ما يقول ابن جعفر ؟!

فقال ابن عباس : إن كنت لا تُؤمن بالذي قال فأرسل إلى الّذين

← وقال بعض المحققين : فإن قيل إن المراد صلحاؤهم فالجواب :

اولاً : ان صلحاءهم على زعمكم لا يبلغون الاثني عشر .

ثانياً : يلزم الفترة بين إمام وآخر فيكون زمان خال من الامام وذلك لا يسوغ ، لما ورد عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » .

وقد ورد هذا الحديث في مصادر السنه بالفاظ مختلفه راجع : المعجم الكبير للطبراني ج ١٩ ص٣٨٨ ح ٩١٠، حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني ج ٣ص ٢٢٤ ، مجمع الزوائد لابي بكر الهيثمي ج ٥ ص ٢١٨ ، كنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص١٠٣ ح ٤٦٣ و ٤٦٤ .

فعلى كلّ حال ، إن صرف هذه الأحاديث عن أئمة اهل البيت الاثني عشر ـ عليهم السلام ـ ما هو إلا التعصب الأعمى الذي يقود صاحبه الى الضلال ، إضف إلى ذلك انه اجتهاد في مقابل النص.

فهؤلاء أمثال السيوطي (راجع فتح الباري ج ١٣ ص ١٧٩ وص ١٨٣) فقد جهد على صرف هذه الأحاديث عن معناها الصحيح .

ولذلك يتعجب منه الأستاذ أبو ريّه في كتابه (أضواء على السّنة المحمّدية ، ص ٢٣٥) وإليك تعليقه على ما أورده السيوطي :

يقول : أما السيوطي فبعد أن أورد ما قاله العلماء في هذه الأحاديث المشكلة ، خرج برأي غريب نورده هنا تفكهة للقراء وهو :

وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر ، الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، هؤلاء ثمانية ، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، وكذلك الظاهر ، لما أوتيه من العدل ، وبقي الاثنان المنتظران !! أحدهما المهدي ! لأنه من أهل بيت محمد ـ ـ صلّى الله عليه وآله ـ .

ولم يُبين المنتظر الثاني ، ورحم الله من قال في السيوطي إنه حاطبُ ليل !!

سماهم فاسألهم عن ذلك.

فأرسل معاوية إلى عمر بن أبي سلمة، وإلى أسامة بن زيد فسألهما، فشهدا أنّ الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما سمعه.

فقال معاوية: يابن جعفر قد سمعناه في الحسن والحسين وفي أبيهما، فما سمعت في أمهما ؟! ـ ومعاوية كالمستهزىء والمُنكِر!

فقلت: سمعت من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: ليس في جنّة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب إلىٰ عرش ربي من منزلي، ومعي ثلاثة عشر من أهل بيتي أخي عليّ وابنتي فاطمه وأبناي الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، هداة مهتدون، وأنا المبلغ عن الله، وهم المبلغون عني، وهم حجج الله علىٰ خلقه، وشهداؤه في أرضه، وخزّانه علىٰ علمه، ومعادن حكمته، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصىٰ الله، لا تبقىٰ الأرض طرفة عين (إلّا) ببقائهم، ولا تصلح إلاّ بهم، يخبرون الأمة بأمر دينهم، حلالهم وحرامهم، يدلّونهم علىٰ رضا ربهم، وينهونهم عن سخطه، بأمر واحد ونهي واحد، ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنازع، يأخذ آخرهم عن أولهم إملائي وخط أخي علي بيده، يتوارثونه إلىٰ يوم القيامة، أهل الأرض كلّهم في غمرة وغفلة وتيهة وحيرة غيرهم وغير شيعتهم وأوليائهم، لا يحتاجون إلىٰ أحد من الأمة في شيء من أمر دينهم، والأمة تحتاج إليهم، هم الذين عنى الله في كتابه وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسول الله، فقال: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر**

منكم ﴾[١].

فأقبل معاوية علىٰ الحسن والحسين وابن عباس والفضل بن عباس وعمر بن أبي سلمة وأسامة بن زيد، فقال: كلّكم علىٰ ما قال ابن جعفر ؟!

قالوا: نعم.

قال: يا بني عبد المطلب إنكم لتدّعون أمراً عظيماً وتحتجون بحجج قوية، إنْ كانت حقاً! وإنكم لتضمرون علىٰ أمر تسرونه والناس عنه في غفلة عمياء، ولئن كان ما يقولون حقاً لقد هلكت الأمة، وارتدت عن دينها، وتركت عهد نبينا غيركم أهل البيت، ومن قال بقولكم، فأولئك في الناس قليل.

فقلت: يا معاوية إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾[٢].

ويقول: ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾[٣]. ويقول: ﴿ **إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** ﴾[٤]. ويقول لنوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ **وما آمن معه إلاّ قليل** ﴾[٥].

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩، فقد ذكر المفسرون وغيرهم أن المراد بـ (أولي الامر) هم علي ـ عليه السلام ـ والأئمة من ولده.

راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٤٨ ح ٢٠٢ ـ ٢٠٤، تفسير الرازي ج ١٠ ص ١٤٤، تفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٢٧٨ ط السعادة بمصر، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٣٤ وص ١٣٧ ط الحيدرية وص ١١٤ وص ١١٧ ط اسلامبول، فرائد السمطين ج ١ ص ٣١٤ ح ٢٥٠، احقاق الحق للتستري ج ٣ ص ٤٢٤.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٣.

(٤) سورة ص: الآية ٢٤.

(٥) سورة هود: الآية ٤٠.

يا معاوية، المؤمنون في الناس قليل، وإن أمر بني اسرائيل أعجب حيث قالت السحرة لفرعون: **﴿فاقضِ ما أَنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، إنا آمنّا بربنا﴾**[١]. فآمنوا بموسىٰ وصدّقوه واتّبعوه، فسار بهم وبمن تبعه من بني اسرائيل، فأقطعهم البحر وأراهم الأعاجيب، وهم يصدقون به وبالتوراة، يقرون له بدينه، فمر بهم علىٰ قوم يعبدون أصناماً لهم فقالوا: **﴿ يا موسىٰ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾**[٢]. ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعاً غير هارون وأهل بيته.

وقال لهم السامري: **﴿ هذا إلهكم وإله موسىٰ ﴾**[٣]. وقال لهم بعد ذلك: **﴿ ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ﴾**[٤]. فكان من جوابهم ما قص الله في كتابه: **﴿ إنَّ فيها قوماً جبَّارين وإنّا لن ندخُلها حتىٰ يخرجوا منها فإن يخرُجُوا منها فإنَّا داخلون ﴾**[٥] قال موسىٰ عليه السلام: **﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرُق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾**[٦].

فاحتذت هذه الأمة ذلك المثال سواء، وقد كانت فضائل وسوابق مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ومنازل منه قريبة، مقرين بدين محمد والقرآن، حتىٰ فارقهم نبيهم ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فاختلفوا وتفرقوا وتحاسدوا وخالفوا إمامهم ووليهم، حتىٰ لم يبق منهم علىٰ ما عاهدوا عليه نبيهم، غير صاحبنا الّذي هو من نبينا ـ صلّى الله عليه وآله

---

(١) سورة طـه: الآية ٧٢ ـ ٧٣.
(٢) سورة الاعراف: الآية ١٣٨.
(٣) سورة طـه: الآية ٨٨.
(٤) سورة المائدة: الآية ٢١.
(٥) سورة المائدة: الآية ٢٢.
(٦) سورة المائدة: الآية ٢٥.

وسلّم ـ بمنزلة هارون من موسىٰ ، ونفر قليل لقوا الله عزوجل علىٰ دينهم وإيمانهم ، ورجع الآخرون القهقرى علىٰ أدبارهم كما فعل أصحاب موسىٰ ـ عليه السلام ـ باتخاذهم العجل وعبادتهم إيّاه ، وزعمهم أنه ربهم ، وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته .

ونبينا ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قد نصّب لأمته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خم[1] وفي غير موطن ، واحتجّ عليهم به وأمرهم بطاعته ، وأخبرهم أنّه منه بمنزلة هارون من موسىٰ[2] ، وأنه ولي كل مؤمن بعده ، وأنه كل من كان وليه ، فعلي وليه ، ومن كان أولىٰ به من نفسه فعلي أولىٰ به، وأنه خليفته فيهم ووصيه ، وأن من أطاعه أطاع الله، ومن عصاه عصىٰ الله، ومن والاه والىٰ الله، ومن عاداه عادىٰ الله، فأنكروه

---

(١) وقد اثبت العلاّمة الحجة الاميني في كتابه الغدير ج ١ ص ١٤ ـ ٦١ رواة الغدير من الصحابة وهم : مائة وعشرون صحابياً ، وفي ص٦٢ ـ ٧٣ رواة الغدير من التابعين وهم : أربعة وثمانون تابعياً ، وفي ص٧٣ ـ ١٥١ رواة حديث الغدير من أئمة الحديث وحفاظه والاساتذة وهم : ثلاثمائة وستون نسمة .

(٢) هذا الحديث يعرف بحديث المنزلة ، وهو قول النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لعلي ـ عليه السلام ـ : (أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي) وهو من الاحاديث المتواترة المشهورة فقد روته جُل مصادر العامة .

راجع : صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤ ، صحيح مسلم ب من فضائل علي بن أبي طالب ج ٤ ص ١٨٧٠ ح ٣٠ ـ (٢٤٠٤) ، صحيح الترمذي ج ٥ ص ٥٩٦ ح ٣٧٢٤ و ص ٥٩٨ ح ٣٧٣٠ ، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٩ و ج ٣ ص ٣٢ و ج ٦ ص ٣٦٩ و ص ٤٣٨ ، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٢ ح ١١٥ و ١٢١ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٠٩ و ج ٢ ص ٣٣٧ وصححه ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٠٤ ، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ ح ١٥٠ ، الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٧ وص ٥٠٩ ، حلية الاولياء ج ٧ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ وصححه ، ذخائر العقبىٰ ص ٦٣ وص ٦٤ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ وص ٢٧ ، كنز العمال ج ١١ ص ٥٩٩ ح ٣٢٨٨٠ و ج ١٣ ص ١٥٠ ح ٣٦٤٧٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٨ . وغيرها .

وجهلوه وتولّوا غيره !!

يا معاوية أما علمت أن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ حين بعث إلىٰ مؤتة أمّر عليهم جعفر بن أبي طالب ، ثم قال إن هلك جعفر فزيد ابن حارثة ، فإن هلك زيد فعبد الله بن رواحة ، ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم .

أفكان يترك أمته لا يبيّن لهم خليفته فيهم ؟! بلىٰ والله ، ما تركهم في عمياء ولا شبهة ، بل رَكِبَ القوم ما ركبوا بعد نبيهم ، وكذّبوا علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فهلكوا وهلك من شايعهم ، وضلّوا وضلّ من تابعهم ، فبعداً للقوم الظالمين .

فقال معاوية : يا بن عباس إنك لتتفوه بعظيم! والاجتماع عندنا خير من الاختلاف ، وقد علمت أن الأمة لم تستقم علىٰ صاحبك .

فقال ابن عباس : إنّي سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول : ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها علىٰ أهل حقها[١] ، وإن هذه الأمة اجتمعت علىٰ أمور كثيرة ليس بينها اختلاف ولا منازعة ولا فرقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وأشياء كثيرة من طاعة الله ونهي الله ، مثل : تحريم الزنا ، والسرقة ، وقطع الأرحام ، والكذب ، والخيانة ، واختلفت في شيئين :

أحدهما : اقتتلت عليه وتفرقت فيه وصارت فرقاً ، يلعن بعضها بعضاً ويبرأ بعضها من بعض .

---

(١) مجمع الزوائد : ج ١ ص ١٥٧ ، كنز العمال ج ١ ص ١٨٣ ح ٩٢٩ .

والثاني: لم تقتتل عليه ولم تتفرق فيه، ووسّع بعضهم فيه لبعض، وهو كتاب الله وسنة نبيه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وما يحدث زعمت أنه ليس في كتاب الله ولا سنة نبيه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

وأمّا الّذي اختلفت فيه وتفرقت وتبرأت بعضها من بعض، فالملك والخلافة، زعمت أنّها أحق بهما من أهل بيت نبي الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فمن أخذ بما ليس فيه ـ بين أهل القبلة ـ أختلاف وردّ علم ما اختلفوا فيه إلىٰ الله سَلِم ونجّا من النّار، ولم يسأله الله عما أشكل عليه من الخصلتين اللتين اختلف فيهما، ومن وفقه الله ومَنَّ عليه ونوّر قلبه وعرّفه ولاة الأمر ومعدن العلّم أين هو، فعرف ذلك كان سعيداً ولله وليّاً، وكان نبي الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: رحم الله عبداً قال حقاً فغنم أو سكت فلم يتكلم[١].

فالأئمة من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومنزل الكتاب، ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، لا تصلح إلاّ فيها، لأن الله خصها وجعلها أهلاً في كتابه علىٰ لسان نبيه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فالعلم فيهم وهم أهله وهو عندهم كلّه بحذافيره، باطنه وظاهره، ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه.

يا معاوية إن عمر بن الخطاب أرسلني في إمرته إلىٰ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ أنّي أريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث الينا ما كتبت من القرآن.

فقال: تضرب والله عنقي قبل أن تصل إليه.

---

(١) كتاب الزهد لابن المبارك: ص١٢٨ ح ٣٨٠، كشف الخفاء ج١ ص ٥١٤ ح ١٣٧٤، الفردوس للديلمي ج٢ ص٢٥٩ ح ٣٢٠٤ بتفاوت.

قلت: ولم ؟!

قال: إن الله يقول: ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾[١]. يعني لا يناله كلّه إلا المطهّرون، إيّانا عنى، نحن الّذين أذهب الله عنّا الرجس وطهرنا تطهيراً[٢]، وقال: ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾[٣].

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

(٢) إشارة الى الآية الشريفة ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ الاحزاب ٣٣، وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم ـ عليهم السلام ـ.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٢.

فقد ذكروا انها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج٢ ص ١٥٥ ـ ١٥٧ ح ٧٨٢ ـ ٧٨٣، غاية المرام للبحراني ص ٣٥١.

وجاء في ينابيع المودة ب ٣٠ ص ١٠٣ (في تفسير قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب) عن المناقب: سُئل علي ـ عليه السلام ـ ان عيسىٰ بن مريم كان يحيي الموتى وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، هل لكم هذه المنزلة، قال ان سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ غضب على الهدهد لفقده لانه يعرف الماء ويدل علىٰ الماء، ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع أن الريح والنمل والانس والجن والشياطين والمردة كانوا له طائعين، وان الله يقول في كتابه: ﴿ **ولو ان قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الارض أو كلّم به الموتىٰ** ﴾ سورة الرعد: الآية ٣١، ويقول تعالىٰ: ﴿ **وما من غائبة في السماء والارض إلا في كتاب مبين** ﴾ سورة النمل: الآية ٧٥.

ويقول تعالىٰ: ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ سورة فاطر: الآية ٣٢، فنحن أُورثنا هذا القرآن الذي فيه ما يسير به الجبال، وقطّعت به البلدان، ويحي به الموتىٰ، ونعرف به الماء، وأُورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء.

اضف الىٰ ذلك أنه بعد ان ثبت لدىٰ الجمهور ان قوله تعالىٰ: ﴿ **ومَن عنده علم الكتاب** ﴾ سورة الرعد: الآية ٤٣، المراد به هو أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ نعلم بالضرورة انه هو المراد بمن أورثه الله الكتاب في قوله تعالىٰ: ﴿ **ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾.

قال الشيخ محمد الحسن المظفر (قدس سره) في كتابه دلائل الصدق ج٢ ص ١٦٥:

ويشهد أيضاً لإرادة علي بمن أورثه الكتاب واصطفاه، الأخبار المستفيضة الدالة علىٰ أن

←

فنحن الَّذين اصطفانا الله من عباده، ونحن صفوة الله ولنا ضَرب الامثال وعلينا نزل الوحي.

فغضب عمر وقال: ان إبن أبي طالب يحسب أنه ليس عند أحد علم غيره، فمن كان يقرأ من القرآن شيئاً فليأتنا به، فكان إذا جاء رجل بقرآن فقرأه ومعه آخر كتبه، وإلاّ لم يكتبه.

فمن قال ـ يا معاوية ـ: إنه ضاع من القرآن شيء فقد كذب، هو عند أهله مجموع.

ثم أمر عمر قضاته وولاته فقال: اجتهدوا رأيكم، واتبعوا ما ترون أنه الحق، فلم يزل هو وبعض ولاته قد وقعوا في عظيمة فكان علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ يخبرهم بما يحتج به عليهم، وكان عمّاله وقضاته يحكمون في شيء واحد بقضايا مختلفة فيجيزها لهم، لأن الله لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب، وزعم كل صنف من أهل القبلة أنهم معدن العلم والخلافة دونهم، فبالله نستعين على من جحدهم حقهم، وسنّ للناس ما يحتج به مثلك عليهم، ثم قاموا فخرجوا(١).

← علياً مع القرآن والقرآن معه، فإن المعية تستدعي أن يكون علم القرآن عنده وأنه وارثه.

وقال في ص١٦٦: فإن قلت: لا يمكن أن يراد وحده أو مع الأئمة خاصة لأنهم معصومون عندكم، والآية قسمت من أورثه الله الكتاب واصطفاه إليه الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات فيتعين ان يراد بالآية مطلق المؤمنين.

قلت: التقسيم راجع إلىٰ العباد والضمير في قوله تعالىٰ: **﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾** عائد إلىٰ قوله تعالىٰ: عبادنا، لا لمن أورثه الكتاب واصطفاه منهم، اذ لا يصح تقسيم من اصطفاه الىٰ الظالم وغيره، ولا شمول من أورثه الكتاب لكل مؤمن عالم وجاهل، فهي نظير قوله تعالىٰ في سورة الحديد: **﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ﴾** سورة الحديد: الآية ٢٦.

(١) كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص١٩٠ ح ٤٧، بحار الانوار ج ٤٤ ص٩٧ بتفاوت.

المناظرة الرابعة عشرة

مناظرة قيس بن سعد[1] وابن عباس مع معاوية بن أبي سفيان

قدم معاوية حاجّاً في خلافته المدينة بعد ما قُتل أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ وبعد ما مات الحسن ـ عليه السلام ـ فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الذي استقبله من قريش أكثر من الأنصار، فسأل عن

---

(١) هو: قيس بن سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج، الأمير المجاهد، صحابي جليل، ومن أصحاب امير المؤمنين والحسن ـ عليهما السلام ـ، وكان من الجماعة الذيّن شهدوا باستخلاف النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عليّاً ـ عليه السلام ـ يوم الغدير عند استشهاد امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وعدم نكولهم الشهادة فيمن شهدوا، وجاء في شرح النهج لابن أبي الحديد: وكان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة عليّ ومناصحيه، وكان مع شجاعته ونجدته جواداً مفضالاً، وكان طوالاً اطول الناس وامدهم قامة، شجاعاً مجرّباً مناصحاً لعليّ ولولده، ولم يزل على ذلك إلى أن مات، وفي أُسد الغابة: انه كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة وكان شريف قومه. له أحاديث عديدة، وروى عنه الكثير، منهم: عبدالله بن مالك الأشجعي، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وغيرهما، كان صاحب لواء النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في بعض مغازيه، ولي مصر من قبل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ثم عزله عنها فقدم المدينة، ثم لحق بعليّ وكان على شرطة الخميس، وبعد وفاة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ صار مع الحسن ـ عليه السلام ـ فوجهه على مقدمة جيشه إلى معاوية، وبعد إبرام الصلح رجع إلى المدينة وتوفي فيها في خلافة معاوية.

تجد ترجمته في كثير من الكتب الرجالية وغيرها منها: طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٥٢، تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٥٤٦، الاستيعاب ج ٣ ص ١٢٨٨ رقم: ٢١٣٣، تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٧، أسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٥٧ ـ ٦٤، سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ٤٥٧، تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ٣١ ـ ٣٣ وغيرها الكثير فمن أراد الاطلاع فليراجع.

ذلك فقيل : إنهم محتاجون ليست لهم دواب .

فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال : يا معشر الأنصار ما لكم لا تستقبلوني مع إخوانكم من قريش ؟

فقال قيس وكان سيد الأنصار وابن سيدهم : أقعَدنا يا أمير المؤمنين أنْ لم تكن لنا دواب .

قال معاوية فأين النواضح ؟

فقال قيس : أفنيناها يوم بدرٍ ويوم أحدٍ وما بعدهما في مشاهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ حين ضربناك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون .

قال معاوية : اللّهم غفراً .

قال قيس : أما إن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : سترون بعدي أثرة[1] .

ثم قال : يا معاوية تعيّرنا بنواضحنا ، والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله ، وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا ، ثم دخلت أنت وأبوك كُرهاً في الإسلام الذي ضربناكم عليه .

فقال معاوية : كأنّك تمن علينا بنصرتك إيّانا ، فلّله ولقريش بذلك المن والطول ، ألستم تمنون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله

---

(١) راجع : صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٩ ، مسند أحمد ج ٣ ص ١٨٢ ، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤١٨ ح ٢١٨٩ ، شرح السنة للبغوي ج ١٤ ص ١٧٣ ح ٣٩٧٣ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٧٤ ح ٤٨ ـ (١٨٤٥) ، كنز العمال ج ١٣ ص ٦١٤ ح ٣٧٥٧٠ ، وللحديث مصادر كثيرة .

قال الجزري في النهاية ج ١ ص ٢٢ بمادة (أثر) : قال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ للأنصار: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا). الاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من أثر يؤثر إيثاراً إذا أعطىٰ اراد انه يستأثر عليكم فيفُضّل غيركم في نصيبه من الفيء ، والاستئثار الانفراد بالشيء .

وهو من قريش ، وهو ابن عمنا ومنا ، فلنا المن والطول أن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا .

فقال قيس : إن الله بعث محمداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ رحمة للعالمين ، فبعثه إلى الناس كافة ، وإلى الجن والإنس ، والأحمر والأسود والأبيض ، اختاره لنبوّته واختصه برسالته ، فكان أوّل من صدّقه وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وأبو طالب يذب عنه ، ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه ، فأمره أن يبلّغ رسالة ربه ، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى ، حتى مات عمه أبو طالب وأمر ابنه بمؤازرته ، فآزره ونصره وجعل نفسه دونه في كل شديدة ، وكل ضيق ، وكل خوف ، واختص الله بذلك علياً ـ عليه السلام ـ من بين قريش ، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم .

فجمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ جميع بني عبد المطلب ، فيهم أبو طالب ، وأبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلاً ، فدعاهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وخادمه علي ـ عليه السلام ـ ورسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حجر عمه أبي طالب.

فقال أيّكم ينتدب أن يكون أخيّ ووزيري ووصيي وخليفتي في أمتي ، ووليّ كل مؤمن بعدي ؟ فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً.

فقال علي ـ عليه السلام ـ: أنا يا رسول الله ـ صلّى الله عليك ـ فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه .

وقال: اللّهم املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً ، ثم قال لأبي طالب: يا أبا

طالب اسمع الآن لابنك وأطع[1] ، فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى وآخى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بين علي وبين نفسه[2] .

فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلّا ذكرها واحتج بها .

وقال : منهم جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة بجناحين ، اختصه الله بذلك من بين الناس ، ومنهم حمزة سيد الشهداء ، ومنهم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، فإذا وضعت من قريش رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأهل بيته وعترته الطيبين ، فنحن والله خير منكم يا معشر قريش ، وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم .

لقد قُبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فاجتمعت الأنصار إلى أبي ، ثم قالوا نبايع سعداً[3] فجاءت قريش فخاصمونا بحجة علي وأهل بيته ـ عليهم السلام ـ وخاصمونا بحقه وقرابته ، فما يعدوا قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار وظلموا آل محمد ـ عليهم السلام ـ ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حق مع علي ـ عليه السلام ـ وولده من بعده .

فغضب معاوية وقال : يابن سعد عمّن أخذت هذا، وعمّن رويته،

---

(١) انظر : فرائد السمطين ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٦ ح ٥٥ ، معالم التنزيل للبغوي ج ٣ ص ٤٠٠ ، مسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢١ ، شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٧١ ح ٥١٤ .

وقد ذكرنا المزيد من المصادر وذلك في مناظرة الانطاكي مع العالم الشافعي فراجع .

(٢) فرائد السمطين ج ١ ص ١١٦ ح ٨١ و ص ١١٧ ح ٨٢ و ص ١٢١ .

(٣) راجع : تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٥ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥ ، طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١٦ ، سير اعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ٢٧٦ ، أسد الغابة ج ٢ ص ٢٨٤ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٣ والحادثة لها شواهد كثيرة .

وعمّن سمعته ، أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته ؟!

فقال قيس : سمعته وأخذته ممن هو خير من أبي ، وأعظم عليَّ حقاً من أبي .

قال : مَنْ ؟

قال : علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ عالم هذه الامة وصدّيقها الّذي أنزل الله فيه : ﴿ **قُل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عِندَه علم الكتاب** ﴾(١) فلم يَدَع آية نزلت في عليّ إلاّ ذكرها .

---

(١) سورة الرعد : الآية ٤٣ .

فقد روى الجمهور أنها نزلت في أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وهو الذي عنده علم الكتاب ، وممن روى ذلك :

الثعلبي في تفسيره ، من طريقين ، أحدهما : عن عبدالله بن سلام ، أنه قال : إنما ذلك علي بن أبي طالب ، كما في ينابيع المودة ص ١٠٢ ، وابن المغازلي .

والثاني : عن أبي سعيد الخدري ، كما في الإتقان للسيوطي ج ١ ص ١٣ ، وينابيع المودة ص ١٠٣ ، رواه بطرق .

وقيل : إنها نزلت في عبدالله بن سلام ورفيقيه ، ومضافاً إلى رد ابن سلام على هذا القائل ، فقد أجاب الشعبي كما في تفسير الخازن ج ٣ ص ٦٩ ، وسعيد بن جبير ، بأن السورة مكية ، فلا يجوز أن يراد منها ابن سلام وأصحابه ، لأنهم آمنوا في المدينة راجع : تفسير الطبري ج ١٢ ص ١١٧ ، والدر المنثور ج ٤ ص٦٨٦ ، والإتقان ج ١ ص ١٣ .

وأجاب أيضاً عدة من الأعلام ، كالفخر الرازي ، بأن إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على أمثالهم لكونهم غير معصومين ، لا يجوز ، فلا معنى لتفسيرها بابن سلام وأصحابه . راجع (تفسير الرازي ج ١٩ ص ٦٩ ـ ٧٠) .

وجاء في ينابيع المودة ص ١٠٤ ـ ١٠٥ : وقال بعض المحققين في هذه الآية الشريفة : ولما فتح الله ابواب السعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصاً على بني هاشم بقوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ سورة الشعراء : الآية ٢١٤ ورهطك المخلصين اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله لا بد أن يكون رجلاً من بني هاشم بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لأنه أقرب له من سائر قريش وأن يكون إسلامه

←

قال معاوية : فإن صدّيقها أبو بكر ، وفاروقها عمر ، والّذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام .

قال قيس : أحقّ هذه الاسماء وأولى بها الّذي أنزل الله فيه : ﴿**أفَمَن كان على بيّنة مِنْ ربّه ويَتلوه شاهدٌ مِنه**﴾(١) والذي نصبه رسول الله ـ صلّى

← أولا ليكون واقفاً (على) أسرار الرسالة وبدأ الوحي وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله وأن يكون من طفولته منزهاً عن أعمال الجاهلية ليكون متخلقاً بأخلاقه ومؤدباً بادآبه ونظيراً بالرشيد من أولاده ، فلم توجد هذه الشروط لاحد إلا في علي ـ عليه السلام ـ.

واما عبدالله بن سلام فإنه لم يسلم إلا بعد الهجرة ، فلم يعرف سبب نزول السور التي نزلت قبل الهجرة ولما كان حاله هذا لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه ، مع أن سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل ثلثمائة وخمسين سنة في تعلم أسرار الإنجيل والتوراة والزبور وكتب الأنبياء السابقين والقرآن ، لم يكن مَنْ عنده علم الكتاب ، لفقده الشروط المذكورة ، فكيف يكون من عنده علم الكتاب ابن سلام الذي لم يقرأ الإنجيل ولم توجد فيه الشروط ، ولم يصدر منه مثل ما صدر من علي ـ عليه السلام ـ يعسوب الدين من الأسرار والحقائق في الخطبات ، مثل قوله : سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين جنبيَّ علوماً كالبحار الزواخر ، ومثل ما صدر من أولاده الائمة الهداة ـ عليهم سلام الله وبركاته ـ من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله وأسراره .

(١) سورة هود : الآية ١٧ .

فقد روى الجمهور : أن (من كان على بينّة من ربّه) **هو رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والشاهد هو أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ**

راجع : الدر المنثور ج ٤ ص ٤٠٩ ، روح المعاني ج ١٢ ص ٢٧ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ٣٢١ ، تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٠ ، وفي هامش تفسير النيسابوري ص ١٦ ، فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٧ ، شواهد التنزيل ، تفسير الفخر الرازي ج ١٧ ص ٢٠١ ، المناقب للخوارزمي ص ٢٧٨ ح ٢٦٨ ، ينابيع المودة ص ١٠٤ ب ٢٦ ص ٩٩ .

وقد جاء في فرائد السمطين ج ١ ص ٣٣٨ ح ٢٦٠ : عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ قال : أُريدَ منه علي خاصّة .

وجاء في ص ٣٣٩ ح ٢٦١ عن زاذان قال : سمعت علياً ـ عليه السلام ـ يقول : ... والذي فلق ←

الله عليه وآله وسلّم ـ بغدير خم فقال: من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه[١] وفي غزوة تبوك أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبيّ بعدى[٢].

وكان معاوية يومئذ بالمدينة، فعند ذلك نادى مناديه وكتب بذلك نسخة إلى عماله، ألا برئت الذّمة ممن روى حديثاً في مناقب علي وأهل بيته، وقامت الخطباء في كل كورة[٣] ومكان على المنابر بلعن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ والبراءة منه والوقيعة في أهل بيته ـ عليهم السلام ـ واللعن لهم بما ليس فيهم[٤] ـ عليهم السلام ـ.

ثم إن معاوية مر بحلقة من قريش فلما رأوه قاموا إليه غير عبدالله ابن العباس.

فقال له: يابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلاّ لموجدة عليَّ بقتالي إيّاكم يوم صفين، يابن عباس إن ابن عمي عثمان قُتِل مظلوماً.

قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً[٥] فسلّم الأمر إلى

← الحبّة وبرأ النسمة ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى جنّة أو تقوده إلى نار. فقام رجل فقال: ما آيتك يا أمير المؤمنين التي نزلت فيك؟ قال: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» فرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على بينة من ربه، وأنا الشاهد منه أتلوه: أتبعه ومثل هذا الحديث أيضاً بتفاوت في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣٧، عن كتاب الغارات.

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) تقدّمت تخريجاته.

(٣) الكُوْرَة: جمعُها كُوَر وهي البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى.

(٤) انظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٤ ص ٥٦ ـ ٦٢ و ٧٢ و ج ١١ ص ٤٤ ـ ٤٥، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد عقيل، تقوية الايمان في الرد على بن أبي سفيان لمحمد عقيل، الغدير للاميني ج ١٠ ص ٢٥٧.

(٥) إنما قال ابن عباس هذا الكلام ليحج به معاوية.

ولده وهذا ابنه .

قال : إن عمر قتله مشرك .

قال ابن عباس : فمن قتل عثمان ؟

قال : قتله المسلمون .

قال : فذلك أدحض لحجّتك وأحلّ لدمه ، إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلّا بحق .

قال : فإنّا كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك يابن عباس وأربع على نفسك[١].

قال : فتنهانا عن قراءة القرآن ؟

قال : لا .

قال : فتنهانا عن تأويله ؟

قال : نعم .

قال : فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به ؟

قال : نعم .

قال : فأيّما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟

قال : العمل به .

قال : فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا ؟

قال : سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك .

قال : إنما أُنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط واليهود والنصارى والمجوس ؟!!

---

(١) يقال اربع عليك أو على نفسك أو على ظلعك ، أي توقف .

قال: فقد عَدَلتَنا بهم.

قال: لعمري ما أعدلك بهم، إلّا إذا نهيت الأمة أن يعبدو الله بالقرآن وبما فيه من أمر ونهي، أو حلال أو حرام، أو ناسخ أو منسوخ، أو عام أو خاص، أو محكم أو متشابه، وإن لم تسأل الأمة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا.

قال معاوية: فاقرؤا القرآن ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم وما قال رسول الله وارووا ما سوى ذلك.

قال ابن عباس: قال الله تعالى في القرآن: ﴿ **يُريدون أن يطفُؤا نورَ الله بأفواهِهِم ويأبى اللهُ إلا أن يتُم نورَه ولو كَره الكافرون** ﴾[1].

قال معاوية: يابن عباس اكفني نفسك وكف عني لسانك وإن كنت لا بد فاعلاً فليكن سراً ولا تسمعه أحداً علانية ثم رجع الى منزله[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس الكوفي ص ١٦١.

المناظرة الخامسة عشرة

مناظرة أروىٰ[1] بنت الحارث بن عبد المطلب مع معاوية

روىٰ ابن عائشة عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن أنس بن مالك ، قال : دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب علىٰ معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها قال : مرحباً بك يا عمه .

---

(١) هي : أروىٰ بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ابنة عم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ، اُمها غزية بنت قيس بن طريق بن عبد العزى بن عامر بن عميرة ابن وديعة بن الحارث بن فهر ، تزوّجها أبو وداعة بن صبرة بن سعيد بن سعد ابن سهم فولدت له : المطلب ، وأبا سفيان ، وأم جميل ، وأم حكيم ، والربعة بني أبي وداعة ، توفيت حدود سنة ٥٠ هـ .

وهي من ربات الفصاحة والبلاغة ، كانت أغلظ الوافدات علىٰ معاوية بن أبي سفيان ، حيث أسمعته ومن معه كلاماً قارصاً ـ ووبخَته علىٰ أخذه ما ليس له ، واحتجت بأدلة وبراهين علىٰ خلافة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وأظهرت مظلوميته .

نعم هكذا كنّ نساء العقيدة والمبدأ يتحلين بالشجاعة والصبر والثبات علىٰ ما أنعم الله عليهن بمعرفة الولاية الحقّة ، فتراهنَّ في حياة الإمام علي ـ عليه السلام ـ يقفن إلىٰ جنبه يجاهدن بلسانهن ، ويحضرن معه واقعة صفين يحرّضن الرجال علىٰ القتال بشعر أو نثر ، وبعد استشهاده ـ عليه السلام ـ واغتصاب معاوية الخلافة نراه يبعث وراءهن قاصداً إذلالهنَّ وإظهار نفسه أمام الناس بأنه يتحلىٰ بالعفو عند المقدرة إذ يعفو عنهن ويُكرمُ بعضهن ، إلا انهنّ يقفن موقفاً بطولياً ويسمعن معاوية ومن معه كلاماً قارصاً يدل علىٰ ثبات عقيدتهن ورسوخها ، نعم إنها كلمة حق عند سلطان جائر . عن كتاب أعلام النساء المؤمنات ص ٩٩ ـ ١٠٣ (لمحمد الحسون وأم علي مشكور) .

راجع ترجمتها في : الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج ٨ ص ٥٠ ، أعلام النساء ج ١ ص ٢٨ ، الاعلام للزركلي ج ١ ص ٢٩٠ ، أعيان النساء ص ٢٤ .

قالت : كيف أنت يا بن أخي ، لقد كفرت بعدي بالنعمة أسأت لابن عمك الصحبة ، وتسمَّيت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، بغير بلاء كان منك ، ولا من آبائك في الإسلام ، ولقد كفرتم بما جاء به محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فأتعسَ الله منكم الجدود ، وأصعر منكم الخدود حتىٰ رد الله الحق إلىٰ أهله ، وكانت كلمة الله هي العليا ، ونبينا محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هو المنصور علىٰ من ناواه ولو كره المشركون ، فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدراً، حتىٰ قبض الله نبيه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ مغفوراً ذنبه مرفوعاً درجته ، شريفاً عند الله مرضيّاً ، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسىٰ من آل فرعون ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسىٰ[1] ، حيث يقول: ﴿ **ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني** ﴾[2] ولم يجمع بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لنا شمل ولم يسهل لنا وعر وغايتنا الجنة وغايتكم النار .

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) سورة الاعراف : الآية ١٥٠ .

وجاء في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٢٠ : تحت عنوان : (كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) ... وبقي عمر ومعه قوم ، فأخرجوا علياً ، فمضوا به إلىٰ أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟

قالوا : إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك ، قال : إذاً تقتلون عبدالله وأخا رسوله ، قال عمر : أما عبدالله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلم ، فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك ، فقال : لا أكرهه علىٰ شيء ماكانت فاطمة إلىٰ جنبه ، فلحق علي بقبر رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يصيح ويبكي ، وينادي : (يا ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ... الخ .

قال عمرو بن العاص : أيتها العجوز الضالة ، أقصري من قولك ، وغضي من طرفك .

قالت : ومن أنت لا أم لك ؟

قال : عمرو بن العاص .

قالت : يا بن اللخناء النابغة ، أتكلّمني أربع علىٰ ظلعك ، واعن بشأن نفسك فو الله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ، ولا كريم منصبها ، ولقد ادّعاك ستة من قريش ، كلٌّ يزعم أنه أبوك ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر (أي فاجر) فأتم بهم فإنك بهم أشبه .

فقال مروان بن الحكم : أيتها العجوز الضالة ، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك ، فلا يجوز شهادتك .

قالت : يا بني ، أتتكلم فو الله لأنت إلىٰ سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم وإنك لشبهه في زرقة عينيك وحمرة شعرك مع قصر قامته وظاهر دمامته ، ولقد رأيت الحكم مادّ القامة ، ظاهر الأمة سبط الشعر ، وما بينكما قرابة إلاّ كقرابة الفرس الضامر من الاتان المقرب ، فاسأل أمك عما ذكرت لك فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت .

ثم التفتت إلىٰ معاوية فقالت : والله ما عرضني لهؤلاء غيرك وإن أمك للقائلة في يوم أحد في قتل حمزة ـ رحمة الله عليه ـ :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب يوم الحرب ذات سُعر
ما كان عن عُتبة لي من صبر ... أبي وعمي وأخي وصهري
شفيت وحشي غليل صدري ... شفيت نفسي وقضيت نذري
فشكر وحشي علي عمري ... حتىٰ تغيب أعظمي في قبري

فأجبتها :

يـا بـنت رقـاع عـظيم الكـفر | خُـزِيت فـي بـدر وغـير بـدر
صــبحك الله قــبيل الفــجر | بـالهاشميين الطـوال الزهـر
بكــل قــطاع حســام يـفري | حــمزة ليـثي وعـلي صـقري
إذ رام شــبيب وابـوك غـدري | أعطيت وحشي ضمير الصدر
هتك وحشي حـجاب السـتر | مـا للـبغايا بـعدها مـن فـخر

فــقال مـعاوية لمـروان وعـمرو : ويـلكما أنـتما عـرضتماني لهـا واسمعتماني ما أكره ، ثم قال لها : يا عمة اقصدي قـصد حـاجتك ودعـي عنك أساطير النساء .

قالت : تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار والفي دينار .

قال : ما تصنعين يا عمة بألفي دينار ؟

قالت : أشـتري بـها عـينا خـرخـارة فـي أرض خـوارة تكـون لولد الحارث بن المطلب .

قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟

قالت : أزوج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم .

قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟

قالت : أستعين بها علىٰ عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام .

قال : نعم الموضع وضعتها ، هي لك نعم وكرامة ، ثم قال : أما والله لو كان علي ما أمر لك بها .

قالت : صدقت إن علياً أدىٰ الامانة ، وعمل بأمر الله ، وأخذ به، وأنت ضيعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبيئها ، فلم تأخذ بها ودعانا (أي عليٌّ) إلىٰ أخـذ حـقنا الذي فـرض الله لنـا فشـغل بـحربك عـن وضـع الأمـور

مواضعها، وما سألتك من ما لك شيئاً فتمن به إنما سألتك من حقنا ولا نرىٰ أخذ شيء غير حقنا، أتذكر عليّاً فض الله فاك وأجهد بلاءك، ثم علا بكاؤها وقالت:

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا وابكي أمير المؤمنينا
رزينا خير من ركب المطايا ... وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبَس النعالَ أو احتذاها ... ومَن قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسن ... رأيتَ البدر راعَ الناظرينا
ولا والله لا أنسىٰ عليّاً ... وحُسن صلاته في الراكعينا
أفي الشهر الحرامفجعتمونا ... بخير الناس طُرّاً أجمعينا

فأمر معاوية لها بستة آلاف، وقال لها: يا عمة أنفقي هذه في ماتُحبين، فإذا احتجتيني فاكتبي إلىٰ ابن أخيك يحسن صفدك ومعونتك إن شاء الله(١).

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور ص٢٧، العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ج١ ص٣٥٧ باختلاف.

المناظرة السادسة عشرة

مناظرة دارميّة الحجُونيّة[1] مع معاوية

روى سهل بن أبي سهل التميميّ عن أبيه، قال:

حجّ معاوية، فسأل عن امرأة من بني كِنَانة كانت تَنْزل بالحَجُون[2]، يقال لها: دارميّة الحجُونيّة، وكانت سوداءَ كثيرة اللحم، فأُخبر بسلامتها، فبَعث إليها فجيء بها.

فقال: ما حالك يا ابنة حام؟

فقالت: لستُ لحام إن عِبْتني، أنا امرأة من بني كنانة.

قال: صدقت، أتدرين لِمَ بعثت إليك؟

قالت: لا يعلم الغيبَ إلا الله.

قال: بعثتُ إليك لأسألك علام أحببت عليّاً وأبغضتِني، وواليته وعاديتني؟

قالت: أو تعْفِيني؟

قال: لا أعْفِيك.

قالت: أمّا إذ أبيتَ، فإني أحببتُ عليّاً على عَدْله في الرَّعية، وقسمه

---

(١) كانت من فضليات النساء، راجحة العقل، فصيحة اللسان، قوية الحجّة، صادقة الولاء لعلي سيد الاوصياء ـ عليه السلام ـ، لها حكاية مع معاوية بن أبي سفيان أظهرت بها فصاحتها، وقوة حجّتها، ورجاحة عقلها، وصدق ولائها واشراق ثنائها. اعلام النساء المؤمنات ص٣٣٣.

(٢) الحجون: جبل بمعلاة مكة.

بالسويّة، وأبغضتُك علىٰ قتالك من هو أولىٰ منك بالأمر، وطلْبتك[١] ما ليس لك بحق؛ وواليتُ علياً علىٰ ما عقد له رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من الولاء[٢]، وحُبّه المساكين، وإعظامه لأهل الدين؛ وعاديتُك علىٰ سفْكك الدِّماء، وجورك في القضاء، وحُكْمك بالهوىٰ.

قال: فلذلك انتفخ بطنُك، وعظُم ثدياك، وربت عجيزتك.

قالت: يا هذا، بهند[٣] والله كان يُضرب المثل في ذلك لابي.

قال معاوية: يا هذه أربعي[٤]، فإنا لم نقل إلا خيراً، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تمّ خلق ولدها، وإذا عظُم ثدياها تروّى[٥] رضيعُها، وإذا عظُمت عجيزتها رزُن مجلسها؛ فرجعت وسكنت.

قال لها: يا هذه، هل رأيت علياً؟

قالت: إي والله.

قال: فكيف رأيته؟

قالت: رأيتُه والله لم يفتنه المُلك الذي فتنك، ولم تشغله النِّعْمة التي شغلتك.

قال: فهل سمعتِ كلامه؟

قالت: نعم والله، فكان يجلو القلب من العَمىٰ، كما يجلو الزيتُ صدأ الطَّسْت.

---

(١) الطلبة: الطلب.

(٢) تشير إلىٰ قول النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

(٣) هي: هند بنت عتبة، أم معاوية.

(٤) ربع: وقف وانتظر وتحبس.

(٥) تروىٰ: ارتوىٰ.

قال : صدقتِ ، فهل لك من حاجة ؟

قالت : أو تفعل إذا سألتُك ؟

قال : نعم .

قالت: تُعطيني مائة ناقة حمْراء فيها فحْلُها وراعيها .

قال : تصْنعين بها ماذا ؟

قالت : أغْذُو بألبانها الصِّغار ، وأستحْيي بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأُصْلِح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحُلّ عندك محلَّ عليّ بن أبي طالب ؟

قالت : ماء ولا كصدَّاء ، ومرْعىٰ ولا كالسَّعْدان ، وفَتىٰ ولا كمالك[1]، يا سبحان الله ، أودُونه[2] ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعُـدْ بـالحِلْم مـنّي عـليكم   فمن ذا الذي بَعْدِي يُؤمَّلُ للـحِلْمِ

خُذِيها هَنِيئاً واذكري فعلَ مـاجِد   جَزَاكِ علىٰ حَرْب العداوة بالسِّلْمِ

ثم قال : أما والله لو كان عليٌّ حيّاً ما أعطاكِ منها شيئاً .

قالت : لا والله ، ولا وَبرة واحدة من مال المسلمين[3] .

---

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها .

والسعدان : نبت ذو شوك ، وهو أفضل مراعي الإبل ، ولا تحسن على نبت حسنها عليه .

ومالك : هو ابن نويرة . وقد قال أخوه متمم هذا فيه لما قتل . وهذه أمثلة ثلاثة تضرب للشيء يفضل علىٰ أشباهه .

(٢) استفهام إنكاري منها ، أي أولىٰ بك أن تطلب دون محله لا أن تطلب مثل محله .

(٣) العقد الفريد : ج ١ ص ٣٥٢ ، صبح الاعشىٰ : ج ١ ص ٣٠٦ ، بلاغات النساء ص ٧٢ .

المناظرة السابعة عشرة

مناظرة برد الهمداني مع عمرو بن العاص

ذكروا أن رجلاً من همذان يقال له برد قدم علىٰ معاوية، فسمع عمراً يقع في عليّ ـ عليه السلام ـ، فقال له: يا عمرو، إن أشياخنا سمعوا رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه[1]، فحقّ ذلك أم باطل؟

فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدك أنه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب عليّ[2]؛ ففزع الفتىٰ؟!

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) فقد أطبق الجمهور أنه ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من الفضائل كما جاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ

قال رجل لابن عباس: سبحان الله ما أكثر مناقب علي ـ عليه السلام ـ وفضائله إني لأحسبها ثلاثة آلاف، فقال ابن عباس: أو لا تقول: إنها الىٰ ثلاثين ألفاً أقرب.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: لو أن الغياض أقلام والبحر مداد والجن حسّاب والانس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من الفضائل مثل ما جاء لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

راجع: المناقب للخوارزمي ص ٣٢ ـ ٣٣ ح ٢ و ٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٧٥ ب ٥٨.

وحُكي عن محمد بن إدريس الشافعي إمام المذهب الشافعي، أنه قال في جواب من سأله عن علي ـ عليه السلام ـ: ما أقول في حق من أخفت أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفت اعداؤه فضائله حسداً؟، وشاع من بين ذين ماملأ الخافقين.

←

فقال عمرو : إنه أفسدها بأمره في عثمان .

فقال برد : هل أمر أو قتل ؟

قال : لا ، ولكنه آوىٰ ومنع .

قال : فهل بايعه الناس عليها ؟

قال : نعم .

قال : فما أخرجك من بيعته ؟

قال : اتهامي إياه في عثمان[1] .

قال له : وأنت أيضاً قد اتهمت .

قال : صدقت ، فيها خرجت إلىٰ فلسطين .

فرجع الفتىٰ إلىٰ قومه ، فقال : إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجة عليهم من أفواههم ، عليّ علىٰ الحقّ فاتبعوه[2]

← راجع : وقائع الايام للخياباني ج ٣ ص ٤٧٤ ، إرشاد القلوب للديلمي ص ٢١٠ ، إلا أنه نسب هذه المقالة إلىٰ بعض الفضلاء .

(١) نعم هكذا كلُ مَنْ اراد ان يقاتل أمير المؤمنين أو يشتمه أو يخرج عن طاعته ، تذرع بقميص عثمان ، فراحوا بهذا القميص يؤجج ون عليه نار الفتن والمحن ومن ذلك حرب الجمل وصفين وغيرهما .

قال مروان بن الحكم : ماكان أحدٌ أدفع عن عثمان من علي ـ عليه السلام ـ ، فقيل له : ما لكم تسبّونه علىٰ المنابر ؟ قال : إنَّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك .

راجع الصواعق المحرقة ص ٥٥ ، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ١٢٧ ح ١١٤٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٢٠ .

نعم لا يستقيم لهم الأمر الا بقتاله وشتمه ؟! فلله قلبُ مَنْ يُرزء بهذه المصائب ، فانا لله وانا إليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ، والعاقبة للمتقين .

(٢) الامامة والسياسة لابن قتيبه ج ١ ص ٩٧ .

المناظرة الثامنة عشرة

مناظرة حرة[1] بنت حليمة السعدية مع الحجاج بن يوسف الثقفي

لمّا وردت حرَّة بنت حليمة السعدية على الحجّاج بن يوسف الثقفي، فمثلت بين يديه.

قال لها: أنت حرَّة بنت حليمة السعدية؟

قالت له: فراسة من غير مؤمن!

فقال لها: الله جاء بك فقد قيل عنك: إنّك تفضّلين عليّاً على أبي بكر وعمر وعثمان.

فقالت: لقد كذب الّذي قال: إنّي أفضّله على هؤلاء خاصّة.

قال: وعلى من غير هؤلاء؟

قالت: أفضّله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وداود وسليمان وعيسى بن مريم ـ عليهم السلام ـ

فقال لها: ويلك إنّك تفضّلينه على الصحابة وتزيدين عليهم سبعةً من الأنبياء من أولي العزم من الرسل؟ إن لم تأتيني ببيان ما قلت، ضربت عنقك.

فقالت: ما أنا مفضّلته على هؤلاء الأنبياء، ولكنَّ الله عزَّوجلَّ فضّله عليهم في القرآن بقوله عزَّوجلَّ في حقٍّ آدم: ﴿ **وعَصى آدم ربّه**

---

(١) إحدى المؤمنات المواليات لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، وإحدى المجاهدات باللسان التي قالت كلمة الحق أمام السلطان راجع: أعلام النساء المؤمنات تأليف محمد الحسون ص ٢٩٥ تحت رقم: ١٩٣.

فَغوى ﴾[١]، وقال في حق عليّ: ﴿ **وكان سعيكم مَشكُوراً** ﴾[٢].

فقال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّلينه على نوح ولوط؟

فقالت: الله عزَّوجلَّ فضّله عليهما بقوله: ﴿ **ضَرب الله مَثلاً للّذين كَفروا إمرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ كانَتا تَحت عَبْدين من عِبادِنا صالِحين فَخانتاهُما فَلم يُغنيا عَنهما مِن الله شيئاً وقيل ادخُلا النار مع الداخلين** ﴾[٣] وعليُّ بن أبي طالب كان ملاكه تحت سدرة المنتهى[٤]، زوجته بنت محمّد فاطمة الزَّهراء الّتي يرضى الله تعالى لرضاها ويسخط لسخطها[٥].

فقال الحجّاج: أحسنت يا حرَّة فبمَ تفضّلينه على أبي الأنبياء إبراهيم

---

(١) سورة طه: الآية ١٢١.

(٢) سورة الانسان: الآية ٢٢ يأتي الحديث عن هذه السورة وأنها نزلت في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فراجع ما اثبتناه من مصادر العامة هناك.

(٣) سورة التحريم: الآية ١٠.

(٤) ومما يروى في تزويج علي ـ عليه السلام ـ بفاطمة ـ عليها السلام ـ ما روي عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: أيها الناس هذا عليّ بن أبي طالب أنتم تزعمون أنّي انا زوَّجته ابنتي فاطمة ولقد خطبها إليَّ أشراف قريش فلم أجب، كلّ ذلك أتوقّع الخبر من السماء حتّى جاءني جبرائيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمّد، العليُّ الأعلى يقرأ عليك السّلام، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في وادٍ يقُال له: الأفيج تحت شجرة طوبى وزوج فاطمة عليّاً وأمرني، فكنت الخاطب والله تعالى الوليّ .. الحديث. راجع: كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٩٩، الغدير ج ٢ ص ٣١٥.

(٥) اشارة الى قول رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حق فاطمة ـ عليها السلام ـ: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». راجع: المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٥٤، الاصابة ج ٤ ص ٣٧٨، كنز العمال ج ١٢ ص ١١١ ح ٣٤٢٣٧ و ح ٣٤٢٣٨، جواهر البحار للبناني ج ١ ص ٣٦٠، فرائد السمطين ج ٢ ص ٤٦ ح ٣٧٨، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٣٥١ ح ٤٠١، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢١، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤١، ذخائر العقبى ص ٣٩، مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٥٢، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣، الصواعق المحرقة ص ١٩٠ ح ٥، فضائل الخمسة ج ٣ ص ١٨٤، الغدير ج ٣ ص ٢٠ و ص ١٨٠.

خليل الله ؟

فقالت: الله عزَّوجلَّ فضّله بقوله: ﴿ **وإذْ قال إبراهيم ربِّ أرني كَيفَ تَحي الموتى قال أوَ لَمْ تُؤمن قال بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي** ﴾[١] ومولاي أمير المؤمنين قال قولاً لا يختلف فيه أحد من المسلمين: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[٢]، وهذه كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده.

فقال: أحسنت يا حرَّة فبمَ تفضّلينه على موسى كليم الله ؟

قالت: يقول الله عزَّوجلَّ: ﴿ **فَخَرجَ مِنها خائفاً يترقّب** ﴾[٣] وعليُّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ بات على فراش رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يَخَفْ حتّى أنزل الله تعالى في حقّه: ﴿ **وَمِنَ النّاسِ مَنْ يشَري نفسهُ ابتغاء مَرضات الله** ﴾[٤].

قال الحجّاج: أحسنت يا حرَّة فبمَ تفضّلينه على داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ ؟

قالت: الله تعالى فضّله عليهما بقوله عزَّوجلَّ: ﴿ **يا داود إنّا جَعلناك خَليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقِّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله** ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٣٧٥ ح ٣٩٥، ينابيع المودة ص ٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٥٣، احقاق الحق ج ٥ ص ٤٨ وج ٧ ص ٦٠٥ـ٦٠٧ وج ١٧ ص ٤٦١. ولله در البوصيري اذ يقول في هذا المعنى في همزيته العصماء:

ووزير ابن عمه في المعالي ... ومن الأهل تسعد الوزراء

لم يزده كشف الغطاء يقيناً ... بل هو الشمس ما عليه غطاء

(٣) سورة القصص: الآية ١٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠٧. تقدم الحديث عن هذه الآية وانها نزلت في امير المؤمنين، فراجع ما اثبتناه من مصادر العامة.

(٥) سورة ص: الآية ٢٦.

قال لها : في أيٍّ شيء كانت حكومته ؟

قالت : في رجلين رجل كان له كَرم والآخر له غنم ، فنفشت الغنم بالكَرم فرعته فاحتكما إلى داود ـ عليه السلام ـ فقال : تُباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتّى يعود إلى ما كان عليه ، فقال له ولده : لا يا أبة بل يؤخذ من لبنها وصوفها ، قال الله تعالى : ﴿ **ففهّمناها سليمان** ﴾(١) .

وإنَّ مولانا أمير المؤمنين عليّاً ـ عليه السلام ـ قال : سلوني عمّا فوق العرش ، سلوني عمّا تحت العرش(٢) ، سلوني قبل أن تفقدوني(٣) ، وإنّه ـ عليه السلام ـ دخل على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يوم فتح خيبر فقال النبيُّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ للحاضرين : أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم عليٌّ(٤) .

فقال لها : أحسنت فبمَ تفضّلينه على سليمان ؟

فقالت : الله تعالى فضّله عليه بقوله تعالى : ﴿ **ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾(٥) ومولانا أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ

---

(١) سورة الانبياء : الآية ٧٩.

(٢) كنز العمال ج ١٣ ص ١٦٥ ح ٣٦٥٠٢ ، ارشاد القلوب للديلمي ص ٣٧٧ ، بحار الانوار ج ١٠ ص ١٢٦ ح ٦ ، مشارق انوار اليقين ص ١٧٨.

(٣) نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٢٨٠ خطبة ١٨٩ وص ١٣٧ خطبة ٩٣ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٨ كنز العمال ج ١٣ ص ١٦٥ ح ٣٦٥٠٢ ، حلية الاولياء ج ١ ص ٦٥ ، ينابيع المودة ب ١٤ في غزارة علمه (ع) ص ٦٦ ، التوحيد للصدوق ص ٩٢ ح ٦ وص ٣٠٤ ح ١ ، امالي الشيخ الصدوق ص ١ ج ٢٨٠ ، الطرائف للسيد بن طاووس ص ٧٣ ح ٩٠ ، بحار الانوار ج ١٠ ص ١٢٨ ح ٧ وج ٤٠ ص ١٥٣ وج ٤١ ص ٣٤٨ ح ٦١ ، الغدير للاميني ج ٦ ص ١٩٣.

(٤) الفضائل لابن شاذان ص ١٣٨ ، بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٣٦ ح ٢٥ ، عوالم العلوم ج ١٨ ص ١٨٩ ح ١ ، احقاق الحق ج ٥ ص ٤٨.

(٥) سورة ص : الآية ٣٥.

قال: طلّقتك يا دنيا ثلاثاً لا حاجة لي فيك[١]، فعند ذلك أنزل الله تعالى فيه: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون عُلوّاً في الأرض ولا فساداً** ﴾[٢].

فقال: أحسنت يا حرَّة فبم تفضّلينه على عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ؟

قالت: الله تعالى عزّوجلّ فضّله بقوله تعالى: ﴿ **إذْ قالَ الله يا عيسى ابن مريم أأنت قُلت للنّاسِ اتّخذوني وأُمّي إلهين مِنْ دُون الله قال سُبحانك ما يَكون لي أنْ أقول ما لَيسَ لي بِحق إن كُنت قلته فقَد عَلمته تَعلم ما في نَفسي ولا أعلمُ ما في نفسك إنّك أنتَ علّام الغيوب، ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به** ﴾[٣] الآية. فأخّر الحكومة إلى يوم القيامة، وعليٌّ ابن أبي طالب لما ادَّعوا النصيرية[٤] فيه ما ادَّعوه، قتلهم[٥] ولم يؤخّر حكومتهم، فهذه كانت فضائله لم تُعدّ بفضائل غيره.

قال: أحسنت يا حرَّة خرجت من جوابك، ولو لا ذلك لكان ذلك، ثمَّ أجازها وأعطاها وسرَّحها سراحاً حسناً رحمة الله عليها[٦].

---

(١) راجع: نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٤٨٠ الخطبة ٧٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨ ص ٢٢٤، بحار الانوار ج ٤٠ ص ٣٤٥ ح٢٨، حلية الابرار ج ٢ ص ٢١٢ ح ٥، خصائص الائمة (عليهم السلام) للشريف الرضي ص ٧٠.

(٢) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٦ ـ ١١٧.

(٤) النصيرية: طائفة من الغلاة السبأية وملخص مقالتهم في الائمة من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ: أنهم روح اللاهوت، وقد نقل ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ١٤٢ والشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ج ٢ ص ٢٢ وغيرهما تفصيل مقالاتهم، وقال الشهرستاني عنهم: غلبوا في وقتنا هذا على جند الاردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة ولقد افترى الشهرستاني وابن حزم في عدّ هذه الطائفة من فرق الشيعة.

(٥) انظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٨ ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٦) الفضائل لابن شاذان ص ١٣٧، بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٣٤ ج ٢٥، رياحين الشريعة ج ٤ ص ١٤٤.

المناظرة التاسعة عشرة

مناظرة الحسن البصري[1] مع الحجاج

قال عامر الشعبي : قَدِمنا على الحجاج البصرة ، وقَدِم عليه قرّاء أهل المدينة ، فدخلنا عليه في يوم صائف شديد الحر ، فقال للحسن : مرحباً بأبي سعيد ، إليّ ـ وذكر كلاماً ـ ثم ذكر الحجّاج عليّاً ـ عليه السلام ـ فنال منه ، وقلنا قولاً مقارباً له فرقاً من شره ، والحسن ساكت عاض على إبهامه ، فقال : يا أبا سعيد مالي أراك ساكتاً ؟

فقال : ما عسيت أن أقول .

قال : أخبرني برأيك في أبي تراب ؟

قال : أفي علي ؟ سمعت الله يقول : **﴿ وما جَعلنا القِبلَة الّتي كُنتَ عليها إلّا لنعلم مَنْ يتبع الرّسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الّذين هدى الله ﴾**[2] فعليّ ممن هدى الله ، ومن أهل الإيمان .

وأقول : إنه ابن عم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وخِتنه على ابنته ،

---

(١) هو : الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد ، ولد قبل مقتل عمر بعامين في المدينة ، كانت امه مولاة لأم سلمة زوج رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عاصر كبار الصحابة وروى عن عدد منهم ، وكان من الرؤوس في التابعين ، مات سنة ١١٠ هـ.

راجع ترجمته في : التاريخ الكبير للبخاري ج ٢ ص ٢٨٩ ، حلية الاولياء ج ٢ ص ١٣١ ، طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٥٦ ، سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣ ، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٩٥.

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣.

وأحب الناس إليه(١) ، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله ، لا تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحصرها عنه ، ولا يحول بينها وبينه.

ونقول: إنه إن كانت لعلي ذنوب فالله حسيبه والله ما أجد قولاً أعَدَل فيه من هذا القول.

قال الشعبي : فبسر الحجاج وجهه ، وقام عن السرير مغضباً ، وخرجنا(٢) .

---

(١) جاء في كنز العمال ج ١١ ص ٣٣٤ ح ٣١٦٧٠ ، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢١١ ، والمناقب لابن المغازلي ص ٢١٩ ، عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : علي أحب خلق الله إلى الله ورسوله .

(٢) انساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٤٧ ح ١٤٨.

المناظرة العشرون

مناظرة أبان بن عياش[1] مع الحسن البصري

روىٰ أبَان بن عياش ، قال : سألتُ الحسن البصريّ عن عليّ ـ عليه السلام ـ .

فقال : ما أقولُ فيه ! كانتْ له السابقة ، والفضْل والعلم والحكمة والفقه والرأْي والصُّحبة والنَّجْدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة ، إن علياً كان في أمرِه عليّاً ، رحم الله عليّاً ، وصلىٰ عليه !

فقلت : يا أبا سعيد ، أتقول : « صلّىٰ عليه » لغير النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم !

فقال : ترحَّمْ علىٰ المسلمين إذا ذُكروا ، وصلِّ علىٰ النبيّ وآله وعلىٰ خير آله .

---

(١) هو : ابان بن ابى عيّاش ، واسمه فيروز ، وقيل دينار ، مولى عبد القيس العبدي ابو اسماعيل البصري ، روى عن علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ وروى عن ابراهيم بن يزيد النخعي وانس بن مالك والحسن البصري وسعيد بن جبير ، وهو الذي آوى سليم بن قيس الهلالي وهو من أصحاب امير المؤمنين ـ عليهم السلام ـ وكان هارباً من الحجاج لانه طلبه لقتله فآواه ، فلما حضرته الوفاة ، قال لأبان : ان لك علي حقاً وقد حضرتني الوفاة يابن اخي انه كان من امر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كيت وكيت واعطاه كتاباً ، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي رواه عنه ابان بن عياش ، وعد من اصحاب السجاد والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ توفي في اول رجب سنة ١٣٨ هـ وقيل انه بقي حياً الى بعد سنة ١٤٠ هـ .

تجد ترجمته في : تهذيب الكمال ج ٢ ص ١٩ و ص ٢٣ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٩ ، الفهرست للطبرسي ص ٨١ ، تنقيح المقال ج ١ ص ٣ .

فقلت : أهو خيرٌ مِنْ حمزة وجعفر ؟

قال : نعم .

قلت : وخيرٌ من فاطمة وابنيها ؟

قال : نعم ، والله إنه خيرُ آل محمد كلِّهم ، ومَنْ يَشُك أنّه خير منهم ، وقد قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : « وأبوهما خير منهما »[1] ! ولم يجر عليه اسمُ شِرْك ، ولا شرب خمر ، وقد قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لفاطمة ـ عليها السلام ـ : « زوّجتكُ خير أمتي »[2] ، فلو كان في أمته خيرٌ منه لاستثناه ، ولقد آخىٰ رسولُ الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بين أصحابه ، فآخىٰ بين عليّ ونفسه ، فرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ خيرُ الناس نفساً ، وخيرُهم أخاً .

فقلت : يا أبا سعيد ، فما هذا الذي يقال عنك إنّك قلته في عليّ ؟

فقال : يا بن أخي ، أحقِنُ دمي من هؤلاء الجبابرة ، ولو لا ذلك لسالَتْ بي الخُشُب[3] .

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج١٩ ص٢٩٢ ح ٦٥٠ ، مجمع الزوائد ج٩ ص١٨٣ ، المستدرك للحاكم ج٣ ص١٦٧ ، ذخائر العقبى ص١٢٩ ، تاريخ بغداد ج١ ص ١٤٠ وللحديث مصادر اخرى .

(٢) مناقب الخوارزمي ص١٠٦ ح ١١١ ، تاريخ ابن عساكر ج١ ص٢٦٣ ح٣٠٥ و ٣٠٦ ، مسند أحمد ج٥ ص٢٦ ، فضائل الصحابة ج ٢ ص٧٦٤ ح١٣٤٦ ، وللحديث مصادر كثيرة جداً .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٤ ص٩٦ .

المناظرة الحادية والعشرون

مناظرة رجل من بني هاشم مع عمر بن عبد العزيز الأموي(١)

بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه، دخل حاجبُه ومعه امرأة أدْماء(٢) طويلة حَسَنَة الجسم والقامة، ورجُلان متعلِّقان بها، ومعهم كتابٌ من مَيْمونَ بن مِهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلام عليك ورحمةُ الله وبركاته، أمّا بعد، فإنه وَردَ علينا أمر ضاقت به الصدور، وعجزتْ عنه الأوْساع(٣)، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **ولو ردّوه إلى الرّسول وإلَى أولي الأمْرِ منهمْ لِعَلِمَه الّذين يَستنبطُونه منهم** ﴾(٤) وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإنّ أباها يا أمير المؤمنين زَعَم أنّ زوجَها حَلَف بطلاقها أنّ علي بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ خير

---

(١) هو: أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وُلِّي بعهد من سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشرة خلون من صفر سنة ٩٩ هـ، وبقي والياً إلى أن مات يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة ١٠١ هـ.

انظر: تهذيب الكمال ج ٢١ ص ٤٣٢، سير أعلام النبلاء: ج ٥ ص ١١٤.

(٢) أدْماء: جمع أدْم، وهو الأسمر.

(٣) الأوساع: جمع وسع، وهو الطاقة.

(٤) سورة النساء الآية: ٨٣.

هذه[١] الأمة وأولاها برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وإنه يزعم أن ابنته طلقت منه ، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهراً ، وهو يعلم أنها حرام عليه كأمه، وإن الزوج يقول له : كذبت وأثمت ، لقد برَّ قسمي ، وصدقت مقالتي ، وإنها امرأتي على رغم أنفك ، وغيظ قلبك ، فاجتمعوا إليَّ يختصمون في ذلك .

فسألت الرجل عن يمينه ، فقال : نعم ، قد كان ذلك ، وقد حلفت بطلاقها أن علياً خير هذه الأمة وأولاها برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ ، عرَفه من عَرفه ، وأنكَرَه من أنكَرَه ، فليغْضَب من غَضِب ، وليرْضَ من رَضي ، وتَسامعَ الناسُ بذلك ، فاجتمعوا له ، وإن كانت الألسن مجتمعةً فالقلوب شتى ، وقد علمتَ يا أمير المؤمنين اختلافَ الناس في أهوائهم ، وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة ، فأحجَمْنا عن الحُكم لِتحكُم بما أراك الله وإنهما تَعلقا بها ، وأقَسم أبوها ألا يَدَعَها معه ، وأقَسم زَوْجُها ألا يفارقَها ولو ضُرِبتْ عُنقُه إلّا أن يحكُم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مُخالَفته والامتناعَ منه ، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين، أحسنَ الله توفيقَك

---

(١) كما نص على ذلك النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ بقوله : (عليّ خير من أتركه بعدي) .
راجع مواقف الأيجي ج ٣ ص٢٧٦ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص١١٣ ، الغدير للاميني ج ٣ ص٢٢ ، وأيضاً روى عنه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال : (علي خير البشر فمن أبى فقد كفر).
راجع :كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٤٥ ط الحيدرية و ص ١١٩ ط الغري ، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٤٤٤ ح ٩٥٥ ـ ٩٥٨ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٤٦ ط اسلامبول وص ٢٩٣ ط الحيدرية وج ٢ ص ٧١ ط العرفان صيدا ، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥ ، ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٢٧١ ، كنوز الحقائق ص٩٨ ط بولاق ، احقاق الحق للتستري ج ٤ ص ٢٥٤ ، تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ١٥٤ وج ٧ ص ٤٢١ ، فرائد السمطين ج ١ ص ١٥٤ ح ١١٦٠ ، الغدير للاميني ج ٣ ص ٢٢ .

وأرْشَدَك !

وكَتَب في أسفلِ الكتاب :

إذا ماالمُشكِلاتُ ورَدْن يَوماً فحارَتْ في تأمُلِها العُيونُ
وضاقَ القومُ ذَرْعاً عن نباهَا فأنتَ لها أبا حفصٍ أمينُ
لأنك قد حَوَيْتَ العِلمَ طُرّاً وأحكَمَكَ التجارِبُ والشُئونُ
وخَلّفكَ الإله على الرّعايا فَحظّك فيهمُ الحَظّ الثّمينُ

قال: فجمعَ عمرُ بنُ عبد العزيز بني هاشم وبني أميّة وأفخاذ قُريش، ثم قال لأبي المرأة: ما تقول أيّها الشيخ؟

قال: يا أمير المؤمنين، هذا الرجلُ زوّجْتهُ ابنتي، وجهّزْتُها إليه بأحَسن ما يُجَهَّز به مِثْلُها، حتى إذا أمّلت خيرَه، ورجوتُ صلاحَه، حَلف بطلاقها كاذباً، ثم أرادَ الإقامةَ معها.

فقال له عمر: يا شيخ، لعلّه لم يُطلِّق امرأتَه، فكيفَ حَلَف ؟

قال الشيخ: سبحانَ الله! الذي حَلفَ عليه لأبْيَنُ حِنثاً وأوضَح كذباً من أن يَختَلِج في صدري منه شَك، مع سِنِّي وعِلْمي، لأنّه زعم أنّ عليّاً خيرُ هذه الأمَة وإلّا فامرأتُه طالق ثلاثاً.

فقال للزوج: ما تقول؟ أهكذا حَلَفْتَ ؟

قال: نعم.

فقيل: إنّه لمّا قال: نَعَم، كادَ المجلسُ يَرْتج بأهلِه، وبنو أميّةَ يَنْظُرُون إليه شَزْراً، إلاّ أنّهم لم ينطقوا بشيء، كُلٌ ينظرُ إلى وجهِ عمر.

فأكبَّ عمر مَلِيّاً يَنْكُتُ الأرضَ بيَدِه والقومُ صامِتون ينظُرُون ما يَقُولُه، ثمّ رفع رأسَه وقال :

إذا وَلِي الحكومةَ بينَ قومٍ أصابَ الَحقَّ والتمسَ السَّدَادَا

ومـا خـيرُ الإمـامِ إذا تَـعَدى خلافَ الحقِّ وَاجْتَنَبَ الرَّشادا

ثم قال للقوم : ما تقولونَ في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا.

فقال: سبحان الله ! قولوا.

فقال رجل من بني أميّة: هذا حكم في فرج ، ولسنا نجترىء على القول فيه ، وأنتَ عالم بالقول ، مؤتمن لهم وعليهم ، قل ما عندك ، فإن القول ما لم يكن يحق باطلا ويبطل حقاً جائز عليَّ في مجلسي .

قال : لا أقولُ شيئاً ، فالتفتَ إلى رجلٍ من بني هاشم من وَلد عقيل بن أبي طالب ، فقال له : ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟

فاغتنمها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن جعلتَ قولي حكماً ، أو حُكمي جائزاً قلتُ ،وإن لم يكن ذلك فالسّكوت أوسَع لي ،وأبقى للمودّة .

قال : قل وقولك حُكم ، وحكمك ماض .

فلمَّا سمع ذلك بنو أميّة قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ، ونحن من لحمتك وأُولي رحمك !

فقال عمر : اسكتوا أعجزا ولؤماً! عرضتُ ذلك عليكم آنفاً فما انتدبتم له .

قالوا: لأنّك لم تُعطنا ما أعطيت العقيلي ، ولا حكّمتنا كما حكّمته .

فقال عمر : إن كان أصاب وأخطأتم ، وحَزم وعجزتم ، وأبصر وعميتم ، فما ذنب عمر ، لا أبا لكم ! أتدرون ما مثلكم ؟

قالوا : لا ندري .

قال : ليكن العقيلي يدري ، ثم قال : ما تقول يارجل ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين، كما قال الأوّل :

دُعـيتم إلى أمـرٍ فـلما عَـجَزْتمُ تَـناوَله مـن لا يُـداخِـلهُ عَـجْزُ

فلمّا رأيـتم ذاكَ أبـدتْ نـفُوسُكُمْ ... نداماً وهل يُغني من الحذر الحرزُ

فقال عمر : أحسنت وأصبت ، فقل ما سألتك عنه .

قال : يا أمير المؤمنين ، برَّ قَسَمهُ ، ولم تَطلُق امرأتُه .

قال : وأنّى علمت ذاك ؟

قال : نشدتُكَ الله يا أمير المؤمنين ، ألم تعلم أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال لفاطمة ـ عليها السلام ـ وهو عندها في بيتها عائد لها : يا بنية ، ما علتك ؟

قالت : الوعك يا أبتاه ـ وكان علي ـ عليه السلام ـ غائباً في بعض حوائج النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ .

فقال لها : أتشتهين شيئاً ؟

قالت : نعم أشتهي عنباً ، وأنا أعلم أنه عزيز ، وليس وقت عنب .

فقال ـ صلّى الله عليه وآله ـ : إن الله قادر على أن يجيئنا به ، ثم قال : اللهم ائتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلةً .

فطرق علي الباب ، ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه .

فقال له النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ : ما هذا يا عليّ ؟

قال : عنب التمسته لفاطمة ـ عليها السلام ـ

فقال : الله أكبر الله أكبر ، اللهم كما سررتني بأن خصصت علياً بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي ، ثم قال : كلي على اسم الله يا بنية .

فأكلت ، وما خرج رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ حتى استقلت وبرأت .

فقال عمر : صدقت وبررت ، أشهدُ لقد سمعته ووعيته ، يا رجل ، خذ بيد امرأتك فإن عرض بك أبوها فاهشم أنفه . ثم قال : يا بني عبد

مناف، والله ما نجهل ما يعلم غيرنا، ولا بنا عميٌ في ديننا، ولكنّا كما قال الأوّل:

تَــصيدت الدنــيا رجــالاً بفخها فلم يدرِكوا خيراً بل استقبحوا الشرّا
وأعماهم حب الغنى وأصمهم فلم يـدركوا إلاّ الخسـارة والوزرا

قيل: فكأنّما ألقم بني أمية حجرا، ومضى الرجل بامرأته.

وكتب عمر إلى ميمون بن مِهرانَ:

عليك سلامٌ، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد، فإني قد فهمت كتابك، ووَرد الرجلان والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج، وأبرّ قسمه، وأثبته على نكاحه، فاستيقن ذلك، واعمل عليه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ٢٢٢.

المناظرة الثانية والعشرون

مناظرة هشام بن الحكم[1] مع بعض المتكلمين في مجلس الرشيد

قال هارون الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي: إنّي أُحبّ أن أسمع كلام المتكلّمين من حيث لا يعلمون بمكاني فيحتجّون عن بعض ما يريدون، فأمر جعفر المتكلّمين فأُحضروا داره، وصار هارون في مجلس

---

(١) هو: هشام بن الحكم أبو محمد، مولى كندة، وكان ينزل ببني شيبان بالكوفة وكان مولده بالكوفة، ومنشؤه واسط، وتجارته ببغداد ثم انتقل اليها في آخر عمره سنة تسع وتسعين ومائة، وقيل هذه السنة هي سنة وفاته، عين الطائفة ووجهها ومتكلمها وناصرها، من ارباب الاصول، وله نوادر وحكايات ولطائف ومناظرات، ممن اتفق علماؤنا على وثاقته، ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمتنا المعصومين ـ عليهم السلام ـ وممن دعا له الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ فقال: اقول لك ما قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لحسان: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، وبلغ من مرتبته وعلوه عند ابي عبد الله جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ انّه دخل عليه بمنى وهو غلام اوّل ما اختّط عارضاه وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن اعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وابي جعفر الأحول وغيره فرفعه على جماعتهم وليس فيهم الاّ من هو اكبر منه سنّا فلما رأى ابو عبد الله ـ عليه السلام ـ ان ذلك الفعل كبر على اصحابه قال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، وكان هشام ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب، وكان ثقة بالروايات حسن التحقيق بهذا الأمر، وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها، عدّ في أصحاب الصادق والكاظم ـ عليهما السلام ـ، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدّة يسيرة متستراً وقيل في خلافة المأمون، وكان لاستتاره قصة مشهورة في المناظرات.

راجع: رجال النجاشي ص ٤٣٣ رقم: ١١٦٤، سفينة البحار ج ٢ ص ٧١٩، رجال العلامة ص ١٨٧، رجال الطوسي ص ٣٢٩، رقم: ١٨ وص ٣٦٢، رقم: ١، سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٤٣ رقم: ١٧٤، تنقيح المقال للمامقاني ج ٣ ص ٢٩٤.

يسمع كلامهم ، وأرخى بينه وبين المتكلّمين ستراً ، فاجتمع المتكلّمون وغصّ المجلس بأهله ينتظرون هشام بن الحكم ، فدخل عليهم هشام وعليه قميص إلى الركبة وسراويل إلى نصف السّاق ، فسلّم على الجميع ولم يخصّ جعفراً بشيء .

فقال له رجلٌ من القوم : لِمَ فضّلت عليّاً على أبي بكر ، والله يقول : ﴿ ثاني اثنين إذ هُما في الغار إذ يقولُ لصاحبه لا تحزن إن الله مَعنا ﴾[١] .

فقال هشام : فأخبرني عن حزنه في ذلك الوقت أكان لله رضا أم غير رضا ؟ فسكت!

فقال هشام : إن زعمت أنّه كان لله رضا فلم نهاه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال : « لا تحزن » ؟ أنهاه عن طاعة الله ورضاه؟ وإن زعمت أنه كان لله غير رضا فلم تفتخر بشيء كان لله غير رضا ؟ وقد علمت ما قال الله تبارك وتعالى حين قال : ﴿ فأنزل الله سَكينته على رَسوله وعَلى المؤمنين ﴾[٢] .

ولكنّكم قلتم وقلنا وقالت العامّة : الجنة اشتاقت إلى أربعة نفر : إلى عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وأبي ذرّ الغفاريّ[٣] . فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة ، وتخلّف عنها صاحبكم ، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة .

وقلتم وقلنا وقالت العامّة : إنّ الذابّين عن الإسلام أربعة نفر : عليّ بن

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٦ .

(٣) راجع : حلية الاولياء ج ١ ص ١٤٢ ، المعجم الكبير للطبراني ج ٦ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، ح ٦٠٤٥ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٧ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٠٧ وص ٣٣٠ ، الخصال للشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٠٣ ح ٨٠، بحار الانوار ج ٢٢ ص ٣٢٤ ح ٢٢، ذكر أخبار اصفهان ج ٢ ص ٣٢٨.

أبي طالب ـ عليه السلام ـ، والزبير بن العوّام، وأبو دجانة الأنصاري، وسلمان الفارسيّ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: إنّ القرّاء أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، وعبدالله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: إنّ المطهّرين من السماء أربعة نفر: علي ابن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، فـفضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: إنّ الأبرار أربعة: عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامّة: إنّ الشهداء أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وجعفر وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

قال: فحرّك هارون الستر وأمر جعفر الناس بالخروج، فخرجوا مرعوبين، وخرج هارون إلى المجلس.

فقال: من هذا فوالله لقد هممت بقتله وإحراقه بالنار(١).

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص ٩٦، بحار الانوار ج ١٠ ص ٢٩٧.

المناظرة الثالثة والعشرون

مناظرة هشام بن الحكم مع يحيى بن خالد البرمكي[1]

سأل يحيى بن خالد البرمكي بحضرة الرشيد هشام بن الحكم فقال له : أخبرني يا هشام عن الحق هل يكون في جهتين مختلفتين ؟

قال هشام : لا .

قال يحيى : فأخبرني عن نفسين اختصما في حكم الدين، وتنازعا واختلفا ، هل يخلو من أن يكونا محقين أو مبطلين أو يكون أحدهما مبطلاً والآخر محقاً ؟؟

قال هشام : لا يخلوان من ذلك ، وليس يجوز أن يكونا محقين على ما قدمت من الجواب .

قال يحيى : فخبرني عن علي والعباس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث ، أيهما كان المحق من المبطل ؟ إذا كنت لا تقول إنهما كانا محقين ولا مبطلين .

---

(١) يحيى بن خالد بن برمك : ولد سنة ١٢٠ ، وكان عمره حين تأسيس الدولة العباسية ١٣ سنة ، ولاه المنصور ولاية اذربيجان سنة ١٥٨ ، وقد اختاره المهدي العباسي وزيراً وكاتباً ومربياً لابنه هارون الرشيد ، فكان الرشيد يناديه بالابوة ، ولما ولي الهادي (أخو هارون الرشيد) الخلافة اراد ان يحد من سلطانه حتى حبسه ونوى قتله فمات قبل ان يقتله ، وولاه هارون الرشيد الوزارة فأصبح وزيره وصاحب سره واعطاه خاتمه ، له من الاولاد أربعة وهم : الفضل ، وجعفر ، ومحمد ، وموسىٰ ، حبسه هارون الرشيد في نكبتهم المعروفة ، وذلك بعد ان قتل ابنه جعفراً ، وصادر املاكهم واموالهم كلها وتوفي سنة ١٩٠ هـ .

تجد ترجمته في : تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٨٧ ، تاريخ الامم والملوك محمد الخضري بك ص ١١٩ ، المنجد قسم الاعلام (آل برمك) ص ١٢٠ .

قال هشام: قال فنظرت فإذا أنني قلت: بأن علياً ـ عليه السلام ـ كان مبطلاً كفرت وخرجت عن مذهبي، وإن قلت: أن العباس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي، ووردت عليَّ مسألة لم أكن سُئلت عنها قبل ذلك، ولا أعددت لها جواباً، فذكرت قول أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ وهو يقول لي: (يا هشام لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك)[١]. فعلمت أني لا أخذل، وعنّ لي الجواب.

فقلت له: لم يكن من أحدهما خطأ، وكانا جميعاً محقين، ولهذا نظيرٌ قد نطق به القرآن في قصة داود ـ عليه السلام ـ حيث يقول الله جل اسمه: ﴿وهَل أتاكَ نبؤاُ الخصم إذ تَسوروا المِحراب﴾ الى قوله: ﴿خَصمان بغى بعضُنا على بَعض﴾[٢]. فأي الملكين كان مخطأً وأيهما كان مصيباً؟ أم تقول إنهما كانا مخطئين، فجوابك في ذلك جوابي بعينه.

قال يحيى: لست أقول: إن الملكين أخطآ، بل أقول: إنهما أصابا وذلك أنهما لم يختصما في الحقيقة، ولا اختلفا في الحكم، وإنما أظهرا ذلك، لينبها داود ـ عليه السلام ـ على الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه.

قال هشام: كذلك عليّ والعباس لم يختلفا في الحكم ولا اختصما في الحقيقة، وإنما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبها أبا بكر على غلطه ويوقفاه على خطيئته، ويدلاّه على ظلمه لهما في الميراث، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنما ذلك منهما على ما كان من الملكين.

فلم يحر يحيى جواباً، واستحسن ذلك الرشيد[٣].

---

(١) راجع: تنقيح المقال للمامقاني ج ٣ ص ٢٩٤.

(٢) سورة ص الآية ٢١ و ٢٢.

(٣) الفصول المختارة ج ١ ص ٢٦، عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٦٦، العقد الفريد ج ٢

المناظرة الرابعة والعشرون

مناظرة هشام بن الحكم مع بيان وضرار في مجلس يحيى بن خالد

كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلّمون من كلّ فرقة وملّة، يوم الأحد، فيتناظرون في أديانهم، ويحتجُّ بعضهم على بعض.

فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى بن خالد : يا عباسيُّ ما هذا المجلس الّذي بلغني في منزلك يحضره المتكلّمون ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ما شيء ممّا رفعني به أمير المؤمنين وبلغ من الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس ، فإنّه يحضره كلّ قوم مع اختلاف مذاهبهم ، فيحتجُّ بعضهم على بعض ، ويعرف المحقُّ منهم ، ويتبيّن لنا فساد كلِّ مذهب من مذاهبهم .

قال له الرشيد : فأنا أُحبُّ أن أحضر هذا المجلس ، وأسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضوري ، فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم .

قال : ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء .

قال : فضع يدك على رأسي ولا تعلمهم بحضوري ، ففعل ، وبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا فيما بينهم ، وعزموا أن لا يكلّموا هشاماً إلاّ في الإمامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة .

قال : فحضروا وحضر هشام ، وحضر عبدالله بن يزيد الأباضي

← ص ٢٥١ ، بحار الانوار ج ١٠ ص ٢٩٣، ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ بتفاوت .

ـوكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم، وكان يشاركه في التجارة ـفلمّا دخل هشام سلّم على عبدالله بن يزيد من بينهم.

فقال يحيى بن خالد لعبدالله بن يزيد: يا عبدالله كلّم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة.

فقال هشام: أيّها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألة، هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل ثمَّ فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحقَّ، ولا حين فارقونا علموا على ما فارقونا؟ فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان وكان من الحرورية: أنا أسألك يا هشام، أخبرني عن أصحاب عليّ يوم حكّموا الحكمين أكانوا مؤمنين أم كافرين؟

قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف، صنف مؤمنون، وصنف مشركون، وصنف ضُلّال.

فأمّا المؤمنون: فمن قال مثل قولي، الّذين قالوا: إنَّ عليّاً إمام من عند الله ومعاوية لا يصلح لها، فآمنوا بما قال الله عزَّوجلَّ في عليٍّ وأقرُّوا به.

وأمّا المشركون: فقوم قالوا: عليٌّ إمام، ومعاوية يصلح لها، فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع عليّ.

وأمّا الضلّال: فقوم خرجوا على الحميّة والعصبيّة للقبائل والعشائر، لم يعرفوا شيئاً من هذا، وهم جهّال.

قال: وأصحاب معاوية ما كانوا؟

قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف كافرون، وصنف مشركون، وصنف ضلّال.

فأمّا الكافرون: فالّذين قالوا: إنَّ معاوية إمام، وعليٌّ لا يصلح لها،

فكفروا من جهتين أن جحدوا إماماً من الله ، ونصّبوا إماماً ليس من الله .

وأمّا المشركون فقوم قالوا : معاوية إمام ، وعليٌّ يصلح لها ، فأشركوا معاوية مع عليٍّ ـ عليه السلام ـ .

وأما الضّلال فعلى سبيل أُولئك خرجوا للحميّة والعصبيّة للقبائل والعشائر . فانقطع بيان عند ذلك .

فقال ضرار : فأنا أسألك يا هشام فى هذا ؟

فقال هشام : أخطأت .

قال : ولم ؟

قال : لأنكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي ، وقد سألني هذا عن مسألة وليس لكم أن تثنّوا بالمسألة عليّ حتّى أسألك يا ضرار عن مذهب في هذا الباب .

قال ضرار : فسَل .

قال : أتقول إنَّ الله عدل لا يجور ؟

قال : نعم ، هو عدل لا يجور ، تبارك وتعالى .

قال : فلو كلّف الله المقعد المشي إلى المساجد ، والجهاد في سبيل الله ، وكلّف الأعمى قراءة المصاحف والكتب ، أتراه كان عادلاً أم جائراً ؟

قال ضرار : ما كان الله ليفعل ذلك .

قال هشام : قد علمنا أنَّ الله لا يفعل ذلك ، ولكن على سبيل الجدل والخصومة ، أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً ؟ وكلّفه تكليفاً لا يكون له السبيل إلى إقامته وأدائه .

قال : لو فعل ذلك لكان جائراً .

قال : فأخبرني عن الله عزّ وجلَّ كلّف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه

لا يقبل منهم إلاّ أن يأتوا به كما كلّفهم ؟

قال : بلى .

قال : فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين؟ أو كلّفهم ما لا دليل على وجوده ؟ فيكون بمنزلة من كلّف الأعمى قراءة الكتب ، والمقعد المشي إلى المساجد والجهاد ؟

قال : فسكت ضرار ساعة ثمَّ قال : لا بدَّ من دليل ، وليس بصاحبك .

قال : فضحك هشام وقال : تشيّع شطرك وصرت إلى الحقِّ ضرورة ، ولا خلاف بيني وبينك إلاّ في التسمية .

قال ضرار : فإنّي أرجع إليك في هذا القول .

قال : هات .

قال ضرار : كيف تعقد الامامة ؟

قال هشام : كما عقد الله النبوَّة .

قال : فإذاً هو نبيٌّ ؟

قال هشام : لا لأنَّ النبوَّة يعقدها أهل السماء ، والإمامة يعقدها أهل الأرض ، فعقد النبوَّة بالملائكة ، وعقد الإمامة بالنبيِّ ، والعقدان جميعاً بإذن الله عزَّ وجلَّ .

قال : فما الدليل على ذلك ؟

قال هشام : الاضطرار في هذا .

قال ضرار : وكيف ذلك ؟

قال هشام : لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه :

إمّا أن يكون الله عزَّ وجلَّ رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فلم يكلّفهم ولم يأمرهم ، ولم ينههم ، وصاروا

بمنزلة السباع والبهائم الّتي لا تكليف عليها ، أفتقول هذا يا ضرار أنَّ التكليف عن الناس مرفوع بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ؟

قال : لا أقول هذا .

قال هشام : فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلّفون قد استحالوا بعد الرسول علماء ، في مثل حدّ الرسول في العلم ، حتىّ لا يحتاج أحدُ إلى أحد فيكونوا كلّهم قد استغنوا بأنفسهم ، وأصابوا الحقَّ الّذي لا اختلاف فيه أفتقول هذا، أنَّ الناس قد استحالوا علماء، حتّى صاروا في مثل حدَّ الرسول في العلم حتّى لا يحتاج أحد إلى أحد ، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحقِّ ؟

قال : لا أقول هذا ، ولكنّهم يحتاجون إلى غيرهم .

قال : فبقي الوجه الثالث لأنّه لا بدَّ لهم من علَم يقيمه الرسول لهم لا يسهو ولا يغلط ، ولا يحيف(١) ، معصوم من الذنوب ، مبرَّأٌ من الخطايا ، يُحتاج إليه ولا يَحتاج إلى أحد .

قال : فما الدليل عليه ؟

قال هشام : ثمان دلالات أربع في نعت نسبه ، وأربع في نعت نفسه .

فأمّا الأربع الّتي في نعت نسبه : بأن يكون معروف الجنس ، معروف القبيلة ، معروف البيت ، وأن يكون من صاحب الملّة والدَّعوة إليه إشارة ، فلم يُرجنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب ، الّذين منهم صاحب الملّة والدَّعوة ، الّذي يُنادى باسمه في كلِّ يوم خمس مرَّات على الصوامع ، أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، فتصل دعوته إلى كلِّ برّ

---

(١) الحائف : الظالم ، الجائر .

فتصل دعوته إلى كلِّ برّ وفاجر، وعالم وجاهل، ومقرّ ومنكر، في شرق الأرض وغربها، ولو جاز أن يكون الحجّة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهرٌ من عصره لا يجده، ولو جاز أن يطلبه في أجناس هذا الخلق من العجم وغيرهم لكان من حيث أراد الله أن يكون صلاحاً يكون فساداً، ولا يجوز هذا في حكم الله تبارك وتعالى وعدله، أن يفرض على الناس فريضة لا توجد.

فلمّا لم يجز ذلك لم يجز إلّا أن يكون إلّا في هذا الجنس لاتّصاله بصاحب الملّة والدَّعوة، ولم يجز أن يكون من هذا الجنس إلّا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملّة وهي قريش، ولمّا لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلّا في هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلّا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملّة والدَّعوة، ولمّا كثر أهل هذا البيت، وتشاجروا في الامامة لعلوِّها وشرفها ادَّعاها كلُّ واحد منهم، فلم يجز إلّا أن يكون من صاحب الملّة والدَّعوة إليه إشارة بعينه واسمه ونسبه لئلاً يطمع فيها غيره.

وأمّا الأربع الّتي في نعت نفسه: أن يكون أعلم الناس كلّهم بفرائض الله وسننه، وأحكامه، حتّى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل، وأن يكون معصوماً من الذنوب كلّها وأن يكون أشجع الناس، وأن يكون أسخى الناس.

قال: من أين قلت: إنّه أعلم الناس؟

قال: لأنه إن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه، لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود، فمن وجب عليه القطع حدَّه، ومن وجب عليه الحدُّ قطعه، فلا يقيم لله حدّاً على ما أمر به، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً.

قال : فمن أين قلت : إنّه معصوم من الذنوب ؟

قال : لأنّه إن لم يكن معصوماً من الذنوب ، دخل في الخطأ فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ، ويكتم على حميمه وقريبه ، ولا يحتجُّ الله عزَّوجلَّ بمثل هذا على خلقه .

قال : فمن أين قلت : إنّه أشجع الناس ؟

قال : لأنّه فئة للمسلمين الّذين يرجعون إليه في الحروب ، وقال الله عزَّوجلَّ : **﴿ ومن يُولّهم يومئذٍ دُبُرَهُ إلاّ متُحَرِّفاً لِقتالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئةٍ فقد بآءَ بِغَضبٍ من اللهِ ﴾**[1] فإن لم يكن شجاعاً فرَّ فيبوء بغضب من الله ، فلا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله حجّة لله على خلقه .

قال : فمن أين قلت : إنّه أسخى الناس ؟

قال : لأنّه خازن المسلمين ، فإن لم يكن سخيّاً تاقت نفسه إلى أموالهم فأخذها ، فكان خائناً ، ولا يجوز أن يحتجَّ الله على خلقه بخائن.

فقال عند ذلك ضرار : فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت ؟

فقال : صاحب العصر أمير المؤمنين ـ وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كلّه ـ .

فقال عند ذلك : أعطانا والله من جراب النورة ، ويحك يا جعفر ـ وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في الستر ـ من يعني بهذا ؟

قال : يا أمير المؤمنين يعني موسى بن جعفر .

قال : ما عنى بها غير أهلها ، ثمَّ عضَّ على شفته ، وقال : مثل هذا حيٌّ ويبقى لي ملكي ساعةً واحدةً ؟! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف[2] .

---

(١) سورة الانفال : الآية ١٦ .

(٢) بحار الانوار ج ٤٨ ص ١٩٧ ح ٧ ، كمال الدين وتمام النعمة ج ٢ ص ٣٦٢ بتفاوت .

المناظرة الخامسة والعشرون

مناظرة هشام بن الحكم مع عالم شامي بمحضر الصادق ـ عليه السلام ـ

عن يونس بن يعقوب قال : كنت عند أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ فورد عليه رجل من أهل الشام فقال : إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض ، وقد جئت لمناظرة أصحابك .

فقال له أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ : كلامك هذا من كلام رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أو من عندك ؟

فقال : من كلام رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعضه ، ومن عندي بعضه .

فقال أبو عبد الله : فأنت إذاً شريك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ؟

قال : لا .

قال : فسمعت الوحي من الله تعالى ؟

قال : لا .

قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ؟

قال : لا .

قال : فالتفت إليّ أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ فقال : يا يونس هذا خصم نفسه قبل أن يتكلم .

(الى أن قال يونس) : وكنّا في خيمة لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ في طرف جبل في طريق الحرم ، وذلك قبل الحج بأيام ، فأخرج أبو عبد الله

ـ عليه السلام ـ رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب ، قال : هشام ورب الكعبة .

قال : وكان شديد المحبة لأبي عبد الله ، فإذا هشام بن الحكم ، وهو أول ما اختطت لحيته ، وليس فينا إلّا من هو أكبر منه سناً ، فوسّع له أبو عبد الله وقال : ناصرنا بقلّبه ولسانه ويده .

ثم قال للشامي : كلّم هذا الغلام ! يعني : هشام بن الحكم .

فقال : نعم ، ثم قال الشامي لهشام : يا غلام سلني في إمامة هذا يعني : أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ ؟

فغضب هشام حتى ارتعد ، ثم قال له : أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقه ، أم خلقه لأنفسهم ؟

فقال الشامي : بل ربي أنظر لخلقه !

قال : ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا ؟

قال : كلفهم ، وأقام لهم حجة ودليلاً على ما كلفهم به ، وأزاح في ذلك عللهم .

فقال له هشام : فما هذا الدليل الذي نصّبه لهم ؟

قال الشامي : هو رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ .

قال هشام : فبعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ من ؟

قال : الكتاب والسنة .

فقال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه ، حتى رفع عنا الاختلاف ، ومكننا من الاتفاق ؟

فقال الشامي : نعم

قال هشام : فلم اختلفنا نحن وأنت ، جئتنا من الشام تخالفنا ، وتزعم

أن الرأي طريق الدين، وأنت مُقرّ بأن الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين؟

فسكت الشامي كالمفكر.

فقال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ: مالك لا تتكلم؟

قال: إن قلت: إنّا ما اختلفنا كابرت.

وإن قلت: إن الكتاب والسنة يرفعان عنّا الاختلاف، أبطلت[1]،

---

(١) ولذلك من الوظائف المعتبرة في الإمام بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن يُبيّن للأمة ما أُرسل به النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وما اختلفوا فيه، لكي يرتفع عنهم الخلاف.

وهذان المعنيان قد نص عليهما النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ ومن تلك النصوص الصريحة التي لا تقبل الشك:

(أ) ما روي عن ابي ذر عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: «علي باب علمي، ومبيّن من بعدي لأمتي ما أرسلت به، حبه ايمان، وبغضه نفاق ... الحديث».

راجع: كنز العمال ج ١١ ص ٦١٤ ح ٣٢٩٨١، فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ص ١٨، ط الأزهر، وص ٤٧ ط الحيدرية، الغدير للأميني ج ٣ ص ٩٦.

(ب) ما روي عن أنس، قال: قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ «يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين».

قال أنس: قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته.

اذ جاء علي فقال: «من هذا يا أنس؟» فقلت: علي، فقام اليه مستبشراً فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه. قال علي: يا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل؟ قال: «وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي و تبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»؟

راجع: حلية الاولياء ج ١ ص ٦٣، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٨٥ ح ٧٥، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤٨٧ ح ١٠٠٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٦٩، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢١٢، ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٦٤.

(ت) ما روي عن انس ايضاً أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال لعلي: «أنت تبيّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي».

←

لأنهما يحتملان الوجوه[١]، ولكن لي عليه مثل ذلك .

فقال له أبو عبد الله : سله تجده مليّاً !

فقال الشامي لهشام : من أنظر للخلق ربهم أم أنفسهم ؟

فقال : بل ربهم أنظر لهم .

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ، ويرفع اختلافهم ، ويبيّن لهم حقهم من باطلهم ؟

فقال هشام : نعم .

فقال الشامي : من هو ؟

قال هشام : أما في ابتداء الشريعة ، فرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ

← راجع : الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٢ ، كنزالعمال ج١١ ص ٦١٥ ح٣٢٩٨٣ ، المناقب للخوارزمي ص ٣٢٩ ح٣٤٦، كنوز الحقائق للمناوي ص ٢٠٣ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٨٢ ، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٤٨٨ ح ١٠١٧ و١٠١٨ .

يقول السيد شرف الدين في كتابه المراجعات ص ١٧٢ معلقاً على هذا الحديث : ان من تدبر هذا الحديث وأمثاله علم أن علياً من رسول الله بمنزلة الرسول من الله تعالى ، فان الله سبحانه يقول لنبيه : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ سورة النحل الآية ٦٤ ، ورسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول لعلي : « أنت تبيّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي » .

(١) ومما لا يخفى أن القرآن الكريم فيه من المجمل والمفصل ، والمحكم والمتشابه ، والظاهر والمؤول ، والعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ ، ما لا يمكن معرفته إلا بالرجوع إلى أولي الأمر ، قال الله تعالى : ﴿ **ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ سورة النساء : الآية ٨٣ . وكذلك السنة أيضاً بالإضافة إلى وجود الدسّ ـ كما صرّحت بذلك الروايات ـ والكذب والافتراء على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى أنه قام فيهم خطيباً ـ كما يروى ـ وقال : ألاكثرت عليَّ الكذّابة فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، فلهذا كله وجب الرجوع إلى أولي الأمر وهم أهل البيت ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ لمعرفة الوجه الصحيح من غيره والحق من الباطل .

وأما بعد النبي فعترته .

قال الشامي : من هو عترة النّبي القائم مقامه في حجته ؟

قال هشام : في وقتنا هذا أم قبله ؟

قال الشامي : بل في وقتنا هذا .

قال هشام: هذا الّجالس يعني : أباعبد الله ـ عليه السلام ـ، الّذي تُشَد اليه الرّحال ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن جده .

قال الشامي : وكيف لي بعلم ذلك ؟

فقال هشام : سله عما بدا لك .

قال الشامي : قطعت عذري ، فعليّ السؤال .

فقال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ: أنا أكفيك المسألة يا شامي أخبرك عن مسيرك وسفرك ، خرجت يوم كذا ، وكان طريقك كذا ، ومررت على كذا، ومر بك كذا، فأقبل الشامي كلّما وصف شيئاً من أمره يقول: « صدقت والله » .

فقال الشامي : أسلمت لله الساعة !

فقال له أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ: بل آمنت بالله الساعة ، إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ، ويتناكحون ، والإيمان عليه يثُابون .

قال: صدقت ، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله وأنك وصيّ الأنبياء(١)

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٦٤ ، ابن شهر آشوب في المناقب ج ٤ ص ٢٤٣ ، ارشاد المفيد ص ٢٧٨ ، اصول الكافي ج ١ ص ١٧٢ ، بحار الانوار ج ٤٨ ص ٢٠٣ ح ٧.

المناظرة السادسة والعشرون

مناظرة[1] هشام مع عمرو بن عبيد[2] في مسجد البصرة

عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين ، ومؤمن الطاق ، وهشام بن سالم ، والطيار ، وجماعة من أصحابه ، فيهم هشام بن الحكم ، وهو شاب.

فقال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ : يا هشام !

قال : لبيك يابن رسول الله !

قال : ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته ؟

قال هشام : جعلت فداك يابن رسول الله ، اني أجلك وأستحييك ، ولا يعمل لساني بين يديك .

فقال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ : إذا أمرتكم بشيء فافعلوه !

---

(١) كل مناظرات هشام بن الحكم تدل على قوته الجدلية وحذقه بصناعة الكلام ، وحضور الجواب عنده بالبداهة مستخدماً في كثير منها الأدلة الشرعية ، إلا أن هذه المناظرة تدل على قوة حجته على خلافة امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بالادلة العقلية ، ولذا قيل انه أول من اخضع بحث الإمامة للمقاييس العقلية .

(٢) هو : عمرو بن عبيد بن باب ، ويقال : ابن كيسان التميمي ، أبو عثمان البصري ، مولى بني تميم ، من أبناء فارس ،شيخ القدريّة والمعتزلة في عصره ، كان جده من سبي فارس وأبوه نساجاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة ، وفيه قال المنصور الدوانيقي : كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد ، ولد سنة ٨٠، وتوفي بمَرَّان بقرب مكة سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور ولم يُسمع بخليفة رثى من دونه سواه .

راجع : تهذيب الكمال ج ٢٢ ص ١٢٣ ترجمة رقم : ٤٤٠٦ ، سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١٠٤ رقم : ٢٧ ، وفيات الأعيان .

قال هشام : بلغني مان كان فيه عمرو بن عبيد ، وجلوسه في مسجد البصرة ، وعَظُم ذلك عليَّ ، فخرجت إليه ، ودخلت البصرة يوم الجمعة ، وأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة ، وإذا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف وشملة مرتد بها ، والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتيّ ، ثم قلت : أيها العالم أنا رجل غريب ، أتأذن لي فأسألك عن مسألة ؟

قال : اسأل !

قلت له : ألك عين ؟

قال يا بني أي شيء هذا من السؤال ، إذاً كيف تسأل عنه ؟

فقلت : هذه مسألتي .

فقال : يا بني ! سل وإن كانت مسألتك حمقى .

قلت : أجبني فيها .

قال : فقال لي : سل !

فقلت : ألك عين ؟

قال : نعم .

قلت : قال : فما تصنع بها ؟

قال : أرى بها الألوان والأشخاص .

قال : قلت : ألك أنف ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أشم به الرائحة .

قال : قلت : ألك لسان ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أتكلم به .

قال : قلت : ألك أذن ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أسمع بها الأصوات .

قال : قلت : ألك يدان ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بهما ؟

قال : أبطش بهما ، وأعرف بهما اللّيّن من الخشن .

قال : قلت : ألك رجلان ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع بهما ؟

قال : أنتقل بهما من مكان إلى مكان .

قال : قلت : ألك فم ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها .

قال : قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به ؟

قال : أميّز به كلما ورد على هذه الجوارح .

قال : قلت : أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

قال : لا .

قلت : وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بني إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته ، ردّته إلى القلب ، فتيقن بها اليقين ، وأبطل الشك .

قال : فقلت : فإنما أقام الله عز وجل القلب لشك الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : لابد من القلب وإلّا لم يستيقن الجوارح .

قال : نعم .

قلت : يا أبا مروان ، إن الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتى جعل لها إماماً ، يصحح لها الصحيح ، وينفي ما شكّت فيه ، ويترك هذا الخلق كلّه في حيرتهم ، وشكهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ، تردّ اليه حيرتك وشكك؟!.

قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً .

قال : ثم التفت إليّ فقال لي : أنت هشام ؟

قال : قلت : لا .

فقال لي : أجالسته ؟

فقلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت إذاً هو . ثم ضمني إليه ، وأقعدني في مجلسه ، وما نطق حتى قمت ، فضحك أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ ، ثم قال : يا هشام ، من علّمك هذا ؟ قلت : يابن رسول الله جرى على لساني .

قال : يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[(١)] .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٦٧ ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٠٥ ، رجال الكشي ص ٢٧١

المناظرة السابعة والعشرون

مناظرة هشام مع أبي عبيدة المعتزلي[1]

قال أبو عبيدة المعتزلي لهشام بن الحكم : الدليل على صحة معتقدنا وبطلان معتقدكم كثرتنا[2] وقلّتكم ، مع كثرة أولاد عليّ

← ح ٤٩٠ ، الأصول من الكافي ج ١ ص ١٦٩ ح ٣ ، علل الشرائع ج ١ ص ١٩٣ ح ٢ ب ١٥٢ ، بحار الانوار ج ٢٣ ص ٦ ح ١١ .

(١) هو : معمر بن المثنى التميمي ، ابو عبيدة مولاهم البصري النحوي ، ولد سنة ١٢٠ هـ له مصنفات كثيرة ومعروفة منها : مجاز القرآن ، غريب الحديث ، مقتل عثمان ، كتاب اخبار الحجاج ، روى عن جماعة منهم هشام بن عروة وابو عمرو بن العلاء وغيرهم . وروى عن جماعة منهم اسحاق بن ابراهيم الموصلي وغيرهم واختلفوا في سنة وفاته.

راجع : سير اعلام النبلاء ج ٩ ص ٤٤٥ ترجمة رقم : ١٦٨ ، تهذيب الكمال ج ٢٨ ص ٣١٦ ترجمة رقم : ٦١٠٧ ، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢ .

(٢) الكثرة والجماعة ليست ميزاناً ومقياساً لأهل الحق بل وجدنا الكثرة في موارد كثيرة من كتاب الله تعالى هي المذمومة ، والقلة هي الممدوحة ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ **وما آمن معه الا قليل** ﴾ . سورة هود : الآية ٤٠ .

﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ . سورة سبا : الآية ١٣ .

﴿ **ما فعلوه الا قليل منهم** ﴾ . سورة النساء : الآية ٦٦ .

﴿ **واكثرهم لا يعقلون** ﴾ . سورة المائدة : الآية ١٠٣ .

﴿ **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ﴾ . سورة الاعراف : الآية ١٨٧ .

﴿ **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ . سورة غافر : الآية ٥٩ .

﴿ **واكثرهم للحق كارهون** ﴾ . سورة المؤمنون : الآية ٧٠ .

فلا يضر المرء كثرة الناس اذا كان على حق وصواب ولا يستوحش من الحق لقلة سالكيه ←

وادّعائهم.

فقال هشام: لست إيّانا أردت بهذا القول إنما أردت الطعن على نوح ـ عليه السلام ـ حيث لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى النجاة ليلاً ونهاراً، ما آمن معه إلاّ قليل [١].

← ومن هنا يوصي النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ عمار بن ياسر ويقول: (يا عمار اذا رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي، ودع الناس، فانه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من هدى). المناقب للخوارزمي الحنفي ص ١٠٥ ح ١١٠، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج٣ ص ٢١٤ ح ١٢١٩.

(١) المناقب لابن شهراشوب ج١ ص٢٣٦ ـ ٢٣٧، بحار الانوار ج٤٧ ص٤٠١ ح٣.

المناظرة الثامنة والعشرون

مناظرة هشام مع بعض المتكلمين

وسأل هشام بن الحكم جماعةً من المتكلمين فقال: أخبروني حين بعث الله محمداً ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعثه بنعمة تامّة أو بنعمة ناقصة؟

قالوا: بنعمة تامّة.

قال: فأيما أتمّ أن يكون في أهل بيت واحد نبوّة وخلافة؟ أو يكون نبوّة بلا خلافة؟

قالوا: بل يكون نبوّة وخلافة.

قال: فلماذا جعلتموها في غيرها، فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسّيوف، فأفحموا[1].

---

(١) المناقب لابن شهراشوب ج١ ص٢٧٦، بحار الانوار ج٤٧ ص٤٠١ ح٣.

المناظرة التاسعة والعشرون

مناظرة هشام بن الحكم مع ضرار بن عمرو الضبي[1]

دخل ضرار بن عمرو الضبّي على يحيى بن خالد البرمكي فقال له : يا أبا عمرو هل لك في مناظرة رجلٍ هو ركن الشيعة؟

فقال ضرار : هلّم من شئت .

فبعث إلى هشام بن الحكم ، فأحضره .

فقال : يا أبا محمد ، هذا ضرار ، وهو من قد علمت في الكلام والخلاف لك فكلمه في الإمامة .

فقال : نعم ، ثم أقبل على ضرار فقال : يا أبا عمرو : خبرني على ما تجب الولاية والبراءة أعلى الظاهر أم على الباطن؟

فقال ضرار : بل على الظاهر فإن الباطن لا يُدرك إلا بالوحي .

قال هشام : صدقت ، فأخبرني الآن أي الرجلين كان أذب عن وجه

---

(١) ضرار بن عمرو الضبي : هو شيخ الضرارية، رأس من رؤوس المعتزلة لم يذكروا له ولادة ولا وفاة ، ومن سيرته يفهم انه كان حياً في عصر هارون الرشيد ، وكان قاضياً ، فشهد قوم على زندقته عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن فامر بضرب عنقه فهرب ، وقيل اخفاه يحيى بن خالد البرمكي ، وكان جلداً في مذهبه له مقالات خبيثة منها ان النار لا حر فيها ولا في الثلج برد ولا في العسل حلاوة ، وانما يخلق ذلك عند الذوق واللمس ، وله تصانيف كثيرة وكان ينكر عذاب القبر.

راجع : سير اعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٤٤ ترجمة رقم : ١٧٥ ، الضعفاء الكبير للعقيلي ج ٢ ص ٢٢٢ ترجمة رقم : ٧٦٥ ، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٢٨ ترجمة رقم : ٣٩٥٣ ، لسان الميزان ج ٣ ص ٢٠٣ ترجمة رقم : ٩١٢ ، الفهرست لابن النديم ص ٢١٤ .

رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالسيف وأقتل لأعداء الله بين يديه وأكثر آثاراً في الجهاد أعليّ بن أبي طالب أو أبوبكر ؟

فقال : بل علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ولكن أبابكر كان أشد يقيناً .

فقال هشام : هذا هو الباطن الّذي قد تركنا الكلام فيه وقد اعترفت لعلي ـ عليه السلام ـ بظاهر عمله من الولاية ، وأنه يستحق بها من الولاية ما لم يجب لأبي بكر .

فقال ضرار : هذا هو الظاهر نعم .

قال له هشام : أفليس إذا كان الباطن مع الظاهر فهو الفضل الّذي لا يُدفع ؟!

فقال له ضرار : بلى .

فقال له هشام : ألست تعلم أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال لعليّ : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي(١) .

قال ضرار : نعم .

قال هشام : أفيجوز أن يقول هذا القول إلّا وعنده في الباطن مؤمن ؟

قال : لا .

قال هشام : فقد صح لعليّ ـ عليه السلام ـ ظاهره وباطنه ولم يصح لصاحبك لا ظاهر ولا باطن والحمد لله(٢) .

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) بحار الانوار ج١٠ ص٢٩٢ ح١ ، الفصول المختارة ص٩ ـ ١٠ .

المناظرة الثلاثون

أيضاً مناظرة هشام مع ضرار

قال ضرار لهشام بن الحكم: ألا دعا عليّ - عليه السلام - الناس عند وفاة النبي - صلّى الله عليه وآله - إلى الائتمام به إن كان وصياً ؟

قال: لم يكن واجباً عليه، لأنه قد دعاهم إلى موالاته والائتمام به النبي - صلّى الله عليه وآله - يوم الغدير[1] ويوم تبوك[2] وغيرهما فلم يقبلوا منه، ولو كان ذلك جائزاً لجاز على آدم أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد إذ دعاه ربه إلى ذلك، ثم إنه صبر كما صبر أولوا العزم من الرسل[3].

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) اشارة الى حديث (انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي) وقد تقدمت تخريجاته.

(٣) المناقب لابن شهر اشوب ج ١ ص ٢٧٠.

المناظرة الحادية والثلاثون

مناظرة مؤمن الطاق[1] مع ابن أبي خدرة

عن الأعمش قال: اجتمعت الشيعة والمحكّمة[2] عند أبي نعيم النخعي بالكوفة، وأبو جعفر محمّد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر.

فقال ابن أبي خدرة: أنا أقرّر معكم - أيّتها الشيعة - أنّ أبابكر أفضل من عليّ وجميع أصحاب النبي - صلّى الله عليه وآله - بأربع خصال لا يقدر على دفعها أحد من الناس، هو ثانٍ مع رسول الله - صلّى الله عليه وآله - في بيته مدفون، وهو ثاني اثنين معه في الغار، وهو ثاني اثنين صلّى بالنّاس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله -، صلّى الله عليه وآله -، وهو ثاني اثنين الصّديق من الأمّة.

---

(١) مؤمن الطاق: هو محمد بن علي بن النعمان بن ابي طريفة البجلي، مولى الأحول، ابو جعفر، كوفي، صيرفي، يلقّب مؤمن الطاق، وصاحب الطاق، وكان كثير العلم حسن الخاطر، سمي بالطاق لانه كان دكانه في طاق المحامل بالكوفة، وله حكايات كثيرة مع ابي حنيفة، عدّ من اصحاب الصادق والكاظم - عليهما السلام - توفي في رجب سنة ٣٧٤.

راجع: رجال النجاشي ص ٣٢٥، رقم: ٨٨٦، رجال الطوسي ص ٣٠٢ رقم: ٣٥٥ و ص ٣٥٩ رقم: ١٨، سير أعلام النبلاء ج ١٠، ص ٥٥٣ رقم: ١٨٧، الكنى والالقاب ج ٢ ص ٤٢٨.

(٢) المحكّمة الأولى او المحكميّة: اول فرقة من الخوارج انحازوا إلى حروراء بعد رجوع علي - عليه السلام - من صفين إلى الكوفة، وهم يومئذٍ اثنا عشر ألفاً، وزعيمهم عبد الله بن الكوّاء وشبث بن ربعي، كان دينهم تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل وأصحابه والحكمين، ثم إنّهم جوّزوا ان تكون الامامة في غير قريش. معجم الفرق الاسلامية ص ٢١٤، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٦.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق « رحمة الله عليه » : يابن أبي خدرة ، وأنا أقرر معك أنّ علياً ـ عليه السلام ـ أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بهذه الخصال التي وصفتها ، وأنّها مثلبة لصاحبك وألزمك طاعة علي ـ عليه السلام ـ من ثلاث جهات ، من القرآن وصفاً ، ومن خبر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ نصّاً ، ومن حجة العقل اعتباراً ، ووقع الاتفاق على ابراهيم النخعي ، وعلى أبي اسحاق السبيعي ، وعلى سليمان بن مهران الأعمش .

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق : أخبرني يابن أبي خدرة ، عن النبي ـ صّلى الله عليه وآله ـ أترك بيوته التي أضافها الله اليه ، ونهى الناس عن دخولها إلّا بإذنه[1] ميراثاً لأهله وولده ؟ أو تركها صدقة على جميع المسلمين ؟ قل ماشئت ؟ فانقطع أبن أبي خدرة لمّا أورد عليه ذلك ، وعرف خطأ ما فيه .

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق : إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه فإنّه قبض عن تسع نسوة ، وإنّما لعائشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الذي دفن فيه صاحبك ، ولم يصبها من البيت ذراع في ذراع ، وإن كان صدقة فالبليّة أطم وأعظم فإنّه لم يصب له من البيت إلّا ما لأدنى رجل من المسلمين ، فدخول بيت النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية إلّا لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وولده ، فإنّ الله أحلّ لهم ما أحلّ للنبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ .

ثم قال : إنكم تعلمون أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أمر بسدّ أبواب

---

(١) اشارة الى قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم ﴾ . سورة الاحزاب : الآية ٥٣.

جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب عليّ [١] ـ عليه السلام ـ فسأله أبوبكر أن يترك له كوّة لينظر منها إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فأبى عليه، وغضب عمه العبّاس من ذلك [٢] فخطب النبيُّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ خطبة، وقال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقرب فيه النساء إلّا موسى وهارون وذرّيتهما، وإنّ عليّاً منّي هو بمنزلة هارون من موسى [٣]، وذرّيته كذريّة هارون، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يقرب النّساء في مسجد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولا يبيت فيه جنباً إلّا عليٌّ وذريّته ـ عليهم السلام ـ، فقالوا بأجمعهم: كذلك كان [٤].

---

(١) قال زيد بن أرقم: كان لنفر من اصحاب رسول الله ابواب شارعة في المسجد فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: سدوا هذه الابواب الاباب علي، فتكلم الناس في ذلك، فقام رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فاني أمرت بسد هذه الابواب إلا باب علي، فقال فيه قائلكم، واني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني أُمرت بشيء فاتبعته.

راجع: المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٥، وصححه، خصائص أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ للنسائي الشافعي ص ٥٥ ح ٣٧، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٠٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٨٧، ترجمة الامام علي بن ابي طالب ـ عليهما السلام ـ من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ ص ٢٧٨ ح ٣٢٤ و ٣٢٥، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص ٤١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤، احقاق الحق ج ٥ ص ٥٤٦، الغدير للأميني ج ٣ ص ٢٠٢.

(٢) وروي انه اخرج رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عمه العباس وغيره من المسجد، فقال له العباس: تخرجنا وتسكن علياً؟ فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته، ولكن الله أخرجكم واسكنه.

راجع: المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١١٧، الغدير للأميني ج ٣ ص ٢٠٦.

(٣) تقدمت تخريجاته.

(٤) جاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٨٨ ب ١٧ هذا الحديث باختلاف يسير وهو: أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قام خطيباً فقال: ان رجالاً يجدون في انفسهم شيئاً ان اسكنت علياً

←

قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك يابن أبي خدرة وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها ومثلبة لصاحبك، وأمّا قولك: ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار** ﴾[1] أخبرني هل أنزل الله سكينته على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعلى المؤمنين في غير الغار؟

قال: ابن أبي خدرة: نعم.

قال أبو جعفر: فقد خرج صاحبك في الغار من السكينة وخصّه بالحزن ومكان عليّ ـ عليه السلام ـ في هذه اللّيلة[2] على فراش النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وبذل مهجته دونه أفضل من مكان صاحبك في الغار.

← في المسجد واخرجتهم والله ما اخرجتهم، واسكنته بل الله اخرجهم واسكنه.

ان الله عز وجل اوحى الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة، واقيموا الصلاة ثم امر موسى ان لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله جنب الا هارون وذريته، وان علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو اخي ولا يحل لأحد ان ينكح فيه النساء الا علي وذريته فمن ساءه فهاهنا واشار بيده نحو الشام.

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٢) وذلك أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لما أراد الهجرة خلّف علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج الى الغار أن ينام على فراشه، وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، فإنّه لا يخلص اليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى ففعل ذلك فأوحى الله الى جبرئيل وميكائيل ـ عليهما السلام ـ إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختارا كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل اليهما: أفلا كنتما مثل عليّ بن ابي طالب، آخيت بينه وبين نبييّ محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ فبات على فراشه، يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله عز وجل به الملائكة؟! فأنزل الله عز وجل إلى رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي: ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله** ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٠٧، أسد الغابة ج ٤ ص ٩٥.

فقال الناس : صدقت .

فقال أبو جعفر : يابن أبي خدرة ، ذهب نصف دينك ، وأما قولك ثاني اثنين الصدّيق من الأمّة أوجب الله على صاحبك الاستغفار لعليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان** ﴾[1] إلى آخر الاية ، والذي ادّعيت إنّما هو شيء سمّاه الناس ، وقد قال عليّ ـ عليه السلام ـ على منبرالبصرة: أنا الصّديق الأكبر[2] آمنت قبل أن يؤمن أبوبكر وصدّقت قبله.

قال الناس : صدقت .

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : يا بن أبي خدرة ، ذهب ثلاثة أرباع دينك ، وأمّا قولك في الصّلاة بالناس ،كنت ادّعيت لصاحبك فضيلة لم تقم له ، وإنّها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة ، فلو كان ذلك بأمر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لما عزله عن تلك الصلاة بعينها ، أما علمت أنّه لما تقدّم أبوبكر ليصلّي بالّناس خرج رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فتقدّم وصلّى بالنّاس وعزله عنها ، ولا تخلو هذه الصّلاة من أحد وجهين، إمّا أن تكون حيلة وقعت منه فلمّا أحس النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بذلك خرج مبادراً مع علّته فنحّاه عنها لكي لا يحتجّ بعده على أمّته فيكونوا في ذلك معذورين، وإمّا أن يكون هو الذي أمره بذلك وكان ذلك مفوّضاً إليه كما

---

(١) سورة الحشر : الآية ١٠ .

(٢) فرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٨ ح ١٩٢ ، ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٦١ ، انساب الاشراف ج ٢ ص ١٤٦ ح ١٤٦ .

في قصّة تبليغ براءة[١] فنزل جبرائيل ـ عليه السلام ـ وقال: لا يؤدّيها إلّا أنت أو رجل منك، فبعث عليّاً ـ عليه السلام ـ في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها، فكذلك كانت قصّة الصّلاة، وفي الحالتين هو مذموم لأنّه كشف عنه ما كان مستوراً عليه، وذلك دليل واضح لأنّه لا يصلح للاستخلاف بعده، ولا هو مأمون على شيء من أمر الدّين.

فقال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يابن أبي خدرة ذهب دينك كلّه وفُضحت حيث مدحت.

فقال النّاس لأبي جعفر: هات حجّتك فيما ادّعيت من طاعة عليّ ـ عليه السلام ـ.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: أمّا من القرآن وصفاً فقوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[٢] فوجدنا عليّاً ـ عليه السلام ـ بهذه الصفة في القرآن في قوله عزّ وجلّ: ﴿**والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس**﴾ ـ يعني في الحرب والتعب ـ ﴿**أولئك الّذين صدقوا وأولئك هم المتّقون**﴾[٣] فوقع الإجماع من الأمّة بأنّ عليّاً ـ عليه السلام ـ أولى بهذا الأمر من غيره لأنه لم يفرّ عن زحف قط كما فرّ غيره في غير موضع.

فقال النّاس: صدقت.

وأمّا الخبر عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ نصّاً فقال: إني تارك

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض[(١)] وقوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مَثَلُ أهل بيتى فيكم كَمَثَل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق ، ومن تقدّمها مرق ، ومن لزمها لحق[(٢)] فالمتمسك بأهل بيت

---

(١) حديث الثقلين هو اشهر من أن يذكر وقد بلغ حد التواتر ، وقد اخرجه أكابر علماء السنة في كتبهم من الصحاح والسنن وممن رواه :

صحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٢٢ ح ٣٧٨٨ دارالفكر وج ٢ ص ٣٠٨ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢ ص ١٢ ، الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٧ وص ٣٠٦ ، ذخائر العقبى ص ١٦ ، الصواعق المحرقة ص ١٤٧ وص ٢٢٦ ، ط المحمديه وص ٨٩ ، ط الميمنية بمصر .

فرائد السمطين ج ٢ ص ١٤٢ ح٤٣٦ ـ ٤٤١ ، مسند احمد بن حنبل ج ٣ص ١٤ وص ١٧ وج ٥ ص ١٨٢ ، صحيح مسلم ج ٤ ، ص ١٨٧٤ ح ٣٧ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠ وص ٣٦وص ١٩١ وص ٢٩٦ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ١٢٣ ، جامع الاصول لابن الأثير ج ١ ، ص ١٨٧ ، كنز العمال ج ١ ص ١٨٥ ح ٩٤٢ ـ ٩٤٥ ، عبقات الانوار ج ١ ، ص ٤ .

(٢) قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ : (ألا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) هو من الاحاديث المتواترة المشهورة.

راجع : المستدرك ج ٣ ص ١٥٠ ، نضم درر السمطين للترمذي الحنفي ص ٢٣٥ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٧ و ص٣٠٨ ط اسلامبول ، إسعاف الراغبين للصبّان الشافعي ص١٠٩ ط السعيدية و ص١٠٢ ط العثمانية ، فرائد المسطين ج٢ ص ٢٤٦ ح ٥١٩.

وجاء بلفظ آخر أيضاً ، يقول ـ صلّى الله عليه وآله ـ : (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق) تجده في : حلية الاولياء ج ٤ ص ٣٠٦ ، المناقب لابن المغازلي الشافعي ص١٣٢ ح ١٧٣ ـ ١٧٦ ، ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص ٢٠ ، مجمع الزوائد ج٩ ص ١٦٨ ، الجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٥٣٣ ح ٨١٦٢ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٩٣ ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي الحنفي ج ١ ص ١٠٤ .

وقد ورد حديث السفينة ايضاً بالفاظ أخرى ، راجع:

المعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ١٣٩ ، المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٤٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١٨ .

وقال الشافعي في هذا المعنى :

←

رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ هادٍ مهتدٍ بشهادة من الرّسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ، والمتمسّك بغيرهم ضالّ مضلّ .

قال الناس : صدقت يا أبا جعفر .

وأمّا من حجة العقل : فإنّ الناس كلّهم يستعبدون بطاعة العالم ووجدنا الإجماع قد وقع على عليّ ـ عليه السلام ـ أنّه كان أعلم أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وكان جميع الناس يسألونه ويحتاجون إليه ، وكان عليٌّ ـ عليه السلام ـ مستغنياً عنهم[١] هذا من الشاهد والدّليل عليه من القرآن قوله عزّ وجلّ **﴿أفمن يهدي الى الحقِّ أحقُّ أن يُتّبع أمّن لا يهدِّي إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾**[٢] فما اتّفق يومٌ أحسن منه ودخل في هذا الأمر عالَمٌ كثير[٣] .

← ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على أسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وامسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

انظر : رشفة الصادي لابي بكر بن شهاب الدين الشافعي ص ١٥ .

(١) قيل ـ للخليل بن احمد ـ ما الدليل على انّ عليّاً ـ عليه السلام ـ امام الكل في الكل ؟

قال : احتياج الكل اليه واستغناؤه عن الكل .

وقيل له : ما تقول في علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ؟

فقال : ما أقول في حق امرىءٍ كتمت مناقبه اولياؤه خوفاً واعداؤه حسداً ثم ظهر من بين الكتمانين ما ملأ الخافقين . (سفينة البحار ج ١ ، ص ٤٢٦)

(٢) سورة يونس : الآية ٣٥ .

(٣) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٧٨ ، بحار الانوار ج ٤٧ ص ٣٩٦ ح ١ ، ضحى الاسلام لأحمد امين ج ٣ ص ٢٧٠ ، الامام الصادق والمذاهب الاربعه ج ٢ ص ٧١ .

المناظرة الثانية والثلاثون

مناظرة مؤمن الطّاق مع أبي حنيفة[1]

قال أبو حنيفة لمؤمن الطّاق يوماً من الأيام :

لِمَ لَمْ يطالب عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ بحقه بعد وفاة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إن كان له حقٌّ ؟

فأجابه مؤمن الطّاق فقال : خاف أن تقتله الجنُّ كما قتلوا سعد بن عبادة[2] بسهم المغيرة بن شعبة ، وفي رواية بسهم خالد بن الوليد[3].

---

(١) هو : النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه ، مولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي ، ويقال إنه من أبناء الفرس ، أحد الأئمة الأربعة السنية صاحب الرأي والقياس والفتاوى المعروفة في الفقه ، ولد بالكوفة سنة ٨٠ ، عاصر بعض معمري الصحابة ، أخذ عن التابعين والامام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ ، تاجر وتولّى التدريس والفتيا في الكوفة ، استدعاه المنصور لتولي القضاء في بغداد فرفض فأمر به الى السجن فكان يساط كل يوم حتى توفي في السجن سنة ١٥٠ هـ ، وقبره ببغداد في مقبرة خيزران ، له الفقه الأكبر ، ومسند أبي حنيفة .

تجد ترجمته في : الجرح والتعديل ج ٨ ص ٤٤٩ رقم : ٢٠٦٢ ، سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣٩٠ رقم : ١٦٣ ، تهذيب الكمال ج ٢٩ ص ٤١٧ رقم : ٦٤٣٩ ، المنجد (الاعلام) .

(٢) سعد بن عبادة : رئيس الخزرج ، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر ، وأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ صاحب لواء رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أجتمعت الأنصار إليه وكان مريضاً فجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة وأرادوا تأميره ، ولما تم الأمر لأبي بكر امتنع عن مبايعته ، فأرسل إليه أبوبكر ليبايع فقال : لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي ، وأخضِّب سنان رمحي ، وأضرب بسيفي ما أطاعني ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني ، ولو اجتمع معكم الجن والإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي فقال عمر : لا تدعه حتى يبايع ، فقال بشير بن سعد : إنه قد لجَّ وليس بمبايع لكم حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يُقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا

←

المناظرة الثالثة الثلاثون

مناظرة فضّال بن الحسن مع أبي حنيفة

مرّ الفضّال بن الحسن بن فضّال الكوفي بأبي حنيفة ، وهو في جمع كثير يُملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه .

فقال لصاحب كان معه : والله لا أبرح أو أُخجل أبا حنيفة .

فقال صاحبه الذي كان معه : إنّ أبا حنيفة ممن قد علت حالته وظهرت حجّته .

← يضركم تركه ، إنما هو رجل واحد فتركوه ، وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، واستنصحوه لما بدالهم منه ، فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ، ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم ، فلم يزل كذلك حتى هلك أبوبكر ، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج :

وخرج إلى حوران فمات بها ، قيل قتله الجن لأنه بال قائماً في الصحراء ليلاً ، ورووا بيتين من شعر قيل : إنهما سُمعا ليلة قتله ولم يُرَ قائلهما :

نحن قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخطىء فؤاده

ويقول قوم : إنَّ أمير الشام يومئذ كَمّن له من رماه ليلاً ، وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الإمام وقد قال بعض المتأخرين في ذلك :

يقولون : سعد شَكّتْ الجنُ قلبَه ألا ربّما صححت دينك بالغدر
وما ذنب سعد أنه بال قائماً ولكنَّ سعداً لم يبايع أبابكر
وقد صبرت من لذةالعيش أنفسٌ وما صبرت عن لذة النهي والأمر

راجع : تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ١١١ ، تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ١٦ رقم : ٤٤٩٩ ، سفينة البحار للقمي ج ١ ص ٦٢٠ .

(٣) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٨١ ، المناقب لابن شهر اشوب ج ١ ص ٢٧٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٧ ص ٢٢٣ بتفاوت .

قال : مه هل رأيت حجّة ضالّ علت على حجّة مؤمن! ثمّ دنا منه فسلّم عليه فردّها ، وردّ القوم السلام بأجمعهم .

فقال : يا أبا حنيفة ، إنّ أخاً لي يقول : إنّ خير الناس بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عليٌّ[1] بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وأنا أقول : أبوبكر خير الناس وبعده عمر فما تقول أنت رحمك الله ؟ فأطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه .

فقال : كفى بمكانهما من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كرما وفخراً أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره ، فأيُّ حجّة تريد أوضح من هذا!.

فقال له فضّال : إني قد قلت ذلك لأخي ، فقال : والله لئن كان الموضع لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقٌّ ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لقد أساءا وما أحسنا إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما .

فأطرق أبو حنيفة ساعة ، ثمّ قال له : لم يكن له ولا لهما خاصّة ، ولكنهما نظرا في حقِّ عائشة وحفصة فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما .

فقال له فضّال : قد قلت له ذلك ، فقال : أنت تعلم أنّ النبي ـ صلّى الله

---

(١) النصوص النبوية الشريفة الدالة على أفضلية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بعد النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ على سائر الناس بلا استثناء مستفيضة جداً ولا تقبل الشك ومنها : قوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : «إن وصيي ، وموضع سري ، خير من أترك بعدي ، ينجز عدتي ، ويقضي ديني علي ابن أبي طالب » .

راجع : مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣ ، كنز العمال ج ٦ ص ٦١٠ ح ٣٢٩٥٢ ط ١ ، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٣٢ ، وإحقاق الحق ج ٤ ، ص ٧٥ ، وقد تقدمت تخريجات أمثال هذا الحديث .

عليه وآله ـ مات عن تسع نساء ونظرنا فإذا لكلٍّ واحدة منهنَّ تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ؟ وبعد ذلك فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وفاطمة ابنته تُمنع الميراث ؟

فقال أبو حنيفة : يا قوم نحوه عني فإنه رافضيٌّ خبيث[1]

(١) الفصول المختارة ج ١ ص ٤٧، كنز الفوائد للكراجكي ج ١ ص ٢٩٤، الاحتجاج ج ٢ ص ٣٨٢، بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٣١ ح ٢ وج ٤٧ ص ٤٠٠ ح ٢ .

المناظرة الرابعة والثلاثون

مناظرة رجل مع أبي الهذيل العلّاف[1]

حُكي عن أبي الهذيل العلّاف، قال: دخلت الرقة فذُكر لي أن بدير زكن رجلاً مجنوناً حسن الكلام، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرّح رأسه ولحيته، فسلّمت عليه، فرد السلام وقال: ممن يكون الرجل؟

قال: قلت: من أهل العراق.

قال: نعم، أهل الظرف والأدب.

قال: من أيها أنت؟

قلت: من أهل البصرة.

قال: أهل التجارب والعلم.

قال: فمن أيهم أنت؟

قلت: أبو الهذيل العلاف.

قال: المتكلم؟

---

(١) أبو الهذيل العلاّف: محمد بن الهذيل بن عبيد الله العبدي البصري العلاّف، رأس المعتزلة، لقّب بالعلاّف لأنّ داره بالبصرة كانت في العلاّفين، شيخ البصريين في الاعتزال ومن اكبر علمائهم، وصاحب المقالات في مذهبهم، ولد في سنة إحدى أو أربع وثلاثين ومائة وتوفي في أوّل أيّام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى وسنّه مائة سنة.

راجع: أمالي المرتضى ج ١ ص ١٧٨، سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٤٢ رقم: ١٧٣، طبقات المعتزلة ص ٤٤.

قلت : بلى .

فوثب عن وسادته وأجلسني عليها ، ثم قال ـ بعد كلام جرى بيننا ـ : ما تقولون في الإمامة ؟

قلت : أي الإمامة تريد ؟

قال : مَن تقدمون بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ؟

قلت : مَن قدم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ .

قال : ومَن هو ؟

قلت : أبا بكر .

قال لي : يا أبا الهذيل ولم قد متم أبابكر ؟

قال : قلت : لأن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : « قدّموا خيركم وولوا أفضلكم » وتراضى الناس به جميعاً(١) .

---

(١) لم يحصل تراضٍ او اجماع على بيعة ابي بكر ، فهناك الكثير ممن تخلّف من الصحابة عن بيعته وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ .

وممن ذكر ذلك : صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٢ ط محمد علي صبيح وج ٢ ، ص ٨١ ، ط عيسى الحلبي وج ٥ ، ص ١٥٣ ، ط المكتبة التجارية ، صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٢ ط دارالفكر وج ٣ ص ٥٥ ط دار احياء الكتب ، الامامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٧ ، تاريخ الطبري ج ٣ ، ص ٢٠٨ ، العقد الفريد ج ٥ ص ١٣ .

وممن تخلف من الصحابة عن بيعة ابي بكر :

١ ـ العباس بن عبد المطلب . ٢ ـ عتبة بن ابي لهب . ٣ ـ سلمان الفارسي . ٤ ـ ابو ذر الغفاري . ٥ ـ عمار بن ياسر . ٦ ـ المقداد . ٧ ـ البراء بن عازب . ٨ ـ أبي بن كعب . ٩ ـ سعد بن أبي وقاص . ١٠ ـ طلحة بن عبيد الله . ١١ ـ الزبير بن العوام . ١٢ ـ خزيمة بن ثابت . ١٣ ـ فروة بن عمر الأنصاري . ١٤ ـ خالد بن سعيد بن العاص . ١٥ ـ سعد بن عبادة الانصاري ، لم يبايع حتى توفي بالشام في خلافة عمر . ١٦ ـ الفضل بن العباس . وفي مقدمة هؤلاء امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وبنو هاشم .

←

قال : يا أبا الهذيل ، هاهنا وقعت .

أمّا قولك : إن النبي ـ صلّى الله عليه و آله ـ قال : « قدّموا خيركم وولّوا أفضلكم » ، فإني أوجدك أن أبابكر صعد المنبر وقال : « وليتكم ولست بخيركم وعلي فيكم »[١] فإن كانوا اكذّبوا عليه فقد خالفوا أمر النبي ـ صلّى الله عليه و آله ـ ، وإن كان هو الكاذب على نفسه فمنبر رسول الله ـ صلّى الله عليه و آله ـ لا يصعده الكاذبون .

و أمّا قولك : أن الناس تراضوا به ، فإن أكثر الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير ، و أمّا المهاجرون فإن الزبير بن العوام قال : لا أبايع إلّا علياً ، فأمر به فكسر سيفه ، وجاء أبو سفيان بن حرب وقال : يا أبا الحسن ، لو شئت لأملأنّها خيلاً ورجالاً[٢] يعني « المدينة » ، وخرج سلمان فقال بالفارسي : « كرديد ونكرديد ، وندانيد كه چه كرديد »[٣] ، والمقداد وأبوذر ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار .

أخبرني يا أبا الهذيل عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله :

إن لي شيطاناً يعتريني[٤] ، فإذا رأيتموني مغضباً فاحذروني ، لا أقع في أشعاركم وأبشاركم ، فهو يخبركم على المنبر إني مجنون ، وكيف يحلّ

← راجع في ذلك : العقد الفريد ج ٥ ص١٣ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣١ ، مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ١ ـ ٣ ، أسد الغابة لابن الاثير ج ٣ ص ٢٢٢ ، تاريخ الطبري ج ٣ ، ص ٢٠٨ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥٦ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٢ ، العقد الفريد ج ٥ ص١٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٢٢ .

(٣) يعني فعلتم وما فعلتم ولا تعلمون ما الذي فعلتم .

(٤) كنز العمال ج ٥ ص ٥٨٩ ح ١٤٠٥٠ ، مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٨٣ ، الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٢٤٤ ، ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٣ ، ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ٦ ص ٢٠ ، السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧١ ، ابن قتيبة في الامامة والسياسة ص٢٢ .

لكم أن تولّوا مجنوناً ؟ !

وأخبرني يا أبا الهذيل ، عن قيام عمر وقوله : وددت أني شعرة في صدر أبي بكر ، ثم قام بعدها بجمعة فقال : « إن بيعة أبي بكر كانت فلتة[١] وقى الله شرها ، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه »[٢] فبينما هو يود أن يكون شعرة في صدره ، وبينما هو يأمر بقتل من بايع مثله .

فأخبرني يا أبا الهذيل عن الذي زعم أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لم يستخلف[٣] ، وأن أبابكر استخلف عمر ، وأن عمر لم يستخلف ، فأرى

---

(١) جاء في المنجد ص ٥٩٢ : الفَلْتَة جمع فلتات : الأمر يقع من غير إحكام ، يقال : خرج الرجلُ فلتةً ، أي بغتة ، وحدث الأمر فلتةً أي فجأةً من غير تدبُّر . وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٣٧ : وذكر صاحب الصحاح أن الفلتة : الأمر الذي يُعمل فجأة من غير تردد ولا تدبّر . وهكذا كانت بيعة أبي بكر ، لأن الأمر فيها لم يكن شورى بين المسلمين ، وإنما وقعت بغتةً لم تُمحَّصْ فيها الآراء ، ولم يتناظر فيها الرجال ، وكانت كالشيء المُستلَب المُنْتهَب ، وكان عمر يخاف أن يموت (أبو بكر) عن غير وصيّة ، أو يُقتل قتلاً فيبايَع أحدٌ من المسلمين بغتةً كبيعة أبي بكر ، فخطب بما خطب له ، وقال معتذراً : ألا إنه ليس فيكم مَنْ تُقطع إليه الأعناق كأبي بكر !

وفي هذا المعنى يقول محمد بن هانيء المغربي ـ كما في شرح النهج أيضاً ج ٢ ص ٣٧ :

ولكنّ أمراً كان أُبرم بينهمْ ... وإن قال قومٌ فلتةً غيرُ مُبْرَمِ

وقال آخر :

زعموها فَلْتَةً فاجئةً ... لا وَرَبِّ البيت والرُّكْن المشيدِ

إنّما كانتْ أموراً نُسِجَتْ ... بينهم أسبابُها نسْجَ الْبُرود

(٢) شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج ٢ ص ٢٣ ، النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٤٦٦ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٥ ، الصواعق المحرقة ص ٣٦ ، أنساب الاشراف للبلاذري ج ٥ ص ١٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٨ ، نهج الحق ص ٢٦٤ .

(٣) لا يمكن القول بأن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ترك أمته سدىً ولم يعيِّن لهم خليفةً وهذا خلاف فعله وفعل الحكماء أيضاً فإنه حينما ترك المدينة في غزوة تبوك لم يتركها بلا خليفة! بل خَلّف من يلي أمرهم مقامه وهو علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، وإذا كان كذلك فكيف يتركهم بلا خليفة بعد موته وهو يعلم أن أمته سوف تلاقي ويلات من النزاع والاختلاف والفتن ←

أمركم بينكم متناقضاً .

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر حين صيّرها شورى بين ستة ، وزعم أنهم من أهل الجنة فقال : « إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنين ، وإن خالف ثلاثة لثلاثة ، فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن عوف »[1] .

فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنه[2] ؟!!!

← وهو القائل : « ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقي في النار » ، ناهيك عن النصوص الكثيرة المستفيضة في كتب المذاهب الإسلامية الدالة على تعيينه للخليفة والوصي من بعده وهو علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، وكما تشير إلى ذلك أيضاً الأدلة العقلية ، فالذي يزعم أنه ـ صلى الله عليه وآله ـ ترك أمته سدىً بلا خليفة ما هو إلّا مكابرٌ معاندٌ وما أحسن قول الأزري ـ عليه الرحمة ـ في هذا المعنى حيث يقول :

أنبيٌّ بلا وصيٍّ تعالى ... الله عما يقوله سفهاها
زعموا أن هذه الأرضَ مرعى ... تُرِكَ الناس فيه ترك سداها
كيف تخلو من حجة وإلى من ... ترجع الناس في اختلاف نهاها
وأرى السوء للمقادير ينمى ... فإذاً لافساد إلا قضاها
قد علمتم أن النبي حكيم ... لم يدع من أموره أولاها
أم جهلتم طرق الصواب من ... الدين ففاتت أمثالكم مثلاها
هل ترى الأوصياء ياسعد إلا ... أقرب العالمين من أنبياها
أو ترى الأنبياء قد تخذوا ... المشرك دهراً بالله من أوصياها
أم نبي الهدى رأى الرسل ضلّت ... قبله فاقتفى خلاف اقتفاها

(١) عهد الخليفة عمر بالشورى على هذه الكيفية ثابت بالتواتر في مصادر العامة ، فراجع على سبيل المثال :

الكامل لابن الأثير (في حوادث سنة ٢٣) ج ٣ ص ٦٦ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (في شرح الخطبة الشقشقية) ج ١ ص ١٨٥ ـ ١٩٤ ، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٨ ، وقريب منه في الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٢) اضف الى ذلك شهادة عمر ، بأن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مات راضياً عنهم ، وهو قوله : ←

وأخبرني يا أبا الهذيل ، عن عمر لما طُعِن ، دخل عليه عبد الله بن عباس ، قال : فرأيته جزعاً .

فقلت : يا أمير ، ما هذا الجزع ؟

قال : يا بن عباس ، ما جزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يليه بعدي .

قال : قلت : ولّها طلحة بن عبيد الله .

قال : رجل له حدّة ، كان النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ يعرفه فلا أولّي أمر المسلمين حديداً .

قال : قلت : ولّها زبير بن العوام .

قال : رجل بخيل ، رأيته يماكس امرأته في كبة من غزل ، فلا أولّي أمور المسلمين بخيلاً .

قال : قلت : ولّها سعد بن أبي وقاص .

قال : رجل صاحب فرس وقوس ، وليس من أحلاس الخلافة .

قال : قلت : ولّها عبد الرحمٰن بن عوف .

قال : رجل ليس يحسن ان يكفي عياله .

قال : قلت : ولّها عبد الله بن عمر .

فاستوى جالساً ، ثم قال : يا بن عباس ! ما الله أردت بهذا أولّي رجلا لم يحسن أن يطلّق امرأته ؟ !

← ان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مات وهو راض عن هذه الستة من قريش : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ؟ ! !

راجع : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٨٥ (في قصة الشورى) ، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٧ ، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٦٥ .

قال ، قلت : ولّها عثمان بن عفان .

قال : والله لئن وليته ليحملن بني أبي معيط على رقاب المسلمين[١] ، ويوشك أن يقتلوه[٢] . قالها ثلاثاً .

قال : ثم سكتُّ لما أعرف من مغائرته لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ .

فقال : يا بن عباس اذكر صاحبك .

قال : قلت : فولّها علياً .

قال : فو الله ما جزعي إلّا لمّا أخذنا الحق من أربابه ، والله لئن وليته

---

(١) قال ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص ١٩٨ : وصحت فيه فراسة عمر ، إذ قد أوطأ بني أمية رقاب الناس ، وأولاهم الولايات ، واقطعهم القطائع ، وأُفتتحت أرمينيا في أيامه ، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان فقال عبد الرحمن بن الحنبل الجمحي :

أحلف بالله رب الأنام ... ما ترك الله شيئاً سُدى
ولكن خُلقت لنا فتنةً ... لكي نبتلي بك او تُبتلى
فإنّ الأمينين قد بيّنا ... منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلة ... ولا جعلا درهماً في هوى
وأعطيت مروان خُمس البلاد ... فهيهات سعيك ممَّنْ سعى

وقد روى هذه الابيات ايضاً ابن قتيبة في المعارف ص ٨٤ ، وأبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٦٨ ، باضافة هذا البيت بعد البيت الرابع :

دعوت اللّعين فأدنيته ... خلافاً لسّنة من قد مضى

وذكرها ايضاً ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦١ .

(٢) يذكر ذلك في باب فراسة عمر ، ومن الذين ذكروا ذلك ابن ابي الحديد في شرح النهج (في قصة الشورى) ج ١ ص ١٨٦ : أن عمر قال لعثمان (وهو ملقىً على فراشه يجود بنفسه) : هيهاً إليك !كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبّها إياك ، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفيء ، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحاً ، والله لئن فعلوا لتفعلنّ ، ولئن فعلت ليفعلنّ ، ثم أخذ بناصيته ، فقال : فإذاكان ذلك فاذكر قولي ، فإنه كائن ؟!

ليحملنّهم على المحجة العظمى[١]، وإن يطيعوه يدخلهم الجنة[٢]، فهو يقول هذا ثم صيّرها شورى بين ستة فويل له من ربه !!!

قال أبو الهذيل: فو الله بينما هو يكلمني إذ اختلط، وذهب عقله.

فأخبرت المأمون بقصته، وكان من قصته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدراً، فبعث إليه المأمون، فجاء به وعالجه وكان قد ذهب عقله بما صُنع به، فرد عليه ماله وضياعه وصيّره نديماً، فكان المأمون يتشيع لذلك، والحمد لله على كل حال[٣].

---

(١) روى ابن عبد البرفي الاستيعاب ان عمر قال في عليٍّ ـ عليه السلام ـ: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم، فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم علياً؟ قال: اكره أن أتحملها حياً وميتاً (عن هامش الايضاح ص ١٢٨)، وايضاً نصّ على هذا المعنى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كما اخرجه احمد في مسنده ج ١ ص ١٠٩ عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في حديث: وان تؤمروا علياً ـ عليه السلام ـ ولا اراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم، وفي الفرائد ج ١ ص ٢٦٦ ح ٢٠٧، في حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: وإن تستخلفوا علياً ـ ولا آراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجّة البيضاء.

(٢) وقد نصّ على ذلك النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ان استخلفوا علياً ـ عليه السلام ـ أدخلهم الجنة، فقد روى الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٦٨، مسنداً عن عبد الله عن مسعود قال: كنت مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وقد أصحر فتنفس الصعداء، فقلت: يا رسول الله مالك تتنفس؟ قال: يا بن مسعود نعيت اليّ نفسي، فقلت: يا رسول الله استخلف، قال: من؟ قلت: ابابكر، فسكت، ثم تنفس، فقلت: مالي اراك تتنفس؟ قال: نعيت اليّ نفسي. فقلت: استخلف يا رسول الله، قال: من؟ قلت: عمر بن الخطاب، فسكت، ثم تنفس قال: فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال نعيت اليّ نفسي، فقلت: استخلف قال: من؟ قلت: علي بن ابي طالب، قال: اوه ولن تفعلوا اذا ابداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنكم الجنة، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦٠، وكذلك فرائد السمطين ج ١ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ح ٢١٢، وفيه: أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلنّ الجنّة أجمعين أكتعين.

(٣) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٥.

المناظرة الخامسة والثلاثون

مناظرة الهيثم بن حبيب الصيرفي(١) مع ابي حنيفه

عن محمّد بن نوفل قال: كنت عند الهيثم بن حبيب الصيرفي فدخل علينا أبو حنيفة النعمان بن ثابت، فذكرنا أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، ودار بيننا كلام فيه.

فقال أبو حنيفة: قد قلت لأصحابنا: لا تقرّوا لهم بحديث غدير خم(٢) فيخصموكم !!

فتغيّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفي وقال له: لم لا يقرون به أما هو عندك يا نعمان ؟

قال: هو عندي وقد رويته.

قال: فلم لا يقّرون به، وقد حدّثنا به حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل(٣)

---

(١) وهو الهيثم بن حبيب الصيرفي الكوفي، أخو عبد الخالق بن حبيب.

تجد ترجمته في: الجرح والتعديل ج ٩ ص ٨٠ رقم: ٣٢٧، ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٢٠ رقم: ٩٢٩٥، تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٩١، تهذيب الكمال ج ٣٠ ص ٣٦٩ رقم: ٦٦٤٢.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) وهو: ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثيُّ الصحابي، وقد روى ايضاً مناشدة امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في الرحبة، بدون واسطة زيد بن ارقم، فقد روى احمد في مسنده ج ٤ ص ٣٧٠: عن أبي الطفيل قال: جمع علي ـ عليه السلام ـ عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم: انشد الله كلَّ امرء مسلم سمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول يوم غدير خم ما سمع لمّا قام، فقام ثلاثون من الناس، وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذه بيده فقال للناس: أتعلمون أني

←

عن زيد بن أرقم[١] أنّ علياً ـ عليه السلام ـ نشد الله في الرّحبة من سمعه ؟

فقال أبو حنيفة : أفلا ترون أنه قد جرى في ذلك خوض حتى نشد علي الناس لذلك ؟

فقال الهيثم : فنحن نكذب علياً أو نردّ قوله ؟

فقال أبو حنيفة : ما نكذّب علياً ولا نردّ قولاً قاله ، ولكنّك تعلم أنّ الناس قد غلا فيهم قوم .

فقال الهيثم : يقوله رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ويخطب به ونشفق نحن منه ونتّقيه لغلوّ غال أو قول قائل ؟! ثمّ جاء مَنْ قطع الكلام بمسألة سأل عنها ... الحديث[٢] .

← أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، قال : فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً ، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إنّي سمعت عليّاً ـ رضي الله عنه تعالى ـ يقول : كذا وكذا قال : فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول له ذلك .

وحكاه عن أحمد سنداً ومتناً الحافظ الهيثمي في مجمعه ج ٩ ص ١٠٤ ، واخرجه النسائي في الخصائص ص ٨٤ ح ٧٦ ، والكنجي في كفايته ص ٥٠ ، وابن كثير في البداية ج ٥ ص ٢١١ ، والبد خشي في نزل الأبرار ص ٢٠ ، وابن الأثير في أُسد الغابة ج ٥ ص ٢٧٦ .

(١) وممن اخرجه عن زيد بن ارقم ، الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ قال : نشد عليٌّ الناس فقال : أنشد الله رجلاً سمع النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ؟ فقام اثنا عشر رجلاً بدريّاً فشهدوا بذلك وكنت فيمن كتم ، فذهب بصري .

وقريب منه في : ذخائر العقبى ص ٦٧ ، ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٦ .

وجاء في شرح النهج لابن ابي الحديد ج ٤ ص ٧٤ ، وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن ، أنّ علياً ـ عليه السلام ـ نشد الناس مَنْ سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ، يقول : مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه ! فشهد له قوم وأمسك زَيْد بن أرقم ، فلم يشهد ـ وكان يعلمها ـ فدعا علي ـ عليه السلام ـ عليه بذهاب البصر فعمِيَ ، فكان يحدّث الناس بالحديث بعد ما كُفّ بصره .

(٢) امالي المفيد ص ٢٦ ح ٩ ، بحار الانوار ج ٤٧ ص ٤٠١ .

المناظرة السادسة والثلاثون

مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم[1] مع ضرار

قال جاء ضرار إلى أبي الحسن علي بن ميثم ـ رحمه الله ـ فقال له : يا أبا الحسن ، قد جئتك مناظراً .

فقال له أبو الحسن : وفيم تناظرني ؟

فقال : في الإمامة .

فقال : ما جئتني والله مناظراً ولكنك جئت متحكماً .

قال له ضرار : ومن أين لك ذلك ؟

قال أبو الحسن : عليّ البيان عنه ، أنت تعلم أن المناظرة ربما انتهت إلى حد يغمض فيه الكلام فتتوجه الحجة على الخصم فيجهل ذلك أو يعاند ، وإن لم يشعر بذلك أكثر مستمعيه بل كلهم ، ولكني أدعوك إلى

---

(١) هو : أبو الحسن علي بن اسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار ، مولىٰ بني أسد كوفي سكن البصرة ، من كبار متكلمي علمائنا الامامية في عصر المأمون والمعتصم ، وله مناظرات مع الملاحدة ومع المخالفين ، وأول من تكلم على مذهب الإمامية وصنّف كتاباً في الامامة ، كلم أبا الهذيل والنظام ، له كتب منها كتاب الامامة ، كتاب الطلاق ، كتاب النكاح ، كتاب مجالس هشام ابن الحكم ، وعد من اصحاب الامام الرضا ـ عليه السلام ـ ، وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ ج ١ ص ١٤ ح ٢ ، بإسناده عن البيهقي ، عن الصولي ، عن عون بن محمد الكندي انّه لم يرَ أحداً قطّ أعرف بأمور الأئمّة وأخبارهم ومناكحهم من أبي الحسن علي بن ميثم .

راجع ترجمته في : تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٧٠ ، سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ٥٢٥ ، ومعجم رجال الحديث للسيّد الخوئي «قدس سره» : ج ١٢ ص ٢٠٥ رقم : ٨٥٤١ .

منصفة من القول، وهو أن تختار أحد أمرين إما أن تقبل قولي في صاحبي وأقبل قولك في صاحبك فهذه واحدة.

قال ضرار: لا أفعل ذلك.

قال له أبو الحسن: ولم لا تفعله؟

قال: لأنني إذا قبلت قولك في صاحبك قلت لي: إنه كان وصي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأفضل من خلّفه وخليفته على قومه وسيد المرسلين فلا ينفعني بعد أن قبلت ذلك منك أن صاحبي كان صدّيقاً واختاره المسلمون إماماً، لأن الذي قبلته منك يفسد هذا عليّ.

قال له أبو الحسن: فاقبل قولي في صاحبك وأقبل قولك في صاحبي.

قال ضرار: وهذا لا يمكن أيضاً لأني إذا قبلت قولك في صاحبي قلت لي: كان ضالاً مضلاً ظالماً لآل محمد ـ عليهم السلام ـ قعد في غير مجلسه ودفع الإمام عن حقه وكان في عصر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ منافقاً فلا ينفعني قبولك قولي فيه إنه كان خيّراً صالحاً، وصاحباً أميناً لأنه قد انتقض بقبولي قولك فيه بعد ذلك إنه كان ضالّاً مضلّاً.

فقال له أبو الحسن ـ رحمه الله ـ: فإذا كنت لا تقبل قولك في صاحبك ولا قولي فيه ولا قولك في صاحبي، فما جئتني إلا متحكماً ولم تأتني مباحثاً مناظراً[1].

(١) الفصول المختارة ج ١ ص ١٠ ـ ١١، بحار الانوار ج ١٠ ص ٣٧١ ح ٣.

المناظرة السابعة والثلاثون

مناظرة علي بن ميثم مع بعضهم

قيل لعلي بن ميثم: لِمَ قعد عليّ ـ عليه السلام ـ عن قتالهم ؟

قال: كما قعد هارون عن السامري وقد عبدوا العجل.

قيل: أفكان ضعيفاً ؟

قال: كان كهارون حيث يقول: ﴿ **ابن أم إن القوم استضعفوني** ﴾[1]، وكنوح إذ قال: ﴿ **أني مغلوب فانتصر** ﴾[2]، وكلوط إذ قال: ﴿ **لو أن لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد** ﴾[3]، وكموسى وهارون إذ قال موسى: ﴿ **ربِّ إني لا أملك إلّا نفسي وأخي** ﴾[4].

وهذا المعنى قد أخذه من قول أمير المؤمنين لمّا اتصل به الخبر أنه لم ينازع الأولين.

فقال ـ عليه السلام ـ: لي بستة من الأنبياء أسوة:

اولهم خليل الرحمن إذ قال: ﴿ **وأعتزلكم وما تدّعون من دون الله** ﴾[5].

فإن قلتم: إنه اعتزلهم من غير مكروه فقد كفرتم، وإن قلتم: إنه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

(٢) سورة القمر: الآية ١٠.

(٣) سورة هود: الآية ٨٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ٢٥.

(٥) سورة مريم: الآية ٤٨.

اعتزلهم لمّا رأى المكروه منهم ، فالوصي أعذر .

وبلوط إذ قال : ﴿ **لو أن لي بكم قوّة أو آوى إلى ركنٍ شديد** ﴾(١) .

فإن قلتم : إن لوطاً كانت له بهم قوة ، فقد كفرتم ، وإن قلتم : لم يكن له بهم قوة ، فالوصي أعذر .

وبيوسف إذ قال : ﴿ **ربِّ السجن أحَبُ إليّ ممايدعونني إليه** ﴾(٢) .

فإن قلتم : طالب بالسجن بغير مكروه يسخط الله فقد كفرتم ، وإن قلتم : إنه دعي إلى ما يسخط الله ، فالوصيّ أعذر .

وبموسى إذ قال : ﴿ **فررت منكم لمّا خفتكم** ﴾(٣) .

فإن قلتم : إنه فرّ من غير خوف فقد كفرتم ، وإن قلتم : فر منهم لسوء أرادوه به ، فالوصيّ أعذر .

وبهارون إذ قال لأخيه : ﴿ **ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني** ﴾(٤) .

فإن قلتم : لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم ، وإن قلتم : استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم ، فالوصي أعذر .

وبمحمد إذ هرب إلى الغار وخلّفني على فراشه ووهبت مهجتي لله .

فإن قلتم : إنه هرب من غير خوف أخافوه فقد كفرتم ، وإن قلتم : إنهم أخافوه فلم يسعه إلّا الهرب إلى الغار ، فالوصيّ أعذر .

فقال الناس : صدقت يا أمير المؤمنين(٥) .

---

(١) سورة هود : الآية ٨٠ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٣٣ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٢١ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٥٠ .

(٥) المناقب لابن شهر اشوب ج ١ ص ٢٧٠ .

المناظرة الثامنة والثلاثون

مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم مع بعضهم

سئل أبو الحسن علي بن إسماعيل بن ميثم ـ رحمه الله ـ فقيل له : لم صلّىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ خلف القوم ؟

قال : جعلهم بمنزلة السواري (بمثل سواري المسجد) .

قال السائل : فلم ضرب الوليد بن عقبة الحد بين يدي عثمان ؟

قال : لأن الحد له وإليه فإذا أمكنه إقامته أقامه بكل حيلة .

قال : فلم أشار علىٰ أبىٰ بكر وعمر ؟

قال : طلباً منه أن يحيي أحكام الله عزوجل ويكون دينه القيم كما أشار يوسف ـ عليه السلام ـ علىٰ ملك مصر نظراً منه للخلق ، ولأن الفرض والحكم فيها إليه فإذا أمكنه أن يظهر مصالح الخلق فعل ، وإذا لم يمكنه ذلك بنفسه توصل إليه علىٰ يدي من يمكنه طلباً منه لإحياء أمر الله تعالىٰ .

قال : فلم قعد عن قتالهم ؟

قال : كما قعد هارون بن عمران عن السامري وأصحابه ، وقد عبدوا العجل .

قال : أفكان ضعيفاً ؟

قال : كان كهارون ـ عليه السلام ـ حيث يقول : ﴿ ابن أم إن القوم

استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾[١] وكان كنوح ـ عليه السلام ـ إذ قال: ﴿ أني مغلوب فانتصر ﴾[٢]، وكان كلوط ـ عليه السلام ـ إذ قال: ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوي إلىٰ ركن شديد ﴾[٣] وكان كموسىٰ وهارون ـ عليهما السلام ـ إذ قال موسىٰ: ﴿ رب إني لا أملك إلّا نفسي وأخي ﴾[٤].

قال: فلم قعد في الشورىٰ[٥]؟

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٥٠.

(٢) سورة القمر: الآية ١٠.

(٣) سورة هود: الآية ٨٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ٢٥.

(٥) والجدير بالذكر هنا هو ما ذكره الشريف المرتضى في الشافي في الإمامة ج ٢ ص ١٥٤ ـ ١٥٥ قال:

فأمّا دخول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في الشورى فقد ذكر أصحابنا رحمهم الله فيه وجوهاً:

أحدها: أنه ـ عليه السلام ـ إنما دخلها ليتمكن من إيراد النصوص عليه والاحتجاج بفضائله وسوابقه وما يدل على أنه أحق بالأمر وأولى، وقد علمنا أنه لو لم يدخلها لم يجز منه أن يبتديء بالاحتجاج، وليس هناك مقام احتجاج وبحث فجعل ـ عليه السلام ـ دخوله ذريعة الى التنبيه على الحق، بحسب الإمكان على ما وردت به الرواية فانّها وردت بأنّه ـ عليه السلام ـ عدد في ذلك اليوم جميع فضائله ومناقبه أو ذكّر بها.

ومنها: انه ـ عليه السلام ـ جوز أن يسلّم القوم الأمر له، ويذعنوا لما يورده من الحجج عليهم بحقّه فجعل الدّخول في الشورى توصلاً الى مستحقه وسبباً الى التمكين من الأمر والقيام فيه بحدود الله، وللإنسان أن يتوصّل إلى حقّه ويتسبب إليه بكلّ أمر لا يكون قبيحاً.

ومنها: ان السبب في دخوله ـ عليه السلام ـ كان التقية والاستصلاح لأنه ـ عليه السلام ـ لما دُعي إلى الدخول في الشورى أشفق من أن يمتنع فيتسبب منه الامتناع الى المظاهرة والمكاشفة، وإلى أن تأخر من الدخول في الشورى انما كان لاعتقاده أنه صاحب الأمر دون من ضمّ إليه فحمله على الدخول ما حمله في الابتداء على اظهار الرضا والتسليم.

←

قال: اقتداراً منه علىٰ الحجة[١]، وعلماً منه بأن القوم إن ناظروه

← وقال ايضاً أعلى الله مقامه في ج ٤ ص ٢١٤: ولو لم يدخل فيها (اي في الشورى) الا ليحتج بما احتج به من مقاماته وفضائله، وذرائعه ووسائله الى الأمامة، وبالاخبار الدالة عند تأملها على النص والاشارة بالإمامة اليه لكان غرضاً صحيحاً، وداعياً قوياً، وكيف لا يدخل في الشورى وعندهم أن واضعها قد احسن النظر للمسلمين، وفعل ما لم يسبق اليه من التحرز للدّين!

فأول ماكان يقال له ـ لو امتنع منها ـ: انك مُصرّح بالطعن على واضعها، وعلى جماعة المسلمين بالرضا بها، وليس طعنك الّا لانك ترى أن الأمر لك، وانك احق به، فيعود الأمر الى ماكان ـ عليه السلام ـ يخافه من تفرق الامة، ووقوع الفتنة، وتشتّت الكلمة. انتهى كلامه عليه الرحمة.

وربما هناك أسباب أُخرى غير هذه منها ما ذكره الراوندي عن امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٨٩: وروى القُطْب الراونديّ أن عمر لما قال: كونوا مع الثَّلاثة التي عبد الرحمن فيها، قال ابن عباس لعليّ ـ عليه السلام ـ: ذهب الأمرُ مِنّا، الرجل يريد أن يكون الأمر في عثمان، فقال علي ـ عليه السلام ـ: وأنا أعلم ذلك، ولكنّي أدخل معهم في الشورى، لأن عمر قد أهّلني الآن للخلافة وكان قبل ذلك يقول: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال إن النبوة والإمامة لايجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته. انتهى.

وليس فقط امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وابن عباس يعرفان نتيجة ـ الشورى ـ التي وضعها عمر على هذه الكيفية بل حتى عمر نفسه يعرف ما تؤول اليه هذه الكيفية التي وضعها، والذي يؤكد ذلك ايضاً قوله لعثمان ـ وهو على فراش مرضه: هيهاً إليك! كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبِّها إياك، فحملتَ بني أمية وبني أبي مُعَيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذُؤْبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً، والله لئن فعلوا لتفعلنّ، ولئن فعلت ليفعلنّ، ثم آخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي، فإنه كائن.

انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٦.

(١) ولذلك احتج ـ عليه السلام ـ عليهم ـ يوم الشورى ـ بفضائله ولم يدع منقبة من مناقبه الا وذكرها لهم اقامة للحجة عليهم.

راجع: فرائد السمطين ج ١ ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢، ترجمة امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من تاريخ دمشق ج ٣ ص ٩١ ح ١١٣٢، المناقب للخوارزمي ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ط نينوى طهران، ←

وأنصفوه كان هو الغالب، ولو لم يفعل وجبت الحجة عليه لأنه من كان له حق فدعي إلىٰ أن يناظر فيه أجاب، فإن ثبت له الحجّة سُلِّم الحق إليه وأعطيه، فإن لم يفعل بطل حقه وأدخل بذلك الشبهة علىٰ الخلق، وقد قال ـ عليه السلام ـ يومئذ: اليوم أدخلت في باب إن أنصفت فيه وصلت إلىٰ حقي، يعني أن أبا بكر استبد بها يوم السقيفة ولم يشاوره.

قال: فلم زوج عمر بن الخطاب ابنته؟

قال: لإظهاره الشهادتين وإقراره بفضل رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وأراد بذلك استصلاحه وكفه عنه، وقد عرض لوط ـ عليه السلام ـ بناته علىٰ قومه وهم كفّار ليردّهم عن ضلالتهم، فقال: ﴿ **هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد** ﴾[1]. [2]

← لسان الميزان ج ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ط ١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٦٧ ـ ١٦٨، الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٣٤ ـ ١٤٥.

(١) سورة هود: الآية ٧٨.

(٢) الفصول المختارة ص ٤١، بحار الانوار ج ١٠ ص ٣٧٣ ح ٥.

المناظرة التاسعة والثلاثون

مناظرة المأمون[1] مع الفقهاء

عن حمّاد بن زيد قال: بعث إليَّ يحيى بن أكثم وإلى عدّة من أصحابي، وهو يومئذ قاضي القضاة، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه[2] ما يقال له ويحسن الجواب، فسمّوا من تظنّونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين. فسمّينا له عدة، وذكر هو عدة، حتى تم العدد الذي أراد، وكتب تسمية القوم، وأمر بالبكور[3] في السَحَر، وبعث إلى من لم يحضر، فأمره بذلك، فغدونا عليه قبل طلوع الفجر، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا، فركب وركبنا معه حتى صرنا إلى الباب، فإذا بخادم واقف، فلما نظر إلينا، قال: يا أبا محمد، أمير المؤمنين ينتظرك، فأدخلنا، فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها، فلم نستتم حتى خرج الرسول، فقال: ادخلوا فدخلنا فإذا أمير

---

(١) المأمون: الخليفة، أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العبّاسي، ولد سنة سبعين ومائة، بويع بالخلافة أوّل سنة ثمان وتسعين ومائة، بايع بالعهد للإمام علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ ونبذ السواد، وأبدله بالخضرة، توفي سنة ثماني عشرة ومائتين وحمل الى طرطوس ودفن بها.

تجد ترجمته في: سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٢٧٢ رقم: ٧٢، تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٣، الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٦٦، سفينة البحار للقمي ج ١ ص ٤٤.

(٢) يفقه: يفهم.

(٣) البكور: الإسراع.

المؤمنين جالس على فراشه ، وعليه سواده وطيلسانه[١] والطويلة وعمامته ، فوقفنا وسلّمنا ، فرد السلام وأمر لنا بالجلوس ، فلما استقرّ بنا المجلس انحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته[٢] ثم أقبل علينا ، فقال : إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك ، وأما الخفُّ فمَنَعَ من خلعه علّة ، من قد عرفها منكم فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فسأعرفه بها ، ومدّ رجله ، وقال : انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم .

قال : فأمسكنا فقال لنا يحيى : انتهوا إلى ما أمركم به أمير المؤمنين فتنحينا فنزعنا أخفافنا وطيالستنا وقلانستنا ورجعنا ، فلما استقر بنا المجلس قال : إنما بعثت إليكم معشرَ القوم في المناظرة ، فمن كان به شيء من الأخبثين[٣] لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول ، فمن أراد منكم الخلاء فهناك ، وأشار بيده ، فدعونا له ، ثم ألقى مسألة من الفقه .

فقال : يا محمد ، قل ، وليقل القوم من بعدك ، فأجابه يحيى ، ثم الذي يلي يحيى ، ثم الذي يليه ، حتى أجاب آخرنا ، في العلّة وعلّة العلة وهو مطرق لا يتكلم ، حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى .

فقال : يا أبا محمد ، أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة . ثم لم يزل يردُّ على كل واحد منا مقالته ، ويخطّىءُ بعضنا ويصوّب بعضنا ، حتى أتى على آخرنا .

ثم قال : إني لم أبعث فيكم لهذا ، ولكنني أحببت أن أنبئكم أن أمير

---

(١) الطيلسان : ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف ، او يحيط بالبدن ، خال عن التفصيل والخياطة .

(٢) القلنسوة : لباس للرأس مختلف الانواع والاشكال .

(٣) الأخبثين : البول والغائط .

المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به .

قلنا : فليعمل أمير المؤمنين وفّقه الله .

فقال : إن أمير المؤمنين يدين الله على أنّ عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ خيرُ خلق الله بعد رسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأولى الناس بالخلافة(١) له .

قال إسحاق : فقلت : يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في عليّ ، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة .

فقال : يا إسحاق ، اختر ، إن شئت سألتك أسألك ، وإن شئت أن تسأل فقلْ .

قال إسحاق : فاغتنمتها منه ، فقلت : بل أسألك يا أمير المؤمنين .

قال : سل .

قلت : من أين ؟

قال أمير المؤمنين: إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقّهم بالخلافة بعده ؟

قال : يا إسحاق ، خبّرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان ؟

قلت : بالأعمال الصالحة .

قال : صدقت .

قال : فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ

---

(١) ومن ذلك قوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في حق علي ـ عليه السلام ـ: فهو اولى الناس بكم بعدي .
راجع : كنز العمال ج ١١ ص ٦٠٨ ح ٣٢٩٤١ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٩ .

بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، أيُلْحق به؟

قال: فأطرقت.

فقال لي: يا إسحاق، لا تقل نعم، فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاةً وصدقة.

فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الفاضل أبداً.

قال: يا إسحاق، فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدْوتك من فضائل عليّ بن أبي طالب، فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي، فقل إنه أفضل منه، لا والله، ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده، فقل إنهما أفضل منه، ولا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، فإن وجدتها مثل فضائل عليّ، فقل إنهم أفضل منه، لا والله، ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالجنة، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه.

قال: يا إسحاق، أيّ الاعمال كانت أفضل، يوم بعث الله رسوله؟

قلت: الإخلاص بالشهادة.

قال: أليس السبقُ إلى الإسلام؟

قلت: نعم.

قال: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: ﴿ والسابقونَ السّابقون،

أُولئك المقرّبون﴾[١] ، إنما عنى مَنْ سَبق إلى الإسلام ، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام[٢] ؟

قلت : يا أمير المؤمنين، إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم .

قال : أخبرني أيهما أسلم قبل ، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال .

قلت : عليّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة .

فقال : نعم ، فأخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم : لا يخلو من أن يكون رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ دعاه إلى الإسلام ، أو يكون إلهاماً من الله .

قال : فأطرقت .

فقال لي : يا إسحاق ، لا تقل إلهاماً فتقدّمه على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لأنّ رسول الله لم يعرف الا سلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى .

قلت : أجل ، بل دعاه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إلى الإسلام .

---

(١) سورة الواقعة : الاية ١٠ و ١١ .

(٢) وممن ذكر حديث : ان علياً اول الناس اسلاماً ، الجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٠٠ ح ٣٧٣٥ ، المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٣٦ ، خصائص امير المؤمنين للنسائي ص ٢٦ ح ٣ ، مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٦٨ ، الرياض النضرة ج ٣ ص ١٠٩ ، وفي الاستيعاب ج ٣ ص ١٠٩٠ قال: وروي عن سلمان انه قال : اول هذه الامة وروداً على نبيها ـ صلى الله عليه وآله ـ الحوض اولها اسلاماً علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، وقد ذكر الحجة الاميني في كتابه الغدير ج ٣ ص ٢١٩ مائة حديث من طرق مختلفة رواها أئمة الحديث في أن علياً اول من اسلم .

قال : يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ـ صلّى الله عليه و آله ـ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه ؟

قال : فأطرقت .

فقال : يا إسحاق ، لا تنسب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلى التكلّف ، فإن الله يقول : ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾[1] .

قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، بل دعاه بأمر الله .

قال : فهل من صفة الجبار جل ثناؤه أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم ؟

قلت : أعوذ بالله !

فقال : أفتراه في قياس قولك يا إسحاق : «إن علياً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم » ، قد كُلّف رسول الله ـ صلّى الله عليه و آله ـ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ، فهو يدعوهم الساعة و يرتدُّون بعد ساعة ، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول ـ صلّى الله عليه و آله ـ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عزّ وجلّ ؟

قلت : أعوذ بالله .

قال : يا إسحاق ، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عليّاً على هذا الخلق ، أبانه بها منهم ليعرّف مكانه و فضله، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً ؟

قلت : بلى .

قال : فهل بلغك أن الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ دعا أحداً من

---

(١) سورة ص : الآية ٨٦ .

الصبيان من أهله وقرابته ـ لئلا تقول إن علياً ابن عمه ـ ؟

قلت : لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل .

قال : يا إسحاق ، أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه ؟

قلت : لا .

قال : فدع ما قد وضعه الله عنّا وعنك .

قال : ثم أيّ الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام ؟

قلت : الجهاد في سبيل الله .

قال : صدقت ، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ما تجد لعليّ في الجهاد ؟

قلت : في أي وقت ؟

قال : في أي الأوقات شئت !

قلت : بدر ؟

قال : لا أريد غيرها ، فهل تجد لأحد إلّا دون ما تجد لعليّ يوم بدر ؟ أخبرني : كم قتلى بدر ؟

قلت : نيف وستون رجلاً من المشركين .

قال : فكم قتل عليّ وحده ؟

قلت : لا أدري .

قال : ثلاثة وعشرين ، أو اثنين وعشرين[1] ، والأربعون لسائر

---

(١) راجع : المغازي للواقدي ج ١ ص ١٤٧ ـ ١٥٣ ، السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٣٦ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٤ ص ٢٠٨ ـ ٢١٢ ، الارشاد للمفيد ص ٤٠ ، مجمع البيان ج ٢ ص ٥٥٨ ، كشف الغمة ج ١ ص ١٨١ ، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩١ و ص ٢٩٣ و ص ٣٦٥ .

الناس.

قلت: يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في عريشه[١].

قال: يصنع ماذا؟

قلت: يُدبّر.

قال: ويحك! يُدبّر دون رسول الله أو معه شريكا، أو افتقاراً من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلى رأيه؟ أي الثلاث أحب اليك؟

قلت: أعوذ بالله أن يُدبّر أبو بكر دون رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أو يكون معه شريكاً، أو أن يكون برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ افتقارٌ إلى رأيه.

قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أفضل ممن هو جالس؟

قلت: يا أمير المؤمنين، كلُّ الجيش كان مجاهداً.

قال: صدقت، كلٌّ مجاهد، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعن الجالس، أفضل من الجالس، أما قرأت كتاب الله: ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً** ﴾[٢].

قلت: وكان ابو بكر وعمر مجاهدين.

---

(١) العريش: ما يستظل به، والسقف.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٥.

قال : فهل كان لأبي بكر وعمر فضلٌ على من لم يشهد ذلك المشهد؟

قلت : نعم .

قال : فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر .

قلت : أجل .

قال : يا أسحاق ، هل تقرأ القرآن ؟

قلت : نعم .

قال : اقرأ عليَّ ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ﴾[١] فقرأت منها حتى بلغت : ﴿ يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ﴾[٢] إلى قوله : ﴿ ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾[٣] .

قال : على رسلك ، فيمن أُنزلت هذه الآيات ؟

قلت : في عليّ[٤] .

---

(١) سورة الانسان : الآية ١ .

(٢) سورة الانسان : الآية ٥ .

(٣) سورة الانسان : الآية ٨ .

(٤) فقد روى الجمهور في سبب نزول هذه الايات في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ان الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعامة العرب ، فنذر علي صوم ثلاثة ايام ، وكذا أمُهما فاطمة ـ عليها السلام ـ وخادمتهم فضة ، لئن برَئا ، فبَرئا ، وليس عند آل محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ قليل ولا كثير ، فاستقرض أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ثلاثة أصوع من الشعير ، وطحنت فاطمة منها صاعاً ، فخبزته أقراصاً ، لكل واحد قرص ، وصلى علي ـ عليه السلام ـ المغرب ، ثم أتى المنزل ، فوضع بين يديه للافطار ، فأتاهم مسكين ، وسألهم ، فأعطاه كل واحد منهم قوته ، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً.

ثم صاموا اليوم الثاني ، فخبزت فاطمة ـ عليها السلام ـ صاعاً آخر ، فلما قدّمته بين أيديهم للافطار أتاهم يتيم ، وسألهم القوت ، فتصدق كلّ منهم بقوته فلما كان اليوم الثالث من صومهم ،
←

قال : فهل بلغك أن عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير .

قال : إنما نطعمكم لوجه الله ؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً ؟

قلت : لا .

قال : صدقت ، لأن الله جل ثناؤه عرف سيرته يا إسحاق ، ألست تشهد أن العشرة في الجنة ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين.

قال : أرأيت لو أنّ رجلاً قال : والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا ، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله ، أكان عندك كافراً ؟

قلت : أعوذ بالله !

← وقدّم الطعام للافطار ، أتاهم اسير وسألهم ، فأعطاه كل منهم قوته ، ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء فرآهم النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في اليوم الرابع ، وهم يرتعشون من الجوع ، وفاطمة ـ عليها السلام ـ قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عينها ، فقال ـ صلّى الله عليه وآله ـ : واغوثاه ، ياالله ، أهل محمد يموتون جوعاً ، فهبط جبرئيل ، فقال : خذ ما هنأك الله تعالى به في أهل بيتك ، فقال : وما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه : ﴿ **هل أتى** ﴾ . راجع شواهد : التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢ ص ٣٩٣ـ٤١٤ ح١٠٤٢ ـ ١٠٧٠ ، مناقب ابي المغازلي ص ٢٧٢ ح ٣٢٠ ، اسباب النزول للواحدي ص ٢٩٦ ، الدر المنثور للسيوطي ج ٨ ص ٣٧١ ، ذخائر العقبى ص ١٠٢ ، تفسير البيضاوي ج ٥ ص ١٦٥ ، تفسير الطبري ج ٢٩ ص ١٢٥ ، تفسير الفخر الرازي ج ٣٠ ص ٢٤٣ ، الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٦٧٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١ ، احقاق الحق للتستري ج ٣ ص ١٥٨ ـ ١٦٩ و ج ٩ ص ١١٠ ـ ١٢٣ ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٠١ .

وقال أحد الأدباء في هذه الحادثة الشريفة ـ كما في شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٩ ص ١٠١ :

جادَ بالقُرْص والطَّوَى مِلُّ جنبيـ ـهِ وعافَ الطَّعام وهـو سَغُوبُ
فأعـاد القُـرْصُ المـنيرُ عـليه الـ ـقُرْصَ والمُقرِض الكِرامِ كَسـوبُ

قال : أرأيت لو أنه قال : ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا ، كان كافراً ؟

قلت : نعم .

قال : يا إسحاق ، أرى بينهما فرقاً يا إسحاق ، أتروي الحديث ؟

قلت : نعم .

قال : فهل تعرف حديث الطير [1] ؟

قلت : نعم .

قال : فحدّثني به قال : فحدّثته الحديث .

فقال : يا إسحاق ، إني كنت أكلّمك وأنا أظنك غير معاند للحق ، فأمّا

---

(١) حديث الطائر المشوي هو اشهر من أن يذكر فقد روته جل مصادر العامة ، فقد جاء في المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٠ : عن أنس بن مالك قال : كنت أخدم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فَقُدِّم لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فرخ مشوي فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، قال : فقلت : اللهم اجعله رجلاً من الانصار ، فجاء علي ـ عليه السلام ـ فقلت : إن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ على حاجة ، ثم جاء ، فقلت : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ على حاجة فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : افتح فدخل فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : ما حبسك يا علي؟ فقال : إن هذه آخر ثلاث كرّات يردني أنس ، يزعم أنك على حاجة ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقلت : يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي ، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : إن الرجل قد يحب قومه .

وقد روي هذا الحديث في مصادر كثيرة منها :

ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من تاريخ دمشق ج ٢ ص ١٠٥ ـ ١٣٤ ح ٦١٢ ـ ٦٤٥ ، المناقب لابن المغازلي ص ١٥٦ ـ ١٧٥ ح ١٨٩ ـ ٢١٢ ، صحيح الترمذي ج ٥ ص ٥٩٥ ح ٣٧٢١ ، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٠ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ ، عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ ج ٢ ص ١٨٧ ح ٢ ، أمالي الصدوق ص ٥٢١ ، الخصال ص ٥٥١ ح ٣٠ ، وممن أفرد هذا الحديث بالتأليف : الحاكم النيسابوري في كتاب سماه (قصة الطير) ، وابن جرير الطبري ، والحافظ ابن عقدة ، والحافظ ابن مردويه ، والحافظ ابو نعيم الاصفهاني ، والحافظ ابو عبد الله الذهبي.

الآن فقد بان لي عنادك ، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح .

قلت : نعم ، رواه من لا يمكنني ردّه .

قال : أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح ، ثم زعم أن أحداً أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة : من أن تكون دعوة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عنده مردودة عليه ، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب اليه ، أو أن يقول إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول ، فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول ؟ فأطرقت ... ثم قال : يا إسحاق ، لا تقل منها شيئاً ، فإنك إن قلت منها شيئاً استتبْتُك[1] ، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله .

قلت : لا أعلم وإن لأبي بكر فضلاً .

قال : أجل ، لو لا أن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه ، فما فضله الذي قصدت له الساعة ؟

قلت : قول الله عز وجل : ﴿ **ثاني اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا** ﴾[2] ، فنسبه إلى صحبته .

قال : يا إسحاق ، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك ، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً ، وهو قوله : ﴿ **فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً ، لكنّا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً** ﴾[3] .

قلت : إن ذلك صاحب كان كافراً ، وأبو بكر مؤمن.

---

(١) استتبتك : أنبتك ، أقمتك مقامي .

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

(٣) سورة الكهف : الآية ٣٧ و ٣٨.

قال : فإذا جاز ان ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً ، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً ، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث .

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن قدر الآية عظيم ، إن الله يقول : ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا** ﴾[1] !

قال : يا إسحاق ، تأبى الآن الا أن أخرج إلى الاستقصاء عليك ! أخبرني عن حزن أبي بكر : أكان رضاً أم سخطاً ؟

قلت : إن ابا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ خوفاً عليه وغماً ، أن يصل إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ شيء من المكروه .

قال : ليس هذا جوابي ، إنما كان جوابي أن تقول : رضاً ، أم سخط .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠ ، قال الاسترابادي في هامش رجال الكشي ج ١ ص ١٣١ : سياق الآية الكريمة بلسان بلاغتها تنطق بوجوه من الطعن في جلالة ابي بكر :

الاول : ان همه وحزنه وفزعه وانزعاجه وقلقه حين اذ هو مع النبي الكريم المامور من تلقاء ربه الحفيظ الرقيب بالخروج والهجرة ، والموعود من السماء على لسان روح القدس الامين بالتأييد والنصرة ، مما يكشف عن ضعف يقينه وركاكة ايمانه جداً .

الثاني : أن انزال الله سكينته عليه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقط لا على أبي بكر ولا عليهما جميعاً ، مع كون أبي بكر احوج الى السكينة حينئذ لقلقه وحزنه يدل على انه لم يكن اهلاً لذلك .

وتحامل احتمال أن يرجع الضمير في « عليه » على أبي بكر ، كما تجشمه البيضاوي ، مع أن فيه خرق اتفاق المفسرين وشق عصاهم خلاف ما تتعاطاه قوانين العلوم اللسانية والفنون الأدبية ، اليس ضمير « أيده » و « عليه » في الجملتين المعطوفة والمعطوفة عليها يعودان الى مفاد واحد ، وضمير « وايده بجنود لم تروها » في الجملة المعطوفة للنبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بلا امتراء ، فكذلك ضمير عليه في الجملة المعطوف عليها ، أعني « فأنزل الله سكينته عليه » .

الثالث : ان اسلوب « اذ يقول لصاحبه لا تحزن » في العبارة عن ابي بكر يضاهي اسلوب « يا صاحبي السجن » في سورة يوسف « فقال لصاحبه وهو يحاوره » في سورة الكهف .

قلت : بل كان رضاً لله .

قال : فكان الله جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله عز وجلّ وعن طاعته !

قلت : أعوذ بالله !

قال : أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضاً لله ؟

قلت : لله بلى .

قال : أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : « لا تحزن » ، نهياً له عن الحزن ؟

قلت : أعوذ بالله !

قال : يا إسحاق ، إن مذهبي الرفق بك ، لعل الله يردّك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل ، لكثرة ما تستعيذ به . وحدّثني عن قول الله : ﴿ **فأنزل الله سكينته عليه** ﴾[1] من عنى بذلك ، رسول الله أم أبا بكر ؟

قلت : بل رسول الله .

قال : صدقت .

قال : حدّثني عن قول الله عز وجل : ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** ﴾[3] .

أتعلم مَنْ المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضع ؟

قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين.

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٥ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٢٦ .

قال: الناس جميعاً انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلّا سبعة نفر من بني هاشم: عليّ يضرب بسيفه بين يدي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ والعباس[١] أخذ بلجام بغلة رسول الله، والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء، حتى أعطى الله لرسوله الظّفر، فالمؤمنون في هذا الموضع عليٌ خاصة، ثم من حضره من بني هاشم.

قال: فمن أفضل، من كان مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في ذلك الوقت، أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟

قلت: بل من أنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق، من أفضل، من كان معه في الغار، أم من نام على فراشه[٢] ووقاه بنفسه، حتى تمّ لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ما أراد من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر عليّاً بالنوم على فراشه، وأن يقي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بنفسه، فأمره رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بذلك، فبكى عليٌ ـ عليه السلام ـ، فقال له رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ما يبكيك يا عليٌ، أجزعاً من الموت؟

قال: لا، والذي بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفاً عليك، أفتسلم يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله، ثم أتى

---

(١) راجع: اصول الاخبار ص ٦٤، الارشاد للمفيد ص ٧٤، غزوات امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ص ١٥٠.

(٢) تقدمت تخريجاته.

مضجعه واضطجع ، وتسجّى[١] بثوبه ، وجاء المشركون من قريش فحفّوا[٢] به ، لا يشكّون أنه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ، وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربةً بالسيف ، لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه ، وعليٌّ يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ، ولم يزل عليٌّ صابراً محتسباً ، فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح ، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا : أين محمد ؟

قال : وما علمي بمحمد أين هو ؟ قالوا : فلا نراك إلا مغرّراً بنفسك منذ ليلتنا ، فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص ، حتى قبضه الله إليه .

يا إسحاق ، هل تروي حديث الولاية ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين.

قال : أروه ، ففعلت .

قال : يا إسحاق ، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه ؟

قلت : إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي ، وأنكر ولاء علي ، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه »[٣] .

---

(١) تسجىّ : تغطى .

(٢) حفّوا به : استداروا حوله وأحدقوا به .

(٣) تقدمت تخريجاته .

قال : في أي موضع قال هذا ، أليس بعد منصرفه من حجة الوداع ؟

قلت : أجل .

قال : فإنّ قتل زيد بن حارثة قبل الغدير[١] كيف رضيت لنفسك بهذا ؟ أخبرني : لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول : مولاي مولى ابن عمي ، أيها الناس فاعلموا ذلك ، أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون ؟

فقلت : اللهم نعم .

قال : يا إسحاق ، أفتنزّه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ؟ ويحكم ! لا تجعلوا فقهاءكم اربابكم[٢] ، إن الله جل ذكره قال في كتابه : ﴿ **اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾[٣] ولم يصلّوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم ، يا إسحاق ، أتروي حديث : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى »[٤] ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد سمعته وسمعت من صحّحه وجحده .

---

(١) استشهد زيد بن حارثة في غزوة مؤته . راجع : طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠ ، سير اعلام النبلاء ج ١ ص ٢٢٠ ، الاستيعاب ج ٢ ص ٥٤٢ ، أُسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٤ .

واما حادثة الغدير فقد وقعت في السنة العاشرة من الهجرة في حجة الوداع . راجع : طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٧٢ ، تاريخ الذهبي ج ١ ص ٧٠١ ، مغازي الواقدي ج ٣ ص ١٠٨٨ وغيرها الكثير من المصارد .

(٢) الأرباب : جمع ربّ وهو الاله أو الصاحب .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٤) نقدمت تخريجاته .

قال : فمن أوثق عندك ، من سمعت منه فصحّحه ، أو من جحده ؟

قلت : من صحّحه .

قال : فهل يمكن أن يكون الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ مزح بهذا القول ؟

قلت : أعوذ بالله !

قال : فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه ؟

قلت : أعوذ بالله !

قال : أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمّه ؟

قلت : بلى .

قال : فعليٌّ أخو رسول الله لأبيه وأمّه ؟

قلت : لا .

قال : أو ليس هارون كان نبيّاً وعليٌّ غير نبيّ ؟

قلت : بلى .

قال : فهذان الحالان معدومان في عليّ وقد كانا في هارون ، فما معنى قوله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » ؟

قلت له : إنما أراد أن يطيّب بذلك نفس عليّ لمّا قال المنافقون : أنه خلّفه استثقالا له .

قال : فأراد أن يطيّب نفسه بقول لا معنى له ؟

قال : فأطرقت .

قال : يا إسحاق ، له معنى في كتاب الله بيّن .

قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : قوله عز وجل حكايةً عن موسى أنه قال لأخيه هارون :

﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾[1].

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن موسى خلّف هارون في قومه وهو حيٌّ ، ومضى إلى ربه ، وإن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ خلّف عليّاً كذلك حين خرج إلى غزاته .

قال : كلا ، ليس كما قلت ، أخبرني عن موسى حين خلّف هارون هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل ؟

قلت : لا .

قال : أو ليس استخلفه على جماعتهم ؟

قلت : نعم .

قال : فأخبرني عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ حين خرج إلى غزاته ، هل خلّف إلّا الضعفاء والنساء والصبيان ، فأنّى يكون مثل ذلك ؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه ، لا يقدر أحد أن يحتج فيه ، ولا أعلم أحداً احتج به وأرجو أن يكون توفيقاً من الله .

قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله : **﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي هٰرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنّك كنت بنا بصيراً ﴾**[2] « فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى ، وزيري من أهلي ، وأخي ، شدّ الله به أزري ، وأشركه في أمري ، كي نسبح الله كثيراً ، ونذكره كثيراً » ، فهل يقدر أحد يدخل في هذا شيئاً غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي ـ

---

(١) سورة الاعراف : الآية ١٤٢ .

(٢) سورة طه : الآية ٣٥.

صلّى الله عليه وآله ـ وأن يكون لا معنى له ؟

قال : فطال المجلس وارتفع النهار .

فقال : يحيى بن أكثم القاضي : يا أمير المؤمنين، قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير ، وأثبتّ ما يقدر أحد أن يدفعه .

قال إسحاق : فأقبل علينا وقال : ما تقولون ؟

فقلنا : كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله .

فقال : والله لو لا أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال اقبلوا القول من الناس ، ما كنت لأقبل منكم القول ، اللهم قد نصحت لهم القول ، اللهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي ، اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب عليٍّ وولايته !(١) .

(١) العقد الفريد : ج ٥ ص ٣٤٩ .

المناظرة الاربعون

مناظرة المأمون مع علماء العامة[1]

عن اسحاق بن حماد بن زيد، قال: جمعنا يحيىٰ بن أكثم القاضي، قال: أمرني المأمون بأحضار جماعة من أهل الحديث، وجماعة من أهل الكلام والنظر، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلاً، ثم مضيت بهم فأمرتهم بالكينونة في مجلس الحاجب لأعلمه بمكانهم ففعلوا، فأعلمته فأمرني بإدخالهم فدخلوا فسلّموا، فحدثهم ساعة وآنسهم.

ثم قال: إني أريد ان أجعلكم بيني وبين الله تبارك وتعالى في يومي هذا حجة، فمن كان حاقناً[2]، أو له حاجة فليقم إلى قضاء حاجته وانبسطوا وسلّوا خفافكم، وضعوا أرديتكم، ففعلوا ما أمروا به.

فقال: أيها القوم إنما استحضرتكم لأحتج بكم عند الله تعالى. فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم وإمامكم، ولا يمنعكم جلالتي ومكاني من قول الحق حيث كان، ورد الباطل على من أتىٰ به، وأشفقوا على أنفسكم من النار، وتقربوا إلى الله تعالىٰ برضوانه وإيثار طاعته، فما أحد تقرب إلى مخلوق بمعصية الخالق إلّا سلّطه الله عليه.

---

(١) هذه المناظرة مروية في عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ وهي نفسها المناظرة السابقة ـ مناظرة المأمون مع الفقهاء المروية في العقد الفريد ـ وقد آثرنا ذكرهما كلتيهما لما فيهما من التفاوت والأختلاف الكبير الا أن هذه المناظرة أكمل وأوسع وفيها بحوث شتى وفوائد جمة.

(٢) الحاقن: من له بول شديد.

فناظروني بجميع عقولكم إني رجل أزعم: أن علياً ـ عليه السلام ـ خير البشر بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، فإن كنت مصيباً فصوّبوا قولي، وإن كنت مخطئاً فردّوا عليَّ، وهلّموا فإن شئتم سألتكم وإن شئتم سألتموني.

فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسألك.

فقال: هاتوا وقلّدوا كلامكم رجلاً واحداً منكم، فإذا تكلم، فإن كان عند أحدكم زيادة فليزد، وإن أتىٰ بخلل فسددوه.

فقال قائل منهم: إنما نحن نزعم أن خيّر الناس بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أبو بكر، من قبل أن الرواية المجمع عليها جاءت عن الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنه قال: اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر[1] فلما أمر نبيّ الرحمة بالاقتداء بهما، علمنا أنه لم

---

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٣٨٢ و ٣٨٤ بإسناده من طريقين عن حذيفة، وفي إسناده عبد الملك بن عمير، قال عنه أحمد: مضطرب الحديث جدّاً مع قلّة روايته، ما أرى له خمسمائة حديث، وقد غلط في كثير منها. تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ٤١١، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٦٠.

واخرجه الترمذي أيضاً في سننه ج ٥ ص ٥٦٩، ح ٣٦٦٢ و ص ٦٢٧ ح ٣٧٩٩ في مناقب أبي بكر وعمر وعمّار بن ياسر، بإسناده من عدّة طرق عن حذيفة، وفي إسناده إضافة إلى عبد الملك ابن عمير سالم بن العلاء المرادي الذي قيل عنه: ضعيف الحديث. «ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١١٢، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٤٠، لسان الميزان ج ٣ ص ٧».

وأخرج الحديث أيضاً في: سنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٧ ح ٩٧، الإحكام في أصول الأحكام ج ٢ ص ٢٤٢، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٧٥، الجامع الصغير ج ١ ص ١٩٧ ح ١٣١٨، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤٢، مصابيح السنّة للبغوي ج ٤ ص ١٦٢ ح ٤٧٤٢.

ولقد طعن أكابر علماء السنّة في سند حديث الاقتداء بقولهم: موضوع أو باطل أو لم يصح أو منكر، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦، سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٦٩ و ص ٦٢٧، الضعفاء الكبير ج ٤ ص ٩٥، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤٢، لسان الميزان ج ١ ص ١٨٨

يأمر بالاقتداء إلّا بخير الناس.

فقال المأمون: الروايات كثيرة ولابد من أن تكون كلّها حقاً، أو كلّها باطلاً، أو بعضها حقاً وبعضها باطلاً، فلو كانت كلّها حقاً كانت كلّها باطلاً من قبل أن بعضها ينقض بعضاً، ولو كانت كلها باطلاً كان في بطلانها بطلان الدّين ودروس الشريعة، فلما بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار.

وهو أن بعضها حق وبعضها باطل، فإذا كان كذلك فلابد من دليل على ما يحق منها ليعتقد وينفي خلافه، فإذا كان دليل الخبر في نفسه حقاً كان أولى ما أعتقده وأخذ به، وروايتك هذه من الأخبار الّتي أدلّتها باطلة في نفسها.

وذلك أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أحكم الحكماء، وأولى الخلق بالصدق، وأبعد الناس من الأمر بالمحال، وحمل الناس على التدين بالخلاف، وذلك أن هذين الرجلين لا يخلو من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مختلفين؟

فإن كانا متفقين من كلّ جهة كانا واحداً في العدد والصفة والصورة والجسم وهذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كلّ جهة.

وإن كانا مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما، وهذا تكليف ما لا يطاق، لأنك إذا اقتديت بواحد خالفت الآخر.

والدليل على اختلافهما: أن أبا بكر سبا أهل الردة، وردهم عمر أحراراً[1]، وأشار عمر إلى أبي بكر بعزل خالد وبقتله لمالك بن

و ص ٢٧٣ و ج ٥ ص ٢٣٧، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٣، الدرّ النضيد ص ٩٧، أسنى المطالب ص ٦٥ ح ٢٣٨، الغدير للاميني ج ٥ ص ٣٣٧.

(١) تجد أخبار الردّة في الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٤٢ ـ ٣٨٣، وفيه ان عمر قال: إنّه لقبيح

نويرة[١]، فأبى أبو بكر عليه.

بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً، وقد وسّع الله عزّ وجلّ وفتح الأعاجم، واستشار في فداه، سبايا العرب في الجاهلية والأسلام إلّا امرأة ولدت لسيّدها، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص١٥١.

(١) روى ابن جرير الطبري في تاريخه ج٣ ص ٢٨٠: ان أبا بكر كان من عهده الى جيوشه: ان اذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيه أذاناً للصلاة فأمسكوا عنه أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا، وان لم تسمعوا اذاناً فشنوا الغارة فاقتلوا واحرقوا، وكان ممن شهد لمالك بالاسلام ابو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله ان لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً ابداً بعدها، وكان يحدث: أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فاخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنّا المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها، ثم صلينا وصلّوا (الى ان قال) ثم اقدمه ـ يعني خالد مالكاً ـ فضرب عنقه واعناق اصحابه، قال: فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدو الله عدا على امرء مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها، ثم قال: أرياءً قتلت امرءً مسلماً ثم نزوت على امرأته والله لارجمنك بأحجارك.

وممن ذكر هذه الحادثة المؤلمة: تاريخ الطبري ج٣ ص٢٨٠، تاريخ ابن الأثير ج٢ ص٣٥٧، تاريخ دمشق ج٥ ص١١٥، تاريخ ابن كثير ج٦ ص٣٢١، تاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٨، تاريخ الخميس ج٢ ص٢١١، وفيات الاعيان لابن خلكان ج٦ ص١٤ (في ترجمة وثيمه)، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١ ص ١٧٩، اسد الغابة ج٤ ص٢٩٥، الاصابة ج١ ص٤١٤ و ج٣ ص٣٥٧، الغدير للاميني ج٧ ص١٥٨.

وقد قال في هذه الحادثة المؤلمة أبو زهير السعدي:

ألا قل لحيّ أوطئوا بالسنابك ... تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالدٌ بغياً عليه بعرسه ... وكان له فيها هوىً قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف ... عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك ... على غير شيء هالكاً في الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعده؟ ... ومن للرجال المعدمين الصعالك؟
أصيبت تميم غثها وسمينها ... بفارسها المرجو سحب الحوالك

وحرم عمر المتعتين[١]، ولم يفعل ذلك أبو بكر، ووضع عمر ديوان العطية[٢]، ولم يفعله أبو بكر، واستخلف أبو بكر ولم يفعل ذلك عمر[٣]، ولهذا نظائر كثيرة.

فقال آخر من أصحاب الحديث: فإن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً[٤].

راجع: تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٨، وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٥، تاريخ ابن الشحنة هامش الكامل ج ١١ ص ١١٤، عبد الله بن سبأ ج ١ ص ١٤٨، الغدير للاميني ج ٧ ص ١٦٠.

(١) قول عمر: متعتان كانتا على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء ثابت لدى الجمهور.

راجع: تفسير الرازي ج ١٠ ص ٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٢، وج ١٢ ص ٢٥١ و ص ٢٥٢، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٤٦، تفسير القرطبي ج ٦ ص ١٣٠، وج ٢ ص ١٤٦، زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٥٠ فصل إباحة متعة النساء، كنز العمال ج ١٦ ص ٥١٩ ح ٤٥٧١٥، سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٦، المغني لابن قدامة ج ٧ ص ٥٢٧، المحلى لابن حزم ج ٧ ص ١٠٧، شرح معاني الاثار باب مناسك الحج للطحاوي ص ٣٧٤، مقدمة مرآة العقول ج ١ ص ٢٠٠، الغدير للاميني ج ٦ ص ٢١١.

وفي رواية أخرى أنه قال: أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأنا أنهى عنهن، وأحرمهن، وأعاقب عليهن، متعة الحج ومتعة النساء، وحي على خير العمل.

راجع: شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٤، كنز العرفان ج ٢ ص ١٥٨، الغدير للأميني ج ٦ ص ٢١٣.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ج ٣ ص ٦١٣، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٥٠، الأوائل للعسكري ص ١١٣.

(٣) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٢٥.

(٤) روي هذا الحديث في مصادر عديدة، منها:

سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٦٦ ح ٣٦٥٥، السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٤٦، المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ٢٧٨ ح ٣٢٩٧ و ج ١٠ ص ١٢٩ ح ١٠١٠٦ و ج ١٢ ص ١١٩ ح ١٢٦٤٧، مسند الحميدي ج ١ ص ٦٢ ح ١١٣، طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٦، شرح السنّة للبغوي ج ١٤ ص ٧٧ ح ٣٨٦٦، الغدير للأميني ج ٣ ص ١١٢.

فقال المأمون: هذا مستحيل من قِبَل أن رواياتكم أنه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ آخى بين أصحابه وأخر علياً، فقال له في ذلك، فقال: وما أخرتك إلّا لنفسي[١]، فأي الروايتين ثبتت بطلت الأخرى.

قال الآخر: إن علياً ـ عليه السلام ـ قال على المنبر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر[٢].

قال المأمون: هذا مستحيل من قبل أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لو علم أنهما أفضل ما ولّى عليهما مرة عمرو بن العاص[٣]، ومرة أسامة بن زيد[٤].

ومما يكذب هذه الرواية قول علي ـ عليه السلام ـ لما قبض النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: وأنا أولى بمجلسه وهو مني بقميصي، ولكني أشفقت أن يرجع الناس كفاراً[٥]، وقوله ـ عليه السلام ـ: أنى يكونان خيراً مني وقد عبدت الله تعالى قبلهما وعبدته بعدهما[٦].

قال آخر: فإن أبا بكر أغلق بابه، وقال: هل من مستقيل فأقيله؟ فقال

وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١١ ص٤٩ جملة من هذه الأحاديث الموضوعة، ومنها هذا الحديث «لو كنت متخذاً خليلاً» وقال عنه: إنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء.

(١) صحيح الترمذي ج٥ ص٥٩٥ ح٣٧٢٠، المستدرك للحاكم ج٣ ص١٤.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة من عدّة طرق في ج١ ص٧٦ ح٤٠ و ص ٧٩ ح٤٣ و ٤٤ و ص ٨٠ ح٤٥ و ص ٩١ ح٦٠ و ص ٢٢٣ ح٢٦٠ و ص ٣٦٥ ح٥٣٦، تاريخ بغداد ج١٠ ص١١٤، والضعفاء الكبير للعقيلي ج٣ ص١٨١.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٣٢.

(٤) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص٥٢.

(٥) روي نحوه في بناء المقالة الفاطمية ص٤١٠، واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٦١.

(٦) ورد باختلاف في ذخائر العقبى ص٥٨، الرياض النضرة ج٣ ص١١١، الأحتجاج للطبرسي ج١ ص١٥٧، بناء المقالة الفاطمية ص٣٢٧.

علي ـ عليه السلام ـ: قدمك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فمن ذا يؤخرك[١]؟

فقال المأمون: هذا باطل من قبل أن علياً ـ عليه السلام ـ قعد عن بيعة أبي بكر[٢]، ورويتم أنه قعد عنها حتى قُبضت فاطمة ـ عليها السلام ـ وأنها أوصت أن تدفن ليلاً لئلا يشهدا جنازتها[٣].

ووجه آخر وهو أنه ان كان النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ استخلفه، فكيف كان له أن يستقيل وهو يقول للأنصار: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أبا عبيدة وعمر[٤].

قال آخر: إن عمرو بن العاص قال: يانبي الله من أحبُّ الناس إليك من النساء؟ قال: عايشة، فقال: من الرجال؟ فقال: أبوها[٥].

فقال المأمون: هذا باطل، من قِبَل أنكم رويتم: أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وُضِع بين يديه طائر مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك فكان علياً ـ عليه السلام ـ[٦]، فأيّ رواياتكم تقبل؟

فقال آخر: فإن علياً ـ عليه السلام ـ قال: من فضّلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري[٧].

---

(١) روي في العثمانية للجاحظ ص ٢٣٥، كنز العمال ج ٥ ص ٦٥٤ ح ١٤١٤٥ باختلاف يسير.

(٢) انظر: الامامة والسياسة ج ١ ص ١٨، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٨.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٨، المستدرك ج ٣ ص ١٦٢.

(٤) ذكر في العثمانية ص ٢٢٢ و ٢٣٠ باختلاف، وجاء في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٤ عن أبي بكر: وليتني يوم سقيفة بني ساعدة، كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر، فكان هو الأمير، وكنت أنا الوزير.

(٥) روي في البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٥، واللآليء المصنوعة ج ١ ص ٣٨٢.

(٦) تقدّمت تخريجاته.

(٧) روي في فضائل أحمد ج ١ ص ٨٣ ح ٤٩ و ص ٢٩٤ ح ٣٨٧، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٦.

قال المأمون: كيف يجوز أن يقول علي ـ عليه السلام ـ: أجلد الحدّ على من لا يجب حدّ عليه؟ فيكون متعدّياً لحدود الله عز وجل، عاملاً بخلاف أمره، وليس تفضيل من فضله عليهما فرية.

وقد رويتم عن إمامكم أنه قال: وليتكم ولست بخيركم[١]، فأيّ الرجلين أصدق عندكم أبو بكر على نفسه، أو علي ـ عليه السلام ـ على أبي بكر مع تناقض الحديث في نفسه؟ ولابد له في قوله من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن كان صادقاً فأنّى عَرَفَ ذلك؟

أبِوحي؟ فالوحي منقطع، أو بالتظني؟ فالمتظني متحير، أو بالنظر فالنظر مبحث، وإن كان غير صادق فمن المحال أن يلي أمر المسلمين ويقوم بأحكامهم، ويقيم حدودهم كذاب!

قال آخر: فقد جاء أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة[٢].

قال المأمون: هذا الحديث محال، لأنه لا يكون في الجنة كهل، ويروى أن أشجعية كانت عند النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال: لا يدخل الجنة عجوز[٣] فبكت، فقال لها ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: إن الله تعالى يقول: ﴿**إنا أنشأناهن إنشاءَ، فجعلناهن أبكاراً، عرباً أتراباً**﴾[٤].

---

(١) تقدّمت تخريجاته.

(٢) روته العامة كثيراً في كتبها، فقد روي في: العثمانية ص ١٣٦، سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٧١ ح ٣٦٦٦، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٦ ح ٩٥، شرح السنة للبغوي ج ١٤ ص ١٠٢ ح ٣٨٩٧، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٣، وقد اثبت العلامة الحجة الأميني في كتابه الغدير ج ٥ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ان هذا الحديث من الموضوعات فراجع.

(٣) أورده ابن شهراشوب في المناقب ج ١ ص ١٤٨، والبحار ج ١٦ ص ٢٩٥.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٣٥ ـ ٣٧.

فإن زعمتم أن أبا بكر ينشأ شاباً إذا دخل الجنة، فقد رويتم أن النبي - صلّى الله عليه وآله وسلّم - قال للحسن والحسين: إنهما سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين وأبوهما خير منهما[١].

قال آخر: فقد جاء أن النبي - صلّى الله عليه وآله وسلّم - قال: لو لم أكن أبعث فيكم لبُعث عمر[٢].

قال المأمون: هذا محال لأن الله تعالى يقول: **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾**[٣]، وقال تعالى: **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقَهُمْ ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾**[٤]، فهل يجوز أن يكون مَنْ لم يؤخذ منه ميثاقه على النبوة مبعوثاً؟ ومن أخذ ميثاقاً على النبوة مؤخراً؟

قال آخر: إن النبي - صلّى الله عليه وآله وسلّم - نظر إلى عمر يوم عرفة فتبسم.

فقال: إن الله تبارك وتعالى باهى بعباده عامة وبعمر خاصة[٥].

فقال المأمون: هذا مستحيل من قِبَل أن الله تبارك وتعالى لم يكن ليباهي بعمر ويدع نبيه - صلّى الله عليه وآله وسلّم - فيكون عمر في

---

(١) فضائل أحمد ج ٢ ص ٧٧٤ ح ١٣٦٨، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٤ ح ١١٨، تاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٠.

(٢) روي في فضائل أحمد ج ١ ص ٣٥٦ ح ٥١٩ و ص ٤٢٨ ح ٦٧٦، الكامل في الضعفاء ج ٤ ص ١٥١١، كنز العمال ج ١١ ص ٥٨١ ح ٣٢٧٦١ و ح ٣٢٧٦٣، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٨ و ٦٩، اللآليء المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢، وهذا الحديث من الموضوعات راجع: الغدير ج ٥ ص ٣١٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٣.

(٤) سورة الاحزاب: الآية ٧.

(٥) المعجم الأوسط للطبراني ج ٢ ص ١٤٧ ح ١٢٧٣، أسد الغابة ج ٤ ص ٦٥، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٩ و ٧٠.

الخاصة، والنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في العامة.

وليست هذه الروايات باعجب من روايتكم: أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: دخلت الجنة فسمعت خفق نعلين، فإذا بلال مولى أبـي بكر سبقني إلى الجنة[١].

وإنما قالت الشيعة: علي ـ عليه السلام ـ خير من أبي بكر، فقلتم: عبد أبي بكر خير من الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لان السابق أفضل من المسبوق، وكما رويتم أن الشيطان يفر من ظل عمر[٢]، وألقى على لسـان نبي الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وإنهن الغرانيق العلى[٣]، ففر من عمر وألقى على لسان النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بزعمكم الكفار.

قال آخر: قد قال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لو نزل العذاب ما

---

(١) روي باختلاف في المعجم الصغير للطبراني ج١ ص٢٠٨ و ج٢ ص٥٩، مجمع الزوائد ج٩ ص٢٩٩.

(٢) انظر: الرياض النضرة ج٢ ص٢٩٩، التاج الجامع للأصول ج٣ ص٣١٤.

(٣) وملخص هذه القصة المعروفة بقصة الغرانيق، كما روي انه: بعد هجرة المسلمين الى الحبشة بشهرين أُنزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سورة النجم حتى اذا بلغ قوله تعالى ﴿ **افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأُخرى** ﴾ وسوس اليه الشيطان ـ كما يزعمون ـ بكلمات فتكلمها ظناً منه انها وحي وهي: تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى، والغرانيق جمع غرنوق وهي طيور الماء شبهت الاصنام بها لارتفاعها في السماء فتكون الاصنام مثلها في رفعة القدر.

راجع: تفسير الدر المنثور ج ٥ ص ٣٩٩، تفسير الفخر الرازي ج ٢٣ ص ٤٩، تفسير جامع البيان للطبري ج ١٧ ص ١٣٢ ـ ١٣٣، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٢ ص٨٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثر ج٣ ص ٢٤٠، الشفاء للقاضي عياض ج ٢ ص ٧٤٨ ـ ٧٤٩، المناقب لابن شهراشوب ج ١ ص ٤٩، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٧ ص١٩، تفسير القمي ج٢ ص٨٥ ـ ٨٦، مجمع البيان ج ٤ ص ٩٠ ـ ٩١، بحار الأنوار ج١٧ ص٨٥ ح ١٤ و ص٨٧ ح ١٥ و ص ١٢٥، سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ٣١٢.

نجا إلّا عمر بن الخطاب[١]!!

قال المأمون: هذا خلاف الكتاب أيضاً، لأن الله تعالى يقول لنبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾**[٢] فجعلتم عمر مثل الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

قال آخر: فقد شهد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لعمر بالجنة في عشرة من الصحابة[٣].

فقال المأمون: لو كان هذا كما زعمتم لكان عمر لا يقول لحذيفة: نشدتك بالله أمن المنافقين أنا؟

فإن كان قد قال له النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: أنت من أهل الجنة ولم يصدّقه حتى زكّاه حذيفة فصدّق حذيفة ولم يصدق النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، فهذا على غير الإسلام.

وإن كان قد صدّق النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فلم سأل حذيفة؟ وهذان الخبران متناقضان في أنفسهما؟

قال الآخر: فقد قال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: وضعت في كفة الميزان ووضعت أمتي في كفة أخرى فرجحت بهم، ثم وضع مكاني أبو بكر فرجح بهم، ثم عمر فرجح بهم، ثم رفع الميزان[٤].

فقال المأمون: هذا محال، من قِبَل أنه لا يخلو من أن يكون أجسامهما أو أعمالهما، فان كانت الأجسام فلا يخفى على ذي روح أنه

---

(١) رواه القاضي عياض في الشفا ج ٢ ص ٨١٩.

(٢) سورة الانفال: الآية ٣٣.

(٣) سنن أبي داود ج ٤ ص ٢١١ ح ٤٦٤٩، سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٠٦ ح ٣٧٤٨، كنز العمال ج ١١ ص ٦٣٨ ح ٣٣١٠٥ و ص ٦٤٦ ح ٣٣١٣٧.

(٤) انظر العثمانية ص ١٣٧، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٨ ـ ٥٩.

محال، لأنه لا يرجح أجسامهما بأجسام الامة، وإن كانت أفعالهما فلم تكن بعد فكيف ترجح بما ليس، فأخبروني بما يتفاضل الناس؟

فقال بعضهم: بالأعمال الصالحة.

قال: فأخبروني، فمن فضّل صاحبه على عهد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟ ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بأكثر من عمل الفاضل على عهد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أيُلحق به؟

فإن قلتم: نعم، أوجدتكم في عصرنا هذا من هو أكثر جهاداً و حجاً، وصوماً وصلاة وصدقة من أحدهم!

قالوا: صدقت لا يلحق فاضل دهرنا لفاضل عصر النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

قال المأمون: فانظروا فيما روت أئمتكم الذين أخذتم عنهم اديانكم في فضائل علي ـ عليه السلام ـ، وقيسوا إليها ما رووا في فضائل تمام العشرة الذين شهدوا لهم بالجنة، فإن كانت جزءاً من أجزاء كثيرة فالقول قولكم، وإن كانوا قد رووا في فضائل علي ـ عليه السلام ـ أكثر فخذوا عن أئمتكم ما رووا ولا تَعْدوه.

قال: فأطرق القوم جميعاً.

فقال المأمون: ما لكم سكتم؟

قالوا: قد استقصينا.

قال المأمون: فإني أسألكم، خبروني أي الاعمال كان أفضل يوم بعث الله نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

قالوا: السبق إلى الإسلام لأن الله تعالى يقول: ﴿**والسابقون السابقون**،

أولئك المقربون﴾[١].

قال: فهل علمتم أحداً أسبق من علي ـ عليه السلام ـ إلى الإسلام؟

قالوا: إنه سبق حدثاً لم يجر عليه حكم، وأبو بكر أسلم كهلاً قد جرى عليه الحكم، وبين هاتين الحالتين فرق.

قال المأمون: فخبروني عن إسلام علي ـ عليه السلام ـ أبإلهام من قبل الله تعالى أم بدعاء النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟

فإن قلتم: بإلهام فقد فضلتموه على النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لأن النبي لم يلهم بل أتاه جبرئيل عن الله تعالى داعياً ومعرّفاً.

فإن قلتم: بدعاء النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فهل دعاه من قِبَل نفسه أو بأمر الله تعالى؟

فان قلتم: من قِبَل نفسه فهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في قوله تعالى: **﴿وما أنا من المتكلفين﴾**[٢] وفي قوله تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**[٣].

---

(١) سورة الواقعة: الآيه ١٠ و ١١.

والجدير بالذكر أن هذه الآية نزلت في حق أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وممن نص على ذلك:

شواهد التنزيل للحسكاني ج٢ ص٢٩١ ح ٩٢٤ ـ ٩٣١، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص٣٢٠ ح٣٦٥، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص١٧، الدر المنثور للسيوطي ج٨ ص٦، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص١٢٣ ط ـ المحمدية و ص ٧٤ ط ـ الميمنية، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٦٠ و ص ١١٥، العقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ج ٥ ص ٩٤ ط ٨، فتح البيان لصديق حسن خان ج ٩ ص ٢٥٤، تفسير ابن كثير ج ٤ ص٣٠٥، روح المعاني للألوسي ج٢٧ ص١٣٢، فضائل الخمسة ج ١ ص ١٨٤، احقاق الحق للتستري ج٣ ص١١٤.

(٢) سورة ص: الآية ٨٦.

(٣) سورة النجم: الآية ٣.

وإن كان من قِبَل الله تعالى فقد أمر الله تعالى نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بدعاء علي ـ عليه السلام ـ من بين صبيان الناس، وإيثاره عليهم فدعاه ثقةً به، وعلماً بتأييد الله تعالى، وخلّة أخرى، خبروني عن الحكيم هل يجوز أن يكلف خلقه ما لا يطيقون؟

فإن قلتم: نعم، فقد كفرتم، وإن قلتم: لا، فكيف يجوز أن يأمر نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بدعاء من لا يمكنه قبول ما يؤمر به لصِغرِه وحداثة سنه وضعفه عن القبول؟!

وخلّة أخرى، هل رأيتم النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ دعا أحداً من صبيان أهله وغيرهم فيكونوا أسوة علي ـ عليه السلام ـ؟ فإن زعمتم أنه لم يدعُ غيره فهذه فضيلة لعلي ـ عليه السلام ـ على جميع صبيان الناس.

ثم قال: أيّ الاعمال بعد السبق إلى الإيمان؟

قالوا: الجهاد في سبيل الله.

قال: فهل تجدون لأحدٍ من العشرة في الجهاد ما لعلي في جميع مواقف النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من الأثر؟ هذه بدر قُتل من المشركين فيها نيف وستون رجلاً قَتل علي ـ عليه السلام ـ منهم نيفاً وعشرين[١] وأربعون لسائر الناس.

فقال قائل: كان أبو بكر مع النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في عريشة يدبرها.

فقال المأمون: لقد جئت بها عجيبة، أكان يدبر دون النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أو معه فيشركه، أو لحاجة النبي ـ صلّى الله عليه وآله

---

(١) تقدمت تخريجاته.

وسلّم ـ إلى رأي أبي بكر، أيّ الثلاث أحب إليك أن تقول؟

فقال: أعوذ بالله من أن أزعم أنه يدبر دون النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أو يشركه، أو بافتقار من النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إليه.

قال: فما الفضيلة في العريش؟ فإن كانت فضيلة أبي بكر بتخلفه عن الحرب، فيجب أن يكون كل متخلف فاضلاً أفضل من المجاهدين، والله عز وجل يقول: **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلّاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما﴾**[١] الآية.

قال إسحق بن حماد بن زيد، ثم قال لي اقرأ: **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾**[٢]، فقرأت حتى بلغت: **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا﴾**[٣]، إلى قوله: **﴿وكان سعيكم مشكورا﴾**[٤].

فقال: فيمن نزلت هذه الآيات؟

فقلت: في علي ـ عليه السلام ـ[٥].

قال: فهل بلغك أن علياً ـ عليه السلام ـ قال: حين أطعم المسكين واليتيم والاسير: **﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً﴾**[٦]، على ما وصف الله عز وجل في كتابه؟

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) سورة الانسان: الآية ١.

(٣) سورة الانسان: الآية ٨.

(٤) سورة الانسان: الآية ٢٢.

(٥) تقدمت تخريجات مصادر نزول هذه الآيات في أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

(٦) سورة الانسان: الآية ٩.

فقلت: لا.

قال فإن الله تعالى عرف سريرة علي ـ عليه السلام ـ ونيته فأظهر ذلك في كتابه تعريفاً لخلقه أمره، فهل علمت أن الله تعالى وصف في شيء مما وصف في الجنة ما في هذه السورة ﴿**قوارير من فضة**﴾[(١)].

قلت: لا.

قال: فهذه فضيلة أخرى، فكيف تكون القوارير من فضة؟

فقلت: لا أدري.

قال: يريد كأنها من صفائها من فضة يُرى داخلها كما يُرى خارجها، وهذا مثل قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: يا اسحاق رويداً شوقك بالقوارير[(٢)]، وعنى به نساءً كأنها القوارير رقة، وقوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ركبت فرس أبي طلحة فوجدته بحراً ـ أي كأنه بحر من كثرة جريه وعدوه ـ وكقول الله تعالى: ﴿**ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ**﴾[(٣)] ـ أي كأنه يأتيه الموت ولو أتاه من مكان واحد مات ـ.

ثم قال: يا إسحاق ألست ممن يشهد أن العشرة في الجنة؟

فقلت: بلى.

قال: أرأيت لو أن رجلاً قال: ما أدري أصحيح هذا الحديث أم لا أكان عندك كافراً؟

قلت: لا.

---

(١) سورة الانسان: الآية ١٦.

(٢) روي في صحيح البخاري ج٨ ص٤٤ و ص٥٥ وفيه: يا أنجشة.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ١٧.

قال: أفرأيت لو قال ما أدري هذه السورة من القرآن أم لا أكان عندك كافراً؟

قلت: بلى.

قال: أرى فضل الرجل يتأكد، خبروني يا إسحاق عن حديث الطائر المشوي[١] أصحيح عندك؟

قلت: بلى.

قال: بانَ والله عنادك، لا يخلو هذا من أن يكون كما دعاه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أو يكون مردوداً أو عرف الله الفاضل من خلقه، وكان المفضول أحبّ إليه، أو تزعم أن الله لم يعرف الفاضل من المفضول، فأيّ الثلاث أحبّ إليك أن تقول به؟

قال إسحاق: فأطرقت ساعة، ثم قلت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول في أبي بكر: **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا﴾**[٢]، فنسبه الله عز وجل إلى صحبة نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

فقال المأمون: سبحان الله ما أقل علمك باللغة والكتاب! أما يكون الكافر صاحباً للمؤمن؟ فأيّ فضيلة في هذا، أما سمعت قول الله تعالى: **﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً﴾**[٣]، فقد جعله الله له صاحباً، وقال الهذلي شعراً:

ولقد غدوت وصاحبي وحشية ... تحت الرداء بصيرة بالمشرق

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) سورة الكهف: الآية ٣٧.

وقال الأزدي شعراً:

ولقدذعرتالوحشفيه وصاحبي محض القوائم من هجان هيكل

فصيّر فرسه صاحبه.

وأما قوله: إن الله معنا، فإن الله تبارك وتعالى مع البر والفاجر، أما سمعت قوله تعالى: **﴿ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلّا هو رابعُهُم ولا خمسةٍ إلّا هو سَادِسُهُم ولا أدنى مِن ذلِكَ ولا أكثَرَ إلّا هُوَ معَهُم أينما كانُوا﴾**(١).

وأما قوله: **﴿لا تحزن﴾** فأخبرني من حزن أبي بكر، أكان طاعة أو معصية؟ فإن زعمت أنه طاعة، فقد جعلت النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ينهى عن الطاعة وهذا خلاف صفة الحكيم، وإن زعمت أنه معصية فأيّ فضيلة للعاصي؟

وخبرني عن قوله تعالى: **﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾**(٢)، على مَن؟

قال إسحاق: فقلت: على أبي بكر، لأنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كان مستغنياً عن صفة السكينة.

قال: فخبرني عن قوله عز وجل: **﴿ويَومَ حُنينٍ إذ أعجبتكُم كثَرتُكم فَلم تُغن عَنكُم شَيئاً وضَاقَت عَليكُمُ الأرضُ بَما رَحُبَت ثُمَّ وَلّيتُم مُدبِرِينَ ثُمَّ أنزل اللهُ سَكِينَتَه على رَسُولِهِ وعَلَى المؤمِنِين﴾**(٣)، أتدري من المؤمنون الّذين أراد الله تعالى في هذا الموضع؟

قال: فقلت: لا.

فقال: إن الناس انهزموا يوم حنين فلم يبق مع النبي ـ صلّى الله عليه

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٥ و ٢٦.

وآله وسلّم ـ إلّا سبعة من بني هاشم علي ـ عليه السلام ـ يضرب بسيفه، والعباس[١] آخذ بلجام بغلة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، والخمسة يحدقون بالنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ خوفاً من أن يناله سلاح الكفار، حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الظفر، وعنى بالمؤمنين في هذا الموضع علياً ـ عليه السلام ـ[٢] ومن حضر من بني هاشم.

فمَن كان أفضل، أمَنْ كان مع النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فنزلت السكينة على النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعليه، أم من كان في الغار مع النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولم يكن أهلاً لنزولها عليه، يا إسحاق من أفضل؟ من كان مع النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في الغار أو من نام على مهاده وفراشه ووقاه بنفسه حتى تم للنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ما عزم عليه من الهجرة؟

إن الله تبارك وتعالى أمر نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أن يأمر علياً ـ عليه السلام ـ بالنوم على فراشه ووقايته بنفسه، فأمره بذلك، فقال علي ـ عليه السلام ـ: أتسلم يا نبي الله؟

قال: سمعاً وطاعة، ثم أتى مضجعه وتسجّى بثوبه[٣]، وأحدق المشركون به لا يشكّون في أنه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وقد أجمعوا على أن يضربه من كل بطن من قريش رجل ضربة لئلا يطلب

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) راجع: شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٢ ح ٣٤١.

(٣) تقدم حديث مبيت أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على فراش النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مع تخريجاته.

الهاشميون بدمه، وعلي ـ عليه السلام ـ يسمع بأمر القوم فيه من التدبير في تلف نفسه، فلم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع أبو بكر في الغار وهو مع النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعلي ـ عليه السلام ـ وحده فلم يزل صابراً محتسباً فبعث الله تعالى ملائكته تمنعه من مشركي قريش فلما أصبح قام فنظر القوم إليه، فقالوا: أين محمد؟

قال: وما علمي به.

قالوا: فأنت غررتنا، ثم لحق بالنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، فلم يزل علي ـ عليه السلام ـ أفضل لما بدا منه إلّا ما يزيد خيراً حتى قبضه الله تعالى إليه وهو محمود مغفور له.

يا إسحاق أما تروي حديث الولاية[1]؟

فقلت: نعم.

قال: اروه فرويته.

فقال: أما ترى أنه أوجب لعلي ـ عليه السلام ـ على أبي بكر وعمر من الحق ما لم يوجب لهما عليه؟

قلت: إن الناس يقولون إن هذا قاله بسبب زيد بن حارثة.

فقال: وأين قال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ هذا؟

قلت: بغدير خم بعد منصرفه من حجة الوداع.

قال: فمتى قُتلَ زيد بن حارثة؟

قلت: بمؤتة.

قال: أفليس قد كان قَتل زيد بن حارثة قبل غدير خم؟

---

(١) وهو: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقد تقدم مع تخريجاته.

قلت: بلى.

قال: أخبرني لو رأيت ابنا لك أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاقبلوا، أكنت تكره له ذلك؟

فقلت: بلى.

قال: أفتنزه ابنك عما لا يتنزه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عنه ويحكم! أجعلتم فقهاءكم أربابكم، إن الله تعالى يقول: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**﴾[1]، والله ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم، ولكنهم امروا لهم فأُطيعوا.

ثم قال: أتروي قول النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لعلي ـ عليه السلام ـ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى[2].

قلت: نعم.

قال: أما تعلم أن هارون أخو موسى لأبيه وأمه؟

قلت: بلى.

قال: فعلي ـ عليه السلام ـ كذلك؟

قلت: لا.

قال: وهارون نبي وليس علي كذلك، فما المنزلة الثالثة إلّا الخلافة، وهذا كما قال المنافقون: إنه استخلفه استثقالا له، فأراد أن يطيّب نفسه.

وهذا كما حكى الله تعالى عن موسى ـ عليه السلام ـ حيث يقول لهارون: ﴿**اخلفُني فِي قَومي وأَصلِح، ولا تتبَّع سَبِيلَ المُفسِدِينَ**﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٢) تقدم مع تخريجاته.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

فقلت: إن موسى خلّف هارون في قومه وهو حي، ثم مضى إلى ميقات ربه تعالى، وإن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ خلّف علياً ـ عليه السلام ـ حين خرج إلى غزاته.

فقال: أخبرني عن موسى حين خلّف هارون، أكان معه حيث مضى إلى ميقات ربه عز وجل أحد من أصحابه؟

فقلت: نعم.

قال: أو ليس قد استخلفه على جميعهم؟

قلت: بلى.

قال: فكذلك علي ـ عليه السلام ـ خلّفه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حين خرج إلى غزاته في الضعفاء والنساء والصبيان، إذ كان أكثر قومه معه وإن كان قد جعله خليفة على جميعهم.

والدليل على أنه جعله خليفة عليهم في حياته إذا غاب وبعد موته قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: علي مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي، وهو وزير النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أيضاً بهذا القول لأن موسى ـ عليه السلام ـ قد دعا الله تعالى، وقال فيما دعا: **﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي ، اشدد به ازري ، وأشركه في أمرِي﴾**[1]، فإذا كان علي ـ عليه السلام ـ منه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بمنزلة هارون من موسى، فهو وزيره كما كان هارون وزير موسى وهو خليفته كما كان هارون خليفة موسى ـ عليه السلام ـ.

ثم أقبل على أصحاب النظر والكلام، فقال: أسألكم أو تسألوني؟

---

(١) سورة طه: الآية ٢٩ ـ ٣٢.

فقالوا: بل نسألك.

قال: قولوا.

فقال قائل منهم: أليست إمامة علي ـ عليه السلام ـ من قبل الله عز وجل، نقل ذلك عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مَنْ نقلَ الفرض مثل، الظهر أربع ركعات، وفي مأتي درهم خمسة دراهم، والحج إلى مكة؟

فقال: بلى.

قال: فما بالهم لم يختلفو في جميع الفروض واختلفوا في خلافة علي ـ عليه السلام ـ وحدها؟

قال المأمون: لأن جميع الفروض لا يقع فيه من التنافس والرغبة ما يقع في الخلافة.

فقال آخر: ما أنكرت أن يكون النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أمرهم باختيار رجل منهم يقوم مقامه رأفة بهم ورقة عليهم من غير أن يستخلف هو بنفسه، فيُعصى خليفته فينزل بهم العذاب؟

فقال: أنكرت ذلك من قِبَل أن الله تعالى أرأف بخلقه من النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقد بعث نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إليهم وهو يعلم أن فيهم عاص ومطيع، فلم يمنعه تعالى ذلك من إرساله.

وعلّة أخرى: ولو أمرهم باختيار رجل منهم كان لا يخلو من أن يأمرهم كلهم أو بعضهم فلو أمر الكل مَنْ كان المختار؟ ولو أمر بعضنا دون بعض كان لا يخلو من أن يكون على هذا البعض علامة، فإن قلت: الفقهاء، فلابد من تحديد الفقيه وسمته.

قال آخر: فقد روي أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: ما رآه المسلمون حسناً فهو عندالله تعالى حسن، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح.

فقال: هذا القول لابد من أن يكون يريد كل المؤمنين أو البعض، فإن اراد الكل فهذا مفقود، لأن الكل لا يمكن اجتماعهم، وإن كان البعض، فقد روى كلّ في صاحبه حُسناً، مثل رواية الشيعة في علي، ورواية الحشوية(١) في غيره، فمتى يثبت ما تريدون من الإمامة؟

قال آخر: فيجوز أن تزعم ان أصحاب محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ اخطأوا؟

قال: كيف تزعم أنهم اخطأوا واجتمعوا على ضلالة وهم لم يعلموا فرضاً ولا سنة، لأنك تزعم ان الإمامة لا فرض من الله تعالى ولا سنة من الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فكيف يكون فيما ليس عندك بفرض ولا سنة خطأ؟

قال آخر: إن كنت تدّعي لعلي ـ عليه السلام ـ من الإمامة دون غيره فهات بيّنتك على ما تدعي؟

فقال: ما أنا بمدع ولكني مقر ولابينّة على مقر والمدعي من يزعم أن إليه التولية والعزل وأن إليه الاختيار والبيّنة لا تعري من أن تكون من شركائه فهم خصماء أو تكون من غيرهم، والغير معدوم فكيف يؤتى بالبينة على هذا؟

---

(١) الحشوية ـ بفتح الحاء وسكون الشين أو فتحها ـ طائفة اختلف العلماء في تعريفها، فابن قتيبة يذكر في تأويل مختلف الحديث ص٩٦ انّها من الألقاب التي كان أهل الحديث يلقبون بها، قال: وقد لقبوهم بالحشوية والنابتة والمجبرة.

وقال النوبختي في فرق الشيعة ص٧: والبترية أصحاب الحديث، منهم سفيان بن سعيد النوري، وشريك بن عبد الله، وابن أبي ليلى، ومحمد بن إدريس الشافعي، ومالك بن أنس، ونظراؤهم من أهل الحشو والجمهور العظيم، وقد سمّوا الحشوية، ويطلقون هذا اللفظ أيضاً على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، وكذا المجسمة، انظر: شفاء الغليل للخفاجي.

قال آخر: فما كان الواجب على علي ـ عليه السلام ـ بعد مضي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ

قال: ما فعله؟

قال: إنما وجب عليه أن يعلّم الناس أنه إمام.

فقال: إن الإمامة لا تكون بفعل منه في نفسه، ولا بفعل من الناس فيه من اختيار أو تفضيل أو غير ذلك، وإنما تكون بفعل من الله تعالى فيه كما قال لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾**[1]، وكما قال تعالى لداود ـ عليه السلام ـ: **﴿يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض﴾**[2]، وكما قال عز وجل للملائكة في آدم: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾**[3].

فالإمام إنما يكون إماماً من قبل الله تعالى وباختياره إيّاه في بدء الصنيعة، والتشريف في النسب، والطهارة في المنشأ، والعصمة في المستقبل، ولو كانت بفعل منه في نفسه كان من فعل ذلك الفعل مستحقاً للإمامة، وإذا عمل خلافها اعتزل فيكون خليفة من قبل أفعاله.

قال آخر: فلم أوجبت الإمامة لعلي ـ عليه السلام ـ بعد الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟

فقال: لخروجه من الطفولية إلى الإيمان كخروج النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من الطفولية إلى الإيمان، والبراءة من ضلالة قومه عن الحجة واجتنابه للشرك، كبراءة النبي من الضلالة واجتنابه للشرك لأن الشرك ظلم، ولا يكون الظالم إماماً ولا من عَبَدَ وثناً بإجماع، ومن شرك فقد

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

حل من الله تعالى محل أعدائه، فالحكم فيه الشهادة عليه بما اجتمعت عليه الأمة حتى يجيء إجماع آخر مثله، ولأن من حكم عليه مرة، فلا يجوز أن يكون حاكماً، فيكون الحاكم محكوماً عليه، فلا يكون حينئذ فرق بين الحاكم والمحكوم عليه.

قال آخر: فلِمَ لم يقاتل علي ـ عليه السلام ـ أبا بكر وعمر كما قاتل معاوية؟

فقال: المسألة محال لأن «لِم» اقتضاء، ولم يفعل نفي، والنفي لا تكون له علّة، إنما العلّة للإثبات، وإنما يجب أن ينظر في أمر علي ـ عليه السلام ـ أمن قبل الله أم من قبل غيره فإن صح أنه من قبل الله تعالى فالشك في تدبيره كفر لقوله تعالى: **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَر بينَهُم ثُمَّ لاَ تِجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجَاً مِمَّا قَضَيتَ ويُسَلِّمُوا تَسلِيماً﴾**[1]، فأفعال الفاعل تبع لأصله، فإن كان قيامه عن الله تعالى فأفعاله عنه وعلى الناس الرضا والتسليم، وقد ترك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ القتال يوم الحديبية، يوم صد المشركون هديه عن البيت، فلما وجد الأعوان وقوي حارب كما قال الله تعالى في الأول: **﴿فاصفح الصفح الجميل﴾**[2]، ثم قال عز وجل: **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾**[3].

قال آخر: إذا زعمت أن إمامة علي ـ عليه السلام ـ من قبل الله تعالى وأنه مفترض الطاعة، فلِم لم يجز إلّا التبليغ والدعاء للأنبياء ـ عليهم

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٢) سورة الحجر: الآية ٨٥.
(٣) سورة التوبة: الآية ٥.

السلام ـ، وجاز لعلي أن يترك ما أمر به من دعوة الناس إلى طاعته؟

فقال: من قبل إنا لم نزعم أن علياً ـ عليه السلام ـ أُمر بالتبليغ فيكون رسولاً ولكنه ـ عليه السلام ـ وُضِع علماً بين الله تعالى وبين خلقه، فمن تبعه كان مطيعاً ومن خالفه كان عاصياً، فإن وجد أعواناً يتقوى بهم جاهد، وإن لم يجد أعواناً فاللّوم عليهم لا عليه، لأنهم أُمروا بطاعته على كل حال ولم يؤمر هو بمجاهدتهم إلّا بقوة وهو بمنزلة البيت على الناس الحج إليه، فإذا حجوا أدّوا ما عليهم، وإذا لم يفعلوا كانت للّائمة عليهم لا على البيت.

وقال آخر: إذا وجب أنه لابد من إمام مفترض الطاعة بالاضطرار، كيف يجب بالاضطرار أنه علي ـ عليه السلام ـ دون غيره؟

فقال: من قِبَل أن الله تعالى لا يفرض مجهولاً، ولا يكون المفروض ممتنعاً، إذ المجهول ممتنع فلابد من دلالة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على الفرض، ليقطع العذر بين الله عز وجل وبين عباده، أرأيت لو فرض الله تعالى على الناس صوم شهر فلم يعلم الناس أي شهر هو؟ ولم يوسم بوسم، وكان على الناس استخراج ذلك بعقولهم حتى يصيبوا ما أراد الله تعالى، فيكون الناس حينئذ مستغنين عن الرسول المبيِّن لهم وعن الإمام الناقل خبر الرسول إليهم.

وقال آخر: من أين أوجبت أن علياً ـ عليه السلام ـ كان بالغاً حين دعاه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فإن الناس يزعمون أنه كان صبيّاً حين دُعي ولم يكن جاز عليه الحكم ولا بلغ مبلغ الرجال.

فقال: من قِبَل أنه لا يعرى في ذلك الوقت من أن يكون ممن أرسل إليه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ليدعوه، فإن كان كذلك فهو محتمل التكليف قوي على أداء الفرائض، وإن كان ممن لم يرسل إليه، فقد لزم

النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قول الله عز وجلّ: **﴿ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل، لأخذنَا مِنُه باليَمِينَ، ثم لقطَعنَا منهُ الوتين﴾**(١)، وكان مع ذلك فقد كلف النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عباد الله ما لا يطيقون عن الله تبارك وتعالى، وهذا من المحال الذي يمتنع كونه ولا يأمر به حكيم، ولا يدل عليه الرسول تعالى الله عن أن يأمر بالمحال، وجَلَّ الرسول من أن يأمر بخلاف ما يمكن كونه في حكمة الحكيم، فسكت القوم عند ذلك جميعاً.

فقال المأمون: قد سألتموني ونقضتم عليّ، أفاسألكم؟

قالوا: نعم.

قال: أليس قد روت الأمة بإجماع منها أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار(٢).

قالوا: بلى.

قال: ورووا عنه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنه قال: من عصى الله بمعصية صغرت أو كبرت ثم اتخذها ديناً ومضى مصراً عليها، فهو مخلد بين أطباق الجحيم؟

قالوا: بلى.

قال: فخبروني عن رجل تختاره الأمة فتنصبه خليفة، هل يجوز أن يقال له خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ومن قِبَل الله عز وجل، ولم يستخلفه الرسول؟

فإن قلتم: نعم فقد كابرتم، وإن قلتم: لا، وجب أن أبا بكر لم يكن

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص١٠ ح٣، مسند احمد بن حنبل ج١ ص٤٧ و٧٨ و٩٠ و١٣٠ و١٦٥، مجمع الزوائد ج١ ص١٤٣.

خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولا كان من قبل الله عز وجل، وأنكم تكذبون على نبي الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فإنكم متعرضون لأن تكونوا ممن وسمه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بدخول النار.

وخبروني: في أي قوليكم صدقتم، أفي قولكم مضى ـ صلى الله عليه وآله ـ ولم يستخلف، أو في قولكم لأبي بكر، يا خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟ فإن كنتم صدقتم في القولين فهذا ما لا يمكن كونه، إذ كان متناقضاً، وإن كنتم صدقتم في أحدهما بطل الآخر، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم ودعوا التقليد وتجنبوا الشبهات، فوالله ما يقبل الله تعالى إلّا من عبد لا يأتي إلّا بما يعقل ولا يدخل إلّا فيما يعلم أنه حق والريب شك وإدمان الشك كفر بالله تعالى وصاحبه في النار.

وخبروني: هل يجوز أن يبتاع أحدكم عبداً فإذا ابتاعه صار مولاه وصار المشتري عبده؟

قالوا: لا.

قال: فكيف جاز أن يكون من اجتمعتم عليه أنتم لهواكم واستخلفتموه صار خليفة عليكم وأنتم وليتموه ألا كنتم أنتم الخلفاء عليه، بل تأتون خليفة وتقولون إنه خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ثم إذا سخطتم عليه قتلتموه كما فُعل بعثمان بن عفان؟

فقال قائل منهم: لأن الإمام وكيل المسلمين إذا رضوا عنه ولّوه وإذا سخطوا عليه عزلوه.

قال: فلمن المسلمون والعباد والبلاد؟

قالوا: لله تعالى.

قال: فوالله أولى أن يوكل على عباده وبلاده من غيره لأن من إجماع الامة، أنه من أحدث حدثاً في ملك غيره فهو ضامن وليس له أن يحدث،

فإن فعل فآثم غارم.

ثم قال خبروني عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ هل استخلف حين مضى أم لا؟

فقالوا: لم يستخلف.

قال: فتركه ذلك هُدى أم ضلال؟

قالوا: هُدَى.

قال: فعلى الناس أن يتبعوا الهدى ويتركوا الباطل ويتنكبواالضلال؟

قالوا: قد فعلوا ذلك.

قال: فلم استخلف الناس بعده وقد تركه هو فترك فعله ضلال، ومحال أن يكون خلاف الهدى هدى، وإذاكان ترك الاستخلاف هدى، فلم استخلف أبو بكر ولم يفعله النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ولم جعل عمر الأمر من بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه؟ لأنكم زعمتم أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يستخلف وأن أبا بكر استخلف وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بزعمكم ولم يستخلف كما فعل، أبو بكر وجاء بمعنى ثالث، فخبروني: أي ذلك ترونه صواباً؟ فإن رأيتم فعل النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ صواباً فقد خطأتم أبا بكر، وكذلك القول في بقية الأقاويل.

وخبروني: أيهما أفضل ما فعله النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بزعمكم من ترك الاستخلاف أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟

وخبروني: هل يجوز أن يكون تركه من الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ هدى، وفعله من غيره هدى فيكون هدى ضد هدى؟ فأين الضلال حينئذ؟

وخبروني: هل ولي أحد بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ

باختيار الصحابة منذ قبض النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إلى اليوم؟ فإن قلتم:لا، فقد أوجبتم أن الناس كلهم عملوا ضلالة بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وإن قلتم: نعم، كذّبتم الأمة وأبطل قولكم الوجود الذي لا يدفع، وخبروني: عن قول الله عز وجل: **﴿قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله﴾**(١)، أصدق هذا أم كذب؟

قالوا: صدق.

قال: أفليس ما سوى الله لله إذ كان محدثه ومالكه؟

قالوا: نعم.

قال: ففي هذا بطلان ما أوجبتم من اختياركم خليفة تفترضون طاعته وتسمونه خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأنتم استخلفتموه وهو معزول عنكم إذا غضبتم عليه وعمل بخلاف محبتكم ومقتول إذا أبى الاعتزال، ويلكم لا تفتروا على الله كذباً، فتلقوا وبال ذلك غداً إذا قمتم بين يدي الله تعالى، وإذا وردتم على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقد كذبتم عليه متعمدين، وقد قال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار(٢)، ثم استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: اللهم إني قد أرشدتهم، اللهم إني قد أخرجت ما وجب عليَّ إخراجه من عنقي، اللهم إني لم أدعهم في ريب، ولا في شك، اللهم إني أدين بالتقرب إليك بتقديم علي ـ عليه السلام ـ على الخلق بعد نبيك محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما أمرنا به رسولك ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: ثم افترقنا فلم نجتمع بعد ذلك حتى قبض المأمون(٣).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ للشيخ الصدوق (ره) ج ٢ ص ١٨٣.

المناظرة الحادية والأربعون

مناظرة ابن شاذان النيسابوري[1] مع بعضهم

قيل لأبي محمد الفضل بن شاذان النيسابوري ـ رحمه الله ـ ما الدليل على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ؟

فقال: الدليل على ذلك من كتاب الله عز وجل، ومن سنة نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ومن إجماع المسلمين.

فأما كتاب الله سبحانه وتعالى، قوله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[2]، فدعانا سبحانه وتعالى

---

(١) هو: أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الازدي النيسابوري، أحد أعلام الاسلام المفكرين، ومن شيوخ الشيعة القُدامى المشهورين، اشتهر بمركزه العلمي والديني، وبمكانته الاجتماعية، وبإنتاجه الخصب، وبآثاره ومؤلفاته التي عالج فيها مواضيع الساعة التي طغت في ذلك العهد على تفكير المجتمع الاسلامي، وأخذ العلم عن الامام الرضا، والامام الجواد والامام الهادي ـ عليهم السلام ـ، وقد اتفق مترجموه على أنه كان ثقة من أجلاّء فقهاء الشيعة الامامية ومتكلميهم، عده الشهرستاني في الملل والنحل من مؤلفي الشيعة الكلاميين وكذلك الاشعري في المقالات، ويعتبر النيسابوري من أكثر العلماء والمفكرين انتاجاً وتأليفاً، وقد احصى له مترجموه مائة وثمانين كتاباً في الفقه والتفسير والكلام والملاحم والفضائل والقراءات والبلدان وغيرها، وله ردود كثيرة على الفرق المنحرفة، ويستفاد من بعض النصوص ان وفاته كانت سنة ٢٦٠ هـ.

راجع ترجمته في: فلاسفة الشيعة للشيخ عبد الله نعمة ص٣٥٨ ـ ٢٦٣، تأسيس الشيعة ص٣٧٧، فهرست ابن النديم ص٣٢٣، الكنى والالقاب ج١ ص٣٦، سفينة البحار ج٢ ص٢٦٩، الملل والنحل ج١ ص١٧٠، مقالات الاسلاميين ج١ ص١٦٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

إلى إطاعة أولي الأمر كما دعانا إلى طاعة نفسه وطاعة رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فاحتجنا إلى معرفة أولي الأمر كما وجبت علينا معرفة الله ومعرفة رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، فنظرنا في أقاويل الأمة فوجدناهم قد اختلفوا في أولي الأمر وأجمعوا في الآية على ما يوجب كونها في علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

فقال بعضهم: أولوا الأمر هم أمراء السرايا، وقال بعضهم: هم العلماء، وقال بعضهم: هم القوام على الناس والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وقال بعضهم: هم علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته ـ عليهم السلام ـ.

فسألنا الفرقة الأولى، فقلنا لهم: أليس علي بن أبي طالب من أمراء السرايا؟

فقالوا: بلى.

فقلنا للثانية: ألم يكن علي ـ عليه السلام ـ من العلماء؟

قالوا: بلى.

وقلنا للثالثة: أليس علي ـ عليه السلام ـ قد كان من القوّام على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

فقالوا: بلى، فصار أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ معنيّاً بالآية باتفاق الأمة وإجماعها، وتيقنّا ذلك بإقرار المخالف لنا في إمامته ـ عليه السلام ـ والموافق عليها، فوجب أن يكون إماماً بهذه الآية لوجود الاتفاق على أنه

والمراد بـ (أولي الأمر) هم أمير المؤمنين والأئمة من ولده ـ عليهم السلام ـ كما نص على ذلك المفسرون وغيرهم من الجمهور وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم ـ عليهم السلام ـ فراجع.

معني بها، ولم يجب العدول إلى غيره والاعتراف بإمامته لوجود الاختلاف في ذلك، وعدم الاتفاق وما يقوم مقامه في البرهان.

وأما السنة: فإنّا وجدنا النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ استقضى علياً ـ عليه السلام ـ على اليمن، وأمّره على الجيوش، وولّاه الأموال، وأمره بأدائها إلى بني جذيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد ظلماً، واختاره ـ عليه السلام ـ لأداء رسالات الله عز وجل والإبلاغ عنه في سورة البراءة(١)، واستخلفه عند غيبته على من خلّف، ولم نجد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ سن هذه السنن في غيره ولا اجتمعت هذه السنن في أحد بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما اجتمعت في علي ـ عليه السلام ـ، وسنة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعد موته واجبة كوجوبها في حياته.

وإنما تحتاج الأمة إلى الإمام لهذه الخصال التي ذكرناها فإذا وجدناها في رجل قد سنها الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فيه كان أولى بالإمامة ممن لم يسنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فيه شيئاً من ذلك.

وأما الإجماع: فإن إمامته تثبت من جهته من وجوه:

منها: أنهم قد أجمعوا جميعاً على أن علياً ـ عليه السلام ـ قد كان إماماً ولو يوماً واحداً، ولم يختلف في ذلك أصناف أهل الملة ثم اختلفوا.

فقالت طائفة: كان إماماً في وقت كذا دون وقت كذا، وقالت طائفة: كان إماماً بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في جميع أوقاته، ولم تجتمع الأمة على غيره أنه كان إماماً في الحقيقة طرفة عين، والإجماع أحق

---

(١) تقدمت تخريجاته.

أن يتبع من الخلاف.

ومنها: أنهم أجمعوا جميعاً على أن علياً ـ عليه السلام ـ كان يصلح للإمامة وأن الإمامة تصلح لبني هاشم، واختلفوا في غيره، وقالت طائفة: لم تكن تصلح لغير علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ولا تصلح لغير بني هاشم، والإجماع حق لا شبهة فيه، والاختلاف لا حجة فيه.

ومنها: أنهم أجمعوا على أن علياً ـ عليه السلام ـ كان بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ظاهر العدالة واجبة له الولاية، ثم اختلفوا فقال قوم: إنه كان مع ذلك معصوماً من الكبائر والضلال.

وقال آخرون: لم يك معصوماً، ولكن كان عدلاً برّاً تقياً على الظاهر لا يشوب ظاهره الشوائب، فحصل الإجماع على عدالته، واختلفوا في نفي العصمة عنه.

ثم أجمعوا كلهم جميعاً على أن أبا بكر لم يك معصوماً واختلفوا في عدالته، فقالت طائفة: كان عدلاً، وقالت أخرى: لم يكن عدلاً لأنه أخذ ما ليس له، فمن أجمعوا على عدالته واختلفوا في عصمته أولى بالإمامة ممن اختلفوا في عدالته وأجمعوا على نفي العصمة عنه.[1]

---

(١) الفصول المختارة: ج ١ ص٨٣ ـ ٨٥، بحار الانوار ج ١٠ ص ٣٧٤ ح ٣.

المناظرة الثانية والأربعون

مناظرة الشيخ الصدوق[1] (ره) مع الملك ركن الدولة بن بابويه

لقد ذكر في المجلس الذي جرى بين الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي مع الملك ركن الدولة أبي علي الحسين بن بابويه الديلمي، قيل: إنه وُصِف للملك المذكور حال أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، وما يقعده في المجالس وما عليه من الآثار وما يجيب عنه من المسائل والأخبار ورجوع الإمامية

---

(١) هو: الشيخ الأجل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشتهر بالصدوق، شيخ من مشايخ الشيعة، وركن من أركان الشريعة، رئيس المحدثين، ولد بقم حدود سنة ٣٠٦ بدعاء الامام ـ الثاني عشر ـ الحجة ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، ووصفه الامام ـ عليه السلام ـ في التوقيع الخارج من ناحيته المقدسة بأنه: فقيه خيّر مبارك ينفع الله به، فعمّت بركته ببركة الامام ـ عليه السلام ـ وانتفع به الخاص والعام، وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، وعمّ الانتفاع بفقهه وحديثه الفقهاء الاعلام، وكان جليلاً حافظاً للاحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار لم يُرَ في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف في شتى فنون العلم وانواعه، واشهرها كتاب من لا يحضره الفقيه، عيون أخبار الرضا، علل الشرائع، اكمال الدين وإتمام النعمة، أمالي الصدوق، معاني الأخبار.

توفي في بلدة الري سنة ٣٨١ هـ وقبره بالقرب من قبر السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني (رضي الله عنه).

تجد ترجمته في: تنقيح المقال للعلامة المامقاني ج٣ ص ١٥٤، الفهرست للشيخ الطوسي ص ١٨٤، روضات الجنات ج٦ ص١٣٢ ترجمة رقم: ٥٧٤ وفي أكثر كتبه في المقدمة، وفي العديد من الكتب الرجالية.

إليه وإلى أقواله في البلدان والأمصار.

فأحبَّ لقاءه ومسألته فقدَّم إلى حاجبه البرمكي إحضاره، فركب الحاجب إليه وأحضره إلى مجلس السلطان، فلما دخل عليه قرَّبه وأدناه وأكرمه ورفع مجلسه، فلما استقر به المجلس.

قال له السلطان: أيها الشيخ الفقيه العالم، اختلف الحاضرون في القوم الذين طعنوا فيهم الشيعة، فقال بعضهم: يجب الطعن، وقال بعضهم: لا يجب ولا يجوز، فما عندك في هذا؟

فقال الشيخ (ره): أيها الملك، إن الله تعالى لم يقبل من عباده الإقرار بتوحيده حتى ينفوا كل إله سواه، وكل صنم عُبدَ من دون الله، ألم تر أنا أُمرنا أن نقول: ﴿لا إله إلا الله﴾، فلا إله نفي كلِّ إله عُبدَ من دونه.

وقوله: إلّا، إثبات الله عز وجل، وكذلك لم يقبل الإقرار بنبوة محمد نبينا ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حتى ينفوا كل متنبىء كان في وقته، مثل مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الأسود العنسي وأشباههم، وهكذا لا يقبل القول بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ إلّا بعد نفي كل ضد نُصب للإمامة دونه.

قال الملك: هذا هو الحق، وأخبرني أيها الشيخ بشيء جلي واضح من أمر مَنْ انتصب للإمامة دونه؟

قال الشيخ: أيها الملك، اجتمعت الأمة على نقل خبر سورة براءة[١]، وفيه خروج أبي بكر من الإسلام، وفيه نزول ولاية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من السماء وعزل أبي بكر، وفيه أنه لم يكن من النبيين.

---

(١) تقدمت تخريجاته.

قال الملك: وكيف ذلك؟

فقال الشيخ ـ رحمه الله ـ: روى جميع أهل النقل منا ومن مخالفينا أنه لما نزلت سورة براءة على رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ دعا أبا بكر فقال: يا أبا بكر خذ هذه السورة فأدِّها عني بالموسم بمكة، فأخذها أبو بكر وسار، فلما بلغ بعض الطريق هبط جبرئيل ـ عليه السلام ـ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك، فدعا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وأمره أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة ويؤديها عن الله تعالى أيام الموسم بمكة، فلحقه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وأخذ منه سورة براءة وأداها عن الله تعالى.

حيث أنهم أخّروا من قدّمه الله تعالى وقدّموا من أخّره الله استهانة بالله سبحانه، وقد صح أن أبا بكر ليس من النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لقول جبرئيل ـ عليه السلام ـ: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك، فإذا لم يكن من النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يكن تابعاً له، قال الله تعالى: **﴿فمن تبعني فإنَّهُ مِني﴾**[(١)]، وإن لم يكن متبعاً للنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يكن محباً لله عز وجل لقوله تعالى **﴿قل إن كُنتُم تُحبُون الله فاتَّبعوني يُحببكُم اللهُ ويغفر لكم ذُنُوبكم﴾**[(٢)]، وإذا لم يكن محباً كان مبغضاً وبغض النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كفر.

وقد صح بنفس هذا الخبر أن علياً ـ عليه السلام ـ من النبي، هذا مع ما رواه المخالف في تفسير قوله: **﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدٌ**

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

منه﴾[١] أن الذي على بيِّنة من ربه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والشاهد الذي يتلوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

وما رواه عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنه قال: علي مني وأنا من علي[٢]، وما رواه عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لينتهين أو لأبعثن عليه رجلاً نفسه نفسي وطاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي[٣].

ومما روي عن جبرئيل ـ عليه السلام ـ في غزوة أُحد أنه نزل على النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فنظر إلى علي ـ عليه السلام ـ وجهاده بين يدي رسول الله، فقال جبرئيل: هذه المواساة، فقال: يا جبرئيل لأنه مني وأنا

---

(١) سورة هود: الآية ١٧.

فقد روى الجمهور أن الشاهد هو أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ وقد تقدمت الآية مع تخريجاتها من كتب العامة فراجع.

(٢) قول النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي» هو من الاحاديث المتواترة عند الجمهور، فراجع:

سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٤ ح ١١٩، صحيح الترمذي ج ٥ ص ٥٩٤، خصائص امير المؤمنين للنسائي الشافعي ص ٨٢ ح ٧١، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٣٧٦ ح ٨٧٨ ـ ٨٨٠، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ١٦٥ ح ١٩٧، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٢٢١ ح ٢٦٧ و ح ٢٧٢ و ح ٢٧٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٥٥ و ص ١٨٠ و ص ١٨١ و ص ٣٧١، الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٢، إسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص ١٤٠ ط ـ العثمانية و ص ١٥٤ ط ـ السعيدية بمصر، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص ٣٦، نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٢ ط ـ العثمانية و ص ٧١ ط ـ السعيدية، مصابيح السنة للبغوي ج ٤ ص ١٧٢ ح ٤٧٦٨، جامع الاصول لابن الأثير ج ٩ ص ٤٧١ ح ٦٤٨١، التاج الجامع للاصول ج ٣ ص ٣٣٥، فرائد السمطين ج ١ ص ٥٨ و ٥٩ ح ٢٤ و ٢٥.

(٣) مجمع الزوائد ج ٧ ص ١١٠، فضائل الصحابة لاحمد: ج ٢ ص ٥٧١ ح ٩٦٦، و ص ٥٩٣ ح ١٠٠٨، الكتاب المصنف لابن أبي شيبة ج ١٢ ص ٨٥ ح ١٢١٨٦، المطالب العالية لابن حجر ج ٤ ص ٥٦ ح ٣٩٤٩.

منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما[(١)].

فكيف يصلح أيها الملك للإمامة رجل لم يأتمنه الله تعالى على تبليغ آيات من كتابه أن يؤديها إلى الناس أيام الموسم، فكيف يجوز أن يكون مؤتمناً على أن يؤدي جميع دين الله عز وجل بعد النبي ويكون والياً عليهم وعزله الله عز وجل وولّى علياً ـ عليه السلام ـ؟

وكيف لا يكون عليّ مظلوماً وقد أخذوا ولايته وقد نزل بها جبرئيل من السماء؟

فقال الملك: هذا بيِّن واضح.

وكان رجل واقفاً على رأس الملك يقال له: (أبو القاسم) فاستأذنه في كلامه، فأذن له.

فقال: أيها الشيخ كيف يجوز أن تجتمع هذه الأمة على خطأ مع قول رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لا تجتمع أُمتي على ضلالة[(٢)]؟

فقال الشيخ: إن صح هذا الحديث فيجب أن تعرفه الأمة، ومعناها أن الأمة في اللغة هي الجماعة وأقل الجماعة رجل وامرأة، وقد قال الله تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أُمةً قانِتاً**﴾[(٣)]، فسمى واحداً أُمة، قال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: رحم الله قساً يحشر يوم القيامة أُمة واحدة[(٤)]، فما ينكر

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٥١٤، فرائد السمطين ج١ ص٢٥٧ ح١٩٨، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ دمشق ج١ ص١٦٧ ح٢١٥، الفصول المائة ج١ ص٣٣٥.

(٢) سنن الترمذي ج٤ ص٤٠٥ ح٢١٦٧، مسند أحمد ج٥ ص١٤٥، كتاب السنة لابن أبي عاصم ص٤١ ح٨٤.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص١١٣، المعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص٢٦٥ ح٦٦٣، كنز العمال ج١٢ ص٧٧ ح٣٤٠٧٢ و ٣٤٠٧٣، أمالي الشيخ المفيد ص٣٤٢ ح٧.

أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، إن كان قال هذا الحديث ـ عنى به علياً ـ عليه السلام ـ ومن تبعه.

فقال: عنى به الأعظم ومن هو كان أكثر عدداً.

فقال الشيخ (ره): وجدنا الكثرة في كتاب الله عز وجل مذمومة والقلة مرحومة محمودة في قوله عز وجل: **﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾**[١]، **﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾**[٢]، **﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾**[٣]، **﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾**[٤]، **﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾**[٥]، **﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾**[٦]، **﴿وأن أكثركم فاسقون﴾**[٧]، **﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾**[٨]، وقال الله تعالى في مدح القلة: **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾**[٩]، **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾**[١٠]، **﴿وما آمن معه إلا قليل﴾**[١١]. وذكر الله في قول موسى: **﴿ومن قوم موسى أُمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**[١٢].

قال الملك: كيف يجوز الارتداد على العدد الكثير مع قرب العهد

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٤.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٣.
(٣) سورة الدخان: الآية ٣٩.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٠.
(٥) سورة النمل: الآية ٧٣.
(٦) سورة الأنعام: الآية ١١١.
(٧) سورة المائدة: الآية ٥٩.
(٨) سورة الاعراف: الآية ١٠٢.
(٩) سورة ص: الآية ٢٤.
(١٠) سورة سبأ: الآية ١٣.
(١١) سورة هود: الآية ٤٠.
(١٢) سورة الاعراف: الآية ١٥٩.

بموت صاحب الشريعة؟

فقال الشيخ (ره): وكيف لا يجوز الارتداد عليهم مع قوله تعالى: **﴿وما محمد إلّا رسول قد خلت من قَبلِه الرُسُل، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم، ومَنْ ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين﴾**(١)، وليس ارتدادهم ذلك بأعجب من ارتداد بني إسرائيل حين مضى موسى ـ عليه السلام ـ لميقات ربه واستخلف عليهم أخاه هارون وقال: **﴿اخلُفني في قومي وأصلِح ولا تتبع سبَيل المُفسدين﴾**(٢) ووعد قومه بأنه يعود إليهم بعد ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر، فتمَّ ميقات ربه أربعين ليلة، فلم يصبر قومه إلى أن خرج فيهم السامري وصنع لهم من حليهم عجلاً جسداً له خوار، فقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، واستضعفوا هارون خليفة موسى وأطاعوا السامري في عبادة العجل، ولم يحفظوا في هارون وصية موسى به ولا خلافته عليهم، **﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسِفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمِت بيَ الأعداءَ ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾**(٣).

هذا مما قص الله تعالى من تمام هذه القصة، وإذا جاز على بني إسرائيل ـ وهم من أُمة أُولي العزم ـ أن يرتدوا بغيبة موسى ـ عليه السلام ـ بزيادة عشر ليال حتى خالفوا وصيته وأطاعوا السامري في عبادة العجل،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٤٢.

(٣) سورة الاعراف: الآية ١٥٠.

فكيف لا يجوز على هذه الأمة بعد موت النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أن تخالف وصيه وخليفته وخير الخلق بعده وتطيع سامري هـذه الأمـة؟ وإنما علي ـ عليه السلام ـ بمنزلة هارون من مـوسى، إلّا أنـه لا نـبى بـعد محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لما روي عن جميع أهل النقل.

فقال الملك للشيخ الفاضل: ما سمعت في المعنى كلاماً أحسن مـن هذا ولا أبيّن.

فقال الشيخ (ره): أيها الملك زعم القائلون بإمامة سامري هذه الأمة أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسـلّم ـ مـضى ولم يسـتخلف واسـتخلفوا رجلاً وأقاموه، فإن كان ما فعله النبي ـ صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم ـ عـلى زعمهم من ترك الاستخلاف حقاً فالذي أثبته القوم من الاستخلاف باطل، وإن كان الذي أثبته الأمة من الاستخلاف صواباً فالذي فعله النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ خطأ ، فمن لم يحكم بالخطأ عليه يحكم به على النـبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعليهم.

فقال الملك: بل عليهم.

قال الشيخ (ره): فكيف يجوز أن يخرج النبي ـ صلّى الله عـليه وآله وسلّم ـ من الدنيا ولا يوصي بأمر الأمة الى أحد، ونحن لا نرضى من عقل أكار[1] في قرية إذا مات وخلف مسحاة وفأساً لا يوصي به إلى أحـد مـن بعده[2]؟

---

(١) وهو: الزرّاع يقال: أكرت الارض أي حفرتها وبه سمي الأكار ويراد هنا احتقاره (النهاية لابن الاثير ج ١ ص ٥٧).

(٢) حتى راعي الغنم لابد أن يوص على غنمه اذا اراد تركها في نظر العقلاء، فكيف بمن يترك أمة كاملة ولا يوصي الى أحد !!

فقال الملك: القول كما يقوله المخالفون.

فقال الشيخ: وهنا حكاية أخرى، وهي أنهم زعموا أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يستخلف فخالفوه باستخلافهم من أقاموه وخالف النبي من أقامه بالأمر، فلما حضرته الوفاة لم يعتد بالنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في ترك الاستخلاف على رغمه واستخلف بعده الثاني، والثاني لم يعتدوا به ولا بالنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حتى جعل الأمر شورى في قوم معدودين، وأي بيان أوضح من هذا؟

فقال الملك: هذا بيّن واضح، فأيّ شبهة وَلّدوها في إمامة هذا الرجل وإقامته؟

فقال الشيخ: إنهم زعموا أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: قدمه للصلاة، وهذا خير لا يضرّ، وقد اختلفوا فيه، فمنهم من روى أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال لعائشة: أمرت أباك أن يصلي بالناس، وأن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لما عرف تقدم أبي بكر خرج متكئاً على علي ـ عليه السلام ـ وعلى الفضل بن العباس حتى دخل المسجد، فنحى أبا بكر وصلّى بالناس قاعداً وأبو بكر خلفه والناس كانت خلف أبي بكر[1].

ولهذا يعترض عبد الله بن عمر على أبيه حين لم يستخلف، فقد روي عن سالم عن عبد الله، قال: دخلتُ على أبي، فقلت: سمعت الناس يقولون مقالة، وآليت أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيّع، فرعاية الناس أشدّ ؟!!.

انظر: شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ١٩٠.

(١) راجع مسند أحمد ج٦ ص ١٢١، صحيح البخاري ج١ ص١٧٦، سنن ابن ماجة ج١ ص ٣٨٩ ح١٢٣٢، تاريخ الطبري ج٣ ص١٩٧، طبقات ابن سعد ج٢ ص٢١٧، تاريخ الاسلام للذهبي ج٢ ص ٥٥٤.

ومنهم من روى أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أمر حفصة أن تأمر أباها أن يصلي بالناس[١]، وهذا الخبر لا يصح لأن المهاجرين والأنصار لم يحتجوا به ولا ذكروه يوم السقيفة، ولو صحَّ هذا الخبر لما وجبت إمامة أبي بكر، ولو وجبت الإمامة بالتقديم إلى الصلاة لوجب أن يكون عبد الرحمن بن عوف أولى بالإمامة، لأنهم رووا عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنه صلّى خلفه ولم يختلفوا في ذلك[٢]، وكيف يلزمنا أيها الملك قبول خبر عائشة وحفصة بجرّهما النفع إلى أبيهما وإلى أنفسهما، ولا يلزمهم قبول قول فاطمة ـ عليها السلام ـ وهي سيدة نساء العالمين فيما ادعته من أمر فدك[٣]، وأن أباها نحلها إياها[٤]، مع كون فدك في يدها سنين من حياته ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مع شهادة علي والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ وشهادة أم أيمن لها[٥]؟ وكيف يصح

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٧٣.

(٢) المغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٢، تهذيب الكمال ج ١٤ ص ١٢٢.

(٣) يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١٦ ص ٢٨٤: سألت علي بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة ـ عليها السلام ـ صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فَدَك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحُرْمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فَدَك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود، وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدُعابة والهزْل.

(٤) راجع: مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٤٩، شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٦٨، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٤٢ ح ٤٦٧ ـ ح ٤٧٣.

(٥) الاحتجاج ج ١ ص ٩٢، شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٦٩، فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣.

ولذا يقول امير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ في أمر فدك: بلى كانت في أَيدينا فَدكٌ من كُلِّ

هذا الخبر عندهم وقد رووا أن شهادة البنت لأبيها غير جائزة[١]؟

وقولهم: إن شهادة النساء لا تجوز في عشرة دراهم ولا أقل إذا لم يكن معهن رجل[٢]، ومع قولهم: إن شهادة النساء على النصف من شهادة الرجال.

فقال الملك: قولهم في هذا غير صحيح، والحق والصدق فيما قاله الشيخ الفاضل.

ثم قال الملك: أيها الشيخ، لمَ قلت: إن الأئمة أثنا عشر ولله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي؟

فقال الشيخ: أيها الملك، إن الإمامة فريضة من فرائض الله وما أوجب الله فريضة غير معدودة، ألا ترى أن فرض الصلاة في اليوم والليلة سبع عشرة ركعة، وفرض الزكاة معلوم وهي عندنا على تسعة أشياء، ووجوب الصوم معلوم وهو ثلاثون يوماً، وبيَّن مناسك الحج وهي معدودة، وكذلك تكون الأئمة عدداً لا يجوز أن يقال بأكثر ولا أقل.

فقال الملك: فهل بيَّن الله لذلك مجملاً، والنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بينَّ عددها في سننه لأن السنن إلى النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟

فقال الشيخ: نعم قد بين الفرائض والسنن كلها بأمر الله تعالى، قال الله

ما أَضلَّتهُ السَّماء، فشحَّت عليها نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكَم اللهُ.

راجع: نهج البلاغة للامام علي ـ عليه السلام ـ ص ٤١٧ رقم الكتاب: ٤٥ (من كتاب له الى عامله في البصرة عثمان بن حنيف).

(١) شرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي ج١ ص٤٥٢، الفقه الاسلامي وادلته ج٦ ص٥٦٩.

(٢) شرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي ج١ ص٤٥٠، الفقه الاسلامي وادلته ج٦ ص٥٦٠.

تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتُبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم**﴾[١]، وإن الله تعالى قال: ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾[٢]، ولم يبيِّن عدد ركعاتها وبيَّنها النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وقال تعالى: ﴿**خُذ مِنْ أموالهم صدقة تُطهرهم وتزكّيهم بها**﴾[٣]، ولم يبين عدد الأصناف التي تجب عليها الزكاة، وقال الله تعالى: ﴿**كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قَبلكم**﴾[٤]، ولم يبيّن حدوده وهيئته وبيَّنها النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقال الله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت مَنْ استطاع إليه سَبيلاً**﴾[٥]، ولم يبيّن مناسك الحج فبيّنها النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، كذلك قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾[٦]، ﴿**إنما وليّكم الله ورسولُهُ والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[٧]، ولم يبيّن عدد الأئمة فبيّنها النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في سننه[٨] كما بيّن سائر الفرائض.

فقال الملك: إن أمر الإمامة لم يوافقكم عليه مخالفوكم كما وافقوكم على عدد الفرائض.

فقال الشيخ (ره): ليس يبطل قولنا في الإمامة بمخالفة مخالفينا، كما

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٦) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٧) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٨) تقدمت النصوص على عددهم واسمائهم من مصادر العامة.

لا يبطل الإسلام ومعجزات النبي بمخالفة اليهود والنصارى والمجوس والبراهمة[١]، ولو بطل بشيء من مخالفة المخالفين لم يثبت في العالم شيء، لأن مامن شيء إلّا وفيه خلاف.

فقال الملك: صدقت هذا هو الحق وأنتم عليه. وأولى الملك في تلك الساعة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وسب أعداءه ومن شايعهم على ذلك، والحمد لله رب العالمين وسلم تسليماً كثيراً[٢].

---

(١) البراهمة: هم المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم من يميل إلى «الدهر»، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، ويقول بملة ابراهيم ـ عليه السلام ـ، وأكثرهم على مذهب الصابئة.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) الكشكول للشيخ يوسف البحراني ج١ ص٢٢٦، قصص العلماء للتنكابني ص٣٩١ (فارسي)، وقد نص على هذه المناظرة آقا بزرك الطهراني في الذريعة ج٢٢ ص٢٩٣ تحت رقم: ٧١٥١.

المناظرة الثالثة والأربعون

مناظرة المفيد(1) مع عمر في المنام

عن الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان ـ رضى الله عنه ـ قال: رأيت في المنام سنة من السنين كأني قد اجتزت في بعض الطرق فرأيت حلقة دائرة فيها أناس كثيرة، فقلت: ما هذا؟

فقالوا: هذه حلقة فيها رجل يعظ.

قلت: ومن هو؟

---

(1) هو: محمد بن محمد بن النعمان، البغدادي، يعرف بابن المعلم، من اعاظم علماء الاماميّة وأكبر شخصية شيعية ظهرت في القرن الرابع، انتهت اليه رئاسة متكلمي الشيعة في عصره، كان كثير التقشف والتخشّع والاكباب على العلم، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حَسن الخاطر دقيق الفطنة، حاضر الجواب، ونعم ما قاله فيه الخطيب البغدادي: إنه لو أراد ان يبرهن للخصم أن الاسطوانة من ذهب وهي من خشب لاستطاع، وله قريب من مائتي مصنف، ولد سنة ٣٣٨ هـ وتوفي سنة ٤١٣ هـ وكان يوم وفاته يوماً لم ير اعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق وقيل شيعه ثمانون الفاً من الناس وصلّى عليه الشريف المرتضى، ودفن بجوار الامامين «الكاظم والجواد ـ عليهما السلام ـ» وحكي انه وجد مكتوباً على قبره بخط القائم ـ عليه السلام ـ:

لا صوت الناعي بفقدك انه ... يوم على آل الرسول عظيم
ان كنت غيبت في جدث الثرى ... فالعدل والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما ... تليت عليك من الدروس علوم

تجد ترجمته في: اوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد المقدمة ص ١٦، سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣٤٤ رقم: ٢١٣. تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٣١، الذريعة ج ٢ ص ٢٠٩، ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٠، لسان الميزان ج ٥ ص ٣٦٨، رجال النجاشي ص ٢٨٣، الفهرست للشيخ الطوسي ص ١٥٧.

قالوا : عمر بن الخطاب ، ففرقت الناس ودخلت الحلقة فإذا أنا برجل يتكلم على الناس بشيء لم أحصله فقطعت عليه الكلام .

وقلت : أيها الشيخ أخبرني ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق بن ابي قحافة من قول الله تعالى :﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار** ﴾[١] .

فقال : وجه الدلالة على فضل أبي بكر في هذه الآية على ستة مواضع:

الأول : أن الله تعالى ذكر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وذكر أبابكر وجعله ثانيه ، فقال : ﴿ **ثاني اثنين اذ هما في الغار** ﴾ .

والثاني : وصفهما بالاجتماع في مكان واحد لتأليفه بينهما فقال : ﴿ **اذ هما في الغار** ﴾ .

والثالث : أنه اضافه إليه بذكر الصحبة فجمع بينهما بما تقتضي الرتبة فقال : ﴿ **اذ يقول لصاحبه** ﴾ .

والرابع : أنه أخبر عن شفقة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ورفقه به لموضعه عنده فقال: ﴿ **لا تحزن** ﴾ .

والخامس : أخبر أن الله معهما على حد سواء ، ناصراً لهما ودافعاً عنهما فقال : ﴿ **ان الله معنا** ﴾ .

والسادس : أنه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لم تفارقه سكينته قط ، قال : ﴿ **فأنزل الله سكينته عليه** ﴾[٢] .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٧ .

فهذه ستة مواضع تدل على فضل أبي بكر من آية الغار، حيث لا يمكنك ولا غيرك الطعن فيها.

فقلت له: خبرتك بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه وإني بعون الله سأجعل ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

اما قولك: إن الله تعالى ذكر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وجعل ابا بكر معه ثانيه، فهو إخبار عن العدد، ولعمري لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل ؟! فنحن نعلم ضرورة أن مؤمناً ومؤمنا، أو مؤمنا وكافراً، اثنان فما أرى لك في ذلك العد طائلاً تعتمده.

وأما قولك: إنه وصفهما بالاجتماع في المكان، فإنه كالاول لأن المكان يجمع الكافر والمؤمن كما يجمع العدد المؤمنين والكفار، وأيضاً: فإن مسجد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار، وفي ذلك يقول الله عز وجل: **﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين﴾**[1]، وأيضاً: فإن سفينة نوح ـ عليه السلام ـ قد جمعت النبي، والشيطان، والبهيمة، والكلب، والمكان لا يدل على ما أوجبت من الفضيلة، فبطل فضلان.

وأما قولك: إنه أضافه إليه بذكر الصحبة، فإنه أضعف من الفضلين الأولين لأن اسم الصحبة تجمع المؤمن والكافر، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴾**[2] وأيضاً: فإن اسم الصحبة يطلق على العاقل والبهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل بلسانهم، فقال الله

---

(١) سورة المعارج: الآية ٣٧.

(٢) سورة الكهف: الآية ٣٥.

عز وجل: ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[١] أنه قد سموا الحمار صاحباً فقال الشاعر[٢]:

إن الحمار مع الحمير مطية   فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأيضاً: قد سمّوا الجماد مع الحي صاحباً، فقالوا ذلك في السيف وقالوا شعراً:

زرت هنداً وكان غير اختيان   ومعي صاحب كتوم اللسان[٣]

يعني: السيف، فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر، وبين العاقل والبهيمة، وبين الحيوان والجماد، فأي حجة لصاحبك فيه ؟!

وأما قولك: إنه قال: ﴿ **لا تحزن** ﴾ فإنه وبال عليه ومنقصة له، ودليل على خطئه لأن قوله: ﴿ **لا تحزن** ﴾، نهي وصورة النهي قول القائل: لا تفعل فلا يخلو أن يكون الحزن قد وقع من أبي بكر طاعة أو معصية، فإن كان طاعة فالنبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها، وإن كانت معصية فقد نهاه النبي عنها، وقد شهدت الآية بعصيانه بدليل أنه نهاه.

واما قولك: إنه قال: ﴿ **ان الله معنا** ﴾ فإن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قد أخبر أن الله معه، وعبر عن نفسه بلفظ الجمع، كقوله تعالى: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[٤] وقد قيل أيضاً إن أبا بكر، قال: يا رسول الله حزني على علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ما كان منه، فقال له النبي

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٤.

(٢) هو اميه: بن أبي الصلت، راجع: كنز الفوائد ج ٢ ص ٥٠.

(٣) قد ورد في كنز الفوائد ج ٢ ص ٥٠ للكراجكي هكذا:

زرت هنداًوذاك بعداجتناب   ومعي صاحب كتوم اللسان

(٤) سورة الحجر: الآية ٩.

ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ﴿ **لا تحزن فإن الله معنا** ﴾ أي معي ومع أخي علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

وأما قولك: إن السكينة نزلت على أبي بكر، فإنه ترك للظاهر، لأن الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيّده الله بالجنود، وكذا يشهد ظاهر القرآن في قوله: ﴿ **فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها** ﴾[(١)]. فإن كان أبو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وفي هذا اخراج للنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ من النبوة على أن هذا الموضع لو كتمته عن صاحبك كان خيراً، لأن الله تعالى انزل السكينة على النبي في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها، فقال في أحد الموضعين:

﴿ **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى** ﴾[(٢)] وقال في الموضع الآخر: ﴿ **ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها** ﴾[(٣)] ولما كان في هذا الموضع خصه وحده بالسكينة، فقال: ﴿ **فانزل الله سكينته عليه** ﴾ فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين، فدل إخراجه من السكينة على خروجه من الإيمان، فلم يحر جواباً وتفرق الناس واستيقظت من نومي[(٤)].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٧.

(٤) الاحتجاج ج ٢ ص ٤٩٩ ـ ٥٠١، كنز الفوائد للكراجي ج ٢ ص ٤٨، بحار الانوار ج ٢١ ص ٣٢٧ ح ١، والكشكول للبحراني ج ٢ ص ٥.

المناظرة الرابعة والأربعون

مناظرة الشيخ المفيد «ره» مع القاضي أبي بكر بن سيّار

قال السيّد المرتضى - رضي الله عنه - في كتاب الفصول : اتّفق للشيخ أبي عبد الله المفيد - رحمة الله عليه - اتّفاق مع القاضي أبي بكر أحمد بن سيّار في دار الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوي - رضي الله عنه -، وكان بالحضرة جمع كثير يزيد عددهم على مائة إنسان ، وفيهم أشراف من بني علي وبني العبّاس ومن وجوه الناس والتجّار حضروا في قضاء حقّ الشريف - رحمه الله -، فجرى من جماعة من القوم خوض في ذكر النصّ على أمير المؤمنين - عليه السلام -، وتكلّم الشيخ أبو عبد الله - أيّده الله - في ذلك بكلام يسير على ما اقتضته الحال .

فقال له القاضي أبو بكر ابن سيّار : خبّرني ما النصّ في الحقيقة ؟ وما معنى هذه اللّفظة ؟

فقال الشيخ: أيّده الله -: النصّ هو الاظهار والإبانة ، من ذلك قولهم : فلان قد نصّ قلوصه[1]: إذا أبانها بالسير ، وأبرزها من جملة الإبل ، ولذلك سميّ المفرش العالي « منصّة » لأنّ الجالس عليه يبيّن بالظهور من الجماعة ، فلمّا أظهره المفرش سميّ منصّة على ما ذكرناه ، ومن ذلك أيضاً قولهم : قد نصّ فلان مذهبه : إذا أظهره وأبانه ، ومنه قول الشاعر :

---

(١) القلوص من الابل : الطويلة القوائم الشابة منها أو الباقية على السير .

وجيدكجيدالريمليس بفاحش[١] إذا هي نصّته ولا بمعطّل

يريد إذا هي أظهرته، وقد قيل: نصبته، والمعنى في هذا يرجع إلى الإظهار، فأمّا هذه اللّفظة فإنّها قد جعلت مستعملة في الشريعة على المعنى الّذي قدّمت، ومتى أردت حدّ المعنى منها قلت: حقيقة النصّ هو القول المنبىء عن المقول فيه على سبيل الإظهار.

فقال القاضي: ما أحسن ما قلت! ولقد أصبت فيما أوضحت وكشفت، فخبّرني الآن إذا كان النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قد نصّ على إمامة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فقد أظهر فرض طاعته، وإذا أظهره استحال أن يكون مخفياً، فما بالنا لا نعلمه إن كان الأمر على ماذكرت في حدّ النصّ وحقيقته؟

فقال الشيخ ـ أيّده الله ـ: أمّا الإظهار من النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقد وقع ولم يك خافياً في حال ظهوره، وكلّ من حضره فقد علمه ولم يرتب فيه ولا اشتبه عليه، وأمّا سؤالك عن علّة فقدك العلم به الآن وفي هذا الزمان فإن كنت لا تعلمه على ما أخبرت به عن نفسك فذلك لدخول الشبهة عليك في طريقه، لعدولك عن وجه النظر في الدليل المفضي بك إلى حقيقته، ولو تأمّلت الحجّة فيه بعين الإنصاف لعلمته، ولو كنت حاضراً في وقت إظهار النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ له لمّا أخللت بعلمه، ولكنّ العلّة في ذهابك عن اليقين فيه ما وصفناه.

فقال: وهل يجوز أن يظهر النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ شيئاً في زمانه فيخفى عمّن ينشأ بعد وفاته حتّى لا يعلمه إلاّ بنظر ثاقب واستدلال عليه؟

---

(١) الريم: الظبى الخالص البياض.

فقال الشيخ ـ أيّده الله تعالى ـ: نعم يجوز ذلك، بل لا بدّ منه لمن غاب عن المقام في علم ما كان منه إلى النظر والاستدلال، وليس يجوز أن يقع له به علم الاضطرار لأنّه من جملة الغائبات، غير أنّ الاستدلال في هذا الباب يختلف في الغموض والظهور والصعوبة والسهولة على حسب الأسباب المعترضات في طرقه، وربّما عرى طريق ذلك من سبب فيعلم بيسير من الاستدلال على وجه يشبه الاضطرار (١)، إلّا أنّ طريق النصّ حصل فيه من الشبهات للأسباب الّتي اعترضته ما يتعذّر معها العلم به إلاّ بعد نظر ثاقب وطول زمان في الاستدلال (٢).

فقال: فإذا كان الأمر على ما وصفت فما أنكرت أن يكون النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قد نصّ على نبيّ آخر معه في زمانه، أو نبيّ يقوم من بعده مقامه، وأظهر ذلك وشهّره على حدّ ما أظهر به إمامة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فذهب عنّا علم ذلك كما ذهب عنّا علم النصّ وأسبابه؟

فقال له الشيخ ـ أيّده الله ـ: أنكرت ذلك من قبل أنّ العلم حاصل لي ولكلّ مقرّ بالشرع ومنكر له بكذب من ادّعى ذلك على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ولو كان ذلك حقّاً لما عمّ الجميع على بطلانه وكذب مدّعيه ومضيفه إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ (٣)، ولو تعرّى بعض

---

(١) أي على وجه يشبه العلم الضروري والبديهي.

(٢) وأهم الاسباب شدة إخفاء الخلفاء ومن بيدهم السلطة والقدرة ذلك، وشدة النكير على من كان يظهره، وخوف الناقلين منهم، ولولا أن قيض الله سبحانه رجالاً لم تأخذهم لومة لائم لكان يجب عادة أن لا يكون من ذلك عين ولا أثر، ويكون ذلك نسياً منسياً، ويكون الاضطرار بخلافه.

(٣) والحاصل أن العلم ببطلان ذلك ضروري من الامة، وحصول العلم الضروري لهم في ذلك دون مسألة الامامة لعدم الدواعي على الاخفاء والكتمان فيه.

العقلاء من سامعي الأخبار عن علم ذلك لاحتجت في إفساده إلى تكلّف دليل غير ما وصفت، لكنّ الّذي ذكرت يغنيني عن اعتماد غيره فإن كان النصّ على الإمامة نظيره فيجب أن يعمّ العلم ببطلانه جميع سامعي الأخبار حتّى لا يختلف في اعتقاد ذلك اثنان، وفي تنازع الأمّة فيه واعتقاد جماعة صحّته والعلم به، واعتقاد جماعة بطلانه دليل على فرق ما بينه وبين ما عارضت به.

ثمّ قال له الشيخ ـ أدام الله حراسته ـ: ألا أنصف القاضي من نفسه والتزم ما ألزمه خصومه فيما شاركهم فيه من نفي ما تفردوا به؟ ففصّل بينه وبين خصومه في قوله: إنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قد نصّ على رجم الزاني وفعله، وموضع قطع السارق وفعله، وعلى صفة الطهارة والصلاة وحدود الصوم والحجّ والزكاة وفعل ذلك وبيّنه وكرّره وشهره، ثمّ التنازع موجود في ذلك، وإنّما يعلم الحقّ فيه وما عليه العمل من غيره بضرب من الاستدلال، بل في قوله: إنّ انشقاق القمر لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان ظاهراً في حياته ومشهوراً في عصره وزمانه، وقد أنكر ذلك جماعة من المعتزلة وغيرهم من أهل الملل والملحدة، وزعموا أنّ ذلك من توليد أصحاب السير ومؤلّفي المغازي وناقلي الآثار، وليس يمكننا أن ندّعي على من خالفنا فيما ذكرنا علم الاضطرار وإنّما نعتمد على غلطهم في الاستدلال، فما يؤمنه أن يكون النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قد نصّ على نبيّ من بعده وإن عرى من العلم بذلك على سبيل الاضطرار، وبم يدفع أن يكون قد حصلت شبهات حالت بينه وبين العلم بذلك كما حصل لخصومه فيما عددناه ووصفناه، وهذا ما لا فصل فيه.

فقال له: ليس يشبه النصّ على أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ جميع

ما ذكرت، لأنّ فرض النصّ عندك فرض عامّ، وما وقع فيه الاختلاف فيما قدّمت فروض خاصّة، ولو كانت في العموم كهو لما وقع فيها الاختلاف.

فقال الشيخ ـ أيّده الله ـ: فقد انتقض الآن جميع ما اعتمدته، وبان فساده، واحتجت في الاعتماد إلى غيره، وذلك أنّك جعلت موجب العلم وسبب ارتفاع الخلاف ظهور الشيء في زمان ما واشتهاره بين الملا، ولم تضمّ إلى ذلك غيره ولا شرطت فيه موصوفاً سواه، فلمّا نقضناه عليك ووضح عندك دماره عدلت إلى التعلّق بعموم الفرض وخصوصه، ولم يك هذا جارياً فيما سلف، والزيادة في الاعتلال انقطاع، والانتقال من اعتماد إلى اعتماد أيضاً انقطاع، على أنّه ما الّذي يؤمنك أن ينصّ على نبيّ يحفظ شرعه فيكون فرض العمل به خاصّاً في العبادة كما كان الفرض فيما عددناه خاصّاً، فهل فيها من فصل يعقل؟ فلم يأت بشيء تجب حكايته[1].

---

(١) بحار الانوار ج ١٠ ص ٤٠٨ ح ٢ (مع هوامشها)، الفصول المختارة ج ١ ص ١ ـ ٤.

المناظرة الخامسة والأربعون

مناظرة الشيخ المفيد مع الكتبي ورجل من المعتزلة

سأله المعروف بالكتبيّ فقال له : ما الدليل على فساد إمامة أبي بكر ؟

فقال له : الأدلة على ذلك كثيرة ، فأنا أذكر لك منها دليلاً يقرب من فهمك ، وهو أنّ الأُمّة مجتمعة على أنّ الإمام لا يحتاج إلى إمام، وقد أجمعت الأمّة على أنّ أبا بكر قال على المنبر : « وليتكم ولست بخيركم ، فإن استقمت فاتّبعوني ، وإن اعوججت فقوّموني »[1] ، فاعترف بحاجته إلى رعيّته وفقره إليهم في تدبيره ، ولا خلاف بين ذوي العقول أنّ من احتاج إلى رعيّته فهو إلى الإمام أحوج[2] ، وإذا ثبتت حاجة أبي بكر إلى الامام بطلت إمامته بالإجماع المنعقد على أنّ الإمام لا يحتاج إلى الإمام ،

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) وفي هذا المعنى يقول شاعر أهل البيت ـ عليهم السلام ـ سفيان بن مصعب العبدي الكوفي ـ المتوفي ـ سنة ١٢٠ هـ ـ:

وقال: رسول الله ما اختار بعده ... إماماً ولكنّا لأنفسنا اخترنا
اقمنا إماماً إن أقام على الهدى ... أطعنا وإن ضل الهداية قومّنا
فقلنا إذن أنتم امامُ امامكم ... بحمد من الرحمٰن تهتم وما تهنا
ولكننا اخترنا الذي اختار ربنا ... لنا يوم خم ما اعتدينا ولا حلنا
سيجمعنا يوم القيامة ربُّنا ... فتجزون ما قلتم ونُجزى الذي قلنا
ونحن على نورٍ من الله واضحٍ ... فيارب زدنا منك نوراً وثبتنا

وفي العبدي ـ رحمه الله تعالى ـ رُوِي عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال : يا معشر الشيعة علموا أولادكم شعر العبدي فأنه على دين الله. أنظر: الكنى والألقاب للقمي ج ٢ ص ٤١٤ ـ ٤١٥ .

فلم يدر الكتبيّ بمَ يعترض ، وكان بالحضرة من المعتزلة رجل يعرف بعرزالة .

فقال : ما أنكرت على من قال لك : إنّ الأمّة أيضاً مجتمعة على أنّ القاضي لا يحتاج إلى قاض ، والأمير لا يحتاج إلى أمير ، فيجب على هذا الأصل أن يوجب عصمة الامراء ، أو يخرج من الإجماع .

فقال له الشيخ : إنّ سكوت الأوّل أحسن من كلامك هذا ، وما كنت أظنّ أنّه يذهب عليك الخطأ في هذا الفصل ، أو تحمل نفسك عليه مع العلم بوهنه ، وذلك أنّه لا إجماع في ما ذكرت ، بل الإجماع في ضدّه ، لأنّ الأمّة متّفقة على أنّ القاضي الّذي هو دون الإمام يحتاج إلى قاض هو الإمام ، وذلك يسقط ما تعلّقت به ، اللّهم إلّا أن تكون أشرت بالأمير والقاضي إلى نفس الإمام ، فهو كما وصفت غير محتاج إلى قاض يتقدّمه أو أمير عليه ، وإنّما استغنى عن ذلك لعصمته وكماله ، فأين موضوع إلزامك عافاك الله ؟ فلم يأت بشيء[1] .

---

(١) البحار ج ١٠ ص ٤١١ ح ٤ ، الفصول المختارة ج ١ ص ٧ ـ ٨.

المناظرة السادسة والأربعون

مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من أصحاب الحديث

قال له رجل من أصحاب الحديث ممن يذهب إلى مذهب الكرابيسي[1] ما رأيت أجسر من الشيعة فيما يدّعونه من المحال، وذلك أنهم زعموا أن قول الله عز وجلّ: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[2] نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ[3]، مع ما في ظاهر الآية أنّها نزلت في أزواج النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وذلك أنّك إذا تأمّلت الآية من أوّلها إلى آخرها وجدتها منتظمة لذكر الأزواج خاصّة، ولن تجد لمن ادّعوها له ذكراً.

قال الشيخ ـ أدام الله عزه ـ: أجسر الناس على ارتكاب الباطل وأبهتهم وأشدّهم إنكاراً للحقّ وأجهلهم من قام مقامك في هذا الاحتجاج، ودفع ما

---

(١) هو: أبو علي الحسين بن علي الكرابيسي الشافعي المتوفى ٢٤٥ هـ او ٢٤٨ هـ، وكان من المتحاملين حتى على أحمد بن حنبل فضلاً عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فقد تكلم على امام الحنابلة ويقول لما سمع قوله في القرآن: أيش نعمل بهذا الصبي ؟ ان قلنا القران مخلوق، قال بدعة، وان قلنا: غير مخلوق قال: بدعة، وروى احاديث مكذوبة في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، راجع: تاريخ بغداد للخطيب ج ٨ ص ٦٤، الغدير للأميني ج ٥ ص ٢٨٧.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٣) نزول آية التطهير في فضل أصحاب الكساء في بيت أم سلمة مما اجمعت عليه الامة الاسلامية، وروي ذلك متواتراً عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وكثير من الصحابة وقد تقدم تخريج ذلك.

عليه الإجماع والاتّفاق، وذلك أنّه لا خلاف بين الأمّة أنّ الآية من القرآن قد تأتي وأوّلها في شيء وآخرها في غيره، ووسطها في معنى وأوّلها في سواه، وليس طريق الاتّفاق في المعنى إحاطة وصف الكلام في الآتي، فقد نقل الموافق والمخالف أنّ هذه الآية نزلت في بيت أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ، ورسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في البيت، ومعه عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ وقد جلّلهم بعباء خيبريّة، وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه: ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[1] فتلاها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

فقالت أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ: يا رسول الله ألست من أهل بيتك؟

فقال لها: إنّك إلى خير، ولم يقل لها: إنّك من أهل بيتي، حتّى روى أصحاب الحديث أنّ عمر سئل عن هذه الآية، قال: سلوا عنها عائشة، فقالت عائشة: إنّها نزلت في بيت أختي أمّ سلمة فسلوها عنها فإنّها أعلم بها منّي، فلم يختلف أصحاب الحديث من الناصبة وأصحاب الحديث من الشيعة في خصوصها فيمن عددناه، وحمل القرآن في التأويل على ماجاء به الأثر أولى من حمله على الظنّ والترجيم، مع أنّ الله سبحانه قد دلّ على صحّة ذلك بمتضمّن هذه الآية حيث يقول: ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ وإذهاب الرجس لا يكون إلاّ بالعصمة من الذنوب، لأنّ الذنوب من أرجس الرجس، والخبر عن الإرادة ههنا إنّما هو خبر عن وقوع الفعل خاصّة، دون الإرادة الّتي يكون

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

بها لفظ الأمر أمراً، لاسيّما على ما أذهب إليه في وصف القديم بـالإرادة، وأفرّق بين الخبر عن الإرادة ههنا والخبر عن الإرادة فـي قـوله سـبحانه: **﴿ يريد الله ليبيّن لكم ﴾**[١] وقوله: **﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكـم العسر ﴾**[٢] إذ لو جرت مجرى واحداً لم يكن لتخصيص أهل البـيت بـها معنى، إذ الإرادة الّتي يقتضي الخبر والبيان يعمّ الخلق كلّهم على وجهها في التفسير ومعناها، فلمّا خصّ الله تبارك وتعالى أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بإرادة إذهاب الرجس عنهم دلّ على ما وصفناه من وقـوع إذهـابه عـنهم، وذلك موجب للعصمة على ما ذكرناه، وفي الاتّفاق على ارتفاع العـصمة عن الأزواج دليل على بطلان مقال من زعم أنّها فيهنّ، مع أنّ مـن عـرف شيئاً من اللّسان وأصله لم يرتكب هذا القول ولا توهّم صحّته، وذلك أنّه لا خلاف بين أهل العربيّة أنّ جمع المذكّر بالميم، وجمع المؤنّث بـالنون، وأنّ الفصل بينهما بهاتين العلامتين، ولا يجوز في لغة القوم وضع علامة المؤنث على المذكّر، ولا وضع علامة المذكّر على المؤنّث، ولا استعملوا ذلك في الحقيقة ولا المجاز، ولمّا وجدنا الله سبحانه قد بدأ في هذه الآية بخطاب النساء وأورد علامة جمعهنّ من النون في خطابهنّ فقال: **﴿يانساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي فى قلبه مرض ﴾** الى قوله: **﴿ وأطعن الله ورسوله ﴾** ثمّ عدل بالكلام عنهنّ بعد هذا الفصل إلى جمع المذكّر فقال: **﴿ إنّما يـريد الله ليـذهب عـنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾**[٣] فلمّا جاء بالميم وأسقط النون

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) سورة الاحزاب: الآية ٣٢ و ٣٣.

علمنا أنّه لم يتوجّه هذا القول إلى المذكور الإوّل بما بيّنّاه من أصل العربيّة وحقيقتها ، ثمّ رجع بعد ذلك إلى الأزواج فقال : ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفاً خبيراً** ﴾[١] فدلّ بذلك على إفراد من ذكرناه من آل محمد ـ عليهم السلام ـ بما علّقه عليهم من حكم الطهارة الموجبة للعصمة وجليل الفضيلة ، وليس يمكنكم معشر المخالفين أن تدّعوا أنّه كان في الأزواج مذكوراً رجل غير النساء ، أو ذكر ليس برجل ، فيصحّ التعلّق منكم بتغليب المذكّر على المؤنث إذ كان في الجمع ذكر ، وإذا لم يمكن ادّعاء ذلك وبطل أن يتوجّه إلى الأزواج فلا غير لهنّ توجّهت إليه إلاّ من ذكرناه ممّن جاء فيه الأثر على ما بيّنّاه[٢] .

---

(١) سورة الاحزاب : الآية ٣٤.

(٢) الفصول المختارة ٢٩ ـ ٣١، بحار الانوار ج ١٠ ص ٤٢٤ ح ٩.

المناظرة السابعة والأربعون

مناظرة الشيخ المفيد «ره» مع بعضهم

سُئل (الشيخ المفيد عليه الرحمة) في مجلس الشريف أبي الحسن أحمد بن القاسم العلويّ المحمّدي ، فقيل له : ما الدليل على أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ كان أفضل الصحابة ؟

فقال : الدليل على ذلك قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ[1] ، وقد ثبت أنّ أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ أعظمهم ثواباً عند الله تعالى ، وأنّ أعظم الناس ثواباً لا يكون إلّا لأنّه أشرفهم أعمالاً وأكثرهم عبادة للّه تعالى ، وفي ذلك برهان على فضل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على الخلق كلّهم سوى الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

فقال له السائل : ما الدليل على صحّة هذا الخبر ، وما أنكرت أن يكون غير معتمد ، لأنّه إنّما رواه أنس بن مالك وحده ، وأخبار الآحاد ليست بحجّة فيما يقطع على الله عزّ وجلّ بصوابه ؟

فقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : هذا الخبر وإن كان من أخبار الآحاد على ماذكرت ، من أنّ أنس بن مالك رواه وحده فإنّ الأمّة بأجمعها قد تلقّته بالقبول ، ولم يروا أنّ أحداً ردّه على أنس ولا أنكر صحّته عند روايته ،

---

(١) تقدمت تخريجات الحديث .

فصار الإجماع عليه هو الحجّة في صوابه، ولم يخلّ ببرهانه كونه من أخبار الآحاد بما شرحناه، مع أنّ التواتر قد ورد بأنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ احتج به في مناقبه يوم الدار[(١)]، فقال: أنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فجاء أحد غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: اللّهم اشهد، فاعترف الجميع بصحّته، ولم يك أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ليحتج بباطل، لاسيّما وهو في مقام المنازعة والتوصّل بفضائله إلى أعلى الرتب الّتي هي الإمامة والخلافة للرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وإحاطة علمه بأنّ الحاضرين معه في الشورى يريدون الامر دونه، مع قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار»[(٢)] وإذا كان الأمر على ما وصفناه دل على صحّة الخبر حسبما بيّنّاه.

فاعترض بعض المجبّرة، فقال: إنّ احتجاج الشيعة برواية أنس من

---

(١) قد احتج ـ عليه السلام ـ بحديث الطائر في عدة مواطن راجع: الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٢٤ و ص ١٣٨، فرائد السمطين ج ١ ص ٣٢٢ ح ٢٥١.

(٢) راجع: الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٧٣ ط مصطفى محمد بمصر و ج ١ ص ٦٨ ط أخرى، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٣ ص ١١٩ ح ١١٦٢، صحيح الترمذي ج ٥ ص ٢٩٧ ح ٣٧٩٨، فرائد السمطين ج ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ح ١٣٨ ـ ١٤٠، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٠ ص ٢٧٠، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٩ و ١٢٤، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٥، كنز العمال ج ١١ ص ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، الملل والنحل ج ١ ص ١٠٣، تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١، بتفاوت. وقال الرازي في تفسيره ج ١ ص ٢٠٥: ومن اقتدى بعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ـ صلى الله عليه واله وسلّم ـ: اللّهم أدر الحق مع علي حيث دار.

أطرف الأشياء وذلك أنّهم يعتقدون تفسيق أنس بل تكفيره، فيقولون: إنّه كتم الشهادة في النصّ حتّى دعا عليه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ببلاء لا يواريه الثياب، فبرص[١] على كبر السنّ ومات وهو أبرص، فكيف يستشهد برواية الكافرين؟[٢]

فقالت المعتزلة: قد أسقط هذا الكلام الرجل ولم يجعل الحجّة في الرواية أنساً، وإنّما جعلها الإجماع، فهذا الّذي أوردته هذيان وقد تقدّم ابطاله.

فقال السائل: هب أنّا سلّمنا صحّة الخبر ما أنكرت أن لا يفيد ما

---

(١) راجع: المعارف لابن قتيبة (في باب البرص) ص ١٩٤ و ص ٣٩١، بحار الانوار ج ٣٤ ص ٢٨٧ و ج ٣٧ ص ١٩٧ و ج ٤٢ ص ١٤٨ و ج ٣٨ ص ٣٥١، سفينة البحار للقمي ج ١ ص ٤٧، عبقات الانوار (حديث الثقلين) ج ٢ ص ٣٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٩ ص ٢١٧ ـ ٢١٨، وقال في ج ٤ ص ٧٤ (فصل في ذكر المنحرفين عن عليّ ـ عليه السلام ـ):

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أنّ عدة من الصحابة والتابعين والمحدّثين كانوا منحرفين عن عليّ ـ عليه السلام ـ، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلا مع الدنيا، وإيثاراً للعاجلة، فمنهم أنس بن مالك، ناشد عليّ ـ عليه السلام ـ الناس في رَحبَة القصر ـ او قال: رحبة الجامع بالكوفة ـ: أيّكم سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه. فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: ياأنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد، ولقد حضرتها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرتُ ونسيت، فقال: اللّهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة. قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيت الوَضَح به بعد ذلك أبيض بين عينيه.

وروى عثمان بن مُطرِّف أنّ رجلاً سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، فقال: إني آليت ألّا أكتم حديثا سُئلتُ عنه في عليّ ـ عليه السلام ـ بعد يوم الرّحبة، ذاك رأس المتقين يوم القيامة، سمعته والله من نبيكم.

(٢) بل الاعتراض من أطرف الأشياء، لأن المسلّم فى محله صحة استدلال الخصم في الحجاج بما يراه المستدل عليه صحيحاً، ولا يلزم أن يكون هو عند المستدل ايضاً صحيحا.

ادّعيت من فضل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على الجماعة ؟ وذلك أنّ المعنى فيه : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي ، يريد أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ في الأكل معه ، دون أن يكون أراد أحبّ الخلق إليه في نفسه لكثرة أعماله ، إذ قد يجوز أن يكون الله سبحانه يحبّ أن يأكل مع نبيّه مَن غيره أفضل منه ، ويكون ذلك أحبّ إليه للمصلحة .

فقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : هذا الّذي اعترضت به ساقط ، وذلك أنّ محبّة الله تعالى ليست ميل الطباع ، وإنّما هي الثواب ، كما أنّ بغضه وغضبه ليسا باهتياج الطباع ، وإنّما هما العقاب ولفظ أفعل في أحبّ وابغض لا يتوجه إلّا إلى معناهما من الثواب والعقاب ، ولا معنى على هذا الأصل لقول من زعم أنّ أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ يأكل مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ توجّه إلى محبة الأكل والمبالغة في ذلك بلفظ أفعل ، لأنّه يخرج اللّفظ عمّا ذكرناه من الثواب إلى ميل الطباع ، وذلك محال في صفة الله سبحانه .

وشيء آخر : وهو أنّ ظاهر الخطاب يدّل على ما ذكرناه دون ما عارضت به أن لو كانت المحبّة على غير معنى الثواب ، لأنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، وقوله : بأحبّ خلقك إليك كلام تامّ ، وبعده : يأكل معي من هذا الطائر كلامٌ مستأنفٌ ولا يفتقر الأوّل إليه ، ولو كان أراد ما ذكرت لقال : اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك في الأكل معي ، فلمّا كان اللّفظ على خلاف هذا وكان على ما ذكرناه لم يجز العدول عن الظاهر إلى محتمل على المجاز .

وشيء آخر : وهو أنّه لو تساوى المعنيان في ظاهر الكلام لكان الواجب عليك تحميلهما اللّفظ معاً دون الاقتصار على أحدهما إلاّ بدليل ،

لأنّه لا يتنافى الجمع بينهما فيكون أراد بقوله: «أحبّ خلقك إليك» في نفسه وللأكل معي، وإذا كان الأمر على ما بيّنّاه سقط اعتراضك.

فقال رجل من الزيدية ـ كان حاضراً ـ للسائل: هذا الاعتراض ساقط على أصلك وأصلنا، لانّا نقول جميعاً إن الله تعالى لا يريد المباح، والأكل مع النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ مباح وليس بفرض ولا نفل، فيكون الله يحبّه فضلاً عن أن يكون بعضه أحبّ إليه من بعض، وهذا السائل من أصحاب أبي هاشم فلذلك أسقط الزيدي كلامه على اصله، إذ كان يوافقه في الأصول على مذهب أبي هاشم.

فخلط السائل هنيئة ثمّ قال للشيخ ـ أدام الله عزّه ـ: فأنا أعترض باعتراض آخر وهو: أن أقول ما أنكرت أن يكون هذا القول إنّما أفاد أنّ عليّاً ـ عليه السلام ـ كان أفضل الخلق في يوم الطائر، ولكن بم تدفع أن يكون قد فضله قوم من الصحابة عند الله تعالى بكثرة الأعمال والمعارف بعد ذلك؟ وهذا الأمر لا يعلم بالعقل، وليس معك سمع في نفس الخبر يمنع من ذلك، فدلّ على أنّه ـ عليه السلام ـ أفضل من الصحابة كلّهم إلى وقتنا هذا، فإنّا لم نسألك عن فضله عليهم وقتاً بعينه.

فقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ: هذا السؤال أوهن ممّا تقدّم، والجواب عنه أيسر، وذلك أنّ الأمّة مجمعة على إبطال قول من زعم أنّ أحداً اكتسب أعمالاً زادت على الفضل الّذي حصل لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على الجماعة، من قبل أنّهم بين قائلين:

فقائل يقول: إنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كان أفضل من الكلّ في وقت الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ لم يساوه أحد بعد ذلك، وهم: الشيعة الإماميّة، والزيديّة، وجماعة من شيوخ المعتزلة، وجماعة من أصحاب

الحديث.

وقائل يقول: إنّه لم يبن لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في وقت من الأوقات فضلٌ على سائر الصحابة يقطع به على الله تعالى ويجزم الشهادة بصحّته، ولا بان لأحد منهم فضل عليه، وهم: الواقفة في الأربعة من المعتزلة، منهم: أبو عليّ وأبو هاشم وأتباعهما.

وقائل يقول: إنّ أبابكر كان أفضل من أمير المؤمنين ـ عليه والسلام ـ في وقت الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ وبعده، وهم: جماعة من المعتزلة، وبعض المرجئة، وطوائف من أصحاب الحديث.

وقائل يقول: إنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ خرج عن فضله بحوادث كانت منه فساواه غيره، وفضل عليه من أجل ذلك من لم يكن له فضل عليه، وهم: الخوارج وجماعة من المعتزلة، منهم: الأصم والجاحظ وجماعة من أصحاب الحديث أنكروا قتال أهل القبلة، ولم يقل أحد من الأمّة إنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كان أفضل عند الله سبحانه من الصحابة كلّهم ولم يخرج عن ولاية الله عزّ وجلّ ولا أحدث معصية الله تعالى ثمّ فضل عليه غيره بعمل زاد به ثوابه على ثوابه، ولا جوز ذلك فيكون معتبراً، فإذا بطل الاعتبار به للاتّفاق على خلافه سقط، وكان الإجماع حجّة يقوم مقام قول الله تعالى في صحّة ما ذهبنا إليه، فلم يأت بشيء.

وذاكرني الشيخ ـ أدام الله عزه ـ هذه المسألة بعد ذلك فزادني فيها زيادة ألحقتها، وهي أن قال: إنّ الّذي يسقط ما اعترض به السائل من تأويل قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك اليك» على المحبّة للأكل معه دون محبّته في نفسه بإعظام ثوابه بعد الّذي ذكرناه في

إسقاطه : أنّ الرواية جاءت عن أنس بن مالك أنّه قال :

لمّا دعا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن يأتيه الله تعالى بأحبّ الخلق إليه ، قلت : اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار ليكون لي الفضل بذلك ، فجاء عليّ ـ عليه السلام ـ فرددته ، وقلت له : رسول الله على شغل ، فمضى ثمّ عاد ثانية فقال لي : استأذن على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ، فقلت له : إنّه على شغل ، فجاء ثالثة فاستأذنت له ودخل ، فقال له النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ : قد كنت سألت الله تعالى أن يأتيني بك دفعتين ، ولو أبطأت عليّ الثالثة لأقسمت على الله عزّ وجلّ أن يأتيني بك .

فلو لا أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ سأل الله عزّ وجلّ أن يأتيه بأحبّ خلقه إليه في نفسه وأعظمهم ثواباً عنده ، وكانت هذه من أجلّ الفضائل لما آثر أنس أن يختصّ بها قومه ، ولو لا أنّ أنساً فهم ذلك من معنى كلام الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ لما دافع أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ عن الدخول ، ليكون ذلك الفضل لرجل من الأنصار فيحصل له جزء منه .

وشي آخر : وهو أنّه لو احتمل معنى لا يقتضي الفضيلة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ لما احتجّ به أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يوم الدار ، ولا جعله شاهداً على أنّه أفضل من الجماعة ، وذلك أنّه لو لم يكن الأمر على ما وصفناه وكان محتملاً لما ظنّه المخالفون من أنّه سأل ربّه تعالى أن يأتيه بأحبّ الخلق اليه في الأكل معه لما أمن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من أن يتعلّق بذلك بعض خصومه في الحال ، أو يشتبه ذلك على إنسان ، فلمّا احتجّ به ـ عليه السلام ـ على القوم واعتمده في البرهان دلّ على أنّه لم يك مفهوماً منه إلّا فضله ، وكان إعراض الجماعة أيضاً عن دفاعه عن ذلك بتسليم ما ادّعى دليلاً على صحّة ما ذكرناه ، وهذا بعينه

يسقط قول من زعم أنّه يجوز مع إطلاق النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ما يقتضي فضله عند الله تعالى على الكافّة وجود من هو أفضل منه في المستقبل، لأنّه لو جاز ذلك لما عدل القوم عن الاعتماد عليه، ولجعلوه شبهة في منعه ممّا ادّعاه من القطع على نقصانهم عنه في الفضل، وفي عدول القوم عن ذلك دليل على أنّ القول مفيد بإطلاقه فضله ـ عليه السلام ـ، ومؤمْن من بلوغ أحد منزلته في الثواب بشيء من الأعمال، وهذا بيّن لمن تدبّره[1].

(١) الفصول المختارة ج ١ ص ٦٤ ـ ٦٩، بحار الانوار ج ١٠ ص ٤٣١ ح ١٢.

المناظرة الثامنة والأربعون

مناظرة الشيخ المفيد مع أبي بكر بن صراما

حضر الشيخ المفيد مجلس أبي منصور بن المرزبان وكان بالحضرة جماعة من متكلّمي المعتزلة، فجرى كلام وخوض في شجاعة الإمام ـ عليه السلام ـ.

فقال أبو بكر بن صراما: عندي أنّ أبا بكر الصدّيق كان من شجعان العرب ومتقدّميهم في الشجاعة!

فقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ: من أين حصل ذلك عندك؟ وبأي وجه عرفته؟

فقال: الدليل على ذلك أنّه رأى قتال أهل الردّة وحده في نفر معه، وخالفه على رأيه في ذلك جمهور الصحابة وتقاعدوا عن نصرته.

فقال: أما والله لو منعوني عقالاً لقاتلتهم، ولم يستوحش من اعتزال القوم له، ولا ضعّف ذلك نفسه، ولا منعه من التصميم على حربهم، فلولا أنّه كان من الشجاعة على حدّ يقصر الشجعان عنه لما أظهر هذا القول عند خذلان القوم له!

فقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ: ما أنكرت على من قال لك: إنّك لم تلجأ إلى معتمد عليه في هذا الباب، وذلك أنّ الشجاعة لا تعرف بالحسّ لصاحبها فقط ولا بادّعائها، وإنّما هي شيء في الطبع يمدّه الاكتساب، والطريق إليها أحد الأمرين: إمّا الخبر عنها من جهة علّام الغيوب المطّلع

على الضمائر جلّت عظمته ، فيعلم خلقه حال الشجاع وإن لم يبدُ منه فعل يستدل به عليها .

والوجه الآخر : أن يظهر منه أفعال يعلم بها حاله كمبارزة الأقران ، ومقاومة الشجعان ، ومنازلة الأبطال ، والصبر عند اللّقاء ، وترك الفرار عند تحقّق القتال ، ولا يعلم ذلك أيضاً بأوّل وهلة[١] ، ولا بواحدة من الفعل حتّى يتكرّر ذلك على حدّ يتميّز به صاحبه ممن حصل له ذلك اتّفاقاً ، أو على سبيل الهوج[٢] والجهل بالتدبير ، وإذا كان الخبر عن الله سبحانه بشجاعة أبي بكر معدوماً وكان هذا الفعل الدالّ على الشجاعة غير موجود للرجل فكيف يجوز لعاقل أن يدّعي له الشجاعة بقول قاله ليس من دلالتها في شيء عند أحد من أهل النظر والتحصيل ؟ لاسيّما ودلائل جبنه وهلعه[٣] وخوفه وضعفه أظهر من أن يحتاج فيها إلى التأمّل ، وذلك أنّه لم يبارز قطّ قرناً[٤] ولا قاوم بطلاً ولا سفك بيده دماً ، وقد شهد مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مشاهده ، فكان لكلّ أحد من الصحابة أثر في الجهاد إلّا له ، وفرّ في يوم أحد ، وانهزم في يوم خيبر ، وولّى الدبر يوم التقى الجمعان ، وأسلم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في هذه المواطن مع ما كتب الله عزّ وجلّ عليه من الجهاد ! فكيف تجتمع دلائل الجبن ودلائل الشجاعة لرجل واحد في وقت واحد لو لا أنّ العصبيّة تميل بالعبد إلى الهوى ؟

---

(١) يقال : لقيته أول وهلة او واهلة أى أول شيء .

(٢) الهوج محركة : الطيش والتسرع .

(٣) الهلع : الجبن عند اللقاء .

(٤) القرن بالكسر : نظيرك في الشجاعة أو العلم .

وقال رجل من طيّاب الشيعة كان حاضراً : عافاك الله أيّ دليل هـذا ؟ وكيف يعتمد عليه وأنت تعلم أنّ الإنسان قد يغضب فيقول : لو سامني السلطان هذا الأمر ما قبلته ، وإنّ عندنا لشيخاً ضعيف الجسم ، ظاهر الجبن ، يصلّي بنا في مسجدنا فما يحدث أمر يضجره وينكره إلّا قال : والله لأصبرنّ على هذا أو لأجاهدنّ فيه ولو اجتمعت فيه ربيعة ومضر !.

فقال : ليس الدليل على الشجاعة ما ذكرت دون غيره ، والّذي اعتمدنا عليه يدلّ كما يدلّ الفعل والخبر ، ووجه الدلالة فيه أنّ أبا بكر باتّفاق لم يكن مؤوف العقل ، ولا غبيّاً ناقصاً ، بل كان بالإجماع من العقلاء ، وكان بالاتّفاق جيّد الآراء ، فلو لا أنّه كان واثقاً من نفسه عالماً بصبره وشجاعته لما قال هذا القول بحضرة المهاجرين والأنصار وهو لا يأمن أن يقيم القوم على خلافه فيخذلونه ، ويتأخّرون عنه ويعجز هو لجبنه أن لو كان الأمر على ما ادّعيتموه عليه فيظهر منه الخلف في قوله ، وليس يقع هذا من عاقل حكيم ، فلمّا ثبتت حكمة أبي بكر دلّ مقاله الّذي حكيناه على شجاعته كما وصفناه .

فقال الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ : ليس تسليمنا لعقل أبي بكر وجودة رأيه تسليماً لما ادّعيت من شجاعته بما رويت عنه من القول ، ولا يوجب ذلك في عرف ولا عقل ولا سنّة ولا كتاب ، وذلك أنّه وإن كان ما ذكرت من الحكمة فليس يمنع أن يأتي بهذا القول من جبنه وخوفه وهلعه ليشجّع أصحابه ، ويحضّ[1] المتأخّرين عنه على نصرته ، ويحثّهم على جهاد عدوّه ، ويقوي عزمهم في معونته ، ويصرفهم عن رأيهم في خذلانه ،

---

(١) حضه على الأمر : حمله عليه وأغراه به .

وهكذا تصنع الحكماء في تدبيراتهم، فيظهرون من الصبر ما ليس عندهم، ومن الشجاعة ما ليس في طبائعهم حتّى يمتحنوا الأمر وينظروا عواقبه، فإن استجاب المتأخّرون عنهم ونصرهم الخاذلون لهم وكلوا الحرب إليهم وعقلوا الكلفة بهم، وإن أقاموا على الخذلان واتّفقوا على ترك النصرة لهم والعدول عن معونتهم أظهروا من الرأي خلاف ما سلف، وقالوا: قد كانت الحال موجبة للقتال، وكان عزمنا على ذلك تامّاً فلمّا رأينا أشياعنا وعامّة أتباعنا يكرهون ذلك أوجبت الضرورة إعفاءهم ممّا يكرهون، والتدبير لهم بما يؤثرون، وهذا أمر قد جرت به عادة الرؤساء في كلّ زمان، ولم يك تنقّلهم من رأي إلى رأي مسقطاً لأقدارهم عند الأنام، فلا ينكر أن يكون أبو بكر إنّما أظهر التصميم على الحرب لحثّ القوم على موافقته في ذلك، ولم يبد لهم جزعه لئلاّ يزيد ذلك في فشلهم، ويقوّي به رأيهم، واعتمد على أنّهم إن صاروا إلى أمره ونجع هذا التدبير في تمام غرضه فقد بلغ المراد، وإن لم ينجع ذلك عدل عن الرأي الأوّل! كما وصفناه من حال الرؤساء في تدبيراتهم، على أنّ أبا بكر لم يقسم بالله تعالى في قتال أهل الردّة بنفسه، وإنّما أقسم بأنصاره الّذين اتّبعوه على رأيه، وليس في يمينه بالله سبحانه لينفذنّ خالداً وأصحابه ليصلوا بالحرب دليل على شجاعته في نفسه.

وشيء آخر: وهو أنّ أبا بكر قال هذا القول عند غضبه لمباينة القوم له، ولا خلاف بين ذوي العقول أنّ الغضبان يعتريه عند غضبه من هيجان الطباع ما يفسد عليه رأيه حتّى يقدم من القول على مالا يفي به عند سكون نفسه، ويعمل من الأعمال ما يندم عليه عند زوال الغضب عنه، ولا يكون وقوع ذلك منه دليلاً على فساد عقله، ووجوب إخراجه عن جملة أهل

التدبير، وقد صرح بذلك الرجل في خطبته المشهورة عنه الّتي لا يختلف اثنان فيها، وأصحابه خاصّة يصولون بها، ويجعلونها من مفاخره، حيث يقول: إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ خرج من الدنيا وليس أحد يطالبه بضربة سوط فما فوقها وكان ـ صلّى الله عليه وآله ـ معصوماً من الخطأ، يأتيه الملائكة بالوحي، فلا تكلفوني ما كنتم تكلّفونه فإنّ لي شيطاناً يعتريني عند غضبي، فإذا رأيتموني مغضباً فاجتنبوني، لا أُوثر في أشعاركم وأبشاركم.[1] فقد أعذر هذا الرجل إلى القوم فيما يأتيه عند غضبه من قول وفعل، ودلّهم على الحال فيه، فلذلك أمن من نكير المهاجرين والأنصار عليه مقاله عند غضبه مع إحاطة العلم منهم بما لحقه في الحال من خلاف المخالفين عليه حتّى بعثه على ذلك المقال، فلم يأت بشيء[2].

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) الفصول المختارة ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٩، البحار ج ١٠ ص ٤٣٦ ح ١٣.

المناظرة التاسعة والأربعون

مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم رداً على الحشوية والمعتزلة

سأله بعض أصحابه فقال له: إن المعتزلة والحشوية يدعون أن جلوس أبي بكر وعمر مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في العريش كان أفضل من جهاد أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ[1] بالسيف

---

(١) وادّعىٰ ذلك أيضاً الجاحظ أبو عثمان وقال: إن فضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يوم بدر أعظم من جهاد علي ـ عليه السلام ـ ذلك اليوم وقتله أبطال قريش.

وقد تصدىٰ للردّ عليه أبو جعفر الإسكافي كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١٣ ص ٢٨١ وإليك جوابه نصاً:

وكيف يقول الجاحظ: لا فضيلة لمباشرة الحرب، ولقاء الأقران، وقتل أبطال الشرك! وهل قامت عُمَدُ الإسلام إلّا علىٰ ذلك! وهل ثبت الدِّينُ واستقرّ إلا بذلك! أتراه لم يسمع قول الله تعالىٰ: ﴿ **إنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ في سبيله صفاً كأنَّهُمْ بُنيانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ سورة الصف: الآية ٤، والمحبّة من الله تعالىٰ هي إرادة الثواب؛ فكلُّ مَنْ كان أشدّ ثبوتاً في هذا الصفّ، وأعظم قتالاً، كان أحبّ إلىٰ الله؛ ومعنىٰ الأفضل هو الأكثر ثواباً، فعلي ـ عليه السلام ـ إذاً هو أحبُّ المسلمين إلىٰ الله، لأنّه أثبتُهم قدماً في الصفّ المرصوص، لم يفرّ قطُّ بإجماع الأمّة، ولا بارزه قرْنٌ إلا قتله.

أتراه لم يسمع قول الله تعالىٰ: ﴿ **وفضَّل الله المُجاهدين علىٰ القاعِدِين أجراً عظيماً** ﴾، سورة النساء: الآية ٩٥ وقوله: ﴿ **إنَّ الله اشتَرىٰ مِنَ المُؤمِنِينَ أنفسَهُمْ وأموَالهُمْ بأنَّ لهُمُ الجنَّة يُقاتِلُون في سبيل الله فيقتُلُونَ ويُقتَلُونَ وعداً عليْهِ حقّاً في التَّوراةِ والإنجيل والقُرآنِ** ﴾، ثم قال سبحانه مؤكِّداً لهذا البيع والشراء: ﴿ **وَمَنْ أوفىٰ بعهدِهِ مِنَ الله فاستبشرُوا ببيعكُمُ الَّذي بايعتُمْ به وذلك هُو الفوزُ العظيمُ** ﴾ سورة التوبة الآية ١١١، وقال الله تعالىٰ: ﴿ **ذلك بأنَّهم لا يُصيبُهُم ظمأ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطؤُون موطئاً يغيظُ الكفَّار ولا ينالُون من عدُوٍّ نيلاً**

لأنهما كانا مع النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في مستقره يدبران الأمر معه ولو لا أنهما أفضل الخلق عنده لما اختصهما بالجلوس معه، فبأي شيء يدفع هذا؟

فقال له الشيخ ـ ادام الله عزه ـ: سبيل هذا القول أن يعكس وهذه القصة أن تقلب وذلك أن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لو علم أنهما لو كانا في جملة المجاهدين بأنفسهما يبارزان الأقران ويقتلان الأبطال ويحصل لهما جهاد يستحقان به الثواب، لما حال بينهما وبين هذه المنزلة التي هي أجل وأشرف وأعلىٰ وأسنىٰ من القعود علىٰ كل حال بنص الكتاب حيث يقول الله سبحانه: ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين علىٰ القاعدين أجراً عظيماً** ﴾[1].

فلما رأينا الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قد منعهما هذه

إلّا كُتب لهُمْ به عملٌ صالحٌ ﴾ سورة التوبة: الآية ١٢٠.

فمواقف النَّاس في الجهاد علىٰ أحوال؛ وبعضهم في ذلك أفضلُ من بعض؛ فمن دلف إلىٰ الأقران، واستقبل السُّيُوف والأسنَّة؛ كان أثقل علىٰ أكتاف الأعداء، لشدَّة نكايته فيهم، ممَّن وقف في المعركة، وأعان ولم يُقدم، وكذلك من وقف في المعركة، وأعان ولم يُقدم؛ إلا أنه بحيث تنالُه السهام والنَّبل أعظم عناء، وأفضل ممَّن وقف حيث لا يناله ذلك، ولو كان الضَّعيف والجبان يستحقَّان الرياسة بقلَّة بسط الكفّ وترك الحرب؛ وأنّ ذلك يشاكل فعل النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، لكان أوفر النّاس حظّاً في الرياسة، وأشدّهم لها استحقاقاً حسّان بن ثابت، وإن بطل فضلُ عليّ ـ عليه السلام ـ في الجهاد؛ لأنّ النبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كان أقلَّهم قتالاً، كما زعم الجاحظُ ليبطلنّ علىٰ هذا القياس فضلُ أبي بكر في الإنفاق، لأنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كان أقلّهم مالاً!... الخ.

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

الفضيلة وأجلسهما معه، علمنا أن ذلك لعلمه بأنهما لو تعرضا للقتال أو عرضا له لأفسدا، إما بأن ينهزما أو يوليا الدبر، كما صنعا في يوم أحد[١]، وخيبر[٢]، وحنين[٣]، فكان يكون في ذلك عظيم الضرر على المسلمين ولا يؤمن وقوع الوهن فيهم بهزيمة شيخين من جملتهم، أو كانا لفرط ما

---

(١) فرار أبي بكر يوم أحد:

راجع: شرح نهج البلاغة ج١٣ ص٢٩٣، طبقات ابن سعد ج٢ ص٤٦ ـ ٤٧، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨، تاريخ الخميس ج١ ص٤٣١، البداية والنهاية ج٤ ص٢٩، كنز العمال ج١٠ ص٢٦٨ وص٢٦٩.

فرار عمر يوم أحد:

راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥ ص٢٠ وص٢٣ وص٢٤، حياة محمد لهيكل ص٢٦٥، كنز العمال ج٢ ص٢٤٢، حياة الصحابة ج٣ ص٤٩٧، المغازي للواقدي ج١ ص١٩٩، الكامل في التاريخ ج٢ ص١٤٨.

وقال الفخر الرازي في تفسيره ج٩ ص٥٠ في ذيل تفسير قوله تعالى: **﴿إنّ الّذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطانُ ببعض ما كسبُوا﴾** سورة آل عمران: الآية ١٥٥، قال: ومن المنهزمين ـ يعني يوم أُحد ـ عمر، إلا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين ... ومنهم: عثمان، انهزم مع رجلين من الأنصار يقال لهما: سعد وعقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعاً بعيداً، ثمّ رجعوا بعد ثلاثة أيّام، فقال لهم النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لقد ذهبتم فيها عريضة.

(٢) فرار أبي بكر وعمر يوم خيبر:

راجع: أسد الغابة ج٤ ص٢١، مسند أحمد ج٦ ص٣٥٣، البداية والنهاية ج٤ ص١٨٦، مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٢ وص١٢٤، الكامل لابن الأثير ج٢ ص٢١٦، المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٧.

(٣) فرار أبي بكر يوم حنين:

راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣ ص٢٩٣، الصحيح من سيرة النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ج٣ ص٢٨٢.

فرار عمر يوم حنين:

راجع: صحيح البخاري ج٦ ص٨٠، كتاب التفسير باب قوله تعالى: **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾** سورة التوبة: الآية ٢٥، سيرة المصطفى لهاشم معروف الحسيني ص٦١٨.

يلحقهما من الخوف والجزع يصيران إلىٰ أهل الشرك مستأمنين أو غير ذلك من الفساد الذي يعلمه الله تعالىٰ، ولعله لطف للأمة بأن أمر نبيه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بحبسهما عن القتال.

فأما ما توهموه من أنه حبسهما للاستعانة برأيهما فقد ثبت أنه كان كاملاً وأنهما كانا ناقصين عن كماله، وكان معصوماً وكانا غير معصومين، وكان مؤيداً بالملائكة وكانا غير مؤيدين، وكان يوحى إليه وينزل القرآن عليه ولم يكونا كذلك، فأي فقر يحصل له مع ما وصفناه إليهما لو لا عمى القلوب وضعف الرأي وقلة الدين، والذي يكشف لك عن صحة ما ذكرناه آنفاً في وجه إجلاسهما معه في العريش قول الله سبحانه: ﴿ **إنَّ الله اشترىٰ من المؤمنين أَنفُسَهُم وأموالهم بأن لهُمُ الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلُون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن** ﴾[1].

فلا يخلو الرجلان من أن يكونا مؤمنين أو غير مؤمنين، فإن كانا مؤمنين، فقد اشترىٰ الله أنفسهما منهما بالجنة، علىٰ شرط القتال المؤدي إلىٰ القتل منهما لغيرهما أو قتل غيرهما لهما، ولو كانا كذلك لما حال النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بينهما وبين الوفاء بشرط الله عليهما من القتل، وفي منعهما من ذلك دليل علىٰ أنهما بغير الصفة التي يعتقدها فيهما الجاهلون، فقد وضح بما بيّناه أن العريش وبال عليهما ودليل على نقصهما وأنه بالضد مما توهموه لهما والمنة لله[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) الفصول المختارة ص ١٤ ـ ١٦، بحار الأنوار ج ١٠ ص ٤١٧ ح ٧.

المناظرة الخمسون

مناظرة المفيد (ره) مع شيخ من المعتزلة

وذكرت بحضرة الشيخ أبي عبدالله ـ أدام الله عزه ـ ما ذكره أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي ـ رحمه الله ـ في كتاب (الإنصاف) حيث ذكر أن شيخاً من المعتزلة أنكر أن تكون العرب تعرف المولىٰ سيداً وإماماً، قال: فأنشدته قول الأخطل[1]:

فما وجدت فيها قريش لأمرها   أعف وأولىٰ من أبيك وأمجدا
وأورىٰ بزنديه ولو كان غيره   غداة اختلاف الناس أكدىٰ وأصلدا
فأصبحت مولاها من الناس كلهم   وأحرىٰ قريش أن تهاب وتحمدا

قال أبو جعفر: فأسكت الشيخ كأنما ألقم حجراً، وجعلت أستحسن ذلك.

فقال لي الشيخ أبو عبدالله ـ أدام الله عزه ـ: قد قال لي أيضاً شيخ من المعتزلة: إن الذي تدعونه من النص الجلي علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ شيء حادث، ولم يك معروفاً عند متقدمي الشيعة ولا اعتمده أحد منهم وإنما بدأ به وادعاه ابن الراوندي في كتابه في الإمامة، وناضل عليه ولم يسبقه إليه أحد، ولو كان معروفاً فيما سلف لما أخلّ السيد إسماعيل بن محمد[2] ـ رحمه الله ـ به في شعره ولا ترك ذكره في نظمه مع

---

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي، من شعراء الدولة الأموية البارزين مات سنة ٩٢ هـ.

(٢) هو السيد الحميري، الشاعر الطائر الصيت المولود سنة ١٠٥ والمتوفى سنة ١٧٣ أو

إغراقه في ذكر فضائل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ومناقبه حتىٰ تـعلق بشاذ الحديث وأورد من الفضائل ما لا نسمع به إلا منه ، فما بـاله إن كـنتم صادقين لم يذكر النص الجلي ولا اعتمده في شيء من مقاله وهو الأصل المعول عليه لو ثبت .

فقلت له : قد ذهب عنك أيها الشيخ مواضع مقاله في ذلك لعدولك عن العناية برواية شعر هذا الرجل ، ولو كنت ممن صرف همته إلىٰ تصفح قصائده لعرفت مـا ذهب عـليك مـن ذلك ، وأسكـنتك المـعرفة بـه عـن الاعتماد علىٰ ما اعتمدته من خلو شعره علىٰ ما وصـفت فـي اسـتدلالك بذلك ، وقد قال السيد إسماعيل بن محمد ـ رحمه الله ـ في قصيدته الرائية التي يقول في أولها :

ألا الحمد لله حمداً كـثيراً ... وليّ المـحامد رباً غـفوراً

حتى انتهىٰ إلىٰ قوله :

وفـيهم عـلي وصـي النـبي ... بـمحضرهم قـد دعـاه أمـيرا
وكان الخصيص به في الحياة ... وصاهره واجتباه عشـيرا[1] .

سنة ١٧٩ . صاحب القصيدة المشهورة :

لأم عمرو بـاللوى مـربع ... طـامسة اعـلامها بـلقع

من اصحاب الصادق ـ عليه السلام ـ ، ومن شعراء اهل البيت ـ عليهم السلام ـ المجاهرين ، حاله في الجلالة ظاهر ، ومجده باهر ، قال العلامة في حقه : ثـقة جـليل القـدر عـظيمُ الشأن والمنزلة ، وكان في بدءِ الأمر كيسانياً ثم إمامياً ، وقيل له كيف تشيعت وأنت شـامي حـميري فقال : صبت عليَّ الرحمة صبّاً فكنت كمؤمن آل فرعون ، وروي ان الصادق ـ عليه السلام ـ لقاه ، فقال : سمتك امك سيّداً ووفقت في ذلك أنت سيّد الشعراء ، وقيل ان له في اهل البيت ـ عليهم السلام ـ نحو الفين وثلاثمائة قصيدة .

انظر ترجمته في تنقيح المقال للمامقاني ج ١ ص ١٤٢ـ١٤٤ ، سفينة البحار ج ١ ص ٣٣٥ـ٣٣٧ .

(١) ديوان السيد الحميري ص ٢٢٤، رقم القصيدة : ٧٨ بـاختلاف فـي البـيت الثـاني والمـذكور

أفلا ترىٰ أنه قد أخبر في نظمه أن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ دعا علياً ـ عليه السلام ـ في حياته بإمرة المؤمنين واحتج بذلك فيما ذكره من مناقبه ـ عليه السلام ـ فسكت الشيخ وكان منصفاً[1].

هكذا.

علي إمام وصيّ النبي ... بمحضره قد دعاه أميرا

والبيت الأول قد ذكر في ص ٢١٠ قصيدة رقم: ٧٥، راجع: مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٥٦، أعيان الشيعة ج ٣ ص ٤٢٣.

(١) الفصول المختارة ص ٤ ـ ٥.

المناظرة الحادية والخمسون

مناظرة الشيخ المفيد (ره) مع الرماني(١)

يُروىٰ : أنه حضر لأول مرة درس أستاذه علي بن عيسىٰ الرماني ، فقام رجل من البصرة وسأل الرماني عن خبر الغدير والغار .

فقال له الرماني : إن حديث الغار دراية ، وخبر الغدير رواية ، والرواية لا توجب ما توجبه الدراية ، فسكت البصري ولم يكن عنده شيء .

فلما خف المجلس تقدم المفيد إلىٰ الرماني ، ولم يكن يعرفه قبل هذا ، وسأله عمن قاتل الإمام العادل .

فقال الرماني : إنه كافر(٢) ، ثم استدرك ، فقال : إنه فاسق .

---

(١) هو : أبو الحسن علي بن عيسىٰ الرّمّاني من شيوخ المعتزلة البارزين ولد سنة ٢٩٦ ، عُدّ من مشايخ الشيخ المفيد (ره) ، كان من أهل المعرفة ، مفنناً في علوم كثيرة ، من الفقه والقرآن ، والنحو واللغة والكلام علىٰ مذهب المعتزلة ، قال عنه الذهبي : وكان يتشيع ويقول عليّ أفضل الصحابة ، وأصله من سر من رأىٰ ، مات ببغداد سنة ٣٨٤ .

انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ج١٢ ص١٦ ـ ١٧ ترجمة رقم : ٦٣٧٧ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٦ ص٥٣٣ ـ ٥٣٤ ، لسان الميزان ج٤ ص٢٤٨ .

(٢) وقد وردت أحاديث كثيرة في من قاتل علياً عليه السلام منها :

عن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب الله ورسوله ، ومن شك في عليّ فهو كافر . المناقب لابن المغازلي ص ٤٦ ح ٦٨ .

وروي عنه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : من قاتل علياً علىٰ الخلافة فاقتلوه كائناً من كان . ينابيع المودة للقندوزي ص ١٨١ .

فقال المفيد : ما تقول في علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ويوم الجمل وطلحة والزبير ؟

فقال الرماني : إنهما تابا .

فقال : أما خبر الجمل فدراية ، وخبر التوبة فرواية ، فأفحم الرماني ، ولم يأت بشيء ، غير أنه قال له: كنت حاضراً عند سؤال البصري ؟

قال : نعم .

ثم دخل الرماني المنزل ، وجاء برقعة مختومة ، وقال له : أوصلها إلىٰ من اتصلت به ، وهو أبو عبدالله البصري المعروف « بجعل » فلما وقف عليها جعل يبتسم ، وسأل المفيد عما جرىٰ بينهما فأعاد عليه القصة ، فقال : إنه كتب إلي بذلك وقد لقبك بالمفيد[1] .

---

(١) مجموعة الشيخ ورام ص ٤٥٦ و ج ٢ ص ٣٠٢ ط طهران ، منتهىٰ المقال ص ٢٩٢ .

المناظرة الثانية والخمسون

مناظرة الشيخ المفيد (ره) مع بعض مشايخ العباسيين في سامراء[1]

حضر الشيخ أبو عبدالله المفيد ـ أيده الله ـ بسر من رأىٰ ، واحتج عليه من العباسيين وغيرهم جمع كثير .

فقال له بعض مشايخ العباسيين : أخبرني من كان الإمام بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ؟

فقال له : كان الإمام من دعاه العباس إلىٰ أن يمد يده لبيعته علىٰ حرب من حارب وسلم من سالم .

فقال له العباسي : ومن هذا الذي دعاه العباس إلىٰ ذلك ؟

فقال له الشيخ : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ

---

(١) سامراء : جاء في الراصد : وهي المدينة التي أنشأها المعتصم ـ بين بغداد وتكريت ـ وهو على دجلة من شرقيّها ـ تحت تكريت ـ وحين انتقل المعتضد عنها وسكن بغداد خُربَت، ولم يبقى منها الآن إلّا يسير ، ولها أخبار طويلة، والباقي منها الآن موضع يسمى بالعسكر، كان ـ الإمام ـ علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر ـ عليهم السلام ـ وابنه ـ الإمام ـ الحسن بن علي ـ عليه السلام ـ وهما المعسكران يسكنان به فنسبا إليه وبه دُفنا ، وعليهما مشهد يُزار فيه .

وروي في أمالي الطوسي : عن الإمام الهادي ـ عليه السلام ـ قال : أُخرجت إلى سرّ من رأى كرهاً ولو أُخرجت منها أُخرجت كرهاً ، قيل ولمَ ياسيدي؟ قال : لطيب هوائها وعذوبة مائها وقلة دائها .

وروي في سبب تسميتها سرّ من رأى : أنّه لما شرع في بنائها المعتصم ثقل ذلك على عسكره فلما انتقل بهم إليها سُرّ كلّ منهم برؤيتها فلزمها هذا الاسم أي سرّ من رأى ، وسامرّاء : لغة في سرّ من رأى .

أنظر : مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٦٨٤ ـ ٦٨٥ ، سفينة البحار ج ١ ص ٦١٤ ـ ٦١٥ .

حيث قال له العباس في اليوم الذي قبض فيه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بما اتفق عليه أهل النقل : ابسط يدك يابن أخ أبايعك فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن أخيه فلا يختلف عليك اثنان[١] .

فقال له شيخ من فقهاء أهل البلد : فما كان الجواب من علي ؟

فقال : كان الجواب أن قال : إن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عهد إليّ أن لا أدعو أحداً حتىٰ يأتوني ، ولا أجرد سيفاً حتىٰ يبايعوني ، ومع هذا فلي برسول الله شغل .

فقال العباسي : فقد كان العباس ـ رحمه الله ـ إذن علىٰ خطأ في دعائه له إلىٰ البيعة .

فقال له الشيخ : لم يخطىء العباس فيما قصد لأنه عمل علىٰ الظاهر وكان عمل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ علىٰ الباطن وكلاهما أصاب الحق ولم يخطئه والحمد لله رب العالمين .

فقال له العباسي : فإن كان علي بن أبي طالب هو الإمام بعد النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فقد أخطأ أبو بكر وعمر ومن اتبعهما وهذا أعظم في الدين .

فقال له الشيخ : لست أنشط الساعة للفتيا بتخطئة أحد ، وإنما أجبتك عن شيء سألت عنه ، فإن كان صواباً وضمن تخطئة إنسان فلا تستوحش من اتباع الصواب ، وإن كان باطلاً فتكلم علىٰ إبطاله فهو أولىٰ من التشنيع بما لا يجدي نفعاً ، مع أنه إن استعظمت تخطئة من ذكرت فلا بد لك من تخطئة علي والعباس من قبل أنهما قد تأخرا عن بيعة أبي بكر ولم يرضيا

---

(١) راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ ص٢٥٣ ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٢ .

بتقدمه عليهما، ولا عملا له ولصاحبه عملاً ولا تقلدا لهما ولاية ولا رآهما أبو بكر ولا عمر أهلاً أن يشركاهما في شيء من أمورهما، وخاصة ما صنعه عمر بن الخطاب فإنه ذكر من يصلح للإمامة في الشورىٰ ومن يصلح للنظر في الاختيار فلم يذكر العباس من إحدىٰ الطائفتين، ولما ذكر علياً ـ عليه السلام ـ عابه ووصفه بالدعابة تارة وبالحرص علىٰ الدنيا أخرىٰ وأمر بقتله إن خالف عبد الرحمن بن عوف وجعل الحق، في حين عبد الرحمن دونه وفضّله عليه.

هذا وقد أخذ منه ومن العباس ومن جميع بني هاشم الخمس الذي جعله الله تعالىٰ لهم وأرغمهم فيه وحال بينهم وبينه، وجعله في السلاح والكراع، فإن كنت أيها الشريف تنشط للطعن علىٰ علي والعباس بخلافهما الشيخين بكراهتهما لإمامتهما وتأخرهما عن بيعتهما وترىٰ من العقد فيهما ماسنَّه الشيخان من أمرهما في التأخير لهما عن شريف المنازل والغض منهما والحط من أقدارهما فصر إلىٰ ذلك فإنه الضلال بغير شبهة، وإن كنت ترىٰ ولايتهما والتعظيم لهما والاقتداء بهما فاسلك سبيلهما ولا تستوحش من تخطئة من خالفهما، وليس ها هنا منزلة ثالثة.

فقال العباسي عند سماع هذا الكلام: اللهم أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون[1].

---

(١) الفصول المختارة: ص٢٧٧ ـ ٢٧٩، بحار الأنوار ج ١٠ ص ٤٥١ ح ١٨.

المناظرة الثالثة والخمسون

مناظرة الكراجكي مع رجل من العامة

قال الشيخ الكراجكي[1] ـ اعلى الله مقامه ـ:

سألني رجل من أهل الخلاف فقال: إنا نراكم معشر الشيعة تكثرون القول بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان، وتناظرون علىٰ ذلك، وترددون هذا الكلام، وإطلاق هذا اللفظ منكم يضاد مذهبكم، ويناقض معتقدكم، ولستم تعلمون أن التفضيل بين الشيئين لا يكون إلا وقد شمل الفضل لهما، ثم زاد في الفضل أحدهما علىٰ صاحبه، وأن ذلك لا يجوز مع تعرّي أحدهما من خلال الفضل علىٰ كل حال، لِمَ جهلتم ذلك من معنىٰ الكلام؟ فإن زعمتم أن لأبي

(١) هو: أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان المعروف بالكراجكي، من أجلّاء علماء وفقهاء ورؤساء الشيعة في حلب، له عدة كتب منها عدة المصير في صحيح الغدير، التلقين لأولاد المؤمنين، ردع الحاصل وتنبيه الغافل، نهج البيان في مناسك النسوان، روضة العابدين، كنز الفوائد، وغيرها، وكان جوّالاً بين دمشق وبغداد وحلب وطبرية وصيدا وصور وطرابلس، ومن شيوخه: الشيخ المفيد والشريف المرتضى وغيرهم من أجلة العلماء، ومن تلاميذه: المفيد النيسابوري، وعبد العزيز الطرابلسي وغيرهما.

والكراجكي من أئمة عصره في الفقه والكلام والفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم، قال عنه العماد الحنبلي: كان نحوياً لغوياً، منجماً طبيباً متكلماً متقناً، من كبار أصحاب الشريف المرتضى، وتوفي في حوادث سنة ٤٤٩ هـ.

راجع ترجمته في: شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٨٣ في حوادث سنة ٤٤٩ هـ، سير أعلام النبلاء ج١٨ ص ١٢١، لسان الميزان ج ٥ ص ٣٠٠، مرآة الجنان ج ٣ ص ٦٩ ـ ٧٠.

بكر وعمر وعثمان قسطاً من الفضل يشملهم به، يصح به القول أن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أفضلهم، تركتم مذهبكم وخالفتم سلفكم، وإن مضيتم علىٰ أصلكم ونفيتم عنهم جميع خلال الفضل علىٰ ما عهد من قولكم لم يصح القول بأن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أفضل منهم.

فقلت له: ليس في إطلاق أن القول بأن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان ما يوجب علىٰ قائله ماذكرتم في السؤال.

والشيعة أعرف من خصومهم بمواقع الألفاظ ومعاني الكلام، وذلك: أن التفضيل، وإن كان كما وصفت يكون بين الشيئين إذا اشتركا في الفضل وزاد أحدهما علىٰ الآخر فيه، فقد يصح أيضاً فيهما إذا اختص بالفضل أحدهما، وعرى الآخر منه، ويكون معنىٰ قول القائل: هذا أفضل من هذا، أنه الفاضل دونه، وأن الآخر لا فضل له، وليس في هذا خروج عن لسان العرب، ولا مخالفة لكلامها، وكتاب الله تعالىٰ يشهد به، وأن أشعار المتقدمين يتضمنه، قال الله جلّ اسمه: **﴿أصحاب الجنة يومئذٍ خيرٌ مستقراً وأحسنُ مقيلاً﴾**[1].

يعني أنهم خير من أصحاب النار، وقد علم أن أصحاب النار أصحاب شر، ولا خير فيهم. ووصف النار في آية أخرىٰ فقال: **﴿بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً، إذا رأتهم من كان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾** إلىٰ قوله **﴿ وادعوا ثبوراً ﴾**[2] ثم قال: **﴿ قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون، كانت لهم جزاءً**

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٤.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١١ ـ ١٤.

ومصيراً﴾[١] . فذكر سبحانه أن الجنة وما أعد فيها خير من النار ، ونحن نعلم أنه لا خير في النار .

وقال تعالىٰ في آيةٍ أُخرىٰ : ﴿ **قل أفأنبئكم بشرٍ من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا ، وبئس المصير** ﴾[٢] . وقال : ﴿ **وهو أهون عليه** ﴾[٣] .

والمعنىٰ في ذلك هين ، لأن شيئاً لا يكون أهون علىٰ الله من شيء ، فكذلك قولنا : هذا أفضل ، يكون المراد به هذا الفاضل .

وليس بعد إيراد هذه الآيات لبسٌ في السؤال يعترض العاقل ، وقد قال حسان بن ثابت في رجل هجا سيدنا رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من المشركين :

هجوتَ محمداً براً تقياً   وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفؤ   فشركما لخيركما فداء[٤] .

وقد علمنا أنه لا شر في النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ، ولا خير فيمن هجاه .

وقال غيره من الجاهلية :

خالي بنو أنَسٍ وخال سراتهم   أوس، فأيهما أدق وألأم

يريد فأيهما الدقيق واللئيم ، وليس المعنىٰ فيه أن الدقة واللؤم قد اشتملا عليهما ثم زاد أحدهما علىٰ صاحبه فيهما .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ١٥ .

(٢) سورة الحج : الآية ٧٢ .

(٣) سورة الروم : الآية ٢٧ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص٩ ، من قصيدة يمدح فيها النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قبل فتح مكة ويهجو أبا سفيان .

وعلىٰ هذا المعنىٰ فسرَّ عثمان بن الجني[1] قول المتنبي :

أعق خليليه الصفيين لائمه .

وأنهما لم يشتركا في العقوق ثم زاد أحدهما علىٰ الآخر صاحبه فيه ، مع كونهما خليلين صفيين ، وإنما المراد إن الذي يستحيل منهما عن الصفا ، فيصير عاقاً لائمه .

والشواهد في ذلك كثيرة ، وفيما أوردته منها كفاية في إبطال ما ألزمت ، ودلالة علىٰ أن الشيعة في قولها إن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان ، لم تناقض لها مذهباً ، ولا خالفت معتقداً ، وإن المراد بذلك أنه الفاضل دونهم ، والمختص بهذا الوصف عنهم ، فتأمل ذلك تجده صحيحاً ، والحمد لله .

علىٰ أن من الشيعة من امتنع من إطلاق هذا المقال عند تحقيق الكلام ، ويقول في الجملة : إنه ـ عليه السلام ـ بعد رسول الله ـ صلَىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أفضل الناس ، فسؤالك ساقط عنه ، إذ كان لا يلفظ بما ذكرته إلّا علىٰ المجاز .

فلما سمع السائل الجواب اعترف بأنه الصواب ، ولم يزد حرفاً في هذا الباب ، والحمد لله علىٰ خيرته من خلقه سيدنا محمد رسوله وآله الطيبين الطاهرين وسلامه وبركاته[2] .

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني ولد ونشأ في الموصل وسكن وتوفي ببغداد عام (٣٩٢ هـ) ، من أكابر علماء النحو والصرف والأدب وهو من أساتذة الشريفين الرضي والمرتضىٰ ، وله مؤلفات عديدة ومنها شرح ديوان المتنبي .

(٢) كنز الفوائد للكراجكي ج ٢ ص ٥٧ .

المناظرة الرابعة والخمسون

مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي[1] مع أبي جعفر يحيىٰ بن محمد العلوي

قال بن أبي الحديد:

سألت أبا جعفر يحيىٰ بن محمد العلويّ نقيب البصرة، وقت قراءتي عليه، عن هذا الكلام، وكان ـ رحمه الله ـ علىٰ ما يذهب إليه من مذهب العلويّة منصفاً وافر العقل، فقلت له: مَنْ يعني ـ عليه السلام ـ بقوله: «

(١) هو: عبد الحميد أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد عز الدين المدائنيّ، أحد جهابذة العلماء، وأثبات المؤرخين، كان فقيهاً أصولياً، ومتكلماً جدلياً نظاراً، وكان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه في إحدى قصائده في مدح امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ:

ورأيت دين الأعتزال وانّني　　　أهوى لأجلك كلّ من يتشيعُ

وعلىٰ أساسه جادل وناظر، وحاجّ وناقش، وله مع الأشعري والغزالي والرازي كتب ومواقف، وكان أديباً ناقداً، ثاقب النظر خبيراً بمحاسن الكلام ومساوئه، متضلعاً في فنون الأدب، متقناً لعلوم اللسان، عارفاً بأخبار العرب، مطلعاً علىٰ لغاتها، جامعاً لخطبها ومنافراتها، راوياً لأشعارها وأمثالها، قارئاً مستوعباً لكلّ ما حوته الكتب والأسفار في زمانه، ولد بالمدائن سنة ٥٨٦ هـ، ونشأ بها وتلقىٰ عن شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية فيها، ثم مال إلىٰ مذهب الاعتزال منها، ثم ارتحل إلىٰ بغداد، واختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب، وكان أحد الكتاب والشعراء بالديوان الخليفتي وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي وكما فوض إليه أمر خزائن الكتب، وله عدة مصنفات منها: شرح نهج البلاغة، الاعتبار، ديوان شعر، العبقري الحسان، القصائد السبع العلويات، المستنصريات، الوشاح الذهبي في العلم الأبي، وغيرها، توفي سنة ٦٥٥ هـ، وقيل سنة ٦٥٦ هـ.

راجع ترجمته في: مقدمة شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢، البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٩٩، سفينة البحار ج ١ ص ٢٣٣.

كانت أثرة شحَّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»؟[١] ومَن القومُ الّذين عناهم الأسديّ بقوله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به»؟ هل المرادُ يوم السقيفة أو يوم الشورىٰ؟

فقال: يوم السقيفة.

فقلت: إنّ نفسي لا تسامحني أن أنسُب إلىٰ الصحابة عصيان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ودفع النص.

فقال: وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ إلىٰ إهمال أمر الإمامة، وأنْ يترك النّاس فوضىٰ سُدىٰ مهملين، وقد كان لا يغيبُ عن المدينة إلّا ويؤمِّر عليها أميراً وهو حيّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمِّر وهو ميّت لا يقدر علىٰ استدراك ما يحدُث!

ثم قال: ليس يشكّ أحدٌ من الناس أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كان عاقلاً كامل العقل، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم؛ وأمّا اليهود والنصارىٰ والفلاسفة فيزعمون أنّه حكيم تامّ الحكمة[٢]، سديد الرأي، أقام ملّة، وشرع شريعة، فاستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره؛ وهذا

---

(١) نهج البلاغة للإمام علي ـ عليه السلام ـ من كلام له برقم: ١٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٢٤١.

(٢) تنصيب الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لأمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ في نظر الإمامية وحي من الله تعالىٰ، فإن الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ كما قال تعالى عنه: ﴿**وما ينطق عن الهوىٰ، إن هو الا وحيّ يوحىٰ**﴾ سورة النجم: الآية ٣ و ٤، وأما هذا الجواب الذي ذكره العلوي فهو جوابٌ لمن لا يعتقد بعصمته، أو لا يعتقد بنبوته كاليهود والنصارىٰ الّذين يرونه حكيماً من الحُكماء، أو ملكاً من الملوك، فالمناظر هنا يريد أن يثبت في استدلاله أنه حتىٰ لو لم يكن نبياً بل كان ملكاً أو حكيماً فإنه لا بد أن ينصب علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ للأمور المذكورة وغيرها، فإذا تم هذا فمن باب أولىٰ بالنسبة لمن يعتقد بنبوته وعصمته أن يعتقد بوجوب النص علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

الرّجل العاقل الكامل يعرفُ طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثّارات والذُّحول ولو بعد الأزمان المتطاولة، ويقتُل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر، فلا يزال أهلُ ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه؛ حتىٰ يدركوا ثأرهم منه؛ فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله، فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدنين، والإسلام لم يُحِلْ طبائعهم، ولا غيّر هذه السجيّة المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف يتوهّم لبيب أنّ هذا العاقل الكامل وتر العرب، وعلىٰ الخصوص قريشاً، وساعدهُ علىٰ سفك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلّد الضغائن ابنُ عمِّه الأدنىٰ وصهرهُ، وهو يعلم أنّه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعده وعنده ابنته، وله منها ابنان يجريان عنده مجرىٰ ابنين من ظهره حُنوّاً عليهما، ومحبة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه، فيحقنُ دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلمُ هذا العاقل الكامل؛ أنّه إذا تركه وترك بنيه وأهله سُوقةً ورعيّة؛ فقد عرَّض دماءهم للإراقة بعده؛ بل يكونُ هو ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هو الذي قتله، وأشاط[1] بدمائهم، لأنّهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم؛ وإنّما يكونون مضغةً للآكل، وفريسةً للمفترس، يتخطّفهم الناس، وتبلُغ فيهم الأغراض!

فأمّا إذا جعل السلطان فيهم، والأمر إليهم؛ فإنّه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرّياسة التي يصُولون بها، ويرتدع النّاس عنهم لأجلها ومثل هذا معلوم بالتجربة، ألا ترىٰ أنّ ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل النّاس ووترهم، وأبقىٰ في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل

---

(١) أشاط بدمائهم: أهدرها أو عمل علىٰ هلاكها.

أمر ولده وذرّيته من بعده، وفسح للنّاس أن يقيموا ملكاً من عُرضهم، وواحداً منهم، وجعل بنيه سوقةً كبعض العامّة، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم، سريعاً هلاكهم، ولوثب عليهم الناس ذوو الأحقاد والتِّرات من كلِّ جهة، يقتلونهم ويشرّدونهم كلّ مشرَّد، ولو أنه عيّن ولداً من أولاده للملك، وقام خواصّه وخدمه وخَوَلُه بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بيته، ولم تطل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك، وأبّهة السلطنة، وقوة الرئاسة، وحرمة الإمارة!

أفترىٰ ذهب عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هذا المعنىٰ؛ أم أحبَّ أن يُستأصل أهله وذرّيته من بعده! وأين موضعُ الشَّفقة علىٰ فاطمة العزيزة عنده، الحبيبة إلىٰ قلبه!

أتقول: إنّه أحبَّ أن يجعلها كواحدةٍ من فقراء المدينة، تتكفّفُ الناس، وأن يجعل علياً، المكرّم المعظّم عنده، الذي كانت حاله معه معلومةً، كأبىٰ هريرة الدَّوسيّ، وأنس ابن مالك الأنصاريّ، يحكّم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده، فلا يستطيع الامتناع، وعلىٰ رأسه مائة ألف سيف مسلول؛ تتلظّىٰ أكباد أصحابها عليه، ويودُّون أن يشربُوا دمه بأفواههم، ويأكلوا لحمه بأسنانهم؛ قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم، والعهدُ لم يطُل، والقروح لم تتقرّف[1]، والجروح لم تندمل[2]!

---

(١) تقرّف الجرح: طلعت فوقه قشرة، أي شارف البرء.

(٢) وهذا ما حصل بالفعل فإنه بعدما غصبوهم الخلافة بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أغاروا على ذريته وعترته وأول مالحق الأذى بفاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ بضعته وروحه التي بين جنبيه حتى كسروا ضلعها واسقطوا جنينها بين الحائط والباب وغصبوها نحلتها، حتى فارقت الدنيا وملوءُ قلبها الحزن والأسى، ودُفنت ليلا لئلا يشهد جنازتها من ←

فقلت له: لقد أحسنت فيما قلت، إلّا أن لفظه ـ عليه السلام ـ يدلّ علىٰ أنه لم يكن نصّ عليه، ألا تراه يقول: «ونحنُ الأعلون نسباً، والأشدُّون بالرسول نوطاً»، فجعل الاحتجاج بالنَّسب وشدّة القرب؛ فلو

← ظلمها وآذاها، وأُعفي قبرها، واغاروا كذلك على امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وقادوه للبيعة وفي عنقه الحبل، وقد قال وهو يشير الى قبر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: (يابن أُمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١١ ص ١١١.

واصبح جليس داره خمس وعشرين سنة صابراً محتسباً يرى تراثه نهبا حتى قاسى الدواهي العظام والمحن الجسام ومن ذلك حرب الجمل وصفين والنهروان، كل ذلك حسداً وبغضاً وكراهية له، وما فعله بصناديدهم يوم بدر وحنين، كما صرح بذلك اعداؤه ومبغضوه، الى ان مضى قتيلاً على يد بن ملجم المرادي، ومن بعده ابنه الحسن ـ عليه السلام ـ غدروا به حتى جرعوه السموم، ومنعوا دفنه عند جده المصطفى ـ صلى الله عليه وآله ـ ثم جرت أعظم الدواهي والمصائب على ذريته فقتلوا سبطه الحسين واهل بيته ـ عليهم السلام ـ وسبوا نسائه واولاده من بلد الى بلد.

فراحت ذريته تقاسي ألوان العذاب والتشريد والقتل من بني أمية وبني العباس وغيرهم.

فكل ما جرى على أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هو بسبب غصبهم الخلافة وتنحيتهم عنها، ولو كانت الخلافة في يد أهلها لما جرى عليهم ما جرى ولم يجري على الأُمة ما جرى من الفرقة والاختلاف والنزاع والفتن وليس هذا فحسب بل كل ما ابتُليت به الأمة من محن وفقر وبلاء وذل وغير ذلك هو بسبب تركهم من اختاره الله ونصبّه خليفة لرسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال تعالى: ﴿ **وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غدقا** ﴾ الجن: الآية ١٦، وقال تعالى: ﴿ **ولو أن أهل القُرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماءِ والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾ الاعراف: الآية ٩٦، ولهذا المعنى يشير سلمان الفارسي في قوله: ولكن أبيتم فوليتموها ـ أي الخلافة ـ غيره فابشروا بالبلايا واقنطوا من الرخاء (الاحتجاج ج ١ ص ١١١) واشار الى هذا المعنى ايضاً ابو ذر في قوله: أما لو قدمتم من قدم الله وأخرتم من أخر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليَّ الله ولا طاش سهمٌ من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسُنة نبيه، فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾. راجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧١ عند ذكر ما نقم على أبي ذر.

كان عليه نصّ ، لقال عوض ذلك : « وأنا المنصوص عليَّ ، المخطوب باسمي » .

فقال ـ رحمه الله ـ : إنما أتاه من حيثُ يعلم ، لا من حيث يجهل ؛ ألا ترىٰ أنه سأله ، فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحقّ به ؟ فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه ؛ وهم أحقّ به من جهة اللّحمة والعترة ؛ ولم يكن الأسديُّ يتصور النّصّ ولا يعتقده ، ولا يخطر بباله ، لأنّه لو كان هذا في نفسه ، لقال له : لم دفعك النّاس عن هذا المقام ، وقد نصّ عليك رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ؟ ولم يقُل له هذا ، وإنما قال كلاماً عامّاً لبني هاشم كافّة : كيف دفعكم قومُكم عن هذا وأنتم أحقّ به ! أي باعتبار الهاشميّة والقربى .

فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الأسدي بعينه ، تمهيداً للجواب ، فقال : إنما فعلوا ذلك مع أنّا أقرب إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ من غيرنا لأنّهم استأثروا علينا ، ولو قال له : أنا المنصوص عليَّ ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لما كان قد أجابه ، لأنه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا ؟ ولا : هل نصّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالخلافة على أحد أم لا ؟ وإنّما قال : لم دفعكم قومُكم عن الأمر وأنتم أقرب إلىٰ ينبوعه ومعدنه منهم ؟ فأجابه جواباً ينطبق علىٰ السؤال ويلائمه أيضاً ، فلو أخذ يصرّح له بالنصّ ، ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنَفَر عنه ، واتّهمه ولم يقبل قوله ، ولم ينجذب إلىٰ تصديقه ؛ فكان أولىٰ الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس ؛ أن يجيب بما لا نُفْرة منه ، ولا مطعن عليه فيه[1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩ ص٢٤٨ ـ ٢٥١ ، بحار الأنوار ج٣٨ ص١٦٣ ، سفينة البحار ج٢ ص٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

المناظرة الخامسة والخمسون

مناظرة ابن طاووس[1] مع رجل حنبلي

قال ابن طاووس في وصاياه لولده:

حضرني يا ولدي محمد حفظك الله جل جلاله لصلاح آبائك وأطال في بقائك نقيباً، وأتىٰ رجلاً حنبلياً، وقال: هذا صديقنا ويُحب أن يكون علىٰ مذهبنا فحدثه.

فقلت له: ما تقول إذا حضرت القيامة، وقال لك محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: لأي حال تركت كافة علماء الإسلام، واخترت أحمد ابن حنبل إماماً من دونهم، هل معك آية من كتاب الله بذلك أو خبر عني

---

(١) هو: رضي الدين ابو القاسم (وابو الحسن) علي بن السيد سعد الدين بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد الطاووس بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ عليهما السلام ـ ولد في سنة ٥٨٩ هـ بالحلة ونشأ بها وترعرع، ثم هاجر إلى بغداد وأقام بها نحواً من خمس عشرة سنة وأسكنه المستنصر العباسي داراً في الجانب الشرقي من بغداد، ثم رجع إلى الحلة، ثم انتقل إلى النجف ثم كربلاء ثم عاد إلى بغداد.

ولي نقابة الطالبيين وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٦٦٤، نشأ وسط أسرة علمية عريقة، وتتلمذ على أيدي علماء أعلام منهم: الشيخ ورّام والشيخ نجيب الدين محمد بن نما وغيرهم الكثير، وروى عنه الكثير منهم: الاربلي صاحب كشف الغمة، وسديد الدين والد العلاّمة الحلي وغيرهم، ترك ثروة ضخمة من التأليف القيمة منها: أسرار الصلاة، الإقبال، والتحصين، كشف المحجة، واليقين.

انظر ترجمته في: مقدمة اليقين وجمال الأسبوع، أمل الآمل ج ٢ ص ٢٠٥ ترجمة رقم: ٢٦٢، معجم رجال الحديث ج ١٢ ص ١٨٨، سفينة البحار ج ٢ ص ٩٦.

بذلك ، فإن كان المسلمون ما كانوا يعرفون الصحيح حتىٰ جاء أحمد ابن حنبل وصار إماماً فعمن روىٰ أحمد بن حنبل عقيدته وعلمه وإن كانوا يعرفون الصحيح وهم أصل عقيدة أحمد بن حنبل فهلا كان السلف قبله أئمة لك وله .

فقال : هذا لا جواب لي عنه لمحمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

فقلت له : إذا كان لا بد لك من عالم من الأمة تقلده فالزم أهل بيت نبيك ـ عليهم السلام ـ فإن أهل كل أحد أعرف بعقيدته وأسراره من الأجانب فتاب ورجع .

وقلت لبعض الحنابلة : أيما أفضل آباؤك وسلفك الذين كانوا قبل أحمد بن حنبل إلىٰ عهد النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، أو آباؤك وسلفك الذين كانوا بعد أحمد بن حنبل فإنه لا بد أن يقول إن سلفه المتقدمين علىٰ أحمد بن حنبل أفضل لأجل قربهم إلىٰ الصدر الأول ومن عهد النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

فقلت : إذا كان سلفك الذين كانوا قبل أحمد بن حنبل أفضل فلأي حال عدلت عن عقائدهم وعوائدهم إلىٰ سلفك المتأخرين عن أحمد بن حنبل وما كان الأوائل حنابلة لأن أحمد بن حنبل ما كان قد ولد ولا كان مذكوراً عندهم فلزمته الحجة وانكشفت له المحجة والحمد لله رب العالمين[١] .

---

(١) كشف المحجة لابن طاووس : ص ٨١.

المناظرة السادسة والخمسون

مناظرة ابن طاووس مع رجل من الزيدية وآخر من أهل العلم

قال ابن طاووس في وصاياه لولده:

وحضر عندي ـ يا ولدي محمد رعاك الله جلّ جلاله بعنايته الإلهية ـ بعض الزيدية وقد قال: لي إن جماعة من الإمامية يريدون مني الرجوع عن مذهبي بغير حجة وأريد أن تكشف لي عن حقيقة الأمر بما يثبت في عقلي.

قلت له: أول ما أقول أنني علوي حسني وحالي معلوم ولو وجدت طريقاً إلىٰ ثبوت عقيدة الزيدية كان ذلك نفعاً ورئاسة لي دينية ودنيوية، وأنا أكشف لك بوجه لطيف عن ضعف مذهبك بعض التكشف.

هل يقبل عقلُ عاقل فاضل أن سلطان العالمين ينفذ رسولاً أفضل من الأولين والآخرين إلىٰ الخلائق في المشارق والمغارب ويصدّقه بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة ثم يعكس هذا الاهتمام الهائل والتدبير الكامل ويجعل عيار اعتماد الإسلام والمسلمين علىٰ ظن ضعيف يمكن ظهور فساده وبطلانه للعارفين.

فقال: كيف هذا؟

فقلت: لأنكم إذا بنيتم أمر الامامة أنتم ومن وافقكم أو وافقتموه علىٰ الاختيار من الأمة للإمام علىٰ ظاهر عدالته وشجاعته وأمانته وسيرته وليس معكم في الاختيار له إلّا غلبة الظن الذي يمكن أن يظهر خلافه لكل

من عمل عليه كما جرىٰ للملائكة وهم أفضل اختياراً من بني آدم لما عارضوا الله جل جلاله في أنه جعل آدم خليفة وقالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾[١]، فلما كشف لهم حال آدم ـ عليه السلام ـ رجعوا عن اختيارهم لعزل آدم، وقالوا: ﴿**سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا**﴾[٢]، وكما جرىٰ لآدم الأكل من الشجرة، وكما جرىٰ لموسىٰ في اختياره سبعين رجلاً من خيار قومه للميقات، ثم قال عنهم بعد ذلك: ﴿**أتهلكُنا بما فعل السفهاءُ منا**﴾[٣]، حيث قالوا: ﴿ **أَرنا الله جهرةً**﴾[٤].

وكما جرىٰ ليعقوب ـ عليه السلام ـ في اختياره أولاده لحفظ ولده يوسف، وغيره من اختيار الأنبياء والأوصياء والأولياء وظهر لهم بعد ذلك الاختيار ضعف تلك الآراء، فإذا كان هؤلاء المعصومون قد دخل عليهم في اختيارهم ما قد شهد به القرآن والإجماع من المسلمين فكيف يكون اختيار غيرهم ممن يعرف من نفسه أنه ما مارس أبداً خلافة ولا أمارة ولا رياسة حتىٰ يعرف شروطها وتفصيل مباشرتها فيستصلح لها من يقوم لها وما معه إلا ظن ضعيف بصلاح ظاهر من يختاره.

وهل يقبل عقل عاقلٍ وفضل فاضل أن قوماً ما يعرفون مباشرة ولا مكاشفة تفصيل ما يحتاج إليه من يختارونه فيكون اختيارهم لأمر لا يعرفونه حجة علىٰ من حضر وعلىٰ من لم يحضر، أما هذا من الغلط

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٢.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.
(٤) سورة النساء: الآية ١٥٣.

المستنكر ؟

ومن أين للذين يختارون إمامهم معرفة بتدبير الجيوش والعساكر وتدبير البلاد وعمارة الأرضين والإصلاح لاختلاف إرادات العالمين حتىٰ يختاروا واحداً يقوم بما يجهلونه ، إنا لله وإنا إليه راجعون ممن قلدهم في ذلك أو يقلدونه .

ومما يقال لهم : إن هؤلاء الذين يختارون الإمام للمسلمين مَن الذي يختارهم لهم لتعيين الإمام ومن أي المذاهب يكونون فإن مذاهب الذين يذهبون إلىٰ اختيار الإمام مختلفة، وكم يكون مقدار ما بلغوا إليه من العلوم حتىٰ يختاروا عندها الإمام وكم يكون عددهم وهل يكونون من بلد واحد أو من بلاد متفرقة، وهل يحتاجون قبل اختيارهم للإمام أن يسافروا إلىٰ البلاد يستعلمون من فيها ممن يصلح للإمامة أو لا يصلح أو هل يحتاجون أن يراسلوا من بعد عنهم من البلاد ويعرفونهم أنهم يريدون اختيار الإمام للمسلمين فإن كان في بلد غير بلدهم من يصلح أو يرجح ممن هو في بلادهم يعرفونهم أم يختارون من غير كشف لما في البلاد ومن غير مراسلة لعلماء بلاد الإسلام فإن كان سؤال من هذه السؤالات يتعذر قيام الحجة علىٰ صحته وعلىٰ لزومه لله جل جلاله ولزومه لرسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ولزومه لمن لا يكون مختاراً لمن يختارونه من علماء الإسلام أفلا ترىٰ تعذّر ما ادّعوه من اختيار الامام ؟!

ولقد سمع مني بعض هذا الكلام شخص من أهل العلم من علم الكلام .

فقال : إن الناس ما زالوا يعملون في مصالحهم علىٰ الظنون .

فقلت له : هب أنهم يعملون في مصالحهم في نفوسهم بظنونهم

فكيف تجاوزوا ذلك إلىٰ التحكم علىٰ تدبير الله جل جلاله في عباده وبلاده والإقدام بظنونهم الضعيفة علىٰ هدم الاهتمام بثبوت أقدام النبوة الشريفة ونقل تدبيرها عن اليقين الشريف إلىٰ الظن الضعيف ومن جعل لهم ولاية علىٰ كل من في الدنيا والدين وما حضروا معهم في اختيار الإمام ولا شاركوهم ولا أذنوا لهم من سائر بلاد الإسلام ومن وليهم عليٌ وأنا غافل بعيد عنهم حتىٰ يختاروا لي بظنهم الضعيف إماماً ما وكلتهم فيه ولا أرضىٰ أبداً بالاختيار منهم فهل هذا إلا ظلم هائل وجور شامل من غير رضى من يدعي وكالته ونيابة ما استنابه فيها من غير رضى من يدعي نيابته ؟!

ثم قلت لهم : أنتم ما كنتم تتفكرون فساده في أول مرة لما أظهر العدل واجتمعتم عليه فلما تمكن منكم قتلكم وأخذ أموالكم وقد رأيتم ورأينا وسمعتم وسمعنا من اختيار الملوك والخلفاء والاطلاع علىٰ الغلط في الاختيار لهم وقتلهم وعزلهم وفساد تلك الآراء .

وقلت لهم : أنتم تعلمون أنه يمكن أن يكون عند وقت اختياركم لواحد من ولد فاطمة ـ عليها السلام ـ غير معصوم ولا منصوص عليه أن يكون في ذلك البلد وغيره من هو مثله أو أرجح منه ولا تعرفونه فكيف تبايعون رجلاً وتقتلون أنفسكم بين يديه ولعل غيره أرجح منه وأقوم بما تريدون .

وقلت له : أنتم يا بني الحسن لعل ما منعكم من القول بإمامة أئمة بني الحسين إلا أنكم ولد الإمام الأكبر ولعلكم أبيتم أن تكونوا تبعاً لولد الإمام الأصغر وما أراكم خلصتم من هذا العار لأنكم قلدتم زيداً وهو حسني فنسبتم مذهبكم إليه وفي بني الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ من هو

أفضل منه ، قبله كان عبدالله بن الحسن وولداه والباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ ما يقصرون عنه، ثم إنكم ما وجدتم له فقها أو مذهباً يقوم بالشريعة فتمّمتم مذهبكم بمذهب أبي حنيفة وأبو حنيفة من العوام والغلمان لجدّكم ولكم، فإذا رضيتم إماماً زيدياً وهو حسني مرقع مذهبه بمذهب أبي حنيفة فأنا أدلكم علىٰ الباقر والصادق وغيرهما ـ عليهم السلام ـ من بني الحسين ـ عليه السلام ـ من غير مرقعين وعلومهم كافية في أمور الدنيا والدين .

ثم قلت له : الناس يعرفون أنا كنا معشر بني هاشم رؤساء في الجاهلية والإسلام وما كنا أبداً تبعاً ولا أذناباً للعوام ، فلما بُعث محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وشرفنا بنبوته وشريعته نصير تبعاً لغلمانه وللعوام من أمته وتعجز عناية الله جل جلاله به أن يكون لنا رئيسٌ منا أي مصيبة حملتكم علىٰ ذلك وفينا من لا يحسن أبو حنيفة يجلس بين يديه ويحتاج أبو حنيفة وغيره من العلماء أن يقرؤا عليه فعرف الزيدي الحق ورجع عن مذهبه في الحال ، وقد اختصرت في المقال[1] .

---

(١) كشف المحجة لابن طاووس : ص٨٢ ـ ٨٦.

المناظرة السابعة والخمسون

مناظرة ابن طاووس مع فقيه من المستنصرية[1]

قال ابن طاووس ـ عليه الرحمة ـ:

إني كنت في حضرة مولانا الكاظم والجواد ـ عليهما السلام ـ فحضر فقيه من المستنصرية، كان يتردد عليَّ قبل ذلك اليوم، فلما رأيت وقت حضوره يحتمل المعارضة له في مذهبه، قلت له: يا فلان ما تقول لو أن فرساً لك ضاعت منك وتوصلت في ردها إليَّ أو فرساً لي ضاعت مني وتوصلت في ردها إليك أما كان ذلك حسناً أو واجباً؟

فقال: بلىٰ.

فقلت له: قد ضاع الهدىٰ، إما مني واما منك والمصلحة أن ننصف من أنفسنا وننظر ممن ضاع الهدىٰ فنرده عليه.

فقال: نعم.

فقلت له: لا أحتج بما ينقله أصحابي لأنهم متهمون عندك، ولا تحتج بما ينقله أصحابك لأنهم متهمون عندي أو علىٰ عقيدتي، ولكن نحتج بالقرآن، أو بالمجمع عليه من أصحابي وأصحابك، أو بما رواه أصحابي لك وبما رواه أصحابك لي.

فقال: هذا إنصاف.

---

(١) المستنصرية: جامعة في بغداد، أنشأها المستنصر بالله الخليفة العباسي، لاتزال آثارها قائمة. (المنجد).

فقلت له : ما تقول فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ؟

فقال : حقّ بغير شك .

فقلت : فهل تعرف أن مسلماً روىٰ في صحيحه عن زيد بن أرقم أنه قال ما معناه : إن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ خطبنا في (خم) فقال : أيها الناس إني بشر يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي[١] .

فقال : هذا صحيح .

فقلت : وتعرف أن مسلماً روىٰ في صحيحه[٢] في مسند عائشة أنها روت عن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أنه لما نزلت آية ﴿ **إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[٣] جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ فقال : هؤلاء أهل بيتي .

فقال : نعم هذا صحيح .

فقلت له : تعرف أن البخاري ومسلماً رويا في صحيحيهما ، أن الأنصار اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة وأنهم ما نفذوا إلىٰ أبي بكر ولا عمر ولا إلىٰ أحد من المهاجرين حتىٰ جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة لما بلغهم في اجتماعهم ، فقال لهم أبو بكر : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، يعني عمر وأبا عبيدة ، فقال عمر : ما أتقدم عليك

---

(١) مسند أحمد ج٣ ص١٧ ، طبقات ابن سعد ج٢ ص١٩٤ ، المستدرك للحاكم ج٣ ص١٠٩ ، كنز العمال ج١ ص١٨٥ ح٩٤٤ ، بحار الأنوار ج٢٣ ص١١٤ ح٢٣ ، والحديث له مصادر وطرق كثيرة وروي بألفاظ متفاوتة، وقد تقدمت تخريجاته فيما سبق .

(٢) صحيح مسلم : ج٤ ص١٨٨٣ ح٦١ ـ (٢٤٢٤) .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

فبايعه عمر وبايعه من بايعه من الأنصار [١] وأن عليّاً ـ عليه السلام ـ وبني هاشم امتنعوا من المبايعة ستة أشهر [٢]، وأن البخاري ومسلماً قالا فيما جمعه الحميدي من صحيحيهما: وكان لعليّ ـ عليه السلام ـ وجه بين الناس في حياة فاطمة ـ عليها السلام ـ فلما ماتت فاطمة ـ عليها السلام ـ بعد ستة أشهر من وفاة النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ انصرفت وجوه الناس عن علي ـ عليه السلام ـ فلما رأىٰ علي انصراف وجوه الناس عنه خرج إلىٰ مصالحة أبي بكر [٣].

فقال: هذا صحيح.

فقلت له: ما تقول في بيعة تخلّف عنها أهل بيت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ الذين قال عنهم: أنهم الخلف من بعده وكتاب الله جل جلاله، وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فيهم: أذكركم الله في أهل بيتي [٤].

وقال عنهم: انهم الذين نزلت فيهم آية الطهارة [٥]، وإنهم ما تأخروا مدة يسيرة حتىٰ يقال: إنهم تأخروا لبعض الاشتغال، وإنما كان التأخر للطعن في خلافة أبي بكر بغير إشكال في مدة ستة أشهر، ولو كان الإنسان تأخر عن غضب يرد غضبه أو عن شبهة زالت شبهته بدون هذه المدة، وإنه ما صالح أبا بكر علىٰ مقتضى حديث البخاري ومسلم إلّا لما ماتت

---

(١) صحيح البخاري: ج ٥ ص ٨.
(٢) صحيح البخاري: ج ٨ ص ٢١٠.
(٣) صحيح البخاري: ج ٥ ص ١٧٧.
(٤) تقدمت تخريجاته.
(٥) وهي قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ سورة الأحزاب: الآية ٣٣ وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم ـ عليهم السلام ـ.

فاطمة ـ عليها السلام ـ ورأىٰ انصراف وجوه الناس عنه خرج عند ذلك إلىٰ المصالحة .

وهذه صورة حال تدل علىٰ أنه ما بايع مختاراً ، وأن البخاري ومسلماً رويا في هذا الحديث أنه ما بايع أحد من بني هاشم حتىٰ بايع علي ـ عليه السلام ـ .

فقال : ما أقدم علىٰ الطعن في شيء قد عمله السلف والصحابة .

فقلت له : فهذا القرآن يشهد بأنهم عملوا في حياة النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وهو يرجىٰ ويخاف والوحي ينزل عليه بأسرارهم في حال الخوف وفي حال الأمن وحال الصحة والإيثار عليه ما لا يقدروا ان يجحدوا الطعن عليهم به ، وإذا جاز منهم مخالفته في حياته وهو يرجىٰ ويخاف فقد صاروا أقرب إلىٰ مخالفته بعد وفاته وقد انقطع الرجاء والخوف منه وزال الوحي عنه .

فقال : في أيّ موضع من القرآن ؟

فقلت : قال الله جل جلاله في مخالفتهم في الخوف : ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** ﴾(١) ، فروىٰ أصحاب التواريخ أنه لم يبق معه إلّا ثمانية أنفس ، علي ـ عليه السلام ـ والعباس ، والفضل بن العباس ، وربيعة ، وأبو سفيان ، ابنا الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد ، وعبيدة بن أم أيمن وروي أيمن بن أم أيمن(٢) .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٥ .

(٢) راجع : تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ ، السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي ←

وقال الله جل جلاله في مخالفتهم له في الأمن: **﴿ وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾**(١)، فذكر جماعة من المؤرخين أنه كان يخطب يوم الجمعة فبلغهم أن جمالاً جاءت لبعض الصحابة مزينة فسارعوا إلىٰ مشاهدتها وتركوه قائماً، وما كان عند الجمال شيء يرجون الانتفاع به(٢).

فما ظنك بهم إذا حصلت خلافة يرجون نفعها ورئاستها، وقال الله تعالىٰ في سوء صحبتهم ما قال الله جلّ جلاله: **﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمِر ﴾**(٣)، ولو كانوا معذورين في سوء صحبتهم ما قال الله جلّ جلاله **﴿فاعف عنهم واستغفر لهم﴾**، وقد عرفت في صحيحي مسلم والبخاري معارضتهم للنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في غنيمة هو أذن لمّا أعطىٰ المؤلفة قلوبهم أكثر منهم، ومعارضتهم له لما عفىٰ عن أهل مكة، وتركه تغيير الكعبة وإعادتها إلىٰ ما كانت في زمن ابراهيم ـ عليه السلام ـ خوفاً من معارضتهم له(٤) ومعارضتهم له لما خطب في تنزيه صفوان بن المعطل لما

← الحديد ج١٣ ص٢٧٨، الإفصاح للمفيد ص٥٨، الإرشاد للمفيد ص٧٤، مجمع البيان ج٥ ص٢٨، بتفاوت.

(١) سورة الجمعة: الآية ١١.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٣١٣ وص ٣٧٠، صحيح البخاري ج٦ ص١٧٩، الجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٣٨٦ ح٣٣١١، الدرّ المنثور ج٨ ص١٦٥، جامع البيان للطبري ج٢٨ ص٦٧، مجمع البيان ج١٠ ص٤٣٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) راجع: صحيح مسلم: ج٢ ص٩٦٨ ـ ٩٧٢ ح ٣٩٨.

قذف عائشة، وأنه ما قدر أن يتم الخطبة، أتعرف هذا جميعه في صحيحي مسلم والبخاري؟

فقال: هذا صحيح.

فقلت: وقال الله جلّ جلاله في إيثارهم عليه القليل من الدنـيا: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾**[١]، وقد عرفت أنهم امتنعوا من مناجاته ومحادثته لأجل التصدق برغيف وما دونه حتى تصدّق عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ بعشرة دراهم عن عشر دفعات ناجاه فيها ثم نسخت الآية بعد أن صارت عاراً عليهم وفضيحة إلىٰ يوم القيامة بقوله جلّ جلاله: **﴿ءأشفقتم أن تُقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم﴾**[٢]

---

(١) سورة المجادلة: الآية: ١٢.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١٣ فقد روى الثعالبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير أن الاغنياء اكثروا مناجاة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وغلبوا الفقراء على المجالسة عنده حتى كره رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ذلك واستطال جلوسهم وكثرت مناجاتهم فانزل الله تعالى: **﴿يا ايها الذين امنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خيرٌ لكم واطهر فإن الله غفورٌ رحيم﴾**.

فأمر بالصدقة امام المناجاة فأما اهل العسرة فلم يجدوا واما الاغنياء فبخلوا، وخف ذلك على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وخف ذلك الزحام وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام، واشتد على اصحابه، فنزلت الآية التي بعدها راشقة لهم بسهام الملام ناسخة بحكمها حيث احجم من كان دأبه الاقدام وقال علي ـ عليه السلام ـ ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل احدٌ بها بعدي وهي اية المناجاة، فإنها نزلت كان لي دينار فبعته بدراهم، وكنت اذا ناجيت الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ تصدقت حتى فنيت فنسخت بقوله: **﴿ءأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾** الآية.

راجع: تفسيرا لطبري ج ٢٨، ص ١٤، اسباب النزول للواحدي ص ٢٣٥، خصائص النسائي ص ٣٩، احكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٨، الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٥، تفسير

←

فإذا حضرت يوم القيامة بين يدي الله جلّ جلاله وبين يدي رسوله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وقالا لك: كيف جاز لك أن تقلّد قوماً في عملهم وفعلهم وقد عرفت منهم مثل هذه الأمور الهائلة، فأيّ عذر وأيّ حجة تبقى لك عند الله وعند رسوله في تقليدهم فبهت وحار حيرة عظيمة.

فقلت له: أما تعرف في صحيحي البخاري ومسلم في مسند جابر ابن سمرة وغيره أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ قال في عدّة أحاديث: لا يزال هذا الدين عزيزاً ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، وفي بعض أحاديثه ـ عليه وآله والسلام ـ من الصحيحين: لا يزال امر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش[1].

وأمثال هذه الألفاظ كلّها تتضمن هذا العدد الاثنا عشر فهل تعرف في الإسلام فرقة تعتقد هذا العدد غير الإمامية الاثني عشرية فإن كانت هذه أحاديث صحيحة كما شرطت على نفسك في تصحيح ما نقله البخاري ومسلم، فهذه مصححة لعقيدة الإمامية وشاهدة بصدق ما رواه سلفهم وإن كانت كذبا فلأي حال رويتموها في صحاحكم.

فقال: ما أصنع بما رواه البخاري ومسلم من تزكية أبي بكر وعمر

← الفخر الرازي ج ٢٩، ص ٢٧٢، كنز العمال ج ٣ ص ١٥٥، كفاية الطالب ص ١٣٥، الثعالبي ج ٤ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ منشورات الاعلمي بيروت، سفينة البحار ج ٢ ص ٥٧٩، الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤، نشر الكتاب العربي بيروت، الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٤٨٢، فرائد السمطين ج ١ ص ٣٥٧ ح ٢٨٣ و ص ٣٥٨ ح ٢٨٤.

وكان ابن عمر يغبط امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على هذه الفضيلة التي لم يسبقه ولم يلحقه اليها احدٌ، وكان يقول: كان لعلي ثلاثة، لو كان لي واحدة منها، كانت أحب إليّ من حمر النّعم: تزويجه بفاطمة ـ عليها السلام ـ، واعطاء الراية يوم خيبر، وآية النجوى. منتخب كنز العمال المطبوع في هامش مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥، وكفاية الطالب ص ١٣٧.

(١) تقدمت تخريجاته.

وعثمان وتزكية من تابعهم ؟

فقلت له : أنت تعرف أنني شرطت عليك أن لا تحتج عليّ بما ينفرد به أصحابك ، وأنت أعرف أن الإنسان ولو كان من أعظم أهل العدالة وشهد لنفسه بدرهم وما دونه ما قبلت شهادته ، ولو شهد في الحال على أعظم أهل العدالة بمهما شهد من الأمور مما يقبل فيه شهادة أمثاله قبلت شهادته والبخاري ومسلم يعتقدان إمامة هؤلاء القوم ، فشهادتهم لهم شهادة بعقيدة نفوسهم ونصرة لرئاستهم ومنزلتهم .

فقال : والله ما بيني وبين الحق عداوة ، ما هذا إلّا واضح لا شبهة فيه ، وأنا أتوب إلىٰ الله تعالىٰ بما كُنتُ عليه من الاعتقاد ، فلما فرغ من شروط التوبة ، إذا رجل من ورائي قد أكبّ علىٰ يدي يقبلها ويبكي .

فقلت : من أنت ؟

فقال : ما عليك اسمي ، فاجتهدت به حتىٰ قلت : فأنت الآن صديقٌ أو صاحب حق ، فكيف يحسن لي أن لا أعرف صديقي وصاحب حق علي لأكافئه فامتنع من تعريفي اسمه .

فسألت الفقيه الذي من المستنصرية .

فقال : هذا فلان بن فلان من فقهاء النظامية[١] سهوت عن اسمه الآن[٢] .

---

(١) النَظّامية : فرقة من المعتزلة أصحاب أبي أسحاق إبراهيم بن سيّار بن هانىء النظام البصري المتوفي سنة ٢٣١ هـ ، وهو ابن أخت أبي الهُذيل العلاف شيخ المعتزلة ، وكان أستاذاً للجاحظ. معجم الفرق الاسلامية ص ٢٥٠ .

(٢) كشف المحجة لابن طاووس ص ٧٦ ـ ٨٠ .

المناظرة الثامنة والخمسون

مناظرة العلامة الحلي[1] مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدا بنده[2]

يقال: إنّ الشاه خدابنده غضب يوماً على امرأته فقال لها: أنت طالق ثلاثاً، ثمّ ندم وجمع العلماء.

فقالوا: لابدّ من المحلّل.

فقال: عندكم في كلٍّ مسألة أقاويل مختلفة أو ليس لكم هنا

---

(١) هو: أبو منصور الحسن بن الشيخ الفقيه النبيه سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة، له أكثر من تسعين كتاباً في مختلف العلوم الإسلامية، من أشهرها: مختلف الشيعة، المنتهى، نهج الحق وكشف الصدق، منهاج الكرامة، الألفين، وهو ابن أخت المحقق الحلي حيث اهتم بتربيته وتدريسه، بالإضافة إلى ذلك فقد تتلمذ العلّامة على أيدي أساطين العلماء منهم: والده، والسيدين جمال الدين أحمد، ورضي الدين علي ابني طاووس، والشيخ ميثم بن علي البحراني وغيرهم الكثير، توفي ليلة السبت الحادي والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ست وعشرين وسبعمائة، حيث قد ولد لإحدى عشرة ليلة خلون أو بقين من شهر رمضان المبارك عام ثمانية وأربعين وستمائة في مدينة الحلة في العراق، ونقل نعشه الشريف إلى جوار أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ودفن هناك. راجع: روضات الجنات ج ٢ ص ٢٦٩ رقم: ١٩٨.

(٢) محمد بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولى بن جنكزخان المغولي، السلطان غياث الدين المعروف بخدابند ومعناه بالعربية عبد الله، ملك العراق وخراسان وآذربيجان، ولد سنة نيف وسبعين وستمائة، كان على مذهب العامة فتشيع وكان يحب العمارة أنشأ مدينة جديد بأذربيجان سماها السلطانية توفي سنة ٧١٦. راجع: الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ٣٧٨ ترجمة رقم: ١٠٠٣.

اختلاف ؟

فقالوا : لا .

فقال أحد وزرائه : إنّ عالماً بالحلّة وهو يقول ببطلان هذا الطلاق . فبعث كتابه إلىٰ العلّامة ، وأحضره ، فلمّا بعث إليه .

قال علماء العامّة : إنّ له مذهباً باطلاً ، ولا عقل للروافض (١) ، ولا يليق

---

(١) الرافضة : اسم أطلقه خصوم ومبغضوا الشيعة عليهم وذلك للاستهانة بهم وتحقيرهم وسبب ذلك كله هو أنهم والوا علياً وأهل بيته واعتقدوا بإمامتهم ـ عليهم السلام ـ لما ثبت عندهم بالأدلة القطعية الصارمة من خلافتهم وإمامتهم ووجوب التمسك بهم ـ عليهم السلام ـ ، وهل من يوالي علياً وأهل بيته ويتمسك بهم يعتبر رافضياً ؟ إذا كان كذلك فهذا نعم الاسم فنحن رفضنا غير أولياء الله وغير خلفائه ، وأخذنا بأقوالهم وتركنا أقوال غيرهم واتبعناهم ولم نتبع غيرهم .

فهذا كل ما في المسألة فالذي يتبعهم ويروي أخبارهم ويذكر مناقبهم وفضائلهم يعتبر رافضياً ، يقول الربيع بن سلمان : قلت للشافعي : إن ههنا قوماً لا يصبرون على سماع فضيلة لأهل البيت فإذا أراد أحد أن يذكرها يقولون : هذا رافضي !! قال : فأنشأ الشافعي يقول :

إذا في مجلس ذكروا علياً ... وسبطيه وفاطمة الزكيّة
فأجرى بعضهم ذكرى سواهم ... فأيقن أنه سلقلقيّه
إذا ذكروا علياً أو بنيه ... تشاغل بالروايات العلية
وقال : تجاوزوا ياقوم هذا ... فهذا من حديث الرافضية
برأت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي ... ولعنته لتلك الجاهلية

فرائد السمطين ج ١ ص ١٣٥ ح ٩٨ .

وقال ايضاً :

قالوا ترفضت ؟ قلت : كلّا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن تولّيت غير شك ... خير إمام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضاً ... فإنني أرفض العباد

فرائد السمطين ج ١ ص ٤٢٣ .

←

بالملك أن يبعث إلىٰ طلب رجل خفيف العقل .

قال الملك : حتّىٰ يحضر .

فلمّا حضر العلّامة بعث الملك إلىٰ جميع علماء المذاهب الأربعة ، وجمعهم . فلمّا دخل العلّامة أخذ نعليه بيده ، ودخل المجلس ، وقال : السلام عليكم ، وجلس عند الملك .

فقالوا للملك : ألم نقل لك إنّهم ضعفاء العقول .

قال الملك : اسألوا عنه في كلٍّ ما فعل .

← وقال أيضاً :

يا راكباً قف بالمحصّب من منى ... واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إني أحب بني النبي المصطفى ... وأعده من واجبات فرائضي
لو كان رفضاً حب آل محمدٍ ... فليشهد الثقلان إني رافضي

فرائد السمطين ج ١ ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

وبعد هذا كله تعرف أن السبب في التسمية يكمن في اتباع الشيعة لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ الذين قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عنهم : « أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى » وقال أيضاً : « أوصيكم بالثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما » ولهذه الأدلة وغيرها تمسكنا بهم واتبعناهم فأطلقوا علينا هذا الاسم .

وقد جاء في المحاسن عن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر ـ عليه السلام ـ جعلت فداك اسم سمينا به استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا ، قال : وما هو ؟ قلت : الرافضة ، فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ : إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى ـ عليه السلام ـ فلم يكن في قوم موسى أحدٌ أشد اجتهاداً وأشد حباً لهارون منهم فسمَّاهم قوم موسى الرافضة فأوحى الله تعالى إلى موسى ـ عليه السلام ـ أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني نحلتهم وذلك اسم قد نحلكموه الله. سفينة البحار ج ٣ ص ٣٨٤.

ولكن يأبى الله عز وجل إلا أن يجعل علياً ـ عليه السلام ـ شبيهاً لهارون حتى في شيعته ومحبيه ألم يقل سيد البشر ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ؟ فكل خصال هارون ـ عليه السلام ـ ثابتة لعلي ـ عليه السلام ـ إلا النبوة .

فقالوا له : لم ما سجدت للملك وتركت الآداب ؟

فقال : إنَّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كان ملكاً وكان يسلم عليه ، وقال الله تعالىٰ : **﴿ فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا علىٰ أنفُسِكم تحيّةً من عنِد الله مباركةً ﴾**[1] ، ولا خلاف بيننا وبينكم أنّه لا يجوز السجود لغير الله .

ثمّ قال له : لم جلست عند الملك ؟

قال : لم يكن مكان غيره ، وكلّما يقوله العلّامة بالعربي كان المترجم يترجم للملك .

قالوا له : لأيّ شيء أخذت نعلك معك ، وهذا ممّا لا يليق بعاقل بل إنسان ؟

قال : خفت أن يسرقه الحنفيّة كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله !!

فصاحت الحنفيّة : حاشا وكلّا ، متىٰ كان أبو حنيفة في زمان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بل كان تولّده بعد المأة من وفاته ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ .

فقال : فنسيت فلعلّه كان السارق الشافعي !!

فصاحت الشافعيّة كذلك ، وقالوا : كان تولّد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة ، وكانت نشوءه في المأتين من وفاة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ .

وقال : لعلّه كان مالك !!

فصاحت المالكية كالأوّلين .

فقال : لعلّه كان أحمد ففعلت الحنبليّة كذلك .

---

(١) سورة النور : الآية ٦١.

فأقبل العلّامة إلى الملك، وقال: أيّها الملك علمت أنّ رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولا الصحابة، فهذا أحد بدعهم أنّهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة، ولو كان فيهم من كان أفضل منهم بمراتب لا يجوّزون أن يجتهد بخلاف ما أفتىٰ واحد منهم.

فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ والصحابة ؟!

فقال الجميع: لا.

فقال العلّامة: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ نفس رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأخيه وابن عمّه ووصيّه، وعلىٰ أيّ حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل لأنّه لم يتحقّق شروطه، ومنها العدلان فهل قال الملك بمحضرهما ؟

قال: لا.

ثمّ شرع في البحث مع العلماء حتّىٰ ألزمهم جميعاً، فتشيّع الملك، وبعث إلىٰ البلاد والأقاليم حتّىٰ يخطبوا بالأئمّة الإثني عشر ـ عليهم السلام ـ، ويضربوا السكك علىٰ أسمائهم وينقشوها علىٰ أطراف المساجد والمشاهد منهم[1].

ومن لطائفه أنّه بعد إتمام المناظرة وبيان احقيّة مذهب الإماميّة الاثنى عشريّة، خطب الشيخ ـ قدس الله لطيفه ـ خطبة بليغة مشتملة على حمد الله والصلاة على رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ والأئمة ـ عليهم

---

(١) روضات الجنات للخونساري: ج ٢ ص ٢٧٩.

السلام ـ فلمّا استمع ذلك السيّد الموصلي الذي هو من جملة المسكوتين بالمناظرة .

قال : مالدليل على جواز توجيه الصلاة على غير الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ؟

فقرأ الشيخ في جوابه ـ بلا انقطاع الكلام ـ : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون** ﴾[1] .

فقال الموصلي على طريق المكابرة : ماالمصيبة الّتي أصاب آله حتّى أنّهم يستوجبون لها الصلاة ؟

فقال الشيخ ـ رحمه الله ـ : من أشنع المصائب وأشدّها أن حصل من ذراريهم مثلك الّذي يرجّح المنافقين الجهال المستوجبين اللعنة والنكال على آل رسول الملك المتعال .

فاستضحك الحاضرون ، وتعجّبوا من بداهة جواب آية الله في العالمين ، وقد انشد بعض الشعراء :

إذا العلوي تابع ناصبيّاً ... بمذهبه فما هو من أبيه
وكان الكلب خيراً منه حقّاً ... لأنّ الكلب طبع أبيه فيه[2]

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٦ و ١٥٧ .

(٢) روضات الجنات : ج ٢ ص ٢٨٤ .

المناظرة التاسعة والخمسون

مناظرة أبي القاسم بن محمد الحاسمي(١) مع رفيع الدين حسين

قال الأمير السيد حسين العاملي ـ المعروف بالمجتهد المعاصر للسلطان شاه عباس الماضي الصفوي ـ في أواخر رسالته المعمولة في أحوال أهل الخلاف في النشأتين، عند ذكر بعض المناظرات الواقعة بين الشيعة وأهل السنة هكذا:

وثانيهما: حكاية غريبة وقعت في بلدة طيبة همذان(٢) بين شيعي اثنى عشري وبين سني، رأيت في كتاب قديم يحتمل أن يمضي من تاريخ كتابته ثلاثمائة سنة نظراً إلىٰ العادة، وكان المسطور في الكتاب المذكور أنه وقع بين بعض من علماء الشيعة الاثنى عشرية اسمه: أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الحاسمي وبين بعض من علماء أهل السنة: رفيع

---

(١) قال عنه صاحب الرياض هو: الفاضل العالم الكامل المعروف بالحاسمي، وكان من أكابر مشائخ أصحابنا، والظاهر أنه من قدماء الأصحاب.

رياض العلماء للأصبهاني ج ٥ ص ٥٠٤.

(٢) همذان: مدينة من الجبال أعذَبُها ماءً وأطيبها هواء، وهي أكبر مدينة بها، وإنما خرَّبها بُخْت نصَّر، ولم تزل بعد ذلك خراباً إلى أن عمَّرها بعد ذلك دارا بن دارا، وحصَّنها ونقل أمواله إليها، وما زالتْ محلاً للملوك ومعدناً لأهل الدين والفضل، إلا أنّ شتاءها مُفْرِط البرد، وفي ذلك يقول الشاعر:

النارُ في هَمَذان يَبْرُدُ حَرُّها ... والبردُ في هَمَذانَ داءٌ مُسْقِمُ

إلا أنَّها مع ذلك كثيرة الزَّهر والرياحين في الربيع، وأرضُهم منبت الزعفران، وعندهم أنواعٌ من الألوان لا تكونُ في بلاد غيرهم. مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٤٦٤ ـ ١٤٦٥.

الديـن حسـين، مـصادقة ومـصاحبة قـديمة، ومشـاركة فـي الأمـوال، ويتخالطان في أكثر الأحوال والأسفار، وكل واحد منهما لا يخفي مذهبه وعقيدته عن الآخر، وعلىٰ سبيل الهزل ينسب أبو القاسم رفيع الدين إلىٰ الناصبي، وينسب رفيع الدين أبا القاسم إلىٰ الرافضي، وبـينهما فـي هـذه المصاحبة لا يقع مباحثة في المذهب، إلىٰ أن وقع الاتفاق في مسجد بلدة طيبة همذان يسمىٰ ذلك المسجد بالمسجد العتيق، وفي أثـناء المكـالمة فضل رفيع الدين حسين أبا بكر وعمر علىٰ أمير المـؤمنين عـلي ـ عـليه السلام ـ، ورد أبو القاسم علىٰ رفيع الدين وفضّل علياً ـ عليه السلام ـ علىٰ أبي بكر وعمر، وأبو القاسم استدل علىٰ مدّعاه بآيات عظيمة وأحـاديث منزلة وذكر كرامات ومقامات ومعجزات وقعت منه ـ عليه السلام ـ.

ورفيع الدين يعكس القضية واستدل علىٰ تفضيل أبي بكر علىٰ علي ـ عليه السلام ـ بمخالطته ومصاحبته في الغار، ومخاطبته بخطاب الصديق الأكبر من بين المهاجرين والأنصار، وأيضاً قال: إن أبا بكر مخصوص من بين المهاجرين والأنصار بالمصاهرة والخلافة والإمامة، وأيضاً قال رفيع الدين: الحديثان عن النبي واقعان في شأن أبي بكر أحدهما «أنت بمنزلة القميص» ـ الحـديث، وثـانيهما «اقـتدوا بـاللّذين مـن بـعدي أبـي بكـر وعمر»[1].

وأبو القاسم الشيعي بعد استماع هذا المقال من رفـيع الديـن، قـال لرفيع الدين: لأيّ وجه وسبب تفضل أبا بكر علىٰ سيد الأوصـياء وسـند الأولـياء وحامـل الـلواء[2]، وعـلي إمـام الإنـس والجـان، وقسـيم

(١) تقدم الكلام عنه مع تخريجاته.

(٢) راجع: ينابيع المودة ص ٨١، كنز العمال ج ١٣ ص ١٥٣ ح ٣٦٤٨٧، وجـاء فـي المـناقب

الجنة والنار[١]، والحال أنك تعلم أنه ـ عليه السلام ـ الصدّيق

← للخوارزمي ص ٣٥٨ ح ٣٦٩: عن جابر بن سمرة قال: قيل يارسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة قال: مَنْ عسى أن يحملها إلا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

(١) راجع: لسان الميزان ج ٣ ص ٢٤٧، مناقب ابن المغازلي ص ٦٧ ح ٩٧، الفردوس ج ٣ ص ٦٤ ح ٤١٨، بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٩٥ ح ١١.

وقد جاء في فرائد السمطين ج ١ ص ٣٢٦ ح ٢٥٤ عن علي ـ عليه السلام ـ قال: أنا قسيم النار إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك وهذا لي.

قوله ـ عليه السلام ـ: « أنا قسيم النار » أي مقاسمها ومساهمها يعني أصحابه على شطرين مهتدون وضالون فكأنه قاسم النار إيّاهم فشطر لها وشطر معه في الجنة، فالذين هم ضالون في نار الجحيم، والذين هم مهتدون مهتدون إلى جناب جنّات النعيم. ولله در القائل في مدحه ـ عليه السلام ـ وقد بلغ فيه غاية الكمال والتمام:

علـيّ حـبّه جُـنّة ... قسيم النار والجَنّة

وصـيّ المصطفى حقاً ... إمام الإنس والجِنّة

وقال ابن أبي الحديد ـ في شرح النهج ج ١٩ ص ١٣٩ ـ: ومنها قوله ـ عليه السلام ـ: أنا قسيم النار، قال ابن قتيبة: أراد أن الناس فريقان! فريقٌ معي فهم على هَدىً، وفريقٌ عليَّ فهم على ضلالة، كالخوارج، ولم يجسُر ابن قُتيبة أن يقول: وكأهل الشام، يتورّع بزعم، ثم إن الله أنطقه بما تورَّع عن ذكره، فقال متمِّماً للكلام بقوله: فأنا قسيم النار، نصفٌ في الجنة معي، ونصفٌ في النار، قال: وقسيم في معنى مُقاسِم، مثل جليس وأكيل وشريب. قلت: قد ذكر أبو عُبيد الهرويّ هذه الكلمة في الجمع بين الفريقين، قال: وقال قوم إنّه لم يُردْ ما ذكره، وإنما أراد: هو قسيم النار والجنة يوم القيامة حقيقة، يقسم الأمّة، فيقول: هذا للجنة، وهذا للنار.

وقد جاء هذا المعنى في الأبيات المشهورة المنسوبة إليه ـ عليه السلام ـ:

ياحار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفني شخصه وأعرفه ... بعينه واسمه وما فعلا

وأنت يا حار إن تمت ترني ... فلا تخف عثرة ولا زللا

أسقيك من باردٍ على ظمأ ... تخاله في الحلاوة العسلا

أقول للنار حين تعرض في الـ ... حشر ذريه لاتقربي الرجلا

ذريه لا تقربيه إن له ... حبلاً بحبل الوصي متصلا

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٩٩.

←

الأكبر[(١)]، والفاروق الأزهر[(٢)]، أخو رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وزوج البتول، وتعلم أيضاً أنه ـ عليه السلام ـ وقت فرار الرسول إلىٰ الغار من الظلمة وفجرة الكفار ضاجع علىٰ فراشه[(٣)]، وشاركه علي في حال العسر والفقر، وسد رسول الله أبواب الصحابة من المسجد إلّا بابه[(٤)]، وحمل علياً علىٰ كتفه لأجل كسر الأصنام[(٥)] في أول الإسلام، وزوّج الحق

→ وجاء في سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ : عن كشف الغمة، قال المأمون للرّضا ـ عليه السلام ـ يا ابا الحسن اخبرني عن جدك علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ بأيّ وجهٍ هو قسيم الجنّة والنّار . فقال : يا أمير المؤمنين الم ترو عن أبيك عن ابائه عن عبد الله ابن عباس انه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول : حُبّ علي ايمان وبغضه كفر . فقال : بلى . قال الرضا ـ عليه السلام ـ : فقسّم الجنة والنّار . فقال المأمون : لا ابقاني الله بعدك ياابا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وقد صنّف محمد بن سعد كتاب (من روى في عليّ ـ عليه السلام ـ أنه قسيم النار) ، انظر : بحار الانوار ج ٣٩ ص ٢٠٤ .

(١) فقد جاء في فرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٨ ح ١٩٢ : عن عبّاد بن عبد الله الأسدي قال : قال علي ـ عليه السلام ـ : أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب، صلّيت قبل الناس سبع سنين .

(٢) وقد جاء أيضاً في فرائد السمطين ج ١ ص ٣٩ ح ٣ : عن أبي سخيلة قال : حججت أنا وسلمان فنزلنا بأبي ذرّ فكنا عنده ما شاء الله، فلما حان منا حفوف قلنا : يا أبا ذرّ إني أرى أموراً قد حدثت وإني خائف على الناس الاختلاف فإن كان ذلك فما تأمرني ؟ قال : الزم كتاب الله وعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فأشهد أني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول : علي أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل .

(٣) تقدمت تخريجاته .

(٤) تقدمت تخريجاته .

(٥) راجع : مسند أحمد ج ١ ص ٨٤، ذخائر العقبى ص ٨٥، المناقب للخوارزمي ص ٧١ فصل ١١ ط طهران، وقد جاء في فرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٩ ح ١٩٢ : عن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ قال : انطلق بي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حتى أتى بي الكعبة فقال ←

جل وعلا فاطمة بعليّ في الملأ الأعلىٰ(١)، وقاتل ـ عليه السلام ـ مع عمرو ابن عبدودّ(٢)، وفتح خيبر(٣)، ولا أشرك بالله تعالىٰ طرفة عين بخلاف

← لي : اجلس فجلست إلى جنب الكعبة فصعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على منكبي، فقال لي : انهض ، فنهضت فلمّا رأى ضعفي تحته ، فقال لي اجلس . فجلست فقال : يا علي اصعد منكبي ، فصعدت على منكبيه ثم نهض بي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فقال لي : اذهب إلى صنمهم الأكبر صنم قريش ، وكان من نحاس موتّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض ، فقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: عالجه والنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يقول : ايهٍ ايهٍ ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقا** ﴾ الإسراء ١٧ ، ولم أزل أعالجه حتى استمكنت منه ، فقال لي : اقذفه ، فقذفت به وتكسّر ونزلت من فوق الكعبة فانطلقت أنا والنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ وخشينا أن يرانا أحدٌ من قريش أو غيرهم . فقال علي : فما صعدته حتى الساعة .

وممن روى هذا الحديث الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل** ﴾ .

وقد قال الشافعي في هذه الفضيلة الشريفة :

قيل لي: قل في علي مدحاً ... ذكره يخمد ناراً موصدة
قلت: لا أقدم في مدح امرئٍ ... ضلّ ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحس القلب مما برده
وعلي واضع أقدامه ... في محلٍّ وضع الله يده

(١) راجع : كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٩٩ ، فرائد السمطين ج ١ ص ٨٨ ح ٦٧ و ص ٩٠، العذير للأميني ج ٢ ص ٣١٥.

(٢) فقد روى المؤرخون في غزوة الخندق أنه :

خرج عمرو بن ود يوم الخندق فنادى من يبارز فقام علي ـ عليه السلام ـ فقال : أنا له يانبي الله ، فقال له : اجلس إنه عمرو ، ونادى عمرو ألا رجل ، وهو يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلي رجالاً ، فقام علي ، فقال : يارسول الله أنا له ، فقال : إنه عمرو وقال : وإن كان عمرو فأذن له رسول الله فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول :

لاتعجلنّ فقد أتاك مجيب ... صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك ... نائحة الجنائز

←

← من ضربة نجلاء يبقى ذُكـــرها عــند الهــزائــز

فقال له عمرو: ومن أنت؟ فقال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف، قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: غيرك يابن أخي من أعمامك فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي ـ عليه السلام ـ: لكني والله ماأكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل فسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي ـ عليه السلام ـ مغضباً واستقبله علي ـ عليه السلام ـ بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وقدّه نصفين وثار الغبار العجاج وسمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ التكبير فعرف أن علياً ـ عليه السلام ـ قد قتله ثم أقبل علي ـ عليه السلام ـ نحو رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ووجهه يتهلل نوراً.

راجع: المناقب للخوارزمي ص ١٦٩ ح ٢٠٢، المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٣٢، ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١٦٩ ـ ١٧٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٩ ص ٦٢ ـ ٦٤، السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤١.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٤ ـ ٦٥٥، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢ ـ ١٤، مسند أحمد ابن حنبل ج٦ ص٨، سيرة ابن هشام ج ٣ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠، مناقب الخورزمي ص١٧٢ ح ٢٠٧.

وجاء في فرائد السمطين ج ١ ص ٢٥٣ ح ١٩٦ عن سهل بن سعد قال: إن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كلهم يرجون أن يعطاها !! فقال: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: يارسول الله هو يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق في عينه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية... الخ.

وجاء في ص ٢٦١ ح ٢٠١ عن أبي رافع مولى النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ باب الحصن فتترَّس عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفرٍ معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه. وجاء في ح ٢٠٢ عن جابر بن عبد الله قال: جعل علي باب خيبر يومئذٍ ـ حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ـ فجرِّب بعده فلم يحمله إلا أربعون رجلاً:

وقال في هذه الحادثة الشريفة الشيخ كاظم الأزري ـ عليه الرحمة ـ:

←

الثلاثة، وشبّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ علياً بالأنبياء الأربعة، حيث قال: «من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه وإلىٰ نوح في فهمه وإلىٰ موسىٰ في بطشه وإلىٰ عيسىٰ في زهده فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب»[١]، ومع وجود هذه الفضائل والكمالات الظاهرة الباهرة ومع قرابته ـ عليه السلام ـ للرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ، ورد الشمس له[٢]، كيف يعقل ويجوز

← وله يوم خيبر فتكات كبرت منظراً على من رآها
يوم قال النبي: إني لأعطي رايتي ليثها وحامي حماها
فاستطالت أعناق كل فريق ليروا أي ماجد يعطاها
فدعا أين وارث العلم والحلم مجير الأيام من بأساها
أين ذو النجدة الذي لودعته في الثريّا مروعة لبّاها
فأتاه الوصي أرمد عين فسقاه من ريقه فشفاها
ومضى يطلب الصفوف فولّت عنه علماً بأنه أمضاها
وبرى (مرحباً) بكف اقتدار أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحا بابها بقوة بأس لو حمتها الأفلاك منه دحاها

انظر: تخميس الأزرية ص ١٣٨.

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٦، كفاية الطالب ص ١٢١ ـ ١٢٢، كنز العمال ص ٢٢٦، فرائد السمطين ج ١ ص ١٧٠ ح ١٣١، الغدير للأميني ج ٣ ص ٣٥٣، بتفاوت.

(٢) راجع: مشكل الآثار للطحاوي ج ٢ ص ٨، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٤٩، البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٨٢، مناقب ابن المغازلي ص ٩٦ ح ١٤٠، كفاية الطالب ص ٣٨١، فرائد السمطين ج ١ ص ١٨٣ ح ١٤٦.

وممن ذكر حديث ردّ الشمس لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ القندوزي في ينابيع المودة في ب ٤٦ في ردّ الشمس بعد غروبها قال في ص ١٣٧: أخرج ابن المغازلي والحمويني وموفق بن أحمد الخوارزمي وهم جميعاً بالإسناد عن أسماء بنت عميس قالت: أوحى الله إلى نبيه فتغشاه الوحي فستره علي ـ عليه السلام ـ بثوبه حتى غابت الشمس فلما سرى عنه قال: يا علي صليت العصر قال: لا يارسول الله شغلت عتها بك، فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: اللهم اردد الشمس إلى علي، قالت أسماء: فرجعت حتى بلغت حجرتي.

وقال في ص ١٣٨: وفي كتاب الإرشاد أن أم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله ←

تفضيل أبي بكر علىٰ عليّ ـ عليه السلام ـ.

ولما سمع رفيع الدين هذه المقالة من أبي القاسم من تفضيله عليّاً ـ عليه السلام ـ علىٰ أبي بكر، انهدم بناء خصوصيته لأبي القاسم، وبعد اللّتيا والّتي قال رفيع الدين لأبي القاسم: كل رجل يجيء إلىٰ المسجد فأي شيء يحكم من مذهبي أو مذهبك نطيع، ولمّا كان عقيدة أهل همذان علىٰ أبي القاسم ظاهراً كان خائفاً من هذا الشرط الّذي وقع بينه وبين رفيع الدين، لكن لكثرة المجادلة والمباحثة قَبِل أبو القاسم الشرط المذكور ورضي به كرهاً.

وبعد قرار الشرط المذكور بلا فصل جاء إلىٰ المسجد فتىٰ ظهر من بشرته آثار الجلالة والنجابة ومن أحواله لاح المجيء من السفر ودخل في المسجد وطاف، ولما جاء بعد الطواف عندهما قام رفيع الدين علىٰ كمال الاضطراب والسرعة، وبعد السلام للفتىٰ المذكور سأله وعرض الأمر المقرر بينه وبين أبي القاسم وبالغ مبالغة كثيرة في إظهار عقيدة الفتىٰ وأكّد بالقسم وأقسمه بأن يظهر عقيدته علىٰ ما هو الواقع، والفتىٰ المذكور بلا توقف أنشأ هذين البيتين:

← وأبا سعيد الخدري وغيرهم من جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قالوا: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ كان في منزل، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ عليٍّ فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، وصلى علي ـ عليه السلام ـ صلاة العصر بالايماء فلما أفاق ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: اللهم اردد الشمس لعلي ـ عليه السلام ـ فرُدت عليه الشمس حتى صارت في السماء وقت العصر فصلى علي ـ عليه السلام ـ العصر ثم غربت. فانشأ حسان بن ثابت:

يـاقوم من مثل علي وقد ... ردت عليه الشمس من غائب
أخـو رسول الله وصـهره ... والأخ لا يُـعدل بـالصاحب

وللحديث مصادر أخرى كثيرة.

متىٰ أقل مولاي أفضل منهما أكن للذي فضّلته متنقصا
ألم تر أن السيف يزري بحده مقالك هذا السيف أحدىٰ من العصا

ولما فرغ الفتىٰ من إنشاء هذين البيتين كان أبو القاسم مع رفيع الدين قد تحيرا من فصاحته وبلاغته، ولما أرادا تفتيش حال الفتىٰ غاب عن نظرهما ولم يظهر أثره، ورفيع الدين لما شاهد هذا الأمر الغريب العجيب ترك مذهبه ... واعتقد المذهب الحق الاثنى عشري.

أقول: الظاهر أن ذلك الفتى هو القائم - عليه السلام -، وأما البيتان فهما المادة للأبيات التي قد أوردها في مثل هذا المقام الشيخ إبراهيم القطيفي [(١)] - المعاصر للشيخ علي

---

(١) هو: الفاضل الشهير والعالم النحرير الشيخ إبراهيم ابن الشيخ سليمان البحراني أصلاً، القطيفي نشأةً، الحلي ملجأً، الغروي مدفناً.

وعرف ايضاً بالفاضل القطيفي، قال: عنه المجلسي في بحاره: كان في غاية الفضل، وقال عنه الشيخ عباس القمي في فوائده: شيخ أجل أكمل فاضل صالح عالم رباني معاصر محقق، ثاني صاحب تصنيفات فائقة وإجازات نافعة ومقامات عالية، وقال عنه العلامة الميرزا محمد باقر في روضات الجنات: كان عالماً فاضلاً ورعاً صالحاً من كبار المجتهدين وأعلام الفقهاء والمحدثين.

هجر وطنه القطيف وسكن النجف الأشرف سنة ٩١٣ هـ وهناك قرأ على معظم مشايخ الإجازة العلوم المعهودة في الرتبة العالية، منهم الشيخ علي الجزائري، والشيخ محمد بن زاهد النجفي، والشيخ إبراهيم الوراق، وتتلمذ عليه العديد من الفطاحل وأصحاب النظر، منهم: السيد شريف الدين المرعشي التستري، والسيد نعمة الله الحليّ، والسيد معز الدين الأصفهاني.

وله عدة تصنيفات منها: رسالة السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج، ورسالة في حرمة صلاة الجمعة في زمن الغيبة، والرسالة الحائرية، والرسالة الصومية، ورسالة في أحكام الشكوك، وكتاب الفرقة الناجية، وحاشية على الشرائع، والرسالة الرضاعية، وكتاب الأربعين، وله مع الشيخ علي الكركي محاورات ومناقشات في قبول هدية السلطان توفي حدود سنة ٩٥٠ هـ انظر: ترجمته في روضات الجنات ج ١ ص ٢٥، لؤلؤة البحرين ص ١٥٩ وفي مقدمة كتاب السراج الوهاج للمترجم له.

الكركي[١] ـ في أوائل إجازته[٢] للسيد شريف بن السيد جمال الدين نور الله ابن شمس الدين محمد شاه الحسيني التستري، إذ الظاهر أنه قد أخذها من ذينك البيتين في كلامه ـ عليه السلام ـ في تلك المحاكمة، فتأمل والذي أورده في تلك الإجازة هكذا:

يقولون لي فضِّل علياً عليهم فلست أقول التبر أعلى من الحصا
إذا أنا فضلت الإمام عليهم أكن بالذي فضلته متنقصا
ألم تر أن السيف يزرى بحده مقالة هذا السيف أمضى من العصا[٣]

(١) هو: الفقيه قدوة المحققين الشيخ الجليل نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي واشتهر بالمحقق الثاني، ولد ـ رحمه الله ـ في كرك سنة ٨٦٨ هـ ودرس فيها حيث كانت كرك آنذاك معقلاً للشيعة يتواجد فيها الكثير من العلماء وطلاب العلوم الدينية، وقال عنه المحقق البحراني في لؤلؤة البحرين: وكان مجتهداً صرفاً اصولياً بحتاً.

وكان من علماء دولة الشاه طهماسب الصفوي، جعل أمور المملكة بيده وكتب رقماً إلى جميع الممالك بأمتثال مايأمر به وكان الشيخ يكتب الى جميع البلدان كتباً بدستور العمل في الخراج وما ينبغي تدبيره في أمور الرعية حتى أنه غيَّر القبلة في كثير بلاد العجم، باعتبار مخالفتها لما يعلم من كتب الهيئة.

ومن اساتذته وشيخوه: العينائي، وزين الدين الجزائري، وشمس الدين العاملي، وغيرهم، وتتلمذ على يديه عدد من الأعلام والمجتهدين، وله عدة تصانيف منها: دراية الحديث، الرسالة الخواجية، إثبات الرجعة، جامع المقاصد في شرح القواعد، رسالة في الرضاع، رسالة قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج، وتوفي في سنة ٩٤٠ هـ.

انظر ترجمته في: روضات الجنات ج ٤ ص ٣٦٠، وفي مقدمة كتاب رسائل المحقق الكركي وغيرها.

(٢) انظر: بحار الأنوار ج ١٠٥ ص ١١٦ ط بيروت و ج ١٠٨ ص ١١٦ ـ ١١٧ ط طهران.

(٣) رياض العلماء للأصفهاني ج ٥ ص ٥٠٤.

المناظرة الستون

مناظرة ابن أبي جمهور الأحسائي[1] مع الهروي في خراسان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلوة على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد فقد سألتني أطال الله بقاءك عمّا كان بيني وبين الهروي في بلاد خراسان من المجادلات في المذهب، وما ألزمته من الحجّة.

---

(١) هو: العالم الجليل والحكيم المتكلم المحقق الشيخ محمد بن الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن حسام الدين إبراهيم بن حسن بن ابراهيم بن أبي جمهور الهجري الأحسائي.

قال العلامة القاضي الشوشتري: صيت فضائله، معروف ومشهور بين الجمهور، وهو في عداد المجتهدين الامامية، وفنون كمالاته خارجة عن حد الإحصاء، ولد في الأحساء ودرس فيها وتفوقّ على أقرانه، ونال قصب السبق في دراسته، ثم سافر إلى العراق وحضر عند علمائها منهم الفاضل شرف الدين حسين بن عبد الكريم الفتال، الشيخ علي بن هلال الجزائري، الشيخ حرز الدين الأوبلي، كما درس أيضاً عند والده المرحوم الشيخ علي.

ومن مؤلفاته (ره) أسرار الحج، الأقطاب الفقهية، كشف الحال عن أحوال الاستدلال، درر اللآليء العمادية في الأحاديث الفقهية، غوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، وغيرها.

وقد أثيرت حول ابن أبي جمهور الأحسائي شبهات عديدة، جمعها ورد عليها آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي (ره) في رسالة سماها الردود والنقود على الكتاب ومؤلفه والأجوبة الشافية الكافية عنهما ، وطبعت هذه الرسالة في مقدمة كتاب الغوالي، توفي في أوائل القرن العاشر ولعله في العقد الأول منه.

راجع ترجمته في كتاب الأقطاب الفقهية في ترجمة المصنف، مجالس المؤمنين للشوشتري ج ١ ص ٥٨١، روضات الجنات للخوانساري ج ٧ ص ٢٦، لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحراني ص ١٦٦، الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٨٨، أعيان الشيعة ج ٩ ص ٤٣٤.

فاعلم أنّي كنت في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة مجاوراً في مشهد الرضا ـ عليه السلام ـ، وكان منزلي لمنزل السيد الأجلّ، والكهف الأظلّ السيّد محسن بن محمد الرضوي القمي، وكان من أعيان أهل المشهد وساداتهم، بارزاً على أقرانه بالعلم والعمل، وكان هو وكثير من أهل المشهد يشتغلون معي في علم الكلام والفقه، فأقمنا على ذلك مدّة، فورد علينا من الهراة[١] خال السيّد محسن، وكان مهاجراً فيها لتحصيل العلم.

فقال: إنّ السبب في ورودي عليكم ما ظهر عندنا بالهراة من اسم هذا الشيخ العربي المجاور بالمشهد، وظهور فضله بالعلم والأدب، فقدمت لأستفيد من فوائده شيئاً، وخلفي رجلٌ من أهل كيج ومكران[٢] ولكنه من قريب سنتين متوطن الهراة، مصاحب لعلمائها يطلبون منه فنون العلم، وقد صار الآن مبرّزاً في كثير من الفنون؛ مثل علم النحو، والصّرف، والمنطق، والكلام، والمعاني، والبيان، والأصول، والفقه، وغير ذلك، وهو عامّي المذهب.

---

(١) هَرَاة: مدينة عظيمة مشهورة من اُمّهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة إلاّ أنّ التتار خرّبوها وقال الشاعر فيها:

هراة أرضٌ خِصْبُها واسع ... ونَبْتُها اللقّاحُ والنرجسُ
مــاأحدٌ منها إلى غيرها ... يخرجُ إلّا بعد ما يُفْلِسُ

«مراصد الاطّلاع: ج٣ـص١٤٥٥»، وهي اليوم من مدن أفغانستان المعروفة.

(٢) مُكْرَان: ولاية واسعةٌ تشتمل على مُدنٍ وقُرى، غربيها كرمان، وسجستان شماليها، والبحر جنوبيها.

وإياها عنى عمر بن معد يكرب بقوله:

قومٌ همُ ضربوا الجبابر إذ بَغوْا ... بالمشرفيّةِ من بنى ساسان
حتى استبيح قرى السواد وفارس ... والسهل والأجبال من مكران

انظر: مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١٣٠١.

وله مجادلات مع أهل المذاهب، وقوّة إلزام الخصوم في الجدل، وقد سمع بذكر هذا الشيخ العربي فجاء لقصد زيارة الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ، وقصد ملاقاة هذا الشيخ والجدال معه، وها هو على الأثر يقدم غداً أو بعد غدٍ فما أنتم قائلون ؟

فأشار إليّ السيّد بما قال خاله مستطلعاً لرأيي، وقال: إذا قدم هذا الرجل فبالضرورة يكون ضيفاً لنا لأنّه قدم مع خالي وخالي ضيف لنا، وما يحسن منّا تضييف أحد المتصاحبين وترك الآخر، فإن حصلت الضيافة التقى معك بالضرورة، وتحصل المجادلة بينكما، لأنّه إنّما أتى لهذا الغرض فما أنت قائل ؟ أتُحبّ أن تلاقيه وتجادله، أو لا تحبّ ذلك فتحتال في ردّه عنّا.

فقلت: إنّي أستعين بالله على جداله، وأرجو أن يقهره الحق بفالجه، ويغلبه بنوره، وقال السيّد: ذلك هو مراد الأصحاب، فلمّا كان بعد يوم من مجيء خال السيّد قدم الهروي إلى المدرسة، وعلِم السيّد وخاله بوصوله فمضينا إليه وجاء به إلى المنزل وأضافوه وعملوا وليمةً احضروا فيها جميع الطلبة وجماعةً من الأشراف والسّادة وحصل بيني وبينه الملاقاة في منزل السيّد فجادلت معه في ثلاثة مجالس:

(المجلس) الأوّل: كان في منزل السيّد يوم الضيافة بحضور الطلبة والأشراف فكان أوّل ما تكلّم به معي قبل البحث أن قال: يا شيخ، ما اسمك ؟

فقلت: محمد.

فقال: من أيّ بلاد العرب ؟

فقلت : من بلاد هجر الموسومة بالأحساء[1] أهل العلم والدّين .

فقال : أيّ شيء مذهبُك ؟

فقلت : سألتني عن الأصول أو الفروع ؟

فقال : عن كليهما .

فقلت : مذهبي في الأصول كل ما قام الدليل عليه ، وأمّا في الفروع فلي فقه منسوب إلى أهل البيت ـ عليهم السلام ـ .

فقال : أراك إماميّ المذهب .

---

(١) الأحساء : هي علم على مواضع من بلاد العرب : أحساء بني سعد بحذاء هجر، أوّل من عمرها وحصّنها وجعلها قصبة هَجَر أبو طاهر القرمطي، وهي مشهورة، وأحساء بني وهب: على خمسة أميال من المُرْتَمى، بين القَرْعاء وواقصة على طريق الحاج، فيه بركة وتسعة آبار، كبار وصغار، وهو أيضاً: ماءٌ لغنيّ.

قال الحسين بن مطير :

أين جيراننا على الأحساء ... أين جيراننا على الأطواء

وفي المنجد: الأحساء أو الحساء إقليم يشمل الساحل الشرقي في المملكة العربية السعودية عُرِف سابقاً باسم (هجر) و (البحرين) يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية الغنية زراعياً (تمور وفواكه)، منطقة نفطٍ هامة، أشهر مدنه: الهفوف، القطيف، جبيل، جزيرة جنة، صفوى، الدمام، الخبر، الظهران، رأس تنورة. وجاء في أنوار البدرين: وهي (أي بلاد الأحساء) مدينة كبيرة عظيمة من أكبر مدن الإسلام القديمة وهي هَجَر (تغليباً) وينسب إليه رشيد الهجري الذي هو من خواص أصحاب أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ومن حملة أسراره، وهذه المدينة تقارب جزيرة أوال أو تزيد، ذات الأترج والنخيل والأرز والقطن، وتمرها أجود تمر، وفيها آثار قديمة وينقل مستفيضاً أن في بعض قراها ـ ولعلها القارة ـ آثاراً من زمن المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ومن أقدم قراها جواثة وهي قاعدة بلاد الأحساء في الزمن القديم، خرَّبها الرمل وفي الحديث: أول جمعة أقيمت بعد المدينة في جواثة في بني عبد القيس، وفيها الجبل المشهور المعروف بجبل القارة، من عجائب الدنيا فيه مغارات كثيرة عظيمة ليس فيه شيء من هوام الأرض وحشراتها أصلاً حتى النمل، ومن خواصه البرودة العظيمة في الصيف.

راجع :مَراصد الاطلاع ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧، المنجد (قسم الأعلام) ص ٢٤ ، أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين ص ٣٨٢ .

فقلت : نعم ، أنا إمامي المذهب ، فما تقول ؟

فقال : إنّ الاماميّ يقول : إنّ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ إمامٌ بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بلا فصل .

فقلت : نعم ، وأنا أقول ذلك .

فقال : أقم الدليل على دعواك .

فقلت : لا أحتاج الى إقامة دليل على ذلك .

فقال : ولم ؟

فقلت : لأنك لا تنكر إمامة علي ـ عليه السلام ـ أصلاً ، أنا وأنت متّفقان على أنّه إمام بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ، ولكنّك أنت تدّعي الواسطة بينه وبين الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ، وأنا أنفي الواسطة ، فأنا نافٍ وأنت مثبت ، فإقامة الدليل عليك اللهمّ إلاّ أن تنكر إمامة علي ـ عليه السلام ـ أصلاً وتقول : إنّه ليس إماماً أصلاً ورأساً ، فتخرق الإجماع وتلزمني إقامة الدليل حينئذٍ .

فقال : أعوذ بالله ما أنكر إمامة علي ـ عليه السلام ـ ، ولكنّي أقول : هو الرابع بعد الثلاثة قبله .

فقلت : إذن أنت المحتاج إلى إقامة الدليل على دعواك لأنّي لا أوافقك على إثبات هذه الوسائط ، فضحك الأشراف والحاضرون من الطلبة ، وقالوا : إنّ العربي لمصيب ، والحقّ أحقّ بالاتّباع ، إنك أنت المدّعي وهو المنكر ، والمدّعي محتاج إلى إثبات دعواه إلى البيّنة فألزمتُه الحجّة .

قال : الدليل على مدّعاي كثير .

فقلت : أريد واحداً لا غير .

فقال: الإجماع من الأُمّة على إمامة أبي بكر بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بلا فصل وأنت لا تنكر حجّة الاجماع.

فقلت: ما تريد بالإجماع، الإجماع الحاصل من كثرة القائل بذلك في ذلك الوقت، أو الإجماع الحاصل من أهل الحلّ والعقد من يوم موت النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟ إن أردت الأوّل فلا حجّة فيه، لأنّ المخالف موجود ولا حجّة فيها بنصّ القرآن لأنّه تعالى يقول: ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾[1]، ولم تزل الكثرة مذمومةً في جميع الأمور حتّى في القتال، قال تعالى: ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[2] وإن أردت الثاني فلي في إبطاله طريقان؛ طريقة على مذهبي ولا تلزمك، وهي أنّ الاجماع عندنا إنّما يكون حجّةً مع دخول المعصوم فيه[3]، فكلّ إجماع خال منه لا حجّة فيه عندنا لجواز الخطأ على كلّ واحد فهكذا على الكلّ لتركبه من الآحاد، وأنت لا تقول بدخول المعصوم، فالإجماع الذي تدّعيه لا يكون عندنا صحيحاً فلا يكون حجّة وطريقة على مذهبك، وهو أنّ الإجماع هو: اتّفاق أهل الحلّ والعقد من أمّة النّبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ على أمرٍ من الأمور.

وهذا المعنىٰ لا يحصل لأبي بكر يوم السقيفة، بل كان فُضلاءُ العرب وعلماؤهم وزهّادُهمْ وذوو الأقدار أُولوا الأيدي والأبصار منهم وأهل الحلّ والعقد غُيّاباً لم يحضروا معهم السقيفة بالاتّفاق كعلي بن أبي طالب،

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٣) فرائد الاصول: للشيخ مرتضى الانصاري ج ١ ص ٨٠، كفاية الاصول: للشيخ محمد كاظم الخراساني (الآخوند) ص ٣٣١.

والعبّاس ، وابنه عبدالله بن العبّاس ، والزبير ، والمقداد ، وعمّار ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي ، وجماعة من بني هاشم ، وغيرهم من الصحابة لأنّهم كانوا مشتغلين بتجهيز النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فرأىٰ الأنصار فرصةً باشتغال بني هاشم ، فاجتمعوا إلى سقيفة بني ساعدة لإجالة الرأي، وعلم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وجماعة من الطّلقاء باجتماع الأنصار في السقيفة واختلافهم في الإمامة ، فحضروا معهم ، وكانت بينهم مجادلات ومخاصمات في الخلافة حتى قال الأنصار : منّا أمير ، ومنكم أمير ، فغلبهم أبو بكر بحديث رواه فقال : إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : الأئمّة من قريش(١) ، فخصِم الأنصار بذلك .

فقام عمر وأبو عبيدة فسبقا الأنصار على البيعة ، وصفقا على يد أبي بكر وقالا : السلام عليك يا خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فكانت البيعة الخاطئة لأبي بكر يومئذ في السقيفة(٢) بالخديعة والحيلة والعجلة والغلبة والقهر ، ولهذا قال عمر : كانت بيعتي لأبي بكر فلتة وقىٰ الله المسلمين شرّها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه(٣) ، فأين الإجماع المُدّعى حصوله ، وقد عرفت أنَّ فضلاء الأصحاب وزهّادهم وذوي الأقدار والمهاجرين والأنصار لم يحضروا معهم ، ولم يبايعوا ولم يستطلعوا رأيهم ، وهل يصحّ من هؤلاء الأدنون من الصّحابة الذين كان أكثرهم طلقاء ومنافقين ومؤلّفة أنْ يعقدوا الخلافة الّتي هي قائمة مقام النبوّة بغير حضور

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) وممن روى حديث السقيفة : ابن الاثير في الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٣٢٥، الشهرستاني في الملل والنحل: ج ١ ص ٣٠، ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١ ـ ٦٠، و ج ٥ ص ٥ ـ ٥٢ ، ابو بكر الجوهري في كتاب السقيفة .

(٣) تقدمت تخريجاته .

أُولئك المشتهرين في الفضل والعلم والشرف والزهد مع أنّ الإجماع لا ينعقد عند الكل إلاّ باتفاق أهل الحل والعقد فدعوى الإجماع حينئذٍ على خلافته بعيدة.

فقال: ما ذكرتَه مُسلّم، ولكن مَنْ ذكرت من الأصحاب وغيرهم بعد ذلك بايعوا ورضوا فحصل الإجماع من الكلّ بحيث لا يخالف في ذلك أحد وإن لم يكن إيقاعهم دفعة فإنّ ذلك غير شرط في الإجماع.

فقلت: إنّ اتّفاقهم وحصول رضاهم بعد ذلك كما زعمت لا يقومُ حجّة لتطرّق الاحتمال فيه بالإجبار والإكراه والتّقية، فإنّهم لمّا رأوا هؤلاء العامّة والرّعاع الذين يميلون عند كلّ ناعقٍ ولا يستضيئون بضوء العلم قد استمالهم الرجل وخدعهم وصاروا أتباعاً له، وقلّدوه في أُمورهم، وقلّدوا كبراءهم في اتّباعه لم يمكن لهؤلاء الباقين المخالفة لهذه العوامّ وخافوا على أنفسهم من الخلاف عليهم والقتل فانقادوا كرهاً، فلا يكون انقيادهم الحاصل بالإكراه مصحِّحاً للإجماع بل دلّ على عدم صحّته.

فقال: ومن أين عرفت ذلك منهم حتى يكون ما ذكرت حقّاً؟

فقلت: قد تقرّر في علم الميزان أنّ الاحتمال إذا قام على الدليل بطل، واحتمال الإكراه قد قام في هذا الاجماع فيكون باطلاً مع أنه قد ظهرت إمارات الإكراه في روايات كثيرة وأنا أورد لك بعضها، منها:

الأوّل: ما ورد من ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة(١) مع أنّه عامّي المذهب، فقال: في باب فضائل عمر: إنّ عمر هو الذي وطّأ الأمر لأبي بكر، وقام فيه حتى أنّه دفع في صدر المقداد، وكسر سيف الزبير،

---

(١) شرح نهج البلاغة: لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٧٤.

وكان قد شهره عليهم وهذا غاية الإكراه.

الثاني: ما رواه أيضاً[١] عن البراء بن عازب، قال: لم أزل مُحبّاً لأهل البيت، ولما مات النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أخذني ما يأخذ الواله من الحزن، وخرجت لأنظر ما يكون من النّاس فاذا أنا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة سائرين ومعهم جماعةٌ من الطلقاء وعمر شاهر سيفه، وكلّما مرّ رجل من المسلمين قال له: بايع أبا بكر كما بايعه الناس فيبايع له إن شاء ذلك أو لم يشأ فأنكر عقلي ذلك الأمر فحيث اشتدّ الأمر جئت حتى أتيت عليّاً ـ عليه السلام ـ فأخبرته بخبر القوم، وكان يسوّي قبر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بمسحاته فوضع المسحاة من يده ثمّ قرأ: ﴿ **آلم، أَحسب النّاسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهُم لا يُفتنُون** ﴾[٢].

فقال العباس: تربت أيديكم بني هاشم إلى آخر الدهر، وهذا دليل الإكراه بترجع علي والعباس له، وما ظنك بامرءٍ يدفع صدور المهاجرين، ويكسر سيوفهم ويشهر فيه السيوف على رؤوس المسلمين كيف لا يكون إكراها لو لا عمى أفئدةٍ!: ﴿ **فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[٣].

ومنها: قول عمر لسعد بن عبادة الخزرجي سيّد الأنصار وأميرهم لمّا امتنع من البيعة وهم في السّقيفة لأنّه كان حاضراً معهم ولم يبايع، قال: أوطئوا سعداً واقتلوا سعداً، قتل الله سعداً[٤]، وهذا عين الإكراه.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج١ ص٢١٩، وفي بحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٨٤ ح٤٦ نحوه.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١ و ٢.

(٣) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٧٤، وفي تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٢٢ و ٢٢٣، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٣٢٨ نحوه.

ومنها : ما رواه أهل الحديث ، ورواه عدّة من أصحابنا ممّن يوثق بنقلهم ، وتعرف عدالتهم أنّ أبا بكر لمّا صعد المنبر أوّل يوم جمعة قام إليه اثنا عشر رجلاً ؛ ستّة من المهاجرين ، وستّة من الأنصار ، فأنكروا عليه قيامه ذلك المقام حتى أفحموه على المنبر ولم يردّ جواباً ، فقام عمر ، وقال : يا ... ، إن كنت لا تقوم بحجّة فلم أقمت نفسك هذا المقام ، وأخذ بيده وأنزله عن المنبر(١) .

ولمّا كان الأسبوع الثاني جاءوا في جمع وجاء خالد بن الوليد معهم في مائة رجل وجاء معاذ بن جبل في مائة رجل شاهرين سيوفهم حتى دخلوا المسجد وكان علي ـ عليه السلام ـ فيه وجماعة من أصحابه معه ومعهم سلمان .

فقال عمر : والله يا أصحاب علي ، لئن ذهب رجل منكم يتكلّم بالّذي تكلّم بالأمس لآخذنّ الّذي فيه عيناه ، فقام سلمان الفارسي ، فقال : صدق رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إنّه قال : بينما أخي وابن عمّي جالس في مسجدي إذ وثب عليه طائفة من كلاب أهل النار يريدون قتله ولا شكّ أنتم هم ، فأهوى إليه عمر بالسيف ليضربه ، فأخذ علي ـ عليه السلام ـ بمجامع ثوبه وجذبه إلى الأرض ، وقال : يابن صِهاك الحبشيّة أبأسْيافِكُمْ تُهدّدونا ، وبأجمُعِكم تكاثرونا ؟! والله لولا كتاب من الله سبق ، وعهدُ من رسول الله تقدّم لأريتكم أيّنا أقلّ عدداً وأضعف ناصراً ، ثمّ قال لأصحابه : تفرّقوا(٢) .

وإذا كانت الأحوال الجارية بينهم على مثل هذه الروايات دلّت على

---

(١) الاحتجاج للطبرسي : ج ١ ص ٧٥ ـ ٧٩ .

(٢) الاحتجاج للطبرسي : ج ١ ص ٧٩ ـ ٨٠ بتفاوت .

وقوع الكراهة وعدم تمكّن هؤلاء المتخلّفين عن السقيفة من ترك المبايعة ، فلا تكون بالموافقة الحاصلة منهم وإنّما هي بالكراهة ، فلا تكون حجّة بالإجماع .

فقال : هذه الروايات من طرقكم ، فلا تكون حجّة علينا .

فقلت : سلّمنا ، ولكن منها ما يكون من طرقكم كرواية ابن أبي الحديد مع أنّ احتمال الإكراه غير مندفع بحجّة من عندكم ، والدليل قاطعٌ فيبقىٰ احتمال الكراهة بحاله فحينئذٍ لا يحصل الإجماع المدّعى حصوله فلا تقوم لك الدلالة على الواسطة فأت بغيرها إن كان لك حجّة قاطعة على مدّعاك وإلّا فاعترف ببطلانها .

فقال : هاهنا حجّة .

فقلت : وما هي ؟

فقال : أمرُ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالصّلاة خلف أبي بكر في مرض موته[1] وذلك دليلٌ على تقديمه له على سائر أصحابه لأنّ المُقدَّم في الصلاة يُقدّم في غيرها إذ لا قائل بالفرق .

فقلت : هذه حجّة ضعيفة جدّاً .

أمّا أوّلاً : فلأنّه لو كان التقديم صحيحاً كما زعمت وكان مع صحته دالاً على إمامته لكان ذلك نصاً من النبي صلّى الله عليه وآله بالإمامة ، ومتى حصل النَّصّ لا يحتاج معه إلى غيره فكيف وأبو بكر وأصحاب السقيفة لم يجعلوا ذلك دليلاً على إمامته ، وكيف أبو بكر وعمر لم يحتجّوا به على الأنصار وكيف توقّفت الخلافة على المبايعة الّتي حصل عليهم فيها

---

(١) انظر : فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : ج ١ ص ١٠٦ ح ٧٨ .

الاختلاف والاحتياج إلى إشهار السيوف مع أنّ هذه الواقعة كانت أثبت دليلاً، وأقوى حجّة لأنّها نصّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فكيف عدلوا إلى الأضعف الذي هو أحد الأمرين الأعسر، والعاقل لا يختار الأصعب مع إنجاح الأسهل إلّا لعجزه عنه.

فعُلمَ أنّ ذلك ليس فيه حجّة أصلاً، فكيف ما لا يكون حجّة عندهم ولا عند أحد من الصَّحابة تجعله أنت حجّةً، ومن ذلك يُعلَم أنّ قصدك المغالطة.

وأمّا ثانياً: فلأنّ التقديم في الصلاة لا يَدلّ على الإمامة العامّة لأنّ الخاص لا يدل على العامّ خصوصاً على مذهبكم من جواز إمامة الفاسق في الصّلاة، وعدم اشتراط العدالة في التقديم بها، والإمامة العامّة يشترط فيها العدالة بالإجماع وأنّ الإمام لو فسق عندكم وجب على الأُمّة عزله، فكيف تجعلون ما لا يحتاج إلى العدالة حُجّةً فيما يحتاج إليها إنّ هذا الاحتجاج واهي الدليل غير مسموع ولا مقبول عند العقلاء ومن له أدنى رويَّة.

وأمّا ثالثاً: إنّ هذا التقديم غير صحيح عند الكلّ أمّا عندنا فلأنّ المنقول أنّ بلالاً لمّا جاء يعلم بوقت الصلاة كان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ مغموراً بالمرض، وكان عليّ ـ عليه السلام ـ مشتغلاً بالرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فقال بعضهم: علي يصلّي بالناس فقالت عائشة[1]: مروا أبا بكر يصلّي بالنّاس فظنّ بلال أنّ ذلك من أمر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ فجاء وأعلم أبا بكر بذلك فتقدّم، فلمّا كبَّر أفاق النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٩٧، فضائل الصحابة لأحمد ج ١ ص ١٠٩ ح ٨٠ وص ١١٨ ح ٨٨، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٢٢، طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ ـ ١٨١.

فسمع التكبير ، فقال : من يصلّي بالناس ؟

فقيل له : أبو بكر .

فقال : أخرجوني إلى المسجد ، فقد حدثت في الإسلام فتنة ليست بهيّنة ، فخرج ـ صلّى الله عليه وآله ـ يتهادى بين علي والفضل بن العبّاس حتى وصل إلى المحراب ، ونحّى أبا بكر ، وصلّى بالناس ، وأمّا عندكم فتدّعُون أنّ ذلك كان بأمر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وهي دعوىٰ باطلة من وجوه .

الأوّل : أنّ الاتّفاق واقع على أنّ الأمر الذي خرج إلى بلال لم يكن مشافهة من النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقيل له : يا بلال ، قل لأبي بكر يصلّي بالناس ، أو قل للناس يصلّون خلف أبي بكر ، بل كان بواسطة بينهما لأنّ بلالاً لم يحصل له الإذن في تلك الحالة بالدخول على النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لاشتغال النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بالمرض وإذا كان بواسطة احتُمِل كذبُ الواسطة لأنّه غير معصوم ، وإذا احتُمِل كَذِبُه لم يبق في هذا الوجه حُجّة لاحتمال أن يكون بغير أمر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولا علمه ، ويدلّ على ذلك خروجه عليهم في الحال لما علم وعَزل أبي بكر وتوليته الصلاة بنفسه .

الثاني : أنه لو كان ذلك بأمر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ كما زعمتم لكان خروجه في الحال مع ضعفه بالمرض وتنحيته أبا بكر عن المحراب وتولّيه الصلاة بنفسه مع صدور الأمر منه أوّلاً مناقضةً صريحةً لا تليق بمن لا ينطق عن الهوى لأنّ الاتّفاق واقع على أنّ أبا بكر لم يتمّ الصلاة بالنّاس بل خرج النّبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ونحىٰ أبا بكر عنها وأتمّ الصلاة بالناس رواه أهل السنّة في جملة مصنّفاتهم .

الثالث : لو سلّمنا جميع ذلك لكان خروج النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعزله له مبطلاً لهذه الإمارة لأنّه ـ عليه السلام ـ نسخها بعزله عنها فكيف يكون ما نسخه النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بنفسه حجة على ثبوته إن هذا لعَجب بل أقول: إن عزل النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ له بعد تقديمه كما زعمتم إنّما كان لإظهار نقصه عند الأُمّة وعدم صلاحيته في التقدم في شيء فإنّ من لا يصلح أن يكون إماماً في الصلاة مع أنّها أقل المراتب عندكم لصحّة تقديم الفاسق فيها كيف يصحّ أن يكون إماماً عامّاً ، ورئيساً مُطاعاً لجميع الخلق ، وإنّما كان قصده ـ صلّى الله عليه وآله ـ إن كان هذا الأمر وقع منه ـ إظهار نقصه وعدم صلاحيته للتقديم على النّاس ليكون حجّة عليهم .

وما أشبه هذه القصّة بقصّة براءة[1] وعزله عنها، وإنفاذه بالرّاية يوم خيبر[2] فإنّ ذلك كلّه بيان لإظهار نقصه وعدم صلاحيته لشيء من الأمور البيّنة وإظهار ذلك للناس يَعرفُ ذلك من له أدنى رويّة ، والعجب منكم كيف تستدلّون بالأمر بالصلاة التي عُزِل عنها ولم يتمّها بالإجماع على إمامته ؟ وكيف لا تستدلّون على إمامة علي ـ عليه السلام ـ باستخلافه النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ على المدينة في غزوة تبوك المُتّفق على نقلها وحصوله منه ـ صلّى الله عليه وآله ـ لعلي ـ عليه السلام ـ وعدم عزله عنها بالاتّفاق ؟! فإنّ الاستخلاف على المدينة التي هي دار الهجرة ، وعدم الوثوق عليها لأحد إلّا علي ـ عليه السلام ـ دليل على أنّه القائم بالأمر بعده في جميع غيباته ومُهمّاته وإذا ثبت استخلافه على المدينة وعدم عزله

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) تقدمت تخريجاته .

عنها ثبت استخلافه على غيرها إذ لا قائل بالفرق.

ولمّا وصلنا في المجادلة في ذلك المجلس إلى هذا الحدّ حضرت مائدة السيّد فانقطعت بحضورها المجادلة واشتغل جميع الحاضرين بالأكل والمُلّا أيضاً معهم واشتغلت به في جملتهم، وعرضت لي فكرةٌ حال الأكل في الحديث المرويّ عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وهو قوله ـ عليه السلام ـ: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليةً[1].

فقلت: يا مُلّا إجازةً.

قال: نعم.

قلتُ: ما تقول في هذا الحديث المروي عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أهو حديث صحيح أم لا ؟ وأوردت الحديث.

فقال: بل حديث صحيح متّفق على صحّته.

فقلت: مَنْ إمامك ؟

فقال: ليس الحديث على ظاهره، بل المراد بالإمام في الحديث القرآن، وتقديره من مات ولم يعرف إمام زمانه الذي هو القرآن مات ميتةً جاهليةً.

فقلتُ: إذن يلزم أن يكون العلم بالقرآن واجباً عيناً على كلّ مكلّف مع أنّ ذلك لم يقل به أحد من العلماء.

فقال: ليس المراد القرآن كلّه، بل المراد الفاتحة والسورة لأنّهما

---

(١) انظر: مسند أحمد ج ٤ ص ٩٦، المعجم الكبير ج ١٩ ص ٣٨٨ ح ٩١٠، كنز العمال ج ١ ص ١٠٣ ح ٤٦٤، وج ٦ ص ٦٥ ح ١٤٨٦٣، مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي ج ٥ ص ٢١٨، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ص ٣٥٤ ح ٣٥٠، الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٧٧ ح ٣، رسائل الشيخ المفيد: ص ٣٨٤، الغيبة للنعماني ص١٢٩ ح٦، حلية الأولياء ج٣ ص ٢٢٤، بحار الأنوار ج٢٣ ص٧٨ ح٩.

شرطان في صحّة الصلاة، فإنّهما واجبان عيناً بالإجماع فمن جهلهما يكون جاهلياً.

فقلت: إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أضاف الإمام إلى الزمان في الحديث وهو دليل على اختصاص أهل كلّ زمان بإمام يجب عليهم معرفته، ومع القول بالفاتحة والسورة لا فائدة في هذا التخصيص حينئذٍ فلا يكون هذا تأويلاً مطابقاً لمقتضى الحديث.

فقال الأشراف والحاضرون من الطلبة: صدق الشيخ، إنّ هذه الإضافة في الحديث تقتضي تخصيص أهل كلّ زمان بإمام يجب عليهم معرفته، وأنّ من مات قبل معرفته مات جاهليّاً، والتأويل بالفاتحة ينافي ذلك، لوجوب الفاتحة على أهل كلّ زمان، فانقطع ورجع.

فقال: إذن أنا وأنت سواء في ذلك في هذا الزمان.

فقلت: حاش لله، ليس الأمر كما زعمت، بل أنا لي إمام في زماني هذا أعتقد إمامته، وأعرفه حقّ معرفته، قامت لي الدلائل على ذلك ولست أنت كذلك فما أنا وأنت سواء.

فقال: إن إمامك الذي تعتقده أنت ونحن لانشاهده ولا نعرف مكانه، ولا تنتفع به في دينك، ولا تأخذ عنه فتاويك فكان الأمر فيّ وفيك سواء.

قلت: كلّا إنّ الحديث لم يتضمّن وجوب معرفة مكان الإمام ووجوب أخذ الفتاوى عنه، وإنّما تضمّن وجوب معرفته وأنا الحمد لله قد عرفته وقامت لي الدلائل القاطعة على وجوده ووجوب إمامته واتّباعه، وأرجو في كلّ وقت ظهوره وملاقاته لي ولسائر الأُمّة وهذا هو الذي وجب علي بمقتضى الحديث لأنّه لم يقل: من لم يأخذ عن إمام زمانه الفتاوى ولا قال: من لا يعرف مكان إمامه بل قال: مَنْ لا يعرف إمامه، وأنا

بحمد الله قد عرفته ، وأنت تعتقد أنّ الإمام لك وأنّ الزمان الذي أنت فيه خال من الإمام فلست أنا وأنت سواء والحمد لله .

فقال : أنا في طلبه وتحصيل معرفته ، وقد ذكر لي أن باليمن رجلاً يدّعي الإمامة وأنا أُريد الوصول إليه لأعرف صحّة إمامته ودعواه فأتّبعه .

فقلت له : إذن أنت في هذا الوقت لا إمام لك فأنت في هذا الوقت جاهل ، ثمّ قلت: ولا يصحّ لك ذلك إلّا أن تترك مذهبك وترجع إلى غيره لأنّ هذا المدّعي ليس من أهل السنّة بل هو من الزيدية فإن كنت منهم صحّ لك ذلك وإن كنت من السنّة فالسُنّة لا يعتقدون ذلك لأنّهم لا يعتقدون وجود الإمام في كلّ وقت ، ولا يرجون وجوده على كلّ حال ، فسكت ولم يرد جواباً ، وفرغ الحاضرون من الأكل ورُفِعت المائدة ودَعَنا الحاضرون وخرجوا وتفرّق أهل المجلس ، وخرج المُلا في جملتهم .

المجلس الثاني :

كان يوم العيد العاشر من ذي الحجّة اتّفق أن السيّد محسن بن محمد خرج من المنزل وكنت معه فقصدنا زيارة الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ والإخوان في ذلك اليوم الشريف فجئنا وزرنا الإمام ـ عليه السلام ـ وبعد الفراغ دخلنا مدرسة السلطان شاهرخ التي هي بجنب حضرة الإمام ـ عليه السلام ـ وكان فيها جماعة من الطلبة ساكنين ، فقصدناهم فيها للسلام عليهم وزيارتهم وكان فيها رجل مدرّس اسمه مُلا غانم فوجدناه جالساً في المدرسة ومعه جماعةٌ من أهل العلم والعوامّ من أهل المشهد وغيرهم ووجدنا المُلا الهروي معهم فسلّمنا علىٰ الحاضرين وجلسنا معهم فتخاوضوا في الأحاديث والحكايات والمذاكرة في العلم ، فجرى بينهم أشياء كثيرة ثمّ إنّ الملا الهروي أشار إليّ بمسألة .

فقال: ما تقول في ولد الزنا هل تنسبه الى أبيه وأُمّه أم لا ؟

فقلت: الذي عليه علماء أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ أنه لا يصحّ نسبته إلى أبيه ولا إلى أُمّه لأنّه عندهم أنّه ليس ولداً شرعياً والنسب عندهم إنّما يثبت بالنكاح الصحيح، والشبهة دون الزنا.

فقال: فيلزمكم عند انتفاء النسبة الشرعية أن لا يكون محرّماً فيحلّ له وطىء أمّه وأخواته ويحلّ للأب وطىء ابنته وهذا لا يقول به أحدٌ من أهل الإسلام.

فقلت: إنّه ولدٌ لغةً لا شرعاً، ونحن نقول: بالتحريم المذكور من حيث اللغة، فالتحريم عندنا يتبع اللغة وغيره من الأحكام يتبع الشرع.

فقال: هذا خَبطٌ في البحث لأنّكم مرَّةً تقولون: إنّه ولد وتحكمون له بأحكام الأولاد، ومرّة تقولون: إنّه غير ولد وتحكُمون له بأحكام الأجانب، وهذه مناقضة وخبط في الفتوى.

فقلت: ليس ذلك مناقضة بل أثبتُ له أحكام الأولاد من حيثية، والأجانب من حيثية، ولا استحالة في اختلاف الأحكام باختلاف الحيثيّات.

فقال: وأيّ حاجةٍ لكم إلى هذه التمحُلات ولم تتبعوا اللغةَ دائماً لأنّه عند أهل اللغة ولد حقيقة وإنّما جاء الشرع تابعاً للّغة.

قلت: ليس الشرع تابعاً للغة دائماً لأنّه عند أهل اللغة ولد حقيقة كما ذكرت، والشرع إنّما جاء تابعاً للغة دائماً فإنّ الألفاظ اللغوية وإن كانت على لفظها في الاصطلاح الشرعي إلاّ أنّها في المعاني مغايرة لها فإنّ الصلاة لُغةً الدعاء، والزكاة لغة النمو، وفي الشرع وإن كانت تسميتها كذلك إلّا أنّ المعني منها غير المعنى اللغوي، فإنّ الصلاة والزكاة شرعاً غير الدعاء

والنمو ومع ذلك فإنّ مذهبنا مبنيّ على الاحتياط فإنّ التحريم في الوطىء والنظر وما يتبع النسب من الأحكام نظراً إلى اللغة أخذاً بالأحوط وموضع الوفاق وهي في النسب تتبع الشرع لأنّه عين الموافق لمراد الشارع، فلو جعلناه منتفياً في كلّ الأحكام لاحتُمَل أن يكون غير مراد الشارع فيحصل حينئذٍ العقاب أيضاً باعتبار التولّد اللغوي، فالاحتياط التامّ مذهبنا والشارع قد نفاه في قوله ـ عليه السلام ـ: الولد للفراش، وللعاهر الحجر[1]، فلو لا إسقاط حكم الزنا في ذلك لم يصحّ نفيه لاحتمال حصوله من الزنا دون الفراش، فأعرض عن المجادلة في هذه المسألة، ثمّ أقبل ينظر إلى كتاب كان معي، وقال: ما هذا الكتاب الذي معك.

فقلت: هذا مصنّف للشيخ جمال الدين الحسن بن المطهر الحلّي من مشائخ الإماميّة وعلمائهم، يسمّى بكتاب نهج الحقّ وكشف الصدق[2]، يبحث فيه عن أحوال الخلاف بين الإماميّة وأهل السنّة، وقد ذكر فيه حديثاً ينقله عن صحيح مسلم أتحبّ أن أحكيه لك.

فقال: وما هذا الحديث؟

فقلت: ما تقول فيما اشتمل عليه صحيح مسلم أتنكره؟

فقال: لا بل جميع ما اشتمل عليه صحيح مسلم من الأحاديث فإنّي معترف بصحّته.

فقلت: روى مسلم في صحيحه، والحميدي في الجمع بين

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٩٢، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٢ ح ٢٢٧٣، مسند أحمد ج ١ ص ٥٩ و ٦٥، الموطأ ج ٢ ص ٧٣٩ ح ٢٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٨٦.

(٢) هو أحد مؤلّفات العلاّمة الحلّي ـ رحمه الله ـ في علم الكلام، كتبه إجابةً لطلب السلطان محمد خدابنده ـ عبدالله ـ الملك المغولي المتَشيّع.

الصحيحين في مُسند عبدالله بن العبّاس، قال: لما احتضر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان في بيته رجال، منهم: عمر بن الخطّاب، فقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: هلمّوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.

فقال عمر بن الخطّاب: إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قد غلب عليه الوجع، وإنّ الرجل ليهجر، فاختلف الحاضرون عند النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فبعضهم يقول: القول ما قاله النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وبعضهم يقول: القول ما قاله عمر، فلمّا كثر اللّغَطُ والاختلاف قال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع(١).

فقال: هذا حديث صحيح، ولكن أيّ طعن على عمر فيه؟

فقلت: الطعن من وجهين:

الأوّل: أنّه سوء أدب منه ومن الجماعة في حقّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في ردّهم عليه مراده، وعدم قبولهم أوامره، ورفع أصواتهم فوق صوت النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ حتى تأذىٰ بذلك وقال لهم: قوموا عنّي تبرئاً منهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه**

---

(١) حديث مشهور روي بألفاظ متقاربة انظر: صحيح مسلم: ج ٣ ص ١٢٥٩ ح ٢٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٥ وج ٦ ص ٥١، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٩، المسند للحميدي ج ١ ص ٢٤١ ح ٥٢٦، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٦و ٣٧، مسند أحمد بن حنبل ص ٢٩٣ و ٣٥٥، صحيح البخاري ج ١ ص ٣٩ و ج ٤ ص ٨٥و ١٢١، المعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٤٤٥ ح ١٢٢٦١، شرح السنّة للبغوي ج ١١ ص ١٨٠ ح ٢٧٥٥، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٠.

وأخرجه في البحار ج ٢٢ ص ٤٦٨، عن إعلام الورى ص ١٤١، إرشاد المفيد ص ٨٩، وفي ص ٤٧٢ ح ٢١، عن مناقب ابن شهرآشوب ج ١ ص ٢٣٥، وفي ص ٤٧٤ ح ٢٢ عن أمالي المفيد ص ٣٦ ح ٣، وفي ص ٤٩٨ ح ٤٤ عن كتاب سليم بن قيس ص ٢١٠.

فانتهوا ﴾[١] وقال تعالى: **﴿ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله ﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أَعمالكم وأَنتُم لا تشعُرُون ﴾**[٣]، ومع ذلك لم يقتصر عمر على هذه الوجوه بل قابله بالشتم في وجهه وقال: بأنّ نبيّكم ليهجر، أي يهذي وقال تعالى: **﴿ وما ينطقُ عن الهوى ، إن هو إلاّ وحيٌ يوحى ﴾**[٤].

الثاني: إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لمّا أراد إرشادهم وحصول الألُفَ بينهم وعدم وقوع الاختلاف والعداوة والبغضاء بكتب الكتاب الذي يكون نافياً لضلالهم أبداً بنصّ الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ منعه عمر وحال بينه وبين مراده وهو مأمور بتوقيره، واتّباع أوامره، وقد قال الله تعالىٰ: **﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولهُ أمراً أن يكونَ لهُمُ الخيرة ﴾**[٥]، فكيف ساغ لعُمر أن يختار منع النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن مراده مقابلاً له في وجهه بحضرة أصحابه ولهذا كان عبدالله ابن عبّاس إذا ذكر هذا الحديث يبكي حتى تبل دموعه الحصى ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس[٦]، وكان يقول دائماً: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٢.

(٤) سورة النجم: الآية ٣و ٤.

(٥) سورة الاحزاب: الآية ٣٦.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص٥٤، صحيح مسلم ج٣ ص١٢٥٧ ـ ١٢٥٨ ح ٢٠ ـ (١٦٣٧).

بين رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وبين كتابه[١].

فقال: أما قولكم إنّ قوله: إن نبيّكم ليهجر شتم، فغير مُسلّم، أمّا الأوّل فلأنّه لم يقصد بهذه اللفظة ظاهرها فإن في جلالة عمر، وعظم شأنه ما يمنعه من ذلك ولكن إنّما أخرجها على مقتضىٰ خشونة غريزته، وكان موصوفاً بالخشانة وإباءة الطبع.

وأمّا ثانياً: فلأنّ قوله: إن نبيّكم ليهجر، مشتقّ من هجر مهاجرة، فتكون معناه انَّ نبيّكم ليهاجر، وأمّا قولكم إنّه منع النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن كتابه، وتقدّم بين يديه، وردّه عن مراده، فإنّه اجتهاد رأيه فسوّغ لمثله العمل باجتهاده فإنّه لمّا رأى في اجتهاده أن ترك هذا الكتاب أصلح، ساغ له المنع منه على مقتضى اجتهاده وإن كان مخطئاً في ذلك الاجتهاد فَإنَّ الخَطَأ في ذلك غير معاقب عليه، ولا يصحّ ذمُ فاعله لأنّه أقصىٰ تكليفه.

فقلت: هذا الجواب غير مسموع.

أمّا الأوّل: فإنّ قولك: إنّه غير شتم، دليل على قلّة معرفتك بلغة العرب، وعدم علمك باصطلاحاتهم في المخاطبات فإن ما هو دون هذه اللفظة عندهم شتم يقاتلون عليه ويتخاصمون، فكيف بهذه اللفظة، ولا ألومك على قلّة معرفتك بذلك لأنّك لست بعربيّ.

وأمّا قولك: فإنّه لم يقصد بها ظاهرها إلى آخر الكلام، فهو اعتراف منك بأنّ ظاهرها منكر وزور ونزّهتَه عن ذلك فمن أين عرفت عدم قصده مع أنّه تلفّظ بها متعمّداً واللفظ إذا وقع عن عمد وإرادةٍ دلّ بظاهره على أنّه

---

(١) راجع: صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج٢ ص ١٢٥٩ ح ٢٢، مسند أحمد ج١ ص٢٢٢، صحيح البخاري ك المرض ب قول المريض قوموا عني ج٧ ص١٥٣ ـ ١٥٤، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٥ و ج ٦ ص ٥١.

مراد المتكلّم وظاهر الكلام دلّ على أنّه مُنكر فادّعاؤك عدم قصدهِ يحتاج إلى دليل.

وأمّا قولك: إنّما أخرجها على مقتضى خشونة غريزته، فإنّ ذلك ليس بعذر يسقط التكليف، لأنّ كلّ مكلّف فطبعه يقتضي الميل إلى الشهوة والنفور عن الحَسنْ مع أنّه مكلّف بكسر الشهوة فالواجب عليه حينئذٍ كسر هذه الغريزية وقطع هذه العادة والإصغاء والاستماع إلى قول النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ والاتّباع له في جميع الأحوال لأنّه مكلّف بذلك، فبأيّ دليل ساغ له تَركُ ما كُلّف به والتنازع والردّ على النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ والتهجّم عليه بالكلام المنكر على مقتضى طبعه، إن ذلك لم يقع منه إلّا لعدم علمه بالتكاليف، وشدّة سرعة نكرها.

وأمّا قولك: إنّ قوله إن نبيّكم ليهجر مشتقّ من هجر مهاجرة معناه أنّ نبيّكم يهاجر، فقول مردود من جهة اللفظ والمعنى، أمّا من جهة اللفظ فإنّ الاشتقاق الذي ذكرته لم يقل به أحد، ولمّا وصلتُ في اعتراضي عليه إلى هذا الموضع أنكر عليه ذلك المُلّا المدرّس؟

وقال: هذه اللفظة ليست من هذا الاشتقاق بل هو من هجر يهجر هجراً لا مهاجرة فإنّ ذلك على غير القياس، وإذا كان معناها ذلك ما احتملت إلّا الهجر الذي هو الهذيان ويرد عليك ما قاله الشيخ.

فاعترف بالخطأ في ذلك، ثمّ عدتُ فقلت: وأمّا غلطك من جهة المعنى، فإنّ قولك إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ليهاجر كلام لا فائدة له لأنّ المهاجرة من النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في تلك الحالة غير مُتصوّرة لأنّه في حالة الاحتضار ولأنّ الهجرة قد انقطعت ومع ذلك فهو غير مطابق لمقتضى الحال.

وأمّا الثاني: فإنّ قولك: إنّه إنّما منع منه على مقتضى اجتهاده قولٌ ضعيف جداً، أمّا أوّلا: فلأنّ الاجتهاد غير سائغ في هذه المسألة.

وأمّا ثانياً: فلأنّ الاجتهاد لا يجوز مع وجود صاحب الشريعة، فإن فرض الجميع في زمانه مع الحضور عنده التقليد لقوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾[١].

وأمّا ثالثاً: فلأنّ الاجتهاد لا يعارض النصّ كما تقرّر في الأصول، وهذا الكلام من النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ نصّ يقتضي وجوب اتّباع أمره في الإتيان بالكتاب، فكيف يصحّ أن يخالف نصّه وأمره ويعارض بالاجتهاد، فإنّ النصّ يفيد القطع، والاجتهاد لا يفيد إلّا الظنّ، والظنّ لا يعارض اليقين، فكيف يسوغ لعُمر أن يترك اليقين القطعي المتلقّى ممّن لا ينطق عن الهوى بوحي الله تعالىٰ ويردّه ويهمله ويمنع منه، ويعمل باجتهاده إنّ ذلك لضلال وقلّة احترام للشرع، وهتك للتكاليف، ومع ذلك لم يقتصر على المنع والردّ حتى تكلّم بالشتم وتوصّل إلى المنع من أقبح الجهات بلفظ منكر صريح المنكر بظاهره وباطنه ومع ذلك تقول إنّ ذلك اجتهاد، أيّ اجتهاد يسوغ في هذا الموضع ؟ وأيّ قول يُسمَعُ في ردّ كتاب النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ يحصل بذلك صلاح الأُمّة، وعدم وقوع الاختلاف بينهم ؟

وأمّا قولك: إنّه رأىٰ ترك هٰذا الكتاب أصلح للدين، فقول مخالف للمعقول والمنقول لأنّ ما أمر به النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ إمّا أن يكون فيه فسادٌ أو صلاحٌ، ولا سبيل إلى الأوّل لأحد لاستلزامه الكفر، وإذا كان

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

صلاحاً عَلِمَه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عن الله تعالى وعلم عمر أنّ الترك أصلح فهل كان النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ والله تعالى يعلمان ما علمه عمر أم لا ؟

فإن قلت : إنهما كانا يعلمان ما علم ، فكان الواجب عليهما العمل بالأصلح لأنّ فعل الأصلح واجب في الحكمة ، فكيف تركا العمل بالأصلح وعلمه عمر ، وهل كان ألطف بالخلق منهما ؟

وإن قلت : إنّهما لا يعلمان ، فقد أبطلت وأحلت فاختر أيّهما فإنّها لا تخالف المعقول والمنقول .

فقال : الّذي ينبغي لذوي العقول أن لا يحملوا هذه الأشياء الواقعة بين هؤلاء الذين هم في محلّ التعظيم والشرف على مثل ما ذكرت ، بل ينبغي حملها على الوجه الجميل ، كما قيل إنّ بعض الناس سمع أعرابياً يقول مخاطباً لله عزّوجلّ في سنة جدب :

قد كُنتَ تسقي الغيث ما بدا لك   أنزل علينا الغيثَ لا أبالَكْ

فقال الشاهد : أشهَدُ أنّه لا أباً لهُ ولا ولد ، فأخرجها على أحسن مخرج[1] .

فينبغي لمن سمع هذه اللفظة من هذا القائل وأمثاله أن يحملها على مثل ما حمل عليه لفظ الأعرابي .

وأمّا قولك: إنّ الاجتهاد لا يعارض النصّ ، وإنّ عمر لا يسوغ له الاجتهاد في هذا المحلّ ، فإنّ ذلك على حالة غير هذه الحالة فإنّ هذه الحالة كانت حالة الاحتضار ، والنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مغلوب

---

(١) الكامل : ج ٧ ص ١٤٥ بشرح المرصفي ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٣ .

بالمرض حتى أنّه كان يغمى عليه مرَّةً ويفيقُ أُخرى ، فـاحتمل أن يكـون أمره في حال غير حالة الصحّة ، فسـاغ له الاجـتهاد والنـظر حـينئذٍ فأدّاه الاجتهاد إلى الحكم بأنّ ذلك منه حال كونه مغلوباً بالمرض .

فقلت : والذي ينبغي لأهل الدين والصّلاح أن لا يحُرّفوا الكلِمَ عن مواضعه ، وهذه الكلمة الخارجـة مـن هـذا القـائل ليس لهـا مـحمل غـير ظاهرها ، فلا يمكن حملها على غيره ، وأمّا حمل كلام الأعرابي عـلى مـا حُملَ عليه فإنّه حملٌ ظاهرٌ يعرفه من له أدنى رويّة ، ولفظة عمر لا تـلقى أنت ولا غيرك لها محملاً غير ظاهرها الذي شتم الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، فإن كان لها محمل فاذكره ، ولكنّك تقول : ينبغي أن تحُمل على غير ظاهرها مع عدم وجود محمل ، كـيف يـتُصوّرُ ذلك ! فـالعجب منكم كيف تحملون ظواهـر الآيـات التـي فـيها عِـقابُ الأنـبياء ـعـليهم السلام ـ على ترك الأولى على ظواهرها ، وتحكمون عـليهم بـالمعاصي والخطأ مع دلالة العقل على وجوب تنزّههم عن ذلك مع وجود المحامل لظواهر تلك الآيات ، وتتركون ذلك وتحملون كـلام عـمر الذي ظـاهره المنكر ومرتبته أقلّ من مراتب الأنـبياء بأضـعاف عـلى غـير ظـواهـرها ، وتمنعون من جواز حمله على ظاهره مع أنّه كلام لا محمل له ، وتتركون العمل بظاهرها بغير تأويل واضح ، ولا دليل لائح ، وهلّا ساويتم بينه وبين الأنبياء الذين هم في محلّ التعظيم ، وما ذاك إلّا من قلّة إنصافكم ، وكـثرة تستّركم للحقّ ، وشدّة تسرّعكم إلى التّعمية بإيراد الشُّبَه .

وأمّا قولك : إنّ عمر إنّما عـارض أمـر النـبي ـ صـلّى الله عـليه وآله وسلّم ـ لأنّه في حالة غير حالة الصـحّة ، ولو كـان فـي حـال الصـحّة لمَـا عارضه ، فإنّه كلام رديءٌ جدّاً لأنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أمْرُه بالكتاب

لا يخلو إمّا أن يكون متّصفاً بالعقل وأن أمره صدر عن إرادة جازمة أو غير ذلك، ولا سبيل لك إلى الثاني لقوله تعالى: ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾[(١)]، ولكن كلمة صاحبك تدلّ على ذلك وهي المنكر الذي نحن بصدد الاعتراض عليه، ومن الأوّل يلزم وجوب اتّباع أوامره، والانقياد إلى إرادته، وقبول أقواله لأنّه واجب الطاعة في جميع الأحوال فلا يسوغ الاجتهاد حينئذٍ لأنّ الأمر الواقع عنه إيجاب لِما أمر به فيكون أيضاً يقتضي وجوب العمل به فالرادّ عليه يكون رادّاً لجميع الأوامر الشرعيّة، وذلك على حدّ الشرك نعوذ بالله.

وما أعجب حالكم تستدلّون على إمامة أبي بكر بتقديم النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في مرض الموت في الصلاة وتجعلون ذلك حجّة لكم في وجوب اتّباعه، وتجعلون الأمر منه بالكتاب الذي فيه هَدي الأُمّة وعدم حصول الاختلاف بينهم محلّ الهذيان والهذر وتسوّغون لعمر أن يمنع منه بالاجتهاد لجواز أن يكون هذراً وهذياناً في اجتهاده، فكيف لا يحتمل الأمر في ذلك مثله، إن هذا إلّا قلّة الإنصاف والخبط، وأعجب من هذا أنّكم تستدلّون على خلافة عمر بأنّ أبا بكر نصّ عليه بها مع أنّ ذلك وقع منه في حال المرض بإجماع الكلّ، فكيف لم تحمل كلام أبي بكر على الهذيان وتحمل كلام النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على ذلك؟ فهل كان أبو بكر أكمل من النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأتمّ؟! وما أحسن قول بعضهم في هذا المعنى شعراً:

أوصى النبيّ فقال قائلُهُمْ　　　قدْ ضلَّ يهجُر سيّدُ البشر

---

(١) سورة النجم: الآية ٣.

وَأَرَى أبا بكرٍ أصَابَ فلمْ يَهجُر وقد أوصَى إلى عُمَر

(الى آخر المجلس الثاني)

المجلس الثالث: يوم الجمعة يوم آخر أتىٰ المنزل لغرض له مع السيّد محسن وكنت مع السيّد ولم يكن معنا أحد فخلوت معه فجلس، وقال: إنّ هذا اليوم المجلس خال من الناس وأريد أن أبحث معك في هذه الخلوة.

فقلت: تكلّم بما تريد.

فقال: ابحث لي عن حال الخلفاء، وما كانت صفتهم، وما تعتقده منهم لأناظرك في ذلك.

فقلت: أمّا الخليفة الأوّل فقد ظهر من طريقته وصفته أن توصّل إلى التقديم على المسلمين، وأخذ الخلافة من آل الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ، والتسارع إلى ذلك، والتوصّل إليه بما عرفت من الخدع والمكر والتحيّل والتّغلّب وتحلى بحلية لم يُحَلِّه الله بها ولا رسوله، ويكفيك في ذلك تَركُه النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في حال مصيبة الموت لم يحضره ولا اشتغل بتجهيزه، ولا عَظُمت عنده تلك المصيبة، ولا جلّت لديه تلك الرّزية، ولا التفت إلى ما أصاب الإسلام من الفادح العظيم، والخطب الجسيم بموت النبي الكريم بل استغنم الفرصة باشتغال عليّ ـ عليه السلام ـ وبني هاشم بمصيبتهم بالنبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وولّى هو تلك المصيبة العظيمة دبره، ومضى إلى السقيفة لتحصيل الإمارة والمنازعة عليها، وترك الحضور في عزاء نبيّه وغسله ودفنه والصلاة عليه وتعزية أهله، ولم يحضر هو ولا صاحبه شيئاً من ذلك، ووقوع ذلك منهم دليلٌ على قلّة احترامهم وعدم مبالاتهم بالإسلام، وإنّهم إنّما ابتغوا بذلك نيل

الرئاسات والولايات لا للدين لأنّهما ومن كان معهما في السقيفة من الأنصار وغيرهم لم يكن لهم قوّة في الدين ولا عقيدة في الإسلام، فإنّ كلّ من لم تدخل مصيبة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في قلبه، ولم تخشع لها جوارحه، ولا اشتغل بها عن جميع مُهمّاته فإنّه ناقص الدّين، ضعيفُ الاعتقاد، بل غير مُسلم فكيف يليق بحال من هو متأهّل لخلافة المسلمين والقيام مقام نبيّهم أن يترك نبيّه مَيّتاً لا يحضره ولا يقوم بشيء من مهمّاته، وحرمته ميتاً كحرمته حيّاً بنصّ الشّرع، فالواجب عليه وعلى جميع أهل الإسلام الحضور لتلك المصيبة والاشتغال بها وتعزية بعضهم بعضاً عليها حتى ينقضي عزاؤه، ثمّ بعد ذلك يقومون في مُهمّاتهم، فلمّا علموا ذلك أهملوه غاية الإهمال وتسارعوا إلى المنازعة في سلطانه، والقيام في مقامه قبل دفنه بل قبل غسله وقع ذلك منهم على ما ذكرناه مع أنّه صهرهم، ولا يليق بأحد من النّاس أن يترك زوج ابنته بغير غسل ولا تكفين ولا دفن، بل يعلم منه أنّه كاره له غاية الإكراه وهذا واضح بحمد الله على ما هو عادة خلق الله، بل يعلم منه الفرح والسرور بموته لا يَشكّ فيه ذو لبّ، ولا يَحيدُ عنه إلّا جاحد للرّسول والربّ، بل وانّهم شامتون بموته ومن له أدنى إنصاف يعرف ذلك.

ثمّ إنّه لم يكفه ذلك حتى شرع في الظلم والجور فأوّل ظلم سَنّه ظلم البتول فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين التي هي من أُولي القربى الذين أمر الله بمودّتهم في مُحكَم كتابه وجعله أجر الرسالة فقال تعالى: **﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ﴾**[1]، وأيّ قرابة أبلغ من البنوّة،

---

(١) سورة الشورىٰ: الآية ٢٣.

وقد قال في حقّها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: **فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فقد دخل النار**[١] . حديث اتّفق عليه الفريقان .

منعها من إرث أبيها بخبر رواه وحده ولم ينقله أحدٌ ، وهو قوله إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورّث[٢] وهذا الحديث كذبٌ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ **وورث سليمانُ داود** ﴾[٣] وقال : حاكياً عن زكريّا: ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾[٤] ، وأراد إرث المال لأنّه تعالى قال بعده : ﴿ **واجعله رب رضياً** ﴾[٥] لأنّه لو أراد إرث النبوّة لم يحتج إلى طلب كونه رضيّاً لأنّ الوارث لها لا يكون إلّا كذلك ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأُنثيين** ﴾[٦] ، وهو عامّ في حقّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وغيره ثم لم يقنعه ذلك حتى منعها من فدك والعوالي وقد كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قد أعطاها فاطمة ـ عليها السلام ـ لما نزل قوله تعالى : ﴿ **وآتِ ذا القربى حقه** ﴾[٧] واستغلّتها فاطمة ـ عليها السلام ـ في حياة أبيها فرفع يدها عنها ،

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد : ج ٢ ص ٧٥٥ ح ١٣٢٤ ، كشف الغمّة ج ١ ص ٤٦٦ ، شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٧٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٠٨ ، شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٢٧ ، كشف الغمّة ج ١ ص ٤٧٨ .

(٣) سورة النمل : الآية ١٦ .

(٤) سورة مريم : الآية ٦ .

(٥) سورة مريم : الآية ٦ .

(٦) سورة النساء : الآية ١١ .

(٧) سورة الاسراء : الآية ٢٦ ، روى السيوطي في السند المنثور : ج ٥ ص ٢٧٣ في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾ قال : أخرج البزّاز ، وأبو يعلى ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ←

فكلّمتهُ في الإرث وفيها، فقالت: وكيف ترث أباك ولا أرث أبي، ثمّ قالت: وهذه نحلتي من أبي كيف تأخذها وتمنعني منها، فطالبها بالبيّنة وهو غير المشروع لأنّ القابض منكر والبيّنة على المدّعي، ثمّ إنّها أتت بعلي والحسن والحسين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وأُمّ أيمن شهوداً على النحلة، فردّ شهادتهم عناداً للشرع، وتبطيلاً للأحكام، وبغضاً لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ، كلّ ذلك ثبت بالروايات الصحيحة لا يسع أحد إنكارها لأنّ ذلك قد اتّفق على نقله الفريقان، ولهذا ما ماتت إلّا وهي ساخطة على صاحبيك وحلفت ألّا تكلّمهما، وأوصت ألّا يصلّيا عليها[1]، مع قول

← أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فاطمة ـ عليها السلام ـ فأعطاها فدكاً. وأخرج نحوه عن ابن مردويه عن ابن عباس.

ومما يفيد ذكره هنا هو ما أخرجه في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٩ من طريق الطبراني في المعجم الأوسط عن عمر قال: لمّا قبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ جئت أنا وأبو بكر إلى علي ـ عليه السلام ـ فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله ؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله. قال: فقلت: والذي بخيبر ؟! قال: والذي بخيبر.

قلت: والذي بفدك ؟! قال: والذي بفدك.

فقلت: أما والله حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا !!!

(١) راجع صحيح البخاري: ج٦ ص١٧٧، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣١٣، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٤، الاستيعاب ج ٢ ص ٧٥١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٦ ص ٢١٤ وص٢١٨، ومن لطيف ما يُذكر في هذا الباب ما ذُكر عن بهاء الملّة والدين انّه قال: كنت في الشّام مظهراً انّي على مذهب الشافعي، فقال لي يوماً أفضل فضلائهم، يافلان تحصل عند الشّيعة حجّة يُعتمد عليها فقال له: حججهم كثيرة، فطلب مني أن احكي له شيئاً منها. فقلت له: يقولون انّ البخاري روى في صحيحه عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ انّه قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، ثم روى بعد هذا بأربع ورقات انّها خرجت من الدّنيا وهي غاضبة عليهما ـ يعني على الشيخين ـ فما ندري كيف الجواب ؟! فأطرق مليّاً وقال: هذا كذب على البخاري أنا أراجعه الليلة فغدوت عليها من الصّباح، فلمّا رآني ضحك، ثم قال: أما قلتُ لك أنّ الرّافضة تكذب، راجعتُ صحيح البخاري البارحة فرأيت بين الحديثين أزيد من خمس ورقات، وكان يتباجح بهذا الجواب. روضات الجنات ج٧ ص ٧١.

النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: يا فاطمة، إنّ الله يسخط لسخطِك، ويرضى لرضاكِ[١]، ومن هذا حاله مع أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كيف يُؤمَن على غيرهم؟ وكيف يصحّ اتّباعه وتقليده؟ وكيف تجعله واسطة بينك وبين خالقك؟ وله أحوال غير ذلك لو نروم تعدادها لا تّسع الخطاب، وقلّ منك الجواب.

وأمّا الخليفة الثاني: فقد عرفت ما كان عليه في حياة النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ثمّ لمّا ولي الخلافة أظهر البدع، وعمل بضدّ الصواب، فمنع المُتعة الثابت حلّها في الشرع المحمدي، وقد أمر الله بها ورسوله واتّفق الكلّ على نقلها في زمن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وزمن أبي بكر وبرهة من خلافته، ثمّ منع منها مخالفاً للكتاب والسنّة والإجماع، وقام وقعد في توطئة الأمر لأبي بكر حتى توعّد الناس ممّن تأخّر عن بيعته بالضّرب والقتل، وأراد حرق بيت فاطمة لمّا امتنع عليّ ـ عليه السلام ـ وبعض بني هاشم من البيعة[٢]، وضغطها بالباب حتى أجهضت جنينها، وضربها قنفذ بالسّوط[٣] عن أمره حتى أنّها ماتت وألم السّياط في جسمها، وغير ذلك من الأشياء المنكرة.

فقال: إنّ ذلك من روايتكم وطريقكم فلا تقوم حجّة على غيركم.

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) راجع: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٥٧، لسان الميزان للعسقلاني ج ١ ص ٢٩٣، فرائد السمطين ج ٢ ص ٣٦، المناقب لابن شهرآشوب ج ٣ ص ٣٥٨، دلائل الامامة للطبري ص ٤٥، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٤ ص ١٩٣، كتاب سليم بن قيس ص ٨٣ ـ ٨٥، اثبات الوصية للمسعودي ص ٢٣ ـ ٢٤، بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٧٠، سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ٥٩٧، تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨، بتفاوت.

فقلت: أمّا حديث الإرث والعوالي وفدك، فقد رواه منكم الواقدي، وموفّق بن أحمد المكّي.

وأمّا حديث المتعة ومنع عمر لها فمشهور عندكم، وأمّا حديث الإحراق وإجهاض الجنين فبعضه مرويّ عنكم وهو العزم على الإحراق، رواه الطبري والواقدي.

ثمّ عدت فقلت: وأمّا الخليفة الثالث فما كان عليه من المنكرات وعمل المقبحات فمشهور، لا يحتاج إلى بيان، فإنّه ضرب ابن مسعود، وأحرق مصحفه(١)، ونفى أبا ذرّ إلى الرّبذة(٢)، وردّ الحكم بن العاص بعد نفي النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ(٣) وقوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: لا يجاورني حيّاً ولا ميتاً، فمن خالف فعليه لعنة الله، ثمّ آواه وقرّبه وأدناه، ولم يكفه ذلك حتى طعن على النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في نفيه الحكم، فقال عند وصوله المدينة: ما نفيت إلّا بغياً وعدواناً، واستعمل في ولايته أقرباءه بني أُميّة الفسقة المتظاهرين بالفسق وشرب الخمور، ويكفيك في ذلك أنّ المسلمين أجمعوا على قتله لما أبدع في الدّين وخالف ما عليه الخلفاء المتقدّمين، فقتلوه في بيته بين أهله ولم ينكر عليهم ذلك أحد من الصحابة وكان علي ـ عليه السلام ـ حاضراً في المدينة يشهد الواقعة ولو كان قتله غير جائز لوجب على علي ـ عليه السلام ـ الدفع عنه ومن حيث جاز قتله لم يصحّ الدفاع عنه فهو غير ... فاختر أيّها شئت، إما أن يكون علي ـ عليه السلام ـ ترك الدفع عنه مع وجوبه أو تركه لعدم جوازه.

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ ص٤٠ ـ ٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة ج١ ص١٩٩ وج٣ ص٥٢ و٥٤ و٥٥ وج٨ ص٢٥٦ و٢٥٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ج١ ص١٩٨ و٣٣٥ وج٣ ص٢٩.

فقال: يمكن أن يكون ترك الدفع تقيّة.

فقلت: هذا الكلام غير مسموع، أمّا أوّلاً فلأنّه ـ عليه السلام ـ في تلك الحالة كثير الأتباع، قليل الأعداء، وجميع المسلمين يستطلعون رأيه، ولم يكن هناك أحد ممّن يعدلونه به وكان قوله مسموعاً عندهم.

وأمّا ثانياً: فلأنّه ترك بعد قتله ثلاثة أيّام لم يدفن فهلّا كان أمر بدفنه في تلك المدّة، وما ذاك إلّا أنّه غير مستحقّ للدفن.

وأمّا ثالثاً: فلأنّه كان الخليفة بعد قتله، فلِم لا أقاد قاتليه لوارثه، وقتلهم به مع تمكّنه من ذلك.

فقال: إنّي أُحبُّ أن تترك البحث في هؤلاء الثلاثة إلى غيرهم من بقيّة الخلفاء.

فقلت له: إنّهم الأساس، فلا يصحّ العدول عنهم حتى يتحقّق عندك ما كانوا عليه وقد أوضحتُ لك طريقتهم، ثمّ إنّي أُسهّل عليك الطريق، ألم تعتقد أنّ عليّاً ـ عليه السلام ـ في غاية ما يكون من الصّفات المحمودة، والعدالة المطلقة، وأنّه ليس لطاعن عليه سبيل.

فقال: بلى أعتقد ذلك وأُدين الله به.

فقلت: ما تقول في شكايته منهم وتظلّمه ونسبتهم إلى غصب حقّه[١]، والتغلّب عليه، أليس يكون قادحاً لعدالتهم، ومبطلاً لخلافتهم إذ لا يصحّ التظلّم والشكاية ممّن لم يُفعَل معه ما يوجب ذلك.

فقال: بلى إن ثبت ذلك.

فقلت: قد نقل ذلك عن علي ـ عليه السلام ـ نقلاً متواتراً لا يختلف

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ ص٢٨٦.

فيه يكفيك فيه الوقوف على كتاب نهج البلاغة الذي شاع ذكره عند جميع العلماء والمدرّسين في الخطبة الموسومة الشقشقية[١] برواية ابن عبّاس وغيره.

فقال: إنّي لم أسمعها!!

فقلت: أتحِبّ أن أُسمعها لك؟

فقال: نعم.

فقلت: ذكر السيّد الرضي ـ رحمه الله ـ في نهج البلاغة مرفوعاً إلى ابن عبّاس أنّه قال: كنت مع علي ـ عليه السلام ـ برحبة الجامع في الكوفة، فتذاكرنا الخلافة وتقدّم من تقدّم عليه فيها، فتنفّس الصعداء.

فقال: أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وَطَوَيتُ عنها كشحاً، وطفِقتُ أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طُخيةٍ عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب منها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتىٰ يلقىٰ ربّه، فعلمت أنّ الصبر على هاتي أحجىٰ، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً، وحكيتها له إلى آخرها.

فقال: فمن يعرف من أصحابنا أنّ هذه الخطبة من لفظ علي ـ عليه السلام ـ؟

فقلت: هذا عبد الحميد بن أبي الحديد قد شرح نهج البلاغة وصحّح هذه الخطبة وروى أنّها من كلام علي ـ عليه السلام ـ وشرحها،[٢]

---

(١) راجع: نهج البلاغة ص٤٨ الخطبة الثالثة، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٥١.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٥١ ـ ٢٠٦.

وتكلّم على من أنكر أنّها من كلام غير علي ـ عليه السلام ـ، أو قال: إنّها من لفظ السيّد الرضي بكلام يعلم منه أنّه من كلام علي ـ عليه السلام ـ وقال: إنّ كلام الرضي لا يقع هذا الموقع، ولا يبلغ هذا الحدّ.

وقال: إنّ مشايخنا من المعتزلة وغيرهم قد رووا هذه الخطبة عن علي ـ عليه السلام ـ وأثبتوها في مصنّفاتهم قبل أن يكون الرضي موجوداً بمدّة[1]، ثمّ إنّه لم يسعه إنكارها واعترف بصحّتها، وأنه من كلام علي ـ عليه السلام ـ، وحمل الشكايات الواردة فيها منه ـ عليه السلام ـ من الصحابة على انّه إنّما شكا على ترك الأولى لأنه كان ـ عليه السلام ـ الأولى والأحقّ بالخلافة منهم لفضله عليهم، فلمّا عدلوا عن الأفضل الأحقّ إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازنه في شرف، ولا يقاربه في سؤدد وعلم، صحّ له أن يبثّ بالشكوى والتظلّم على هذا الوجه لا أنّه على وجه الغصب والجور.

واعترضت عليه بأنّ ذلك غير مسموع لأنّه نسبهم إلى أخذ حقّه، وسمّى فعلهم نهباً، قال: أرى تراثي نهبا، وعنى بتراثه الخلافة لأنّها إرثه من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وهكذا شرح ابن أبي الحديد هذا اللفظ، فقال: وعنى بالإرث هنا الخلافة لأنّها إرث من النّبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ثمّ إن كان العدول عن الأولى لمصلحة لم يصحّ من علي ـ عليه السلام ـ الشكاية منهم فيما عملوه مصلحة للمسلمين، وإن كان لا لمصلحة كان عدولاً عن الأولى لمجرّد التشهّي فيكون مردوداً، هذا مع أنّ العذر إنّما يتصوّر على رأي من يقول بتفضيل علي ـ عليه السلام ـ على

---

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

الخلفاء الثلاثة وهم الأقلّ ، وأمّا المشايخ القائلون بتفضيل الثلاثة فما عذرهم مع أنّهم الأكثر ، والسواد الأعظم فأحد الأمرين لازم ، إمّا الطعن على علي ـ عليه السلام ـ بتظلّمه ممّن ليس ظالماً له ، وإمّا الطعن عليهم بأنّهم أخذوا حقه ظلماً .

فقال : ابن أبي الحديد ليس منا بل من الشيعة !!

فقلت له : هذا يدلّ على عدم اطّلاعك بأحوال الرجال ، فإنّ ابن أبي الحديد مشهور بالاعتزال ، وهو من مشايخ المعتزلة ومشاهيرهم وله مصنّفاتٌ حكى فيها مذهبه وأشعار[1] وكذلك ، فاعترف بذلك أنّه معتزلي .

ثمّ قال : دعني حتى أتروّى في هذه الخطبة ، فأخذت له نهج البلاغة وأخرجت له الخطبة منه ، فأخذ نهج البلاغة منّي فطالع فيها ساعة ، ثمّ قال : إنّي لا أترك مذهبي واعتقادي في هؤلاء الثلاثة بمجرّد هذه الخطبة .

فقلت : إذن أنت مكابر الحقّ !!

ثمّ إنّه قال : فما ظنّك في مثل الشيخ فخر الدين الرازي ، وأثير الدين الأبهري ، وجار الله العلاّمة الزمخشري ، وسعد الدين التفتازاني ، والسمرقندي ، والأصفهاني ، وغيرهم من العلماء المدرّسين ملأت مصنّفاتهم الآفاق ، وشاع ذكرهم في جميع الأمصار كلّهم على ضلال ، لو لا أنّ لهم على ما ذهبوا إليه دلائل ثابتة ، وبراهين واضحة لما ثبتوا على هذا المذهب ، ولا اعتقدوا خلافة هؤلاء الثلاثة ولكن لمّا ثبت عندهم بالأدلّة القاطعة ، والبراهين السّاطعة اعتقدوا ذلك وأثبتوه في مصنّفاتهم وقرّروه

---

(١) ومنها قوله في احدى قصائده :

ورأيت دين الاعتزال وانّني ... أهوى لاجلك كل مَنْ يتشيعُ

لأتّباعهم وتلاميذهم، وإنّما أخذت العلم عن مصنّفاتهم فأنا لا أترك طريقهم مع اعتقادي صدقهم وعدالتهم، واستفادتي من علومهم، وأسلك طريق من لا أعرف صحّة قوله، ولا أعتقد عدالته، ولا ثبت عندي علمه.

فقلت: إذن أنت مقلّد لهم، فقد خرجت عن حَيّز الاستدلال الذي حثّ الله عليه بقوله تعالى: ﴿ **ائتوني بكتٰبٍ من قبل هذا أوأثٰرةٍ من علم إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**انظروا ماذا في السموات والأرض**﴾[2] إلى حيز التقليد الذي ذمّ الله فاعله ووبخه بقوله: ﴿ **إنا وجدنا أبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإنّا عَلَى آثارِهِم مُقْتَدُونَ** ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**إذ تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتبعُوا ورأوا العذاب وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبَابُ** ﴾[4]فكيف تترك الاستدلال المأمور به وترجع إلى التقليد المنهي عنه المذموم فاعله بنصّ الكتاب أم كيف يسوغ لك التقليد في مثل ما نحن فيه ؟!

فقال: نعم، التّقليد في مثل هذه المسألة جائز لأنّ مسألة الإمامة ليست من أُصول الدين، بل هي عندنا من الفروع، والفروع يصحّ التقليد فيها، وأنا أُقلّد فيها وأترك الاستدلال.

فقلت: لا يصحّ ذلك، أمّا أوّلاً فلأنّ مسألة الإمامة ليست من الفروع، بل هي من أعظم أُصول الدين، وأحد أركان الإيمان، لأنّها قائمة مَقَامَ النّبوّة في حفظ الشريعة، وانتظام أُمور العالم، وبقاء نوع الإنسان في معاشه ومعاده، والنّبوّة من الأُصول اتفاقا، فكذا القائم مقامَهُ من غير فرق.

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٤.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٢٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٦٦.

وَأمّا ثانياً: فلأنّا لو سلّمنا أنّها من الفروع لم يصحّ لك التقليد أيضاً، لأنّ التّقليد في الفروع إنّما يسوغ لمن لم يقدر على الاجتهاد، ولا يتمكّن من إقامة الدليل فيسوغ له التقليد حينئذٍ لعجزه عن الاستدلال لأنّ التكليف بغير المقدور قبيحٌ، وأمّا مع قدرة المكلّف على الاستدلال وتمكّنه منه لا يسوغ له التقليد لا في الأُصول ولا في الفروع، بل يجب عليه النظر والاستدلال بالبراهين والإمارات وأنت قادر على الاجتهاد، متمكّن من إقامة الدليل، فلا يسوغ لك التقليد بل يجب عليك الاجتهاد والنظر في الأدلّة والإمارات، ومع ذلك فقد قام لك الدليل على بطلان خلافة هؤلاء الثلاثة فيجب عليك المصير إليه لأنّه لم يعرض لك ما ينقضه أو يعارضه فكيف يسوغ لك التقليد بعد قيام الدليل ومعرفتك به وعدم حصول ما ينقضه أو يعارضه فكيف تتركه وترجع إلى التقليد.

وهذا شيء لم يقله أحد، ولم يسوّغه عالم مع أنّي أقول: إن كنت من المقلّدين فلم رجّحت تقليد هؤلاء المشائخ دون غيرهم من أمثالهم، فإنَّ في مذهبنا من العلماء والمصنّفين والمدرّسين مثل ما ذكرت وأزيَد، كالإمام المحقّق نصير الدين الطوسي الذي سمي في المعقول المحقّق، وسمي فخر الدين بالمشكك، وكذلك السيد مرتضى الموسوي الذي أفحم كلّ من ناظره وألزمه في جميع العلوم، والشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي الذي سُمّي به لكثرة استفادة الخلق من علومه، والشيخ أبو الفضائل الطبرسي الذي أحيا علوم القرآن في جميع البلدان، والشيخ أبو جعفر الطوسي الذي اشتهر عند العامّة والخاصّة، والشيخ جمال الدين الحلّي الذي سارت مصنّفاته في جميع الأمصار، والسيّد شريف الحسني الذي درَّس في جميع بلاد العجم، وركن الدين الجرجاني، ونصير الدين

القاشي، وغيرهم من علماء العرب والعجم فإنّ مصنّفاتهم قد ملأت البلدان، وذكرهم قد شاع في جميع الأمصار، وقد أبطلوا في مصنّفاتهم جميع الأدلّة التي ذكرها علماؤكم وقابلوها بالأجوبة المسكتة، وصنّفوا في الإمامة كُتُباً ومصنّفات ضخمة وذكروا فيها أدلّة كثيرة على صحّة إمامة علي عليه السلام بعد النّبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بلا فصل، وأبطلوا إمامة غيره، حتى أنّ الشيخ جمال الدين بن المطهّر ـ قدّس الله روحه ـ وضع كتاباً سمّاه بكتاب الألفين[١] ذكر فيه ألف دليل على إمامة علي ـ عليه السلام ـ وألف دليل على إبطال إمامة غيره، فما وجه الترجيح في تقليدك أُولئك دون هؤلاء؟ فسكت ولم يجبني بشيء.

ثمّ قال: ابحث لي عن سيرة باقي الخلفاء من بعد علي، واترك البحث عن المتقدّمين.

فقلت: أوّل ما أبحث لك في معاوية وأسألك عمّا تعتقد به.

فقال: أعتقد أنّه موحّد مسلم سادس الإسلام، وخال المؤمنين، وأنّه خليفة من خلفاء المسلمين، لا يجوز وصمُه ولا الطعن عليه بحال.

فقلت: وكيف تعتقد هذا الاعتقاد فيه مع أنّه حَارَبَ عليّاً ـ عليه السلام ـ وقاتله، وخالَفَ بين المسلمين حتى قتل كثيراً منهم، وقد قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: يا علي، حربك حربي، وسلمك سلمي[٢]، وهذا حديث اتّفق عليه الكلّ أو تنكره أنت؟

---

(١) الألفين في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، كتبه العلاّمة الحلي رحمه الله بالتماس ولده فخر المحقّقين، فيه ألف دليل على إمامة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وألف دليل على إبطال شبه المخالفين، فرغ من جزئه الأوّل سنة ٧٠٩، ومن جزئه الثاني سنة ٧١٢، طبع الكتاب مراراً في إيران والعراق، انظر الذريعة: ج ٢ص ٢٩٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٨ ص ٢٤، وذكر ان النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ

فقال: لست أنكره.

فقلت: إذن حرب علي حرب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، كفر بالإجماع، فحرب معاوية عليّاً كذلك بمقتضى الحديث.

فقال: إنّ حربه كان باجتهاده والعمل بالاجتهاد جائز بل واجب وقد أدّاه اجتهاده إلى المحاربة وإن كان مخطئاً في اجتهاده والخطأ في الاجتهاد لا لوم على صاحبه.

فقلت: لقد أبطلت وأحلت، كيف أنت تترك الاجتهاد في الاستدلال على إثبات الخليفة بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وترجع إلى التّقليد، وتقول: إنّ مسألة الإمامة من الفروع التي يكفي فيها التقليد وتسوّغ لمعاوية الاجتهاد في محاربة من نصّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على أنّ حربه مثل حربه على الإمامة مع أنّه في تلك الحالة إمام واجب الاتّباع بالإجماع إن هذا إلّا خَبط وقلّةُ حياء في إيراد الشبهة التي تعلم أنّها ليست حجّةً.

ثمّ قلت له: أليس علي ـ عليه السلام ـ خليفة ثابت الخلافة بعد عثمان بما عندكم بالإجماع من أهل الحلّ والعقد؟

فقال: بلى.

فقلت: أليس معاوية قد خالف الإجماع، ومخالف الإجماع كافر؟ وهل يصحّ الاجتهاد في مسألة بعد حصول الإجماع من الأُمّة على خلافه وقد تقرّر في الأُصول أنّ الاجتهاد لا يعارض الإجماع فكيف ساغ لمعاوية

← قال لعلي ـ عليه السلام ـ في ألف مقام: «أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت».

البحار: ج ٤٠ ص ٩٣، ينابيع المودّة: ص ٨٥، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٥٠ ح ٧٣ وح ٢٨٥، المناقب للخوارزمي في ص ١٢٩ ح ١٤٣.

الاجتهاد المؤدّي إلى الفساد والاختلاف بين أُمّة محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وحصول القتل العظيم، ونهب الأموال حتى قُتل في تلك الحرب عمّار بن ياسر، وقد قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حَقِّهِ: عَمَّارٌ جلدةٌ بين عيني تقتله الفئة الباغية[١]، هذا حديث نقله كلّ الأُمّة ولمّا قُتل قال أهل الشام: نحن الفئة الباغية بنصّ الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لأنّا القاتلون لعمّار.

فقال معاوية مجيباً لهم بالتمويه وستر الحقّ: إنّما قتله من جاء به إلينا فأوهمهم بهذه الشبهة أنّ الفرقة الباغية أهل العراق، ولمّا سمع ابن عبّاس اعتذار معاوية بما ذكره، قال: قاتل الله معاوية وأبعده يلزم أن يكون رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قاتل حمزة وعبيدة وغيرهما من شهداء بدر وأُحد، لأنّه هو الذي جاء بهم إلى الكفّار[٢]، وكيف يعتذر لهم بهذا الاعتذار ومع ذلك فكيف يسوغ له سَبُّ علي ـ عليه السلام ـ وشتمه على المنابر وعلى رؤوس الأشهاد[٣]، حتّى استمرّ على ذلك بنو أُمية برهة من الزمان إلى وقت خلافة عمر بن عبد العزيز فرفعه[٤]، وكيف يسوغ له ذلك مع أن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول: من سَبَّ علياً فقد سبّني، ومن

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٨٩ وج ١٣ ص ١٨٧، كشف الغمّة ج ١ ص ٢٥٨، بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٢ ح ٣٧٥، كنز العمّال ج ١١ ص ٧٢٢ ح ٣٣٠٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨ ص ٢٤، فرائد السمطين ج ١ ص ١٢٠ ص ٢٨٧ ح ٢٢٧.

(٢) راجع: نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص ٣٠٧.

(٣) راجع: النصائح الكافية لمن يتولىٰ معاوية لمحمد عقيل، تقوية الايمان في الرد علىٰ ابن أبي سفيان لمحمد عقيل، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٦ ـ ٥٩ وج ١١ ص ٤٤، الغدير للاميني ج ١٠ ص ٢٥٧.

(٤) انظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٤ ص ٥٩.

سبّني فقد سبّ الله[١] الحديث، وهل يصحّ أن يجتهد في ذلك، فما عذره وعذر من يعتذر له عند الله إذا سبّ من مدحه الله تعالىٰ.

وأوجب حقّه، ونزّهه عن الخطأ، وفضّله وكان أساس الإسلام بسيفه ونظام الأُمّة بتدبيره، وأحكام الشريعة بعلومه، وقد قال فيه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: علي مَعَ الحقّ والحق مع عليّ يدور حيثما دار[٢]، حديث اتّفق على نقله الكلّ، ثمّ إنّي قلت: ما أظنّ عالماً مثلك يقف على مثل هذه الأحوال ثمّ يتوقّف ويخالطه شكّ في معاوية، أليس مولانا

---

(١) راجع: ينابيع المودة للقندوزي: ص٢٥، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٧٤ ط الميمنية وص١٢١ ط المحمدية بتفاوت، ذخائر العقبىٰ ص٦٦، المناقب للخوارزمي ص١٣٧ ح ١٥٤، كفاية الطالب للكنجي ص٨٣.

وروي أنه: مر ابن عباس ـ بعد ماكُفّ بصره ـ بقوم ينالون من علي ـ عليه السلام ـ ويسبونه، فقال لقائده: أدنيني منهم، فأدناه، فقال: أيكم الساب الله ؟!!

قالوا: نعوذ بالله أن نسب الله، فقال: أيكم الساب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، قالوا: سبحان الله من سبّ رسول الله فقد كفر، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب ؟ قالوا: أما هذه فنعم، قال: أشهد لقد سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: «من سبني فقد سب الله، ومن سب علياً فقد سبني» (وفي رواية: (فرائد السمطين) قال: أشهد بالله أني سمعت النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول: من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله عزّ وجلّ، ومن سبّ الله أكبّه الله على منخريه في النار) فأطرقوا، فلما ولىّ قال لقائده: كيف رأيتهم ؟ فقال:

نظروا إليك بأعين مُزْوَرَّةٍ　　　نظر التيوس إلىٰ شفار الجازر

فقال: زدني فداك أبي وأمي، فقال:

خُزْرَ العيون مُنَكَّسي أذقانهم　　　نظر الذليل إلىٰ العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبي وأمي، قال: ما عندي مزيد، قال: ولكن عندي:

أحياؤهم تجني علىٰ أمواتهم　　　والميتون فضيحة للغابر

راجع: مروج الذهب للمسعودي: ج٢ ص٤٣٥، فرائد السمطين ج١ ص٣٠٢ـ٣٠٣ ح٢٤١، بحار الانوار ج٣٩ ص٣١١، الغدير للاميني ج٢ ص٢١٩.

(٢) تقدمت تخريجاته.

سعد الدين التفتازاني لمّا وقف على هذه الأحوال وتحقّقها تبرّأ منه وسبّه حتى اشتهر ذلك عنه في جميع بلاد خراسان، فكيف تمدحه أنت أو تتوقّف في وصمه؟

ثمّ قلت: ما تقول في يزيد؟

فقال: لا أشكّ أنّه ملعون يجب على كلّ مسلم التبرّي منه لقتله الحسين ـ عليه السلام ـ، بل وقتل الأنصار يوم الحرة[1]، وضرب الكعبة بالمجانيق حتى هدمها[2]، وحكيت له القصص.

فقال: إنّي لا أشكّ في لعنه.

فقلت: فإنّ خلافته مسببةٌ من أبيه فكان العصيان والفسوق والفساد الحاصل منه كلّه مسبباً عن أبيه فكانا نظيرين، فإن الأب سمَّ الحسن[3] ـ عليه السلام ـ، والابن قتل الحسين ـ عليه السلام ـ، فَتَعَجَّبَ من قصّة سمّ الحسن ـ عليه السلام ـ.

فقلت: إنّها قصّة ثابتة عند أهل السير والأحاديث وحكيتها له وما كان السبب فيها، فوافق على التبرّي منه ولعنه.

فقلتُ: إنّ خلافته مسببة عن عثمان لأنّه هو الذي استعمله على الشام فبقي متغلّباً عليها، مانعاً لعلي ـ عليه السلام ـ عن التصرّف فيها، والسّبب في ذلك عثمان حيث استعمل على بلاد الإسلام من يعلم فسقه

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٨٢ (في حوادث سنة ٦٣)، العقد الفريد: ج ٥ ص ١٣٦.

(٢) راجع: وفاء الوفاء: ج ١ ص ١٢٧، رسائل الجاحظ ص ٢٩٨، الفصول المهمة لشرف الدين ص ١١٦، مروج الذهب للمسعودي: ج ٣ ص ٨١.

(٣) راجع: مروج الذهب للمسعودي: ج ٣ ص ٥، مقاتل الطالبيين لأبي فرج الاصفهاني ص ٢٩، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٢٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٤٩، صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص ٣٦٤ ـ ٣٦٨.

بل كفره حتى حصل منه الفساد، وهتك الإسلام والمسلمين وخراب الدنيا والدين بما قد حصل بل أقول: إنّ قتل الحسين ـ عليه السلام ـ مسببٌ عن عمر بن الخطّاب.

فقال: أقم لي الدليل على ذلك ؟!

فقلت: الدليل واضح لأنّ الحقّ لائح فإنّه لولا قصّة الشورى التي ابتدعها عمر، وتعدّى في ابتداعها، وأدخل عُثمان فيها، وجعل الأمر إلى عبد الرحمان بن عوف، وأمر بقتل من يخالف الفريق الذي فيه عبد الرحمان لم يتوصّل عثمان إلى الخلافة أصلاً ولا كانت الأُمّة عدلت به عن علي ـ عليه السلام ـ لأنّه لا يوازنه في الفضل، ولا يماثله في سبق، ولا يضاهيه في علم، ولا يقاربه في سؤدد وشرف، فكانت خلافته مسببة عن الشورى التّي هي بنصّ عمر، وخلافة معاوية مسببة عن عثمان لأنّه جعله والياً علىٰ الشام[1] ولولا عثمان لم يحصل لمعاوية ولاية الشام لخموله في الإسلام وكونه من الطّلقاء والمؤلّفة قلوبهم يعرف ذلك أهل السير فخلافة يزيد التي حصل بها قتل الحسين ـ عليه السلام ـ والأنصار وهدم الكعبة بنصّ معاوية ومتابعة أهل الشام، وبذله عليها الأموال فكان قتل الحسين ـ عليه السّلام ـ عن عمر وأنا أروي لك حديثاً يُعرف منه صحّة ذلك.

فقال: وما هو ؟

فقلت: إنّ عبدالله بن عمر لمّا قتل الحسين ـ عليه السلام ـ أنكر ذلك على يزيد واستعظمه، فكتب عبدالله بن عمر إلى يزيد ـ لعنه الله ـ:

أمّا بعد فقد عظمت الرزيّة، وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام

---

(١) فقد ولّىٰ عمر بن الخطاب معاوية علىٰ بعض الشام في خلافته، فلما قتل عمر أقر عثمان ولاية معاوية، راجع: تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٦١، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٧٧.

حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين ـ عليه السلام ـ[١].

فكتب إليه يزيد: أمّا بعد، يا أحمق فإنّا جئنا إلى بيوت مجدَّدة، وفرش ممهّدة، ووسائد منضدة، فقاتلنا عليها، فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، وإن يكن الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنَّ هذا، وأستأثر بالحقّ على أهله، والسلام.

فسكت عبدالله بن عمر عن جوابه، وأظهر للناس عذر يزيد فيما فعله.

فقال: هذا أظلم من يزيد ـ يعني عبدالله بن عمر ـ فإنّ عمر لم يأمر بذلك ولم يعلم انّ الأمر يصل إلى يزيد ولو وصل إليه لم يعلم أنّه يعمل مثل هذه المناكير، فأيّ ذنب كان لعمر لأنّه لم ينصب معاوية ولا نصّ عليّه فضلاً عن يزيد؟

فقلت: فإنّ عمر وإن لم يكن قد نصّ على معاوية فإنّه نصّ على الشورى[٢] التي كانت سبب خلافة عثمان، وعثمان كان سبباً في تولية معاوية، ومعاوية كان سبباً في خلافة يزيد، فيكون عمر سَبباً في خلافة يزيد لأنّ سبب السبب سبب بالضرورة.

فقال: إنّه لم يكن سبباً تامّاً بل جزء السبب.

فقلت: الحمد لله قد اعترفت أنّه جزء العلّة، وجزء العلّة علّة لتوقّف التأثير عليه، فقد صار عمر جزء العلّة التامة في قتل الحسين ـ عليه السلام ـ باعترافك، فاعترف وسكت.

وقال: ابحث لي عن باقي الخلفاء من بني العبّاس.

---

(١) انظر: بحار الانوار ج ٤٥ ص ٣٢٨، عوالم العلوم ج ١٧ ص ٦٤٧ ح ١.

(٢) تقدمت تخريجاته.

فقلت له : إنّ البحث عن أُولئك الفروع لافائدة فيه ، بل البحث عن هذه الأُصول لأنّ خلافة أُولئك مسبّبة عن هؤلاء ومع ذلك فإنّي أقول ما تقول في هذا الإمام المدفون في أرض خراسان الذي اسمه علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ الذي أنت تزوره وتتبرّك بساحته صباحاً ومساء ، وتتقرّب إلى الله بزيارته ؟

فقال : وما أقول فيه إلّا أنّه من ذرّيّة الرسول واجبُ المحبّة والمودّة من جميع أهل الإسلام ، وأنّه من أهل الله وخاصّته وخالصته الذين صفَاهم الله واصطفاهم بالعلم والعمل والزهد والفضل والشرف .

فقلت : وما تقول في أبيه الإمام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ ؟

فقال : أقول فيه : كما قلت في ابنه .

فقلت : وما تقول في خليفة حبس الأب ودسّ إليه السّمّ حتى قتله ، وخليفة قتل الابن أيضاً بالسمّ بعد الاعتراف بفضله ؟!

فقال : ومن ذاك ؟

فقلت : الخليفة الأوّل هارون الرشيد ، حبس الإمام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ في حبس السندي بن شاهك مدّة من الزمان ، وأعطاه السّمّ فدسّه إليه في الحبس حتى قتله ، وقد ثبت ذلك في الأخبار الصحيحة ، والخليفة الثاني ولده المأمون قد اشتهر عند الكلّ أنّه كان يفضّل الرضا عليه السلام وعقد له ولاية العهد بعده ثمّ أنّه بعد ذلك قتله بالسّمّ، ثبت ذلك عند أكثر أهل العلم ولم يخالف فيه إلّا القليل .

فقال : أُريد أن تريني ذلك في مصنّفات العلماء .

فقلت : تريد من علمائنا أو علمائكم .

فقال : أُريد من الطرفين .

فقلت : أمّا من طرقنا فكثير ، مثل : كتاب إرشاد المفيد[١] ، وكتاب عيون الأخبار لابن بابويه[٢] ، وكتاب كشف الغمّة للإربلي[٣] وغيرها ، وبالاتّفاق في بيت السيّد محسن كتاب (عيون الأخبار) فأوقفته على قصّة الإمام موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ مع الرشيد وما جرى عليه من الأُمور المنكرة وما قتل من بني هاشم وما خاف منهم حتى تفرّقوا في البلاد ، وما حبس منهم حتى ماتوا في الحبس والأغلال ، فأنكر عليه غاية الإنكار ، وبكى لما جرى على بني هاشم واعترف بصحّة قولي .

ثمّ قلت: فأمّا طرقكم فلم يحضرني الآن شيء من كتبكم .

فقال السيّد : بلى عندي هنا كتاب يسمّى كتاب العاقبة مصنّف لبعض الشافعيّة فلعلّ فيه شيء من ذلك .

فقلت : هات الكتاب ، فجاء به ففتّشناه فوجدناه مشتملاً على ذكر عواقب الأُمور ، فجرى فيه فصل يذكر فيه عواقب الخلفاء فوقفناه على ذلك الفصل فوجدناه قد اشتمل على ذكر عواقب ذميمة وأخلاق رديّة كانت لهم حتى أنّه ذكر أنّ منهم من مات مخموراً ، ومنهم من تعشّق جارية ، ومنهم من مات تحت الغناء وضرب الأوتار ، وأمثال ذلك .

فلمّا وقف المُلا على ذلك وتحقّق صحّته قال : اللهمّ إنّي أُشهدك أنّي أتبرّأ إليك من جملة هؤلاء الخلفاء من بني أُميّة وبني العبّاس وأُدينك بالبراءة منهم واللّعن عليهم ومن أتباعهم ، فظهر عليه الغلبَ .

ثمّ إنّا وجدنا في كتاب العاقبة حديثاً يسنده إلى علي ـ عليه السلام ـ

---

(١) إرشاد المفيد : ص٢٩٨ ـ ٣٠٢ وص٣١٥ .

(٢) عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ : ج٢ ص٢٣٧ ـ ٢٤١ .

(٣) كشف الغمّة : ج٢ ص٢٣٠ ـ ٢٣٥ وص٢٨٠ ـ ٢٨٣ .

وهو أنّه قال يوماً وهو جالس في نفر من أصحابه : أنا أوّل من يجلس بين يدي الله يوم القيامة للخصومة مع الثلاثة[١] ، فلمّا رأيت هذا الحديث مسنداً إلى علي ـ عليه السلام ـ قلت له : إنَّ هذا الحديث حجَّةٌ عليك .

فقال : إنّ صاحب الكتاب قد حمله على غير الثلاثة الذين تدّعونهم ، فإنّه قال : المراد بالثلاثة عتبة وشيبة والوليد الذين برزوا إلى حمزة وعبيدة يوم بدر .

فقلتُ : هذا الحمل بعيد لأنّ الشكوى من قبلِهم بل ظاهر الحديث يقتضي أنّه يشتكي من ظلامته من الثلاثة ولا يعرف له ظلامة من ثلاثة يشتكي منهم عند الله إلّا من الثلاثة الذين أخذوا حقّه ، واستأثروا بالأمر من دونه مع أنّ الاستحقاق كان له دونهم ، وذلك لا ئخّ ، ثمّ إنّي قلت : ما تقول في الحديث المروي عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وهو قوله لعلي ـ عليه السلام ـ : يا أبا الحسن ، إنّ أُمّة موسى افترقت إحدى وسبعين فرقة ؛ فرقة ناجية ، والباقون في النار ، وإنّ أُمّة عيسى ـ عليه السلام ـ افترقت اثنين وسبعين فرقة ؛ فرقة ناجية ، والباقي أهل النار ، وإنّ أُمّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ؛ فرقة ناجية ، والباقي أهل النار[٢] ؟

فقال : حديث صحيح .

---

(١) انظر : ترجمة امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر : ج٣ ص ٢٢٤ ح ١٢٢٧ ، وفيه : أنا أوّل من يجثو ، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص ١٧٠ : أنا أولُ من يجثو للحكومة بين يدي الله تعالىٰ .

(٢) انظر إحقاق الحقّ : ج٧ ص ١٨٥ ، نفحات اللاهوت : ص ١١٤ ـ ١١٥ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٣٣٢ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٣٢ ح ٣٩٩٢ ، المعجم الكبير للطبراني ج ١٨ ص ٥١ ح ٩١ ، المناقب للخوارزمي ص ٣٣١ ، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٢٣ ، كنز العمال ج ١ ح ١٦٣٧ ، الخصال ص ٥٨٥ ح ١١ ، أمالي الطوسي ج ٢ ص ١٣٧ ، الاحتجاج ص ٢٦٣ .

فقلت: من الفرقة الناجية، إن هي إلّا أهل البيت الذين شهد الله لهم بالتطهير من الرجس بحكم الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿ **إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾(١). فإنّ هذه الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ باتّفاق الكلّ لمّا ألحفهم النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بكسائه وقال: « اللهمّ أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »(٢).

إن الله أمره في الاستعانة بهم في الدعاء في مباهلة النصارى بنصّ القرآن قال الله تعالى: ﴿ **قل تعالوا ندعُ أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾(٣). ولمّا خرج النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ للمباهلة لم يخرج بأحد غيرهم باتّفاق الكلّ فعلم أنّهم المعنيّون في الآية دون غيرهم.

وقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: مثل أهل بيتي كمثل سفينة

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١، فقد اجمع الجمهور ان الآية الشريفة نزلت في النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ حين باهل بهم نصارى نجران.

راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحنفي ج ١ ص ١٢٠ ـ ١٢٩ ح ١٦٨، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٥٠، اسباب النزول للنيسابوري ص ٦٧، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨٣ ح ٦١، صحيح الترمذي ج ٤ ص ٢٩٣ ح ٣٠٨٥ وج ٥ ص ٣٠١ ح ٣٨٠٨، مسند أحمد ابن حنبل ج ٣ ص ٩٧ ح ١٦٠٨، تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٩٩، الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٣٦٨، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٠، تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٠٤، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، تفسير الفخر الرازي ج ٨ ص ٨٥، جامع الأصول لابن الأثير ج ٩ ص ٤٧٠، ذخائر العقبى ص ٢٥، شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٦ ص ٢٩١، احقاق الحق للتستري ج ٣ ص ٤٦ ـ ٦٢ وج ٩ ص ٧٠ ـ ٩١ وج ١٤ ص ١٣١ ـ ١٤٨، فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٤٤.

نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق[1] فأيّما الأولى بالاقتداء والاتباع ؟ هل هؤلاء وأتباعهم السالكين آثارهم ، والمقتدين بأقوالهم وأفعالهم أو الجاحدين لهم الضالّين عن طريقهم ، المقتدين لمن لم ينصّ الله تعالى على طهارته ولا حضّ على اتّباعه ولا أمر نبيّه بالاستعانة بدعائه ، بل أقول : الأحقّ بالاتّباع ، والأولى بالاقتداء مذهب الإماميّة ،ويدلّ على ذلك وجوه .

الأوّل : أنّهم أخذوا مذهبهم عن الأئمّة الذين يعتقدون عصمتهم وفضلهم وعلمهم وزهدهم وشرفهم على أهل زمانهم فوافقهم الخصم على ذلك فاعترف بفضلهم وعدالتهم وعلمهم وزهدهم وشرفهم على أهل زمانهم حتى أنّهم صنّفوا في فضائلهم وتعداد مناقبهم كتباً مثل كتاب ابن طلحة[2] ، وكتاب غاية السؤول في مناقب آل الرسول لابن المغازلي ، وكتاب أبي بكر محمد بن مؤمن الشيرازي المستخرج من التفاسير الاثني عشر ، وكتاب موفّق بن محمد المكّي ، وغيرها من الكتب ، وإذا كان الخصم مُساعداً على مدح هؤلاء الأئمّة الذين اعتقدوا الإمامة فيهم وليس لطاعن إليه سبيل كانوا بالاتّباع أولى ممّن لا يساعد الخصم على مدح أئمّتهم بل طعن فيهم ببعض المثالب الشينة ، وظهرت عنهم الأعمال القبيحة رواها مجموع الأُمّة من يعتقد إمامتهم وغيرهم فأيّ الفريقين

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) هو أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي العدوي النصيبي الشافعي ، المفتي الرحّال ، ولد سنة ٥٨٢ هـ بالعمرية من قرىٰ نصيبين وتوفّي في ١٧ رجب سنة ٦٥٢ هـ ، وكتابه هو « مطالب السؤول في مناقب آل الرسول » ألّفه بعد أن فقد كتابه « زبدة المقال في أحوال الآل » الذي ضمّنه غرائب الفنون ، راجع : مقدمة مطالب السؤول ـ ط النجف ـ .

حينئذٍ أولى بالاقتداء وأحق بالاتّباع هؤلاء الذين اتّفق الكلّ على مدح أئمتهم وتعظيمهم أو أولئك الطاعنون في أئمّتهم المقدوح في عدالتهم من أتباعهم وغيرهم ، ومع ذلك مشاهدهم اليوم من تعظيم الناس كقبور هؤلاء الأئمّة واجتماع العامّ والخاصّ عليها وزيارتهم لها وتبرّكهم بقصدها من جميع الأقطار وكونها في غاية التعظيم في قلوب جميع الخلق دليل واضح على عظم شأنهم عند الله تعالى ، وأنّهم الأئمّة الذين أوجب الله حقّهم على خلقه ، وجعلهم حجّة عليهم ، انّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ نصّ على وجوب اتّباع أهل بيته وسلوك آثارهم والاقتداء بهم وحضّ الناس على ذلك في روايات كثيرة من الطرفين ، ولا حاجة في إيراد الروايات الواردة في ذلك من طرق الإمامية لشهرتها عندهم .

وأمّا ما ورد من طرق الجمهور فكثير نورد بعضها من جملته في الجمع بين الصحاح الستّة عنه ـ عليه السلام ـ قال : رحم الله عليّاً ، اللهمّ أدر الحقّ معه حيثما دار [١] .

وروى أحمد بن موسى بن مردويه من عدّة طرق أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال : الحقّ مع علي ، وعلي مع الحقّ ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض [٢] .

وفي مسند أحمد بن حنبل ، عن جابر قال : قال رسول الله ـ صلّى الله

---

(١) تقدمت تخريجاته ، وبالاضافة الى ما هناك تجده في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦٠ ، العلل المتناهية ج ١ ص ٣٢٥ ح ٤١٠ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد : ج ١٤ ص ٣٢١ ، إحقاق الحقّ : ج ٥ ص ٦٢٣ ، الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٧٣ .

عليه وآله وسلّم ـ: يا علي، خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنّة(١).

وروى عنه سعيد قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: إنّي قد تركت فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا؛ كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، إلّا وانّهما لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض(٢).

وفي صحيح مسلم في موضعين، عن زيد بن أرقم قال: خطب بنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بين مكّة والمدينة، ثمّ قال بعد الوعظ: أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول الله ربّي فأُجيبه فإنّي تارك فيكم الثقلين؛ أولّهما كتاب الله تعالى، والثاني أهل بيتي.

وروى جار الله العلّامة الزمخشري بإسناده قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي، حبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى(٣).

وروى الثعلبي(٤) في تفسيره بأسانيد متعدّدة أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: أيّها الناس قد تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال: ج٣ ص٤١، العلل المتناهية: ج١ ص٢٥٩ ح٤١٩، إحقاق الحقّ: ج٧ ص١٨٣، فرائد السمطين ج١ ص٥١ ح١٦.

(٢) انظر: سنن الترمذي: ج٥ ص٦٢٢ ح٣٧٨٨، نفحات اللاهوت: ص٨٦، وقد تقدمت تخريجاته.

(٣) انظر: إحقاق الحقّ: ج١٣ ص٧٧ و ٧٩.

(٤) انظر: ينابيع المودّة: ص٣٢.

تضلّوا ؛ كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي : إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين ؛ كتاب الله فيه الهدى والنّور ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض .

وكذلك في رواية موفق بن أحمد المكّي وفي صحيح البخاري في موضعين بطريقين عن جابر ، وعن عيينة قال : قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : ما يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش .

وفي رواية أُخرى : لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش .

وفي صحيح مسلم[1] : لا يزال الدين قائماً حتى تقوم السّاعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش .

وفي صحيح أبي داود ، والجمع بين الصحيحين ، وتفسير الترمذي ، قال : لمّا كرهت سارة مكان هاجر أمر الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال : انطلق بإسماعيل وأُمّه حتى تنزله البيت التهامي ـ يعني مكة ـ فإنّي ناشر ذرّيّته وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي ، وجاعل منهم نبيّاً عظيماً ومظهره على الأديان وجاعل من ذرّيته اثني عشر إماماً عظيماً .

وعن مسروق ، قال : سألت عبدالله بن مسعود ، فقلت له : كم عهد

---

(١) انظر : صحيح مسلم : ج٣ ص١٤٥٣ ح١٠ ، عوالم العلوم : ج ٣ / ١٥ ص ١٤٩ ح٩٦ ، وقد تقدمت تخريجات هذه الاحاديث .

إليكم نبيّكم يكون بعده خليفةً ؟

فقال : إنّك لحدث السّنّ وهذا شيء ما سألني عنه أحد ، نعم عهد إلينا نبيّنا يكون بعده اثنا عشر خليفةً عدد نقباء بني إسرائيل ، والرّوايات في هذا المعنى كثيرة من طرق الجمهور لو أردنا الاستقصاء لطال علينا الأمر واتّسع ، وقد دلّت هذه الأحاديث على الحثّ والأمر بالاقتداء بأهل البيت ، ووجوب اتّباعهم ، والتمسّك بطريقهم ، فإنّهم اثنا عشر خليفة من ذرّيّة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولا قائل بالحصر في الاثني عشر سوىٰ الإمامية القائلين بإمامة هؤلاء المشهورين بالفضل والعلم والزهد عند أهل الاسلام فوجب الاقتداء بهم والانحياز إلى فريقهم ، وظهر أنّ مذهب القائل بإمامتهم واجب الاتّباع .

إنّ أحسن الاعتقادات ، وخير المقالات ما اشتمل عليه مذهب الإمامية أُصولاً وفروعاً ، يعرف ذلك من اطّلع على أُصول المذاهب ، ونظر في فروع الاعتقادات ، فإنّه بعد النظر الخالي عن مخالطة الشُبَه والتقليد يتحقّق أنّ مذهب الامامية من بينهم أولى بالاتّباع ، وأحقّ بالاقتداء وقد صدق فيهم قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعونَ أَحْسَنَهُ** ﴾[1] ، فإنّ في أُصولهم من تنزيه الله تعالى وتعظيمه وتنزيه الأنبياء والأئمّة وتعظيمهم ما لا يكون في أُصول غيرهم فإنّهم نزّهوا الله عن التشبيه ، والرؤية ، والاتّحاد ، والحلول ، والمعاني القديمة ، وخلق أفعال العباد ، والرضى بالكفر والفسوق ، ونسبة القبائح والسرقة إليه وكون أفعاله لا لغرض وأنّه كلّف ما لا يطاق .

---

(١) سورة الزمر : الآية ١٨ .

واعتقدوا في الأنبياء أنّهم معصومون عن الخطأ والمعاصي، الصّغائر والكبائر، والنسيان والسّهو، من أوّل أعمارهم إلى آخرها، وأنّ أئمّتهم أيضاً معصومون عن الخطايا والمعاصي، وأنّهم أعلم الخلق بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأفضلهم، وأكرمهم نفساً، وأشرفهم نسباً [١].

وفي مذاهب السنّة ما يخالف ذلك وينافيه فجوّزوا التشبيه[٢] والجهة[٣] والاتّحاد[٤] والحلول[٥] والتجسيم[٦] والرؤية[٧]، والمعاني الزائدة القديمة، وقالوا: إنّه لا فاعل في الوجود إلاّ الله، وإنّ جميع المعاصي والقبائح والشرور كلّها بخلق الله وإرادته[٨] وإنّ العباد

---

(١) راجع: كتب العقائد للأمامية، علىٰ سبيل المثال:
نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي، تجريد الاعتقاد للشيخ الطوسي، تنزيه الانبياء للشريف المرتضىٰ، الشافي في الامامة للشريف المرتضىٰ وغيرها.

(٢) واصحاب هذا الرأي يُسمَون بالمشبهه راجع: معجم الفرق الاسلامية: ص ٢٢٥، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٩٩.

(٤) راجع: شرح التجريد للعلامة الحلي ص٣١٨ (في نفي الاتحاد عنه تعالى) وقال ـ اعلى الله مقامه ـ في نهج الحق وكشف الصدق ص ٥٧: الضرورة قاضية ببطلان الاتحاد، فإنه لا يُعقَل صيرورةُ الشيئين شيئاً واحداً، وخالف في ذلك جماعة من الصوفية من الجمهور، فحكموا بأنه تعالى يتّحد مع أبدان العارفين، حتى أن بعضهم قال: إنه تعالى نفسُ الوجود، وكلّ موجود هو الله تعالى، وهذا عين الكفر والالِحاد.

(٥) مقالات الاسلاميين للاشعري: ص ٢١٤ وجاء فيه: واجاز عليه بعضهم الحلول في الاجسام، واصحاب الحلول اذا رأوا انساناً يستحسنونه، لم يدروا لعل الههم فيه !!، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٣٢، معجم الفرق الاسلامية ص ١٠٢.

(٦) مقالات الاسلاميين: ص٢٠٧ ـ ٢٠٩، معجم الفرق الاسلامية: ص ٢١٣، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٣ ص ٢٢٩.

(٧) مقالات الاسلاميين: ص٢١٣ ـ ٢١٧، شرح نهج البلاغة لابن ابي البلاغة ج ٣ ص ٢٣٦.

(٨) مقالات الاسلاميين: ص ٢٤٥.

مجبورون[١] وأنّه راض بالكفر والمعاصي وان أفعاله لا لغرض، وانّ القبائح بخلقه وانّه كلّف عباده فوق ما يطيقون، وانّ الأنبياء يجوز عليهم الكفر والمعاصي والخطأ والنّسيان[٢] ورووا في نبيّهم روايات تقتضي الدناءة والخسّة ورووا أنّه نسي فصلّىٰ الظهر ركعتين ولم يذكر حتى ذكّره بعض أصحابه[٣]، وأنّه دخل المحراب للصلاة بالناس جنباً، وأنّه يستمع إلى اللعب بالدفوف وغناء البغات[٤]، وأنّه بال قائماً[٥] ...، وغير ذلك من الأشياء القبيحة التي لا تليق بأدنىٰ الناس.

وقالوا: إنّ الخلفاء الذين تجب طاعتهم جائزوا الخطأ والمعاصي والكبائر، وأنّهم غير عالمين بما تحتاج إليه الأُمّة، بل لهم الرجوع إلى الأُمّة والاحتياج في الفتاوى والأحكام إليهم، وأنّهم لا يحتاج إلى أن يكونوا أفضل الخلق، ولا أشرفهم نسباً، ولا أعلاهم محلاًّ في الإسلام.

وأمّا الفروع فإنّ الإماميّة لم يأخذوا بالقياس، ولا بالرأي، ولا بالاستحسان، ولا اضطربوا في الفتاوى، ولا اختلفوا في المسائل، ولا كفّر بعضهم بعضاً، ولا حرّم بعضهم الاقتداء بالآخر، لأنّهم أخذوا فتاواهم وأحكامهم عن أئمّتهم الذين هم ذرّية الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الذين يعتقدون عصمتهم، وأنّهم أخذوا علومهم واحداً عن واحد، وكابراً عن كابر، وآخر عن أوّل إلى جدّهم، فكانت فروعهم أوثق الفروع،

---

(١) وهم الجبريه راجع: الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٧٩، معجم الفرق الاسلامية: ص ٨١.

(٢) انظر: مقالات الاسلاميين: ص ١٥١ و ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧، معجم الفرق الاسلامية ص ٩٩، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٧ ص ١١ و ١٢ و ١٩.

(٣) انظر: مسند أحمد: ج ٢ ص ٣٨٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ١٩.

(٤) انظر: الموضوعات لابن الجوزي: ج ٣ ص ١١٥.

(٥) انظر: سنن النسائي: ج ١ ص ٢٥.

وشرعهم أحسن الشرائع ، ودينهم أتمّ الأديان فإنّ غيرهم أخذوا بالقياس والاستحسان والرأي ، وأسندوا رواياتهم عن الفسقة والمتعمّدين للكذب ، وافترقوا أربع فرق ، كلّ فرقة تطعن على الأخرى ، وتتبرّأ منها[١] ، ويكفّرون بعضهم بعضاً ، ويحلّلون ويحرّمون عمّن هو جائز الخطأ والمعاصي والكبائر .

وانقطعت عنهم مواد الأخذ عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لأنّهم لم يرضوا بالاتباع لأهل بيته ووضعوا الشرع على مقتضى رأيهم وزادوا فيه ونقصوا وحرّفوا وغيّروا ، فأحلّوا ما حرّم الله ، وحرّموا ما أحلّ الله لأنّهم لم يأخذوا الحلال والحرام عن من لا يجوز عندهم كذبه وخطاؤه كالإمامية فكان حينئذٍ حلالهم وحرامهم وفرائضهم وأحكام شرعهم معرَّضة للخطأ والكذب لأنّها ليست عن الله تعالى ، ولا عن رسوله ، يعرف ذلك من اطّلع على أُصولهم وفروعهم ، فإنّا نجد في فتاويهم الأشياء المنكرة التي تخالف المعقول والمنقول ومن له أدنى إنصاف واطّلاع بأحوال المذاهب يعرف ذلك ويتحقّقه ، ومصنّفات الفريقين تدلّ على صحّة ذلك ، وإذا نظر العاقل المنصف في المقالتين ، ولمح المذهبين عرَف موقع مذهب الإمامية في الإسلام وأنّهم أولى بالاتّباع ، وأحقّ بالاقتداء لأنّهم الفرقة الناجية بنصّ الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ .

وقد روى أبو بكر محمد بن موسى الشيرازي في كتابه المستخرج من التفاسير الاثني عشر في إتمام الحديث المتقدم بعدما قال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ : ستفترق أمتّي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة ؛ فرقة

---

(١) راجع مقالات الاسلاميين للاشعري : ص٣ ـ ٤ .

ناجية ، والباقون في النّار[١] .

قال علي ـ عليه السلام ـ : يا رسول الله مَن الفرقة الناجية ؟ قال : المتمسّكون بما أنت عليه وأصحابك .

وفي الأحاديث المذكورة آنفاً ما يدلّ علىٰ أنّ المتّبعين لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، والمقتدين بهم هم الفرقة الناجية بحثّ الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على الاقتداء بهم ، والتمسّك بما هم عليه ، وإيجاب ذلك على جميع الخلق بروايات الكلّ فعلمنا علماً ضروريّاً أنّ أهل البيت هم الفرقة الناجية ، فكلّ من اقتدى بهم ، وسلك آثارهم فقد نجا ، ومن تخلّف عنهم وزاغ عن طريقهم فقد هوى ، ويدلّ عليه الحديث المشهور المتّفق على نقله : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وهذا حديث نقله الفريقان وصححه القبيلان لا يمكن لطاعن أن يطعن فيه وأمثاله في الأحاديث كثيرة .

فقال المُلّا الهروي : ما ذكرته في وجوه هذه الدلالات على أنّ مذهب الإمامية واجب الاتّباع ، وأنّهم هم الفرقة الناجية يكثر على السامع بروايات الآحاد ، وأيضاً فإنّ أهل السنّة يقولون في مذهبهم من المدائح مثل ما ذكرت وأكثر ما يذمّون مذاهب غيرهم بأقبح الذّمائم وقد قال تعالى : ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[٢] .

وقال الشاعر :

كُلّ بما عندهُ مُستبشر فرح   يرى السَّعادة فيما قال واعتقدا

وفي المثل : الكل في ريقه في فيه حلق ، ولكن الذي ينبغي لذوي

---

(١) انظر : إحقاق الحقّ ج٧ ص١٨٥ ، وقد تقدم المزيد من تخريجاته .

(٢) سورة الروم : الآية ٣٢.

العقول والعلم والإنصاف في المجادلة قلّة الانشغال في المدح والذّمّ فإنّه باب واسعٌ يطول فيه المجال، ويكثر فيه من الطرفين التعداد والمقال.

فقلت: أنت محقّ في ذلك، وقد قلت الإنصاف، ولكن ما تقول في هذه الأحاديث المرويّة في كتبكم التي تشتمل على حصر الخلفاء في اثني عشر من قريش أليس هي دالّة على صحّة مذهب الإماميّة لأنّهم قائلون بتخصيصها في اثنّي عشر من ذرّيّة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ دون غيرهم من الفرق ؟

فقال: هذه الأحاديث معارضةٌ بأمثالها والذنب فيها على الرواة.

فقلت: إنّ الروايات إذا وردت من الطرفين، وتظافرت من رجال الفريقين، وساعد على إيرادها الخصمان صارت متواترة عند الأُمّة فيجب المصير إليه والترك لما ورد من الطرف الواحد وهذه الأحاديث المعارضة لهذه الأخبار المرويّة من الطرفين لم تروِها الكلّ ولم يتّفق على نقلها الفريقان، بل ردّها الخصم وأنكرها، فكان حينئذٍ الأولى في الترجيح الواجب على السامع العمل بما اتّفق على نقله، وطرح ما اختلف فيه من المعارضة لأنّه الاحتياط التامّ، والأخذ بالحزم من الرأي.

ثمّ قلت: ومع هذا فهنا برهانٌ واضحٌ، ودليل لائح موجود الآن مُشاهدٌ بالأبصار، وقد شاع في جميع الأمصار.

فقال: وما هو ؟

فقلت: هذا مشهد الحسين ـ عليه السلام ـ يزوره الزّوّار من كُلّ البلاد في ميقات، وله في كلّ سنة ميقاتٌ، هو أوّل ليلة من شهر رجب يجتمع عنده عالم كثير من الإمامية وأهل السنّة وغيرهم بعُمِيٍ وصُمٍّ ويأتون أهل السنّة يرونهم مقعدين ويضعونهم على ساحته ـ عليه السلام ـ تلك الليلة

فكلّ من خرج من أُولئك العُمِي والصُمّ والمقعدين من دين السنّة، وتبرّأ منهم، ونظّف قلبه، وخلّص اعتقاده بريء من علّته، وصار بصيراً ماشياً بعد العمى والإقعاد، ومن بقي على حالته فلم يبرأ ممّا به، فما تقول في هذه المعجزة ؟

فهل عندك في هذا طعن، أو لك إلى القدح فيه سبيل ؟ وهل ذلك دالّ على أنّ مذهب أهل السنّة على الخطأ والباطل وأنّه يجب على كلّ مكلّف الخروج منه والدخول في مذهب الإمامية، وهذا دليل واضح وبرهان لائح مشُاهَد بالأبصار، لا يمكن لأحد ردّه، ولا الطعن فيه.

فقال: ومن شاهد هذا، ومن عرف صحّته ؟

فقال السيّد محسن: إنّ هذا ثابت بالتواتر من الأُمّة إنّ ذلك يقع عند الحسين ـ عليه السلام ـ في كلّ عام، لا ينكره إلّا مكابرٌ ولو شئت لأسمعتك هذه المعجزة ممّن شاهدها ورآها أربعون رجلاً وخمسون، وأكثر من أهل الصّلاح والدين.

فقال: إنْ صحّ ما ذكرتم فهو حجّة قاطعة، ودليل ظاهر، ولمّا وصلت المجادلة إلى هذا الحدّ أذّنَ المؤذّن للصلاة، فقمنا لصلاة الجمعة، وتفرّق المجلس ولم ألقه بعد ذلك، وقد حكى لي السيّد محسن أنّه لقيه بعد مفارقته لنا بأيّام وسأله عن حاله فظهر له منه أنّه بقي متردّداً لا مذهب له، وأنّه قال: أُريد أمضي إلى الحسين ـ عليه السلام ـ لأنظر ما حكيتموه من المقعد والأعمى إذا خرجا من مذهب أهل السنّة ودخلا في مذهب الإمامية.

وبعد ذلك لانعرف ما صار إليه أمره، وهذا ما كان بيني وبينه من المجادلة في المجالس الثلاثة التي ذكرت، ومن المجادلة على الاستقصاء.

والحمد لله على ظهور الحقّ، وزهوق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً،

ونستغفر الله عن الزيادة والنقصان فإنّه هو الغفور الرحيم المستعان.

تمت الرسالة يوم الثلاثاء حادي عشر من شهر جمادى الآخرة من سنين خمس وتسعين وتسعمائة من الهجرة النبويّة حرّره الفقير الحقير المذنب الجاني، المحتاج إلى رحمة الله صالح بن محمد بن عبد الإله السلامي في بلدة إصفهان، رحم الله من دعا لمالكها ولكاتبها بالغفران آمين ربّ العالمين، والحمد لله ربّ العالمين[1].

---

(١) حصلنا علىٰ مخطوطة هذه المناظرة من مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي (قدس سره)، ضمن المجموعة رقم: ٦٨٩٦، وذكرت في فهرس المكتبة (المطبوع) ج١٨ ص٨٩، ونص عليها أيضاً أغا بزرك الطهراني في الذريعة: ج٢٢ ص٢٨٥ تحت رقم: ٧١٢٤.

انظر: صورة الصفحة الأولىٰ والصفحة الأخيرة من مخطوطة هذه المناظرة في آخر الكتاب.

وأما منهجنا في تحقيقها فقد اعتمدنا طريقة التلفيق بين المخطوطة وما جاء في هامشها حسب ما جاء من الإشارة إليه من الاختلاف والزيادة في بعض النسخ ـ آخذين بالأرجح منها، كما أن بعض الكلمات لا تتم إلا بما في الهامش، ولذا آثرنا هذه الطريقة، كما قمنا بتخريج أحاديثها وإرجاعها الىٰ مصادرها الأصلية إن وجدت، وتخريج بقية الأحاديث من أهم المصادر المتّبعة عند الجمهور حسب ما أمكن، وبالله التوفيق.

المناظرة الحادية والستون

مناظرة[1] مع قطب الدين عيسىٰ

قد ورد علينا قديماً إلىٰ الشام، سيد من سادات شيراز الصفوية، اسمه قطب الدين عيسىٰ، كان قد هرب قديماً مع أبيه من الشاه إسماعيل إلىٰ الهند وكان في الطبقة العليا من الفضل، وله مصنفات وتحقيقات شتىٰ، قرأت عليه جانباً من شرح التجريد وكان لقناً منصفاً، وعلم مني الميل إلىٰ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وشيعتهم، وكان يميل إلىٰ البحث معي في المذهب ويقول: قل كل ما تعلمه من جهتهم.

فقلت له يوماً: هل أوجب الله في كتابه أو نص رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أو أجمع أهل الإسلام أو قام دليل عقلي علىٰ وجوب اتباع الشافعي بخصوصه؟

قال: لا.

قلت: فلم اتبعته؟

قال: لأنه مجتهد وأنا مقلد! فيجب عليَّ اتباع مجتهد.

قلت: فما تقول في الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ هل كان مجتهداً؟

---

(١) وجدنا مخطوطة هذه المناظرة ضمن مجموعة تحت رقم: ٦٨٩٦، من مكتبة آية الله العظمىٰ السيد المرعشي (قدس سره)، ولم يذكر اسم صاحب المناظرة، انظر: صورة الصفحة الأولى، والصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة في آخر الكتاب.

فقال: كيف لا يكون ذلك وتلاميذه المجتهدون كانوا نحو أربعمائة مجتهد، أحدهم أبو حنيفه.

قلت: فما تقول فيمن تبعه؟

قال: هو علىٰ الحق بغير شبهة، ولكن مذهبه لم ينقل كما نقل مذهب أبي حنيفة.

فقلت له: تعني أنه لم ينقله أحد أصلاً أم أهل السنة لم ينقلوه؛ فإن أردت الأول لم يتمش أما أولاً؛ فلأنه شهادة علىٰ نفي فلا تسمع، لأن مضمونها أني لا أعلم أن أحداً نقله، وأما ثانياً؛ فلأنه مكابرة علىٰ المتواترات المشتهرة لأن نقل أحاديثهم وآدابهم وعباداتهم ومذهبهم في فروع الفقه ومعتقداتهم بين شيعتهم أظهر من الشمس، وقد نقلوا من ذلك ما يزيد علىٰ ما في الصحاح الست بأسانيد معتبرة، ونقحوا رجال الأسانيد بالجرح والتعديل غاية التنقيح، ولم يقبلوا رواية إلّا من ثبت توثيقه، ويقولون إن أئمتهم ومجتهديهم في كل عصر من لدن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ إلىٰ يومنا هذا لا يقصرون عن علماء فرقة من الفرق، بل هم في كل زمان أعلم وأكثر مما في زمن أئمتهم الاثني عشر ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ فواضح أنه لم يماثلهم أحد في علم ولا عمل؛ لأن قولهم لم يكن بظن واجتهاد وإنما كان بالعلم الحقيقي اما بنقل كل واحد عن أبيه إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وإما بالكشف والإلهام، بحيث يتساوىٰ صغيرهم وكبيرهم، ولهذا ما روي أن أحداً منهم في صغره ولا في كبره تردد الى معلم أو استفاد من أستاذ، ولا سئل أحدهم عن سؤال فتوقف أو تعلم أو رجع إلىٰ كتاب أو احتاج إلىٰ فكر، ومن وقف علىٰ سيرهم التي نقلها مخالفوهم فضلاً عن مناقبهم وفضائلهم كتباً لا تدخل

تحت الحصر .

وأما تلاميذهم كمحمد بن مسلم[١] وهشام بن الحكم ، وزرارة بن أعين[٢] ، وجميل بن دراج[٣] ، وأشباههم ، فإنهم يزيدون عن الحصر حتىٰ كان بيت جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ كالتجار أو السوق يزدحم فيه المستفيدون منه والآخذون عنه من كل الفرق ، وأكثرهم كانوا مجتهدين أصحاب مذاهب ، ذكرهم علماء السنة وأثنوا عليهم بالعلم والعمل بما لا مزيد عليه ، ومن طالع كتب الرجال لأهل السنة علم صدق ذلك .

وأما بعدهم فإن لهم من العلماء من لا يقصر عنهم مثل الشيخ محمد

---

(١) محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر ، من الأعلام الرؤساء المأخود عنهم العلم في الحلال والحرام والفتيا والأحكام ، يعدّ في مقدمة فقهاء أصحاب الإمامين الباقرين ـ عليهما السلام ـ ، وروى عنهما وكان من اوثق الناس وممن أجمعت الصحابة على تصديقه، ومن اكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيع ، وكان شاعراً اديباً قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدّين، صادقاً فيما يرويه ، ووثقه كل من صنف في الرجال وان اختلفت في حاله الاخبار فالأصحاب متفقون على ان هذا الرجل بلغ من الجلالة والعِظم ورفعة الشأن وسمّو المكان إلى ما فوق الوثاقة المطلوبة للقبول والاعتماد ، توفي سنة ١٥٠ للهجرة ، وله نحو من سبعين سنة . تنقيح المقال ج٣ ص ١٨٤ ، معجم رجال الحديث ج١٧ ص ٢٣٣ رقم : ١١٧٧٦.

(٢) زرارة بن أعين واسمه عبد ربه يكنىٰ أبو الحسن وزرارة لقب له ، من أصحاب الإمام الباقر والصادق والكاظم ـ عليهم السلام ـ له كتب ومصنفات عديدة منها كتاب الاستطاعة والجبر وله كتاب يسمّى الاربعمائة مسألة في ابواب الحلال والحرام ، ويعد في الطبقة الأولىٰ من رجالات الشيعة الثقات توفي سنة ١٥٠ للهجرة .

تنقيح المقال : ج١ ص٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، معجم رجال الحديث ج٧ ص٢١٨ رقم : ٤٦٦٢ ، الفهرست لابن النديم ص٣٠٨.

(٣) جميل بن دارج : أبو الصبيح بن عبدالله أبو علي النخعي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم ـ عليهما السلام ـ ثقة ثبت معروف ، توفي في حياة الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ.

تنقيح المقال : ج١ ص ٢٣١ ، معجم رجال الحديث ج ٤ ص١٤٩ ، رقم : ٢٣٦١ .

ابن يعقوب الكليني[1]، وابني بابويه[2]، والصاحب بن عبّاد[3] وشيخ

---

(١) محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني الرازي، عالم فقيه محدِّث ثقة ورع جليل الشأن عظيم القدر، قال عنه بعضهم: في العلم والفقه والحديث والثقة والورع وجلالة الشأن وعظم القدر وعلو المنزلة وسمّو المرتبة أشهر من ان يحيط به قلم ويستوفيه رقم، له كتب عديدة وأشهرها كتابه الكافي حيث ألفه في عشرين عاماً، ومن كُتبه: كتاب الردّ على القرامطة، كتاب رسائل الأئمة ـ عليهم السلام ـ، كتاب تعبير الرّؤيا، كتاب الرجال، كتاب ما قيل في الائمة ـ عليهم السلام ـ من الشعر، ومن طريف ما نقل في ترجمته ما ذكره كتاب روضة العارفين، عن بعض الثقات المعاصرين له: انّ بعض حكام بغداد رأى قبره عطر الله مرقده فسأل عنه فقيل له: انه قبر بعض الشيعة فأمر بهدمه فحفر القبر فراى أنّه بكفنه لم يتغير، ومدفون معه آخر صغير بكفنه ايضاً، فأمر بدفنه وبنى عليه قبّة فهو الى الآن قبره مزار ومشهد، وعن بعضهم في سبب الحفر المذكور ان ذلك الحاكم لما راى اقبال الناس على زيارة قبر مولانا باب الحوائج موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ حمله النصب على حفر القبر وقال: الرافضة يدّعون في أئمتهم أنّهم لا تبلى أجسامهم بعد موتهم، وأريد أن أكذبهم حتى امنع الناس من زيارته، فقال وزيره: إنهم يدّعون في علمائهم ايضاً ما يدّعون في أئمتهم، وهنا قبر محمد بن يعقوب الكليني من علمائهم، فأمر بحفره، فإن كان على ما يدّعونه عرفنا صدق مقالتهم في أئمّتهم، وإلّا تبيّن للناس كذبهم، فأمر بحفره ـ إلى آخر القصة، توفي في بغداد عام ٣٢٩ ودفن بباب الكوفة.

تنقيح المقال: ج ٣ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢، معجم رجال الحديث ج ١٨ ص ٥٠ رقم: ١٢٠٣٨.

(٢) تقدمت ترجمة الابن، وأما الأب فهو أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق، شيخ القميين ومقدمهم وفقيههم وثقتهم، كان معاصراً للإمام العسكري ـ عليه السلام ـ، ولد بقم وتوفي عام ٣٢٩ هـ.

تنقيح المقال: ج ٣ ص ٤٢، مقدمة الامامة والتبصرة.

(٣) هو إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن العباس بن عباد أحمد بن إدريس الديلمي الأصفهاني ولد سنة ٣٢٦ في فارس، عالم فاضل ماهر شاعر أديب محقق متكلم عظيم الشأن جليل القدر في العلم والأدب والدين والدنيا، وكان من الشيعة الإمامية ومن شعراء أهل البيت ـ عليهم السلام ـ المتجاهرين، ولأجله ألّف ابن بابويه عيون الأخبار، وألّف الثعالبي يتيمة الدهر في ذكر أحواله وأحوال شعرائه، ومن مؤلفاته: الشواهد، والتذكرة، والتعليل، والأنوار، وديوان شعره، وكتاب الإماميّة ذكر فيه تفضيل علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وتثبيت إمامته، وقال ←

الطائفة محمد بن النعمان المفيد(١)، والشيخ أبي جعفر الطوسي(٢)، وابن البراج(٣)، والسيد المرتضىٰ علم الهدىٰ(٤)، وأبي القاسم جعفر بن سعيد الحلي(٥)، والشيخ سديد الدين الحلي(٦)، وولده الشيخ جمال الدين(٧)،

← ابن خلكان عند ذكره، كان نادرة الزمان وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه، ولي الوزارة لمؤيد الدولة ثم فخر الدولة من بعده، توفي سنة ٣٨٥هـ بالريّ ونُقل إلى أصفهان ودفن في بيته.

راجع: تنقيح المقال للمامقاني ج ١ ص ١٣٥، أعيان الشعية ج ٣ ص ٣٢٨، لسان الميزان ج ١ ص ٤١٣، سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥١١.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي نسبة إلىٰ طوس من مدن خراسان حيث ولد فيها سنة ٣٨٥، هاجر إلىٰ بغداد حيث كانت قبلة للعلماء عام ٤٠٨هـ، فتتلمذ علىٰ الشيخ المفيد ثم السيد المرتضىٰ من بعده، فاستقل بالزعامة الدينية من بعده إلىٰ أن توفي في النجف الأشرف عام ٤٦٠هـ وله مؤلفات كثيرة جداً. لؤلؤة البحرين ص ٢٩٣.

(٣) سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن البراج، وجه من وجوه الأصحاب وفقيههم، كان قاضياً في طرابلس، له كتب ومصنفات عديدة منها المهذب والمعتمد والروضة وغيرها وقيل إنه كان خليفة الشيخ الطوسي في البلاد الشامية وقد تتلمذ علىٰ يدي علم الهدىٰ والشيخ الطوسي، توفي عام ٤٨١. لؤلؤة البحرين ص ٣٣١.

(٤) علي بن الحسين بن موسىٰ بن محمد بن موسىٰ بن إبراهيم بن موسىٰ بن جعفر ـ عليه السلام ـ ولد سنة ٣٥٥ في بغداد، له كتب ومؤلفات كثيرة وكان من الأذكياء والأولياء، توفي في سنة ٤٣٦ في بغداد عن عمرٍ يناهز الثمانين عاماً.

تنقيح المقال: ج ٢ ص ٢٨٤، سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٨٨، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٢.

(٥) جعفر بن سعيد الحلي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن أبي زكريا يحي بن الحسن ابن سعيد الهذلي الحلي، المعروف بالمحقق الحلي، ولد عام ٦٠٢ صاحب الشرائع، وأخباره معروفة مشهورة، توفي سنة ٦٧٦ عن عمر يناهز أربع وسبعين عاماً، أعيان الشيعة ج ٤ ص ٨٩.

(٦) الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي والد العلامة الحلي عالم فقيه متكلم، يروي عن جماعة من العلماء منهم الشيخ راشد البحراني والسيد العريضي ويروي عنه ولده العلّامة واخوه رضيّ الدين، أمل الآمل ج ٢ ص ٣٥٠، رياض العلماء ج ٥ ص ٣٩٥.

(٧) جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن ←

وولده فخر المحققين(١)، ومولانا نصير الدين الطوسي(٢)، والشيخ الشهيد(٣)، وأمثالهم ممن لا يحصرهم حدّ ولا عد، ومصنفاتهم وتحقيقاتهم في العلوم العقلية والنقلية قد ملأت الخافقين، ونقلها أهل السنة في مصنفاتهم كما لا يخفىٰ، ولا يدّعون أن الشيعة أكثر من أهل السنة بل ولا يرضون ذلك ويجدونه نقصاً في شأنهم لأنه قد صح عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أنه قال لأمته: لتركبن سنة من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة(٤) وهو كما قال.

والباري عزوجل قد أخبر في كتابه العزيز أن الفرقة القليلة من كلّ الأمم كانت هي المحقة الناجية كقوله تعالىٰ: ﴿ **وما آمن معه إلا**

← مطهر الحلي المعروف بالعلاّمة الحلي، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول ولد سنة ٦٤٨ وتوفي سنة ٧٢٦. ودفن في الحلة ثم نقل إلىٰ النجف ودفن في حجرة في الحضرة المقدسة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ إلىٰ جهتها اليمنىٰ. أعيان الشيعة ج ٥ ص٣٩٦، لسان الميزان ج ٢ ص٣١٧، رياض العلماء ج ١ ص٣٥٨.

(١) فخر المحققين: أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر، من وجوه الطائفة وأعيانها درس علىٰ يد أبيه فخر آل المطهر، ولد سنة ٦٨٢ وتوفي سنة ٧٧١ عن عمر يناهز التسع والثمانين، لؤلؤة البحرين ص ١٩٠.

(٢) نصير الدين الطوسي: هو محمد بن محمد بن الحسن الجهروردي القمي الطوسي، ولد بمشهد سنة ٥٩٧، فيلسوف كبير وصاحب علوم الرياضة والرصد، كان رأساً في العلم له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٦٧٢، ودفن في الكاظمية ببغداد، لؤلؤة البحرين ص ٢٤٥.

(٣) الشيخ الشهيد: أبو عبدالله محمد بن الشيخ جمال الدين مكي بن شمس الدين محمد الدمشقي الجزيني، ولد سنة ٧٣٤ في جبل عامل من ألمع تلامذة فخر المحققين العلاّمة الحلي في الفقه والفلسفة، سافر إلىٰ أقطار الأرض طلباً للعلم والمعرفة، له تصانيف عديدة منها الذكرىٰ، واللمعه الدمشقية، توفي سنة ٧٨٦ بدمشق حيث قتل فيها بالسيف ثم صلب ورجم ثم أحرق بفتوىٰ القاضي برهان الدين المالكي ابن جماعة الشافعي، لؤلؤة البحرين ص١٤٣.

(٤) تقدمت تخريجاته.

قليل ﴾[١] ، **﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾**[٢] **﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد ﴾**[٣]، **﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك ﴾**[٤] وأمثال ذلك كثير ، وعلىٰ هذا القياس كلما كان في الدنيا أقل فهو أعز ، كالأنبياء في نوع الإنسان ، والأولياء والعلماء والأتقياء ، ونحو ذلك ، كالجواهر والمسك والمعادن وهلّم جراً ويقولون لا يضرنا قلّتنا بل هي دليل أحقيتنا .

والذي أوجب خمولنا في الجملة استيلاء أعدائنا علىٰ أئمتنا ـ عليهم السلام ـ وعلىٰ شيعتهم ؛ لأن أعداءنا كانوا ملوك الأرض والناس علىٰ دين ملوكهم إما ظاهراً فقط ، وإما ظاهراً وباطناً ، وأكثر أئمتنا ـ عليهم السلام ـ مات قتلاً بالسيف أو سماً في الحبس ، وأكابر علمائنا في أكثر الأوقات كانوا خائفين مستترين بالتقية ، والملوك إنما يقبلون ويرفعون من يوافقهم في العقيدة ويعظمون محله ليضعوا من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وشيعتهم ، ومع كثرة أعدائنا وعظمتهم في الدنيا لم يمكنهم إخفاء نور الحق ، بل ظهر من علمائنا وشيعتهم ومصنفاتهم ما قد اشتهر وبهر ولم يضمحل نور الحق كما اضمحل باطل الخوارج والمجبّرة والمعتزلة والمرجئة وأمثالهم من الفرق الكثيرة .

رجعنا إلىٰ ما كنا بصدده ، وإن أردت أن أهل السنة لم ينقلوا مذهب جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ فهذا ليس نقصاً ولا طعناً فيما نُقِل عن شيعتهم ، كما أنه لا يقتضي عدم نقل الشيعة مذهب الشافعي نقصاً فيه ، ولا

---

(١) سورة هود : الآية ٤٠ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٠٢ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١١٩ .

يقتضي عدم نقل الشافعية مذهب أبي حنيفة نقصاً فيه، وبالعكس.

ثم إنهم يتنزلون بالبحث ويقولون: سلّمنا أن أئمتنا لم يكونوا معصومين كما ندّعيه فقد كانوا مجتهدين، لم يخالف في ذلك أحد وسلّمنا أن أئمتكم الأربعة كانوا مجتهدين أيضاً أبراراً ولكن لم يقم لنا دليل عقلي ولا نقلي من الله ولا من رسوله علىٰ وجوب التمسك بواحد منهم كما قام ذلك في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كما سمعته من أن المتمسك بهم وبكتاب الله لن يضل أبداً[1].

سلّمنا أن الباري لم ينص في كتابه علىٰ طهارتهم، ولا أمر النبي بالتمسك بهم، فالمزية التي في أئمتكم المجوزة لاتباعكم لهم وهو الاجتهاد حاصل فيهم، مع زيادة أخرىٰ وهي اتفاق جميع الفرق علىٰ طهارتهم وتعففهم وغزارة علمهم، بحيث لا يشك فيه أحد ولم يتمكن أحد من أعدائهم من الطعن عليهم بما ينقصهم ولا بطريق الكذب تقرباً إلىٰ أعدائهم مع كثرتهم وعلوّ شأنهم في الدنيا، كخلفاء بني أمية وبني العباس.

وما ذاك إلّا لعلم جميع الناس بطهارتهم والكاذب عليهم يعلم أنه يكذبه كل من يسمعه، وهذه المزية لم تحصل لغيرهم، فإن من سواهم قد طعن بعضهم علىٰ بعض، حتىٰ صنف بعض الشافعية كتاباً سماه النكت الشريفة في الرد علىٰ أبي حنيفة، وأثبت كفره بمخالفة السنة المطهرة بما يطول شرحه.

والحنفية والمالكية وأكثر الطوائف ويكفّرون الحنابلة لقولهم

---

(١) اشارة إلىٰ حديث الثقلين ومصادره كثيرة جداً منها علىٰ سبيل المثال: المستدرك ج ٣ ص ١٩، المناقب لابن المغازلي ص ١٦ ح ٢٣، وقد تقدمت مصادر أخرى له.

بالتجسيم، ولا ريب في وجوب اتباع المُتّفق علىٰ عدالته وعلمه ولا يجوز العمل بالمرجوح مع إمكان العمل بالراجح، فقد لزمكم القول بصحة مذهبنا لأرجحية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ علىٰ غيرهم، بل يلزم ذلك كل من وقف نفسه علىٰ جادّة الإنصاف ولم يغلب عليه الهوىٰ، لأن المقتضي للنجاة عندكم تقليد المجتهد، وهذا حاصل لنا باعترافكم، مع ما في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من المرجحات التي لا يمكن إنكارها وقد بيّناها، ولا يلزمنا القول بصحة مذهبكم لأنا شرطنا في المتَّبع العصمة حتىٰ يؤمن من الخطأ منه.

فنكون نحن الفرقة الناجية اجماعاً، بالدليل المُسَلّم المقدمات عندكم، فأي مسلم يخاف الله واليوم الآخر يحكم بخطأ متبع أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لولا ظلمة اتباع الهوىٰ والتعصب.

وكان هذا السيد لا يبعد عن الإنصاف وإنما كان يمسك عن المكابرة ويتأمل، وكان يقول إذا كان هذا حالهم فالباري ثبّتهم لأنه لا يكلف بما لا يطاق، وقد جعل لكل مجتهد نصيباً من كرمه.

المناظرة الثانية والستون

مناظرة يوحنّا[1] مع علماء المذاهب الأربعة في بغداد

يقول يوحنّا بن إسرائيل الذمّي: إنّي كنت رجلاً ذميّاً[2]، متقناً للفنون العقليّة، ممتعاً من العلوم النقليّة، لا يحيدني عن الحقّ مموّهات الدلائل، ولا يلقيني في الباطل مزخرفات العبارات، ومنمّقات الرسائل، أنجر ينابيع التحقيق من أطواد الحلوم، وأستخرج بالفكر الدقيق المجهول من العلوم، أتصفّح بنظر الاعتبار ومعتقد فريق فريق، وأُميّز بين ذلك سواء الطريق، والناس إذ ذاك قد مزّقوا دينهم وكانوا شيعاً وتمزّقوا كلّ ممزّق وتبروا قطعاً، فلهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم

---

(١) وقد وجدنا مناظرة يوحنا مخطوطةً (بالفارسي) في مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي (قدّس سرّه) ضمن مجموعة تحت رقم: ٦١٥٤، وذكرت في فهرس المكتبة (الخطّي) ج١٦ ص١٥٣.

وقد ذكر هذه المناظرة آغا بزرك الطهراني في الذريعة ج٢٣ ص١٧٦ ـ ١٧٧ باسم: منهاج المناهج تحت رقم: ٨٥٤٧، وقال عنها رحمه الله تعالى: منهاج المناهج في تحقيق المذاهب الاربعة واثبات الإمامة على اسلوب اصحابنا، ليوحنا بن اسرائيل المصري المستبصر، وكان عند شيخنا النوري هذه النسخة بخط جده الميرزا علي محمد النوري، وهو المعروف بـ (رسالة يوحناي اسرائيلي) أو (كتاب يوحنا) أو (إمامت) أو (رسالة كلامي) ولم أدر الى من انتقلت النسخة بعد شيخنا وبما ان وفاة والده كانت في سنة ١٢٦٤، فيكون تاريخ خط جده حدود سنة ١٢٠٠، وذُكر في ص٨٩٠ و ٩٥٠ و ٩٩٧ من (فهرست نسخههاي خطي فارسي) ١٢ نسخة منها، أقدمها كتابة في مكتبة اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ (٧٧٠ بالنجف) ضمن المجموعة المؤرخة (١٧ رجب ١٠٧٨) وأُخرى في (الملك ٢ / ٥٢١٦) كتبت بقلم النستعليق في سنة ١٠٨٩، ونسخة منه مع الترجمة الانجليزية، توجد في المتحف البريطاني (or ١١٩٣) كتبت في القرن الثالث عشر.

(٢) بما أن هذه المناظرة ترتبط ببعض هذه المقدّمات التي ذكرها صاحبها لذا نذكرها بمقدّماتها.

آذان لا يسمعون بها، يخبطون خبط عشواء فهم لا يبصرون ؛ ويتعسّفون مهامة الضلالة فهم في ريبهم يتردّدون ؛ فبعضهم دينه صابئي، وغيرهم مجوسي، وهذا يهودي، وهذا نصراني، وآخر محمدي، وبعض عبدوا الكواكب، وبعض عبدوا الشمس، وطائفة عبدوا النار، وقوم عبدوا العجل، وكلّ فرقة من هؤلاء صاروا فرقاً لا تحصى.

فلمّا رأيت تشعّب القول، وشاهدت تناقض النقول، طابقت المعقول بالمنقول، وميّزت الصحيح من المعلول، وأقمت الدليل على وجوب اتّباع ملّة الإسلام، والاقتداء بها إلى يوم الحساب والقيام، فأظهرت كلمة الشهادة، وألزمت نفسي بما فيه من العبادة، وجمعت الكتب الإسلامية من التفاسير والأحاديث والأُصول والفروع من جميع الفرق المختلفة، وجعلت أُطالعها ليلاً ونهاراً وأتفكّر في المناقضات التي وقعت في دين الإسلام.

فقال بعضهم: إنّ صفات الله تعالى عين ذاته، وبعض قال: لا عين ذاته ولا زائدة، وبعض قال: إنّ الله عزّ وجلّ أراد الشرّ وخلقه، وبعض نزّهه عن ذلك، وبعض جوّز على الأنبياء الصغائر، وبعض جوّز الكبائر، وبعض جوّز الكفر[1]، وبعض أوجب عصمتهم، وبعض أوجب النصّ بالإمامة[2]، وبعض أنكره، وبعض قال: بإمامة أبي بكر وأنّه أفضل، وبعض كفّره، وبعض قال: بإمامة علي، وبعض قال: بإلهيّته، وبعض ساق الإمامة في أولاد الحسن، وبعض ساقها في أولاد الحسين، وبعض وقف على

---

(١) تقدمت تخريجاته في ما سبق.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٣١.

موسى الكاظم[١]، وبعضهم قال: باثنى عشر إماماً، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تحصى.

وكلّ هذه الاختلافات إنّما نشأت من استبدادهم بالرأي في مقابلة النصّ، واختيارهم الهوى في معارضة النفس وتحكيم العقل على من لا يحكم عليه العقل وكان الأصل فيما اختلف فيه جميع الأمم السالفة واللاحقة من الأُصول شبهة إبليس، وكان الأصل في جميع ما اختلف فيه المسلمون من الفروع مخالفة وقعت من عمر بن الخطّاب لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ واستبداده برأي منه في مقابلة الأمر النبويّ، فصارت تلك الشبهة والمخالفة مبدأ كلّ بدعة، ومنبع كلّ ضلالة.

أمّا شبهة إبليس فتشعّبت منها سبع شبه، فصارت في الخلائق، وفتنت العقلاء، وتلك الشبهات السبع مسطورة في شرح الأناجيل، مذكورة في التوارة، متفرّقة على شكل مناظرة بين إبليس وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه.

فقال إبليس للملائكة: إنّي سلّمت أنّ الباري تعالى إلهي وإله الخلق، عالم قادر، ولا يسأل عن قدرته ومشيئته، وإنّه مهما أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وهو حكيم إلّا أنّه يتوجّه على مساق حكمته أسئلة.

قالت الملائكة: وما هي؟ وكم هي؟

قال إبليس: سبع.

الأوّل: أنّه قد علم قبل خلقي أيّ شيء يصدر عنّي، ويحصل منّي، فلم خلقني أوّلاً؟ وما الحكمة في خلقه إيّاي؟

---

(١) انظر: فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٠.

الثاني : إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلّفني بطاعته وأماط الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعته، ولا يتضرّر بمعصيته ؟

الثالث : إذ خلقني وكلّفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة، فعرفت وأطعت، فلم كلّفني بطاعة آدم والسجود له ؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في طاعتي ومعرفتي ؟

الرابع : إذ خلقني وكلّفني بهذا التكليف على الخصوص فإذ لم أسجد لعنني وأخرجني من الجنّة، ما الحكمة في ذلك بعد إذ لم أرتكب قبيحاً إلّا قولي لا أسجد إلّا لك ؟

الخامس : إذ خلقني وكلّفني مطلقاً وخصوصاً، فلمّا لم أطع في السجود فلعنني وطردني، فلم طرقني إلى آدم حتى دخلت الجنّة وغررته بوسوستي، فأكل من الشجرة المنهيّ عنها ؟ ولم أخرجه معي ؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنّة امتنع استخراجي لآدم وبقي في الجنّة ؟

السادس : إذ خلقني وكلّفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثمّ طرقني إلى الجنّة وكانت الخصومة بيني وبين آدم، فلم سلّطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يروني، وتؤثّر فيهم وسوستي، ولا يؤثّر فيَّ حولهم ولا قوّتهم ولا استطاعتهم ؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلّاهم على الفطرة دون من يغتالهم عنها فيعيشون طاهرين سالمين مطيعين كان أليق وأحرى بالحكمة ؟

السابع : سلّمت لهذا كلّه خلقني وكلّفني مطلقاً ومقيّداً وإذ لم أطع طردني ولعنني وإذا أردت دخول الجنّة مكّنني وطرقني وإذ عملت عملي أخرجني ثمّ سلّطني على بني آدم، فلم إذ استمهلته أمهلني، فقلت : ﴿

فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾(١) ؟ وما الحكمة في ذلك بعد إذ لو أهلكني في الحال استراح الخلق منّي ، وما بقي شرٌّ في العالم ، أليس ببقاء العالم على نظام الخير خير من امتزاجه بالشرّ ؟

قال : فهذه الحجّة حجّتي على ما ادّعيته من كلّ مسألة .

قال شارح الإنجيل : فأوحى الله تعالى إلى الملائكة قولوا له : أما تسليمك الأُولى أنّي إلهك وإله الخلق فإنّك غير صادق فيه ولا مخلص ، إذ لو صدقت أنّي إله العالمين لما احتكمت عليَّ بلم وأنا الله الذي لا إله إلاّ هو لا أُسأل عمّا أفعل والخلق يسألون .

قال يوحنّا : وهذا الذي ذكرته من التوراة في الإنجيل مسطور على الوجه الذي ذكرته(٢) .

وأمّا المخالفة التي وقعت من عمر بن الخطّاب : أنّه لمّا مرض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مرضه الذي توفّي فيه دخل عليه جماعة من الصحابة ، وفيهم : عمر بن الخطّاب ، وعرف رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ رحلته من الدنيا واختلاف أُمّته بعده ، وضلال كثير منهم ، فقال للحاضرين : « ائتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتاباً لن تضّلوا بعدي .

قال عمر بن الخطّاب : إنّ النبي قد غلب عليه الوجع ، وإنّ الرجل ليهجر ، وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله(٣) .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٣٧ و ٣٨ .

(٢) أورد هذه المناظرة الشهرستاني في الملل والنحل : ج ١ ص ٢٤ ، الآلوسي في تفسير روح المعاني ج ٨ ص ٩٢ .

(٣) تقدمت تخريجاته .

فلو أنّ عمر لم يحل بينه وبين الكتاب لكتب الكتاب ، ولو كتبه لارتفع الضلال عن الأُمّة ، لكن عمر منعه من الكتابة ، فكان هو السبب في وقوع الضلال ، وأنا والله لا أقول هذا تعصّباً للرافضة ولكنّي أقول ما وجدته في كتب أهل السنّة الصحيحة ، وهو مصرّح في صحيح مسلم الذي يعتمدون عليه .

ومن الخلاف الذي جرى بين عمر وبعض الصحابة : أنّه لمّا مرض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مرضه الذي توفّي فيه جهّز جيشاً إلى الروم إلى موضع يقال له: مؤتة ، وبعث فيه وجوه الصحابة مثل أبي بكر وعمر وغيرهما ، فأمّر عليهم أُسامة بن زيد فوّلاه وبرزوا عن المدينة ، فلّما ثقل المرض برسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ تثاقل الصحابة عن السير وتسلّلوا ، وبقي أبو بكر وعمر يجيئان ويتجسّسان أحوال صحّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ومرضه ليلاً ويذهبان إلى المعسكر نهاراً ، ورسول الله يصيح بهم : « جهّزوا جيش أُسامة ، لعن الله المتخلّف عنه » حتى قالها ثلاثاً .

فقال قوم : يجب علينا امتثال أمره ، وقال قوم : لا تسع قلوبنا المفارقة(١) .

ولا يخفى على العاقل قصد النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في بعث أبي

---

(١) ورد الحديث بألفاظ متفاوتة ، انظر :

طبقات ابن سعد : ج ٢ ص ١ ح ٣٧ وج ٢ ص ٢ ح ٤١ وج ٤ ص ١ ح ٤٧ ، فتح الباري للعسقلاني : ج ٧ ص ٨٧ وج ٨ ص ١٥٢ ، كنز العمّال : ج ١٠ ص ٥٧٢ ح ٣٠٢٦٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ج ١ ص ١١٧ و ١٢٢ ، دلائل الصدق : ج ٣ ص ٤ و ٥ ، الملل والنحل : ج ١ ص ٢٩ ، شرح نهج البلاغة : ج ٦ ص ٥٢ ، أصول الأخيار : ص ٦٨ .

وأخرجه في البحار : ج ٢٢ ص ٤٦٦ عن إرشاد المفيد : ص ٩٨ وإعلام الورى : ص ١٤٠ .

بكر وعمر تحت ولاية أُسامة في مرضه وحثّهم على المسير، ولا يخفى أيضاً مخالفتهم ورجوعهم من غير إذنه لما كان ذلك، ولا يخفى لعن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ المتخلّف عن جيش أُسامة فلماذا كان؟ **﴿ فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾**(١).

ومن الخلاف: أنّه لما مات النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال عمر: «والله ما مات محمد، ولن يموت، ومن قال إنّ محمداً مات قتلته بسيفي هذا، وإنّما رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم»، فلمّا تلا عليه أبو بكر: **﴿إنّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾**(٢) رجع عمر وقال: كأنّي لم أسمع بهذه حتى قرأها أبو بكر(٣).

ومن الخلاف الواقع في الإمامة: أنّه ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سلّ على الإمامة، وهو أنّه لما مات النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ اشتغل علي ـ عليه السلام ـ بتجهيزه ودفنه وملازمته ذلك ومضى أبو بكر وعمر إلى سقيفة بني ساعدة، فمدّ عمر يده فبايع أبا بكر وبايعه الناس، وتخلّف علي ـ عليه السلام ـ عن البيعة وعمّه العبّاس والزبير وبنو هاشم وسعد بن عبادة الأنصاري، ووقع الخلاف الذي سفك فيه الدماء، ولو ترك عمر بن الخطّاب الاستعجال وصبر حتى يجتمع أهل الحلّ والعقد ويبايعوا الأوّل لكان أولى ولم يحصل الخلاف لمن بعدهم في

---

(١) سورة الحج: الآية: ٤٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٣) روى نحوه البخاري في صحيحه: ج ٥ ص ٨، وابن الاثير في جامع الاصول: ج ٤ ص ٤٧٠ ح ٢٠٧٥، وانظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج ٧ ص ٢١، تاريخ ابن الاثير: ج ٢ ص ٣٢٣، الملل والنحل: ج ١ ص ٢٩، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٧٨.

الاستخلاف[١].

ومن الخلاف: أنّه لما مات النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وفي يد فاطمة ـ عليها السلام ـ فدك متصرّفة فيها من عند أبيها[٢] فرفع أبو بكر يدها عنها وعزل وكلاءها، فأتت إلى أبي بكر وطلبت ميراثها من أبيها، فمنعها واحتجّ بأنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: ما تركناه يكون صدقة[٣]، واحتجّت فاطمة فلم يجبها، فولّت غضبانة عليه[٤]، وهجرته فلم تكلّمه

---

(١) انظر: ابن الأثير في الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٥، الشهرستاني في الملل والنحل: ج ١ ص ٣٠.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) روي هذا الحديث في: طبقات ابن سعد: ج ٨ ص ٢٨، وصحيح البخاري: ج ٤، ص ٩٦ ـ ٩٨ وج ٥، ص ٢٥ وص ١١٤ ـ ١١٥ وص ١٧٧ وج ٧، ص ٨٢ وج ٨، ص ١٨٥ وج ٩، ص ١٢٢ بألفاظ متفاوتة، وصحيح مسلم: ج ٣، ص ١٣٨٠، ح ١٧٥٩ وانظر: الملل والنحل: ج ١، ص ٣١.

(٤) وممن روى ذلك ابن قتيبة في الأمامة والسياسة ج ١ ص ١٩ تحت عنوان «كيف كانت بيعة علي ـ عليه السلام ـ».

وفيه أنّها ـ عليها السلام ـ قالت لأبي بكر وعمر: «إنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيتُ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لأشكونّكما إليه». وفيه أيضاً: «والله، لأدعونّ عليك في كلّ صلاةٍ أُصلّيها».

ومما لا يخفى على كل مسلم منصف بالنظر الى هذه الأخبار وغيرها أن الزهراء ـ عليها السلام ـ ماتت وهي غضبى عليهم ومن اللازم أن يغضب لها كل مسلم لغضب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً فإذا كان كذلك فبالأحرى أن يغضب لها أولادها وشيعتها ومحبوها.

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ٦ ص ٤٩: قال أبو بكر (بسنده) عن داود: قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: أجيبك بما أجاب به جدي عبد الله بن الحسن، فإنه سئل عنهما، فقال: كانت أمنا صِدّيقة ابنة نبيّ مرسل، وماتت وهي غضبى على قوم، فنحن غضاب لغضبها.

قلت: قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيّين من أهل الحجاز، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلويّ، قال: أنشدني هذا الشاعر لنفسه ـ وذهب ←

حتى ماتت[١]، وفي أثناء المحاجّة أذعن أبو بكر لقولها، فكتب لها بفدك كتاباً، فلمّا رآه عمر مزّق الكتاب[٢] وكان هذا هو السبب الأعظم في الاعتراض على الصحابة والتشنيع عليهم بإيذاء فاطمة ـ عليها السلام ـ مع روايتهم أنّ من آذاها فقد آذى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ[٣]، وفي الحقيقة ما كان لائقاً من الصحابة أن يعطي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ابنته ممّا أفاء الله عليه فينزعه أبو بكر وعمر منها مع علمهم أنّها كانت تطحن الشعير بيدها، وإنّما كانت تريد بالذي ادّعته من فدك صرفه للحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ فيحرمونها ذلك ويتركونها محتاجة كئيبة حزينة، وعثمان بن عفّان يعطي مروان بن الحكم[٤] طريد رسول الله

← عني أنا اسمه ـ قال:

ياأباالحفص الهوينى وماكنت	مليّاً بذاك لولا الحمامُ
أتموتُ البتول غَضْبَى ونَرضى	ما كذا يصنع البنون الكرامُ

(١) وممن روى ذلك البخاري في صحيحه ج ٥ ص ١٧٧، كتاب المغازي باب في غزوة خيبر، بإسناده إلى عائشة قالت: إن فاطمة ـ عليها السلام ـ بنت النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ارسلت إلى أبي بكر تسألُهُ ميراثها من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ومابقى من خُمس خيبر، فقال ابو بكر: إن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإنّي والله لا اغير شيئاً من صدقة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولا عملن فيها بما عمل به رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها ... الحديث.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦ ص ٢٧٤.

(٣) انظر: صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٩٠٣ ح ٩٤، مسند أحمد ج ٤ ص ٣٣٢، سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٥٦، ح ٣٨٦٩، المصنّف لابن أبي شيبة ج ١٢ ص ١٢٦، ح ١٢٣١٩، حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠.

(٤) تقدمت تخريجاته.

ـ صلّى الله عليه وآله ـ مائتي مثقال من الذهب من بيت مال المسلمين ولا ينكرون عليه ولا على أبي بكر، ولو أنّ عمر لم يمزّق الكتاب أو انّه ساعد فاطمة في دعواها، لكان لهم أحمد عاقبة ولم تبلغ الشنيعة ما بلغت.

قال يوحنّا: ومن الخلاف الذي وقع وكان سببه عمر: الشورى(١)، فإنّه جعلها في ستّة وقال: إذا افترقوا فريقين فالذي فيهم عبد الرحمن بن عوف فهم على الحقّ، وعبد الرحمن لا يترك جانب عثمان كما هو معلوم حتى قال علي ـ عليه السلام ـ للعبّاس: يا عمّ عدل بها عنّي فياليته تركها هملاً كما يزعم أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ تركها، أو كان ينصّ بها كما نصّ أبو بكر فخالف الأمرين حتى أفضت الخلافة إلى عثمان، فطرد من آواه(٢) رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وآوى من طرده(٣) رسول الله ـ

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٧ ـ ٢٤١، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٤٤ ـ ١٤٦، وقد تقدمت تخريجاته بالاضافة الى ماهنا.

(٢) وهو ابوذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ من شيعة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، وسبب نفيه هو إنكاره على عثمان هباته الأموال لاقربائه وقصة نفيه الى الربذة مشهورة، راجع: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٣ ص٥٢ و ج ٨ ص ٢٥٢ ـ ٢٦٢، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٥٢ ـ ٥٤، الطبقات لابن سعد ج ٤ ص٢٣٢، مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٥٠، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص١٧٢، فتح الباري ج٣ ص ٢١٣، عمدة القاري ج ٤ ص ٢٩١، مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٩٧، الغدير للأميني ج٨ ص٢٩٢ ـ ٣٨٦.

(٣) وهو: الحكم بن العاص الأموي، وقد رويت أحاديث كثيرة في لعنه وذريته فمنها ما روى عن عمرو بن مرّة، قال: استأذن الحكم على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فعرف صوته فقال: ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمنين وقليل ما هم، ذو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.

راجع: مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨١ وصححه، والواقدي كما في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٧، البلاذري في أنساب الاشراف ج ٥ ص ١٢٦.

وكان الحكم يحكي مشية رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وحركاته فنفاه وطرده، فلما ولي

←

صلّى الله عليه وآله ـ وأحدث أُموراً قتل بها وفتح بها باب القتال إلى يوم القيامة، وأفضت الخلافة إلى معاوية الذي ألّب عائشة وطلحة والزبير على حرب علي ـ عليه السلام ـ حتى قُتل يوم الجمل ستّون ألفاً، ثمّ حارب عليّاً ـ عليه السلام ـ ثمانية عشر شهراً وقتل في حربه مائة وخمسون ألفاً، وأفضت الخلافة إلى ولده يزيد فقتل الحسين ـ عليه السلام ـ بتلك الشناعة، وحاصر عبد الله بن الزبير في مكّة فلجأ إلى الكعبة فنصب بمكّة المنجنيق، وهدم الكعبة، ونهب المدينة، وأباحها لعسكره ثلاثة أيّام[(١)].

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه قال: «المدينة حرم ما بين عاير إلى وعير، من أحدث فيه حدثاً فعليه لعنة الله»[(٢)]، فما ظنّك بمن يقتل أولاده، ويرفع رؤوسهم على الرماح، ويطوف بها في البلاد جهراً، وأفضى الأمر الى أنّهم أمروا بسبّ عليّ على المنابر ألف شهر، وطلبوا العلوّيين فقتلوهم وشرّدوهم[(٣)]، وأفضى الأمر إلى الوليد بن عبد الملك الذي تفأّل يوماً بالمصحف فظهر له قوله تعالى: ﴿ **واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد** ﴾[(٤)] فنصب المصحف

← عثمان أعاده وأعطاه مائة ألف درهم وأقطع ولده مروان فدك وقد كانت فاطمة ـ عليها السلام ـ طلبتها بعد وفاة أبيها تارة بالميراث، وتارة بالنحلة فدفعت عنها.

راجع: الملل والنحل ج ١ ص ١٩، مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٤٠، أسد الغابة ج ٢ ص ٣٣، شرح النهج ج ١ ص ١٩٨، فتح الباري ج ١٣ ص ٩، سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ١٠٧، شيخ المضيره أبو هريرة ص ١٦٨، الغدير ج ٨ ص ٢٤١ ـ ٢٦٧.

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٥ ـ ٢٦، صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٩٤ ح ٤٦٧ وص ٩٩٩ ح ٤٦٩ وص ١١٤٧ ح ١٣٧٠.

(٣) انظر: صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧١ ح ٣٢، سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٩٦ ح ٣٧٢٤.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٥.

يوماً فرماه بالنشاب وأنشد شعراً:

تهددني بجبّار عنيد فها أنا ذاك جبّار عنيد

إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ مزّقني الوليد[١]

فإذا نظر العاقل إلى هذه المفاسد كلّها لرأى أنّ أصلها منع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عن كتابة الكتاب، وجعل الخلافة باختيار الناس من غير نصّ ممّن له النصّ فكلّ السبب من عمر بن الخطّاب.

ولا يظنّ أحد أنّي أقول هذا بغضاً لعمر لا والله وإنّما هو مسطور في كتبهم والحال كذلك فما يسعني أن أنكر شيئاً ممّا وقع ومضى.

قال يوحنّا: فلمّا رأيت هذه الاختلافات من كبار الصحابة الذين يُذكرون مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ فوق المنابر عظم عليَّ الأمر وغمَّ عليَّ الحال وكدت أفتتن في ديني، فقصدت بغداد وهي قُبَّةُ الإسلام لأُفاوض فيما رأيت من اختلاف علماء المسلمين لأنظر الحقّ وأتّبعه، فلمّا اجتمعت بعلماء المذاهب الأربعة، قلت لهم: إنّي رجل ذمّي، وقد هداني الله إلى الإسلام فأسلمت وقد أتيت إليكم لأنقل عنكم معالم الدين، وشرائع الإسلام، والحديث، لأزداد بصيرة في ديني.

فقال كبيرهم وكان حنفيّاً: يا يوحنّا، مذاهب الإسلام أربعة فاختر واحداً منهما، ثمّ اشرع في قراءة ما تريد.

فقلت له: إنّي رأيت تخالفاً وعلمت أنّ الحقّ منها واحدٌ فاختاروا لي ما تعلمون أنّه الحقّ الذي كان عليه نبيّكم.

قال الحنفي: إنّا لا نعلم يقيناً ما كان عليه نبيّنا بل نعلم أنّ طريقته

---

(١) شذرات الذهب ج ١ ص ١٦٨ ـ ١٦٩، البدء والتاريخ للمقدسي ج ٦ ص ٥٣، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٢٠، تاريخ ابن الاثير ج ٥ ص ١٣٧، الحور العين لابن نشوان ص ١٩٠، وغيرها.

ليست خارجة من الفرق الإسلاميّة وكلّ من أربعتنا يقول إنّه محقّ، لكن يمكن أن يكون مبطلاً، ويقول: إنّ غيره مبطل لكن يمكن أن يكون محقّاً، وبالجملة إنّ مذهب أبي حنيفة أنسب المذاهب، وأطبقها للسنّة، وأوفقها بالعقل، وأرفعها عند الناس، إنّ مذهبه مختار أكثر الأُمّة بل مختار سلاطينها، فعليك به تنجى.

قال يوحنّا: فصاح به إمام الشافعيّة وأظنّ أنّه كان بين الشافعي والحنفي منازعات.

فقال له: اسكت لا نطقت، والله لقد كذبت وتقوّلت، ومن أين أنت والتمييز بين المذاهب، وترجيح المجتهدين؟ ويلك ثكلتك أُمّك وأين لك وقوفاً على ما قاله أبو حنيفة، وما قاسه برأيه، فإنّه المسمّى بصاحب الرأي يجتهد في مقالة النصّ، ويستحسن في دين الله ويعمل به حتى أوقعه رأيه الواهي في أن قال: لو عقد رجل في بلاد الهند على امرأة كانت في الروم عقداً شرعيّاً، ثمّ أتاها بعد سنين فوجدها حاملة وبين يديها صبيان يمشون ويقول لها: ما هؤلاء؟ وتقول له: أولادك فيرافعها في ذلك إلى القاضي الحنفي فيحكم أنّ الأولاد من صلبه، ويلحقونه ظاهراً وباطناً، يرثهم ويرثونه، فيقول ذلك الرجل: وكيف هذا ولم أقربها قطّ؟ فيقول القاضي: يحتمل أنّك أجنبت أو أن تكون أمنيت فطار منيك في قطعة فوقعت في فرج هذه المرأة(١)، هل هذا يا حنفي مطابق للكتاب والسنّة؟

قال الحنفي: نعم إنّما يلحق به لأنّها فراشه والفراش يلحق ويلتحق بالعقد ولا يشترط فيه الوطي، وقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «الولد

---

(١) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤ ص ١٤ ـ ١٥.

للفراش وللعاهر الحجر »[١] فمنع الشافعي أن يصير فراشاً بدون الوطي، وغلب الشافعي الحنفي بالحجّة.

ثمّ قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: لو أنّ امرأة زُفّت إلى زوجها فعشقها رجل فادّعى عند قاضي الحنفيّة أنّه عقد عليها قبل الرجل الذي زُفّت إليه، وأرشى المدّعي فاسقين حتى شهدا له كذباً بدعواه، فحكم القاضي له تحرم على زوجها الأوّل ظاهراً وباطناً وثبتت زوجيّة تلك المرأة للثاني وأنّها تحلّ عليه ظاهراً وباطناً، وتحلّ منها على الشهود الذين تعمّدوا الكذب في الشهادة[٢]! فانظروا أيّها الناس هل هذا مذهب من عرف قواعد الإسلام؟

قال الحنفي: لا اعتراض لك عندنا إنّ حكم القاضي ينفذ ظاهراً وباطناً وهذا متفرّع عليه فخصمه الشافعي ومنع أن ينفذ حكم القاضي ظاهراً وباطناً بقوله تعالى: ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله** ﴾[٣] ولم ينزل الله ذلك.

ثمّ قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: لو أنّ امرأة غاب عنها زوجها فانقطع خبره، فجاء رجل فقال لها: إنّ زوجك قد مات فاعتدي، فاعتدت، ثمّ بعد العدّة عقد عليها آخر ودخل عليها، وجاءت منه بالأولاد، ثمّ غاب الرجل الثاني وظهر حياة الرجل الأوّل وحضر عندها فإنّ جميع أولاد الرجل الثاني أولاد للرجل الأوّل يرثهم ويرثونه[٤].

---

(١) تقدمت تخريجاته.
(٢) أنظر: الأمّ للشافعي ج ٥ ص ٢٢ ـ ٢٥.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٩.
(٤) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ١١٩.

فيا أُولي العقول، فهل يذهب إلى هذا القول من له دراية وفطنة؟

فقال الحنفي: إنّما أخذ أبو حنيفة هذا من قول النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فاحتجّ عليه الشافعي بكون الفراش مشروطاً بالدخول، فغلبه.

ثمّ قال الشافعي: وإمامك أبو حنيفة قال: أيّما رجل رأى امرأة مسلمة فادّعى عند القاضي بأنّ زوجها طلّقها، وجاء بشاهدين، شهدا له كذباً، فحكم القاضي بطلاقها، حرمت على زوجها، وجاز للمدّعي نكاحها، وللشهود أيضاً[1]، وزعم أنّ حكم القاضي ينفذ ظاهراً وباطناً.

ثمّ قال الشافعي: وقال إمامك أبو حنيفة: إذا شهد أربعة رجال على رجل بالزنا، فإن صدقهم سقط عنه الحدّ، وإن كذبهم لزمه، وثبت الحدّ[2] فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

ثمّ قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: لو لاط رجل بصبي وأوقبه فلا حدّ عليه بل يعزّر[3].

وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ «من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول»[4].

وقال أبو حنيفة: لو غصب أحد حنطة فطحنها ملكها بطحنها، فلو أراد أن يأخذ صاحب الحنطة طحينها ويعطي الغاصب الأُجرة لم يجب

---

(١) ومثله أيضاً، كما في ج ١٣ من تاريخ بغداد ص ٣٧٠، قال الحارث بن عمير: وسمعته يقول (يعنى أبا حنيفة): لو أنّ شاهدين شهدا عند قاض، أنّ فلان بن فلان طلق امرأته، وعلما جميعاً أنّهما شهدا بالزور ففرق القاضي بينهما، ثم لقيها أحد الشاهدين فله أن يتزوج بها.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ١٢٩.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ١٤١.

(٤) المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٥٥، كنز العمال ج ٥ ص ٣٤٠ ح ١٣١٢٩.

على الغاصب إجابته وله منعه، فإن قتل صاحب الحنطة كان دمه هدراً، ولو قَتَل الغاصب قُتل صاحب الحنطة به(١).

وقال أبو حنيفة: لو سرق سارق ألف دينار وسرق آخر ألفاً آخر من آخر ومزجها ملك الجميع ولزمه البدل.

وقال أبو حنيفة: لو قتل المسلم والتقي العالم كافراً جاهلاً قُتل المسلم به والله يقول: ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً** ﴾(٢).

وقال أبو حنيفة: لو اشترى أحد أمّه أو أخته ونكحهما لم يكن عليه حدّ وإن علم وتعمّد(٣).

قال أبو حنيفة: لو عقد أحد على أمّه أو أخته عالماً بها أنّها أمّه أو أخته ودخل بها لم يكن عليه حدّ لأنّ العقد شبهة(٤).

وقال أبو حنيفة: لو نام جنب على طرف حوض من نبيذ فانقلب في نومه، ووقع في الحوض ارتفعت جنابته وطهر.

وقال أبو حنيفة: لا تجب النيّة في الوضوء(٥)، ولا في الغسل(٦)، وفي الصحيح: «إنّما الأعمال بالنيّات»(٧).

---

(١) الفتاوى الخيريّة ج ٢ ص ١٥٠.
(٢) سورة النساء: الآية ١٤١.
(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ١٢٣.
(٤) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ١٢٤.
(٥) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٦٣.
(٦) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ١١٧.
(٧) مسند أحمد ج ١ ص ٢٥، حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٤٢، السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٤١.

وقال أبو حنيفة : لا تجب البسملة في الفاتحة(١) وأخرجها منها مع أنّ الخلفاء كتبوها في المصاحف بعد تحرير القرآن .

وقال أبو حنيفة : لو سلخ جلد الكلب الميّت ودُبغ طهر وإن له الشراب فيه ولبسه في الصلاة(٢) ، وهذا مخالف للنصّ بتنجيس العين المقتضي لتحريم الانتفاع به .

ثم قال : يا حنفي ، يجوز في مذهبك للمسلم إذا أراد الصلاة أن يتوضّأ بنبيذ ، ويبدأ بغسل رجليه ، ويختم بيديه(٣) ، ويلبس جلد كلب ميّت مدبوغ(٤) ، ويسجد على عذرة يابسة ، ويكبّر بالهنديّة ، ويقرأ فاتحة الكتاب بالعبرانيّة(٥) ، ويقول بعد الفاتحة : دو برگ سبز ـ يعني مدهامّتان ـ ثمّ يركع ولا يرفع رأسه ، ثمّ يسجد ويفصل بين السجدتين بمثل حدّ السيف وقبل السلام يتعمّد خروج الريح ، فإنّ صلاته صحيحة ، وإن أخرج الريح ناسياً بطلت صلاته(٦) .

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٢٤٢ .

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٢٦ .

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٦٨ ، الفقه على المذاهب الخمسة ص ٣٧ .

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة : ج ١ ص ٢٦ .

(٥) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٢٣٠ .

(٦)الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٣٠٧ .

ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٢ ، ص ٨٦ في ترجمة محمد بن سبكتكين عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه الذي سماه : « مغيث الخلق في اختيار الأحق » قال : إنّ السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة وكان مولعاً بعلم الحديث ، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الأحاديث فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي فوقع في خلده حكمه ، فجمع العلماء من الفريقين في مرو ، والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على أن يصلوا ←

ثمّ قال: نعم يجوز هذا، فاعتبروا يا أُولي الأبصار، هل يجوز التعبّد بمثل هذه العبادة؟ أم يجوز لنبيّ أن يأمر أُمّته بمثل هذه العبادة افتراء على الله ورسوله؟!

فأفحم الحنفي وامتلأ غيظاً وقال: يا شافعي اقصر فض الله فاك، وأين أنت عن الأخذ على أبي حنيفة وأين مذهبك من مذهبه؟ فإنّما مذهبك بمذهب المجوس أليق لأنّ في مذهبك يجوز للرجل أن ينكح ابنته من الزنا وأُخته، ويجوز أن يجمع بين الأُختين من الزنا، ويجوز أن ينكح أُمّه من الزنا، وكذا عمّته وخالته من الزنا[1]، والله يقول: **﴿حرّمت عليكم أُمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم﴾**[2] وهذه صفات حقيقية لا تتغيّر بتغيّر الشرائع والأديان، ولا تظنّ يا شافعي ياأحمق أنّ منعهم من التوريث يخرجهم من هذه الصفات الذاتية الحقيقية ولذا تضاف إليه، فيقال: بنته وأُخته من الزنا، وليس هذا التقييد موجباً لمجازيته كما في قولنا أُخته من النسب بل لتفصيله، وإنّما التحريم شامل للّذي

← بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة ... فصلى القفال المروزي ... إلى أن قال: ثم صلّى ركعتين على ما يُجوّز أبو حنيفة فلبس جلد كلب مدبوغاً ثم لطّخ ربعه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوؤه منكساً منعكساً ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء، وكبر بالفارسية، ثم قرأ آية بالفارسية «دو برگ سبز» ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد، وضرط في آخره من غير نية السلام، وقال: أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السلطان: ولو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة.

(١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ١٣٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٣.

يصدق عليه الألفاظ حقيقة ومجازاً اجتماعاً ، فإنّ الجدّة داخلة تحت الأُمّ إجماعاً ، وكذا بنت البنت ، ولا خلاف في تحريمها بهذه الآية ، فانظروا يا أُولي الألباب هل هذا إلّا مذهب المجوس ، يا خارجي .

وأما يا شافعي ، إمامك أباح للناس لعب الشطرنج[1] مع أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : « لا يحبّ الشطرنج إلاّ عابد وثن » .

---

(١) أنظر : الأمّ للشافعي ج ٦ ص ٢٠٨ ، الفقه الإسلامي وأدلّته ج ٥ ص ٥٦٦ ، وقد ذُكر في (مختصر العلم والعمل) لابن عبد البر بهامش (مبيد النقم ومعيد النعم) للتاج السبيكي الشافعي الأبيات التالية : في اختلاف أئمة المذاهب الاربعة وهي :

الشافعي من الأئمة قائل ... اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال وهو مصدق ... في كل ما يروي من الأحكام
شرب المثلث والمربع جائز ... فاشرب على منَ من الآثام
والحبر أحمد حلّ جلد عميرة ... وبذاك يُستغنى عن الأرحام
وأباح مالك الفقاع تكرماً ... في بطن جارية وظهر غلام
فاشرب ولط وازنِ وقامرواحتج ... في كلّ مسألة بقول إمام

عن كتاب من فقه الجنس للدكتور الشيخ أحمد الوائلي ص ٢١٢ .

وقال الزمخشري أيضاً في هذا المعنى :

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... واكتمه كتمانه لي أسلم
فإن حنفياً قلت قالوا بأنني ... أبيح الطّلا وهو الشراب المحرّم
وإن مالكياً قلت قالوا بأنني ... أبيح لهم لحم الكلاب وهم هم
وإن شافعياً قلت قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنبلياً قلت قالوا بأنني ... ثقيل حلولي بغيض مجسم
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ... يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من ألسن الناس يسلم
وأخرني دهري وقدّم معشراً ... على أنهم لا يعلمون وأعلم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني ... أناالميم والأيام أفلح أعلم

الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٣١٠ (في ترجمة المؤلف) .

وأما يا شافعي، إمامك أباح للناس الرقصّ والدف والقصب[١]، فقبّح الله مذهباً ينكح فيه الرجل أُمّه وأُخته ويلعب بالشطرنج، ويرقص، ويدفّ، فهل هذا الظاهر الافتراء على الله ورسوله، وهل يلزم بهذا المذهب إلاّ أعمى القلب وأعمى عن الحقّ.

قال يوحنّا: وطال بينهما الجدال واحتمى الحنبلي للشافعي، واحتمى المالكي للحنفي، ووقع النزاع بين المالكي والحنبلي، وكان فيما وقع بينهم أنّ الحنبلي قال: إنّ مالكاً أبدع في الدين بدعاً أهلك الله عليها أُمماً وهو أباحها، وهو لواط الغلام، وأباح لواط المملوك وقد صحّ أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: «من لاط بغلام فاقتلوا الفاعل والمفعول»[٢].

وأنا رأيت مالكيّاً ادّعى عند القاضي على آخر أنّه باعه مملوكاً والمملوك لا يمكنّه من وطئه، فأثبت القاضي أنه عيب في المملوك ويجوز له ردّه، أفلا تستحي من الله يا مالكي يكون لك مذهب مثل هذا وأنت تقول مذهبي خير من مذهبك؟! وإمامك أباح لحم الكلاب فقبّح الله مذهبك واعتقادك.

فرجع المالكي عليه وصاح به: اسكت يا مجسّم يا حلولي، يا حولي، يا فاسق، بل مذهبك أولى بالقبح، وأحرى بالتعيير، إذ عند إمامك أحمد بن حنبل أنّ الله جسم يجلس على العرش، ويفضل عن العرش بأربع اصابع، وأنّه ينزل كلّ ليلة جمعة من سماء الدنيا على سطوح المساجد في صورة أمرد، قطط الشعر، له نعلان شراكهما من اللؤلؤ

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلّته ج ٧ ص ١٢٨.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ١٤٠.

الرطب، راكباً على حمار له ذوائب[١].

قال يوحنّا: فوقع بين الحنبلي والمالكي والشافعي والحنفي النزاع، فعلت أصواتهم وأظهروا قبائحهم ومعايبهم حتى ساء كلّ من حضر كلامهم الذي بدا منهم، وعاب العامّة عليهم.

فقلت لهم: على رسلكم، فو الله قسماً إنّي نفرت من اعتقاداتكم، فإن كان الإسلام هذا فياويلاه، واسوأتاه، لكنّي أُقسم عليكم بالله الذي لا إله إلاّ هو أن تقطعوا هذا البحث وتذهبوا فإنّ العوامّ قد أنكروا عليكم.

قال يوحنّا: فقاموا وتفرّقوا وسكتوا أُسبوعاً لا يخرجون من بيوتهم، فإذا خرجوا أنكر الناس عليهم، ثمّ بعد أيّام اصطلحوا واجتمعوا في المستنصرية فجلست غداً إليهم وفاوضتهم فكان فيما جرى أن قلت لهم: كنت أُريد عالماً من علماء الرافضة نناظره في مذهبه، فهل عليكم أن تأتونا بواحد منهم فنبحث معه؟

فقال العلماء: يا يوحنّا، الرافضة فرقة قليلة لا يستطيعون أن يتظاهروا بين المسلمين لقلّتهم، وكثرة مخالفيهم، ولا يتظاهرون فضلاً أن يستطيعوا المحاجّة عندنا على مذهبهم، فهم الأرذلون الأقلّون، ومخالفوهم الأكثرون، فهذا مدح لهم لأنّ الله سبحانه وتعالى مدح القليل، وذمّ الكثير بقوله: **﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾**[٢]، **﴿ وما آمن معه إلاّ قليل ﴾**[٣]، **﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلّوك عن سبيل الله ﴾**[٤]، **﴿**

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٢ ص ٥٠٩، وممن روى أنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) البخاري في التهجد بالليل، مسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ١٢٠ وص ٤٤٦، الترمذي ج ١ ص ١٤٣.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٣) سورة هود: الآية ٤٠.

ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[٥]، **﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾**[٦]، **﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾**[٧]، **﴿ولكن أكثرالناس لايؤمنون﴾**[٨] إلى غير ذلك من الآيات.

قالت العلماء : يا يوحنّا حالهم أعظم من أن يوصف لأنّهم لو علمنا بأحد منهم فلا نزال نتربّص به الدوائر حتى نقتله لأنّهم عندنا كفرة تحلّ علينا دماؤهم ، وفي علمائنا من يفتي بحلّ أموالهم ونسائهم .

قال يوحنّا : الله أكبر هذا أمر عظيم ، أتراهم بما استحقّوا هذا فهم ينكرون الشهادتين ؟

قالوا : لا .

قال : أفهم لا يتوجّهون إلى قبلة الاسلام ؟

قالوا : لا .

قال : إنّهم ينكرون الصلاة أم الصيام أم الحجّ أم الزكاة أم الجهاد ؟

قالوا : لا ، بل هم يصلّون ويصومون ويزكّون ويحجّون ويجاهدون .

قال : إنّهم ينكرون الحشر والنشر والصراط والميزان والشفاعة ؟

قالوا : لا ، بل مقرّون بذلك بأبلغ وجه .

قال : أفهم يبيحون الزنا واللواط وشرب الخمر والربا والمزامر وأنواع الملاهي ؟

---

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٦.

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٧.

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٤٣.

(٧) سورة الأنعام : الآية ٣٧.

(٨) سورة الرعد : الآية ١.

قالوا : بل يجتنبون عنها ويحرّمونها .

قال يوحنّا : فيالله والعجب قوم يشهدون الشهادتين ، ويصلّون إلى القبلة ، ويصومون شهر رمضان ، ويحجّون البيت الحرام ، ويقولون بالحشر والنشر وتفاصيل الحساب ، كيف تباح أموالهم ودماؤهم ونساؤهم ونبيّكم يقول : « أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم ونساءهم إلاّ بحقّ وحسابهم على الله »(١) .

قال العلماء : يا يوحنّا إنّهم أبدعوا في الدين بدعاً فمنها: أنّهم يدّعون أنّ عليّاً ـ عليه السلام ـ أفضل الناس بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ويفضّلونه على الخلفاء الثلاثة(٢) ، والصدر الأوّل أجمعوا على أنّ أفضل

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ، ص ٥١ ـ ٥٣ ، ح ٣٢ ـ ٣٦ ، سنن النسائي ج ٧ ص ٧٧ ـ ٧٩ ، سنن الترمذي ج ٥ ، ص ٥ و٦ ، ح ٢٦٠٦ و٢٦٠٧ ، مسند أحمد ج ١ ص ١١ ـ ١٩ ، المصنّف لعبد الرزّاق ج ٤ ص ٤٣ ـ ٤٤ ح ٦٩١٦ .

(٢) انظر : عقائد الإمامية الاثني عشرية للسيّد إبراهيم الزنجاني ج ١ ص ٨٠ ، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٢١ :

والقول بالتفضيل (أي تفضيل امير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ على جميع الصحابة) قول قديم قد قال به كثير من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمّار ، والمقداد ، وأبوذر ، وسلمان ، وجابر بن عبد الله ، وأبي بن كعب ، وحذيفة ، وبُريدة ، وأبو أيوّب ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التيّهان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافة وبنو المطلب كافة .

وكان من بني أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص ، ومنهم عمر بن عبد العزيز .

وقال في ص ٢٢٦ : فأما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير ، كأويس القرني ، وزيد بن صوحان ، وصعصعة أخيه ، وجندب ، وعبيدة السلماني ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر ، إلا لمن قال بتفضيله ، ولم تكن ←

الخلفاء كبير تيم[١] قال يوحنّا: أفترى إذا قال أحد: إنّ عليّاً يكون خيراً من أبي بكر وأفضل منه تكفّرونه؟

قالوا: نعم لأنّه خالف الإجماع.

قال يوحنّا: فما تقولون في محدّثكم الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه؟

قال العلماء: هو ثقة مقبول الرواية صحيح المثل.

قال يوحنّا: هذا كتابه المسمّى بكتاب المناقب روى فيه أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «علي خير البشر، ومن أبى فقد كفر»[٢].

وفي كتابه أيضاً يسأل حذيفة عن علي ـ عليه السلام ـ قال: «أنا خير هذه الأُمّة بعد نبيّها، ولا يشكّ في ذلك إلاّ منافق»[٣].

وفي كتابه أيضاً عن سلمان، عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه قال: «علي ابن أبي طالب خير من أُخلّفه بعدي»[٤].

وفي كتابه أيضاً عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: «أخي ووزيري وخير من أُخلّفه بعدي علي بن أبي

← مقالة الإمامية ومن نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذٍ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة، وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم ...

(١) الرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج ١ ص ١٣٦.

(٢) إحقاق الحقّ ج ٤ ص ٢٥٤، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٢١، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤١٩، وقد تقدمت بعض المصادر بالإضافة إلى ماهنا.

(٣) إحقاق الحقّ ج ٤ ص ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) إحقاق الحقّ ج ٤ ص ٥٤، مواقف الايجي ج ٣ ص ٢٧٦، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣، الغدير للأميني ج ٣ ص ٢٢.

طالب »[١].

وعن إمامكم أحمد بن حنبل روى في مسنده أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال لفاطمة : « أما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلماً »[٢].

وروي في مسند أحمد بن حنبل أيضاً أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : « اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك »[٣] فجاء علي بن أبي طالب في حديث الطائر ، وذكر هذا الحديث النسائي والترمذي في صحيحهما[٤] وهما من علمائكم .

وروى أخطب خوارزم في كتاب المناقب وهو من علمائكم عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : « يا علي أخصمك بالنبوّة ولا نبوّة بعدي ، وتخصم الناس بسبع فلا يحاجّك أحد من قريش :

---

(١) إحقاق الحقّ ج ٤ ص ٧٦ ، وفي هذا المعنى يقول الازري عليه الرحمة :

حسبك الله في مآثر شتى ... هي مثل الأعداد لا تتناهى
ليت عيناً بغير روضك ترعى ... قذيت واستمر فيها قذاها
أنت بعد النبي خير البرايا ... والسما خير ما بها قمراها
لك ذات كذاته حيث لولا ... أنها مثلها لما آخاها
قد تراضعتما بثدي وصال ... كان من جوهر التجلي غذاها

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٥ ، المعجم الكبير للطبراني ج ٢٠ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ح ٥٣٨ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ ، كنز العمّال ج ١١ ص ٦٠٥ ح ٣٢٩٢٤ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ٢٢٦ ح ٧٣٠ ، تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٦٩ ، كنز العمّال ج ١٣ ص ١٦٧ ح ٣٦٥٠٧ ، وقد أُفردت لهذا الحديث كتابٌ مستقلّة ، مثل : قصّة الطير للحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ هـ ، وقد تقدم بعض المصادر لهذا الحديث فراجع .

(٤) صحيح الترمذي : ج ٥ ص ٥٩٥ ح ٣٧٢١ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٦ ، المستدرك ج ٣ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ج ٣ ص ١٧٢١ ح ٦٠٨٥ ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٣٤ ح ١٢ .

أنت أوّلهم إيماناً بالله وأوفاهم بأمر الله وبعهده، وأقسمهم بالسوّية، وأعدلهم بالرعيّة، وأبصرهم بالقضيّة، وأعظمهم يوم القيامة عند الله عزّ وجلّ في المزيّة»[١].

وقال صاحب كفاية الطالب من علمائكم: هذا حديث حسن عال رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء[٢].

قال يوحنّا: فيا أئمّة الإسلام فهذه أحاديث صحاح روتها أئمّتكم وهي مصرّحة بأفضليّة علي وخيرته على جميع الناس، فما ذنب الرافضة؟ وإنّما الذنب لعلمائكم والذين يروون ما ليس بحقّ، ويفترون الكذب على الله ورسوله.

قالوا: يا يوحنّا، إنّهم لم يرووا غير الحقّ، ولم يفتروا بل الأحاديث لها تأويلات ومعارضات.

قال يوحنّا: فأيّ تأويل تقبل هذه الأحاديث بالتخصيص على البشر، فإنّه نصّ في أنّه خير من أبي بكر إلاّ أن تخرجوا أبا بكر من البشر. سلّمنا أنّ الأحاديث لا تدلّ ذلك فأخبروني أيّهم أكثر جهاداً؟

فقالوا: علي.

قال يوحنّا: قال الله تعالى: ﴿ **وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً** ﴾[٣] وهذا نصّ صريح.

قالوا: أبو بكر أيضاً مجاهد فلا يلزم تفضيله عليه.

قال يوحنّا: الجهاد الأقلّ إذا نسب إلى الجهاد الأكثر بالنسبة إليه

---

(١) مناقب الخوارزمي: ص ١١٠ ح ١١٨، فرائد السمطين ج ١ ص ٢٢٣ ح ١٧٤.

(٢) كفاية الطالب: ص ٢٧٠، حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ـ٦٦.

(٣) سورة النساء: الآية ٩٥.

قعود، وهب أنّه كذلك فما مرادكم بالأفضل ؟

قالوا: الذي تجتمع فيه الكمالات والفضائل الجبليّة والكسبية كشرف الأصل والعلم والزهد والشجاعة والكرم وما يتفرّع عليها.

قال يوحنّا: فهذه الفضائل كلّها لعلي ـ عليه السلام ـ بوجه هو أبلغ من حصولها لغيره.

قال يوحنّا: أمّا شرف الأصل فهو ابن عمّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وزوج ابنته، وأبو سبطيه.

وأمّا العلم فقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»(١) وقد تقرّر في العقل أن أحداً لا يستفيد من المدينة شيئاً إلاّ إذا أخذ من الباب، فانحصر طريق الاستفادة من النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ في علي ـ عليه السلام ـ، وهذه مرتبة عالية، وقال ـ صلّى الله عليه وآله ـ «أقضاكم عليّ»(٢) وإليه تُعزى كلّ قضيّة، وتنتهي كلّ فرقة، وتنحاد إليه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلّي حلبتها، كلّ من برع فيها فمنه أخذ، وبه اقتفى، وعلى مثاله احتذى، وقد عرفتم أنّ أشرف العلوم العلم الإلهي، ومن كلامه اقتبس، وعنه نقل، ومنه ابتدأ.

---

(١) راجع: ابن جرير الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار ص ١٠٥ ح ١٧٣، المستدرك ج ٣ ص ١٢٦، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤، المعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٦٥ ـ ٦٦ ح ١١٠٦١، تاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٤٨، كنز العمّال ج ١١ ص ٦١٤، ح ٣٢٩٧٧ و٣٢٩٧٨، ذخائر العقبى ص ٨٣، وقد أفردت لهذا الحديث كتب مستقلة، مثل فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي، للمغربي.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٣٥، ذخائر العقبى ص ٨٣، مناقب الخوارزمي ص ٨١ ح ٦٦، مسند أحمد ج ٥ ص ١١٣.

فإنّ المعتزلة الذين هم أهل النظر ومنهم تعلّم الناس هذا الفنّ هم تلامذته، فإنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفيّة[١]، وأبو هاشم عبد الله تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

وأمّا الأشعريوّن فإنّهم ينتهون إلى أبي الحسن الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وهو تلميذ واصل بن عطاء[٢].

وأمّا الإمامية والزيدية فانتهاؤهم إليه ظاهر.

وأمّا علم الفقه فهو أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فإليه يعزي نفسه.

أمّا مالك فأخذ الفقه عن ربيعة الرأي، وهو أخذ عن عكرمة، وهو أخذ عن عبد الله، وهو أخذ عن علي.

وأمّا أبو حنيفة فعن الصادق ـ عليه السلام ـ.

وأمّا الشافعي فهو تلميذ مالك، والحنبلي تلميذ الشافعي[٣]، وأمّا فقهاء الشيعة فرجوعهم إليه ظاهر، وأمّا فقهاء الصحابة فرجوعهم إليه ظاهر كابن عبّاس وغيره، وناهيكم قول عمر غير مرّة: «لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر» وقوله: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن»[٤]، وقوله: «لو لا علي لهلك عمر»[٥].

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن الحنفية الملقب بالأكبر، والمكنى بأبي هاشم، إمام الكيسانية مات سنة ٩٨ أو ٩٩. تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ٢١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧ ـ ١٨.

(٤) مناقب الخوارزمي ص ٩٦ ـ ٩٧، ح ٩٧ و ٩٨، فرائد السمطين ج ١، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥، ح ٢٦٦ و ٢٦٧.

(٥) فيض القدير ج ٤، ص ٣٥٧، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج ٢، ص ٣٠٩، علي إمام المتّقين لعبد الرحمن الشرقاوي ج ١، ص ١٠٠ ـ ١٠١، مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٣٦١.

وقال الترمذي في صحيحه والبغوي عن أبى بكر قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبى طالب»(١).

وقال البيهقي بإسناده إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»(٢) وهو الذي بيّن حدّ الشرب(٣)، وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستّة أشهر(٤)، وبقسمة الدراهم على صاحب الأرغفة(٥) والأمر بشقّ الولد نصفين(٦)، والأمر بضرب عنق العبد، والحاكم في ذي الرأسين(٧) مبين أحكام البغاة(٨)، وهو الذي أفتى في الحامل

---

(١) البداية والنهاية ج ٧، ص ٣٥٦، كفاية الطالب ص ١٢١.

(٢) كنز العمال ص ٢٢٦، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٨، كفاية الطالب ص ١٢٢، الغدير ج ٣ ص ٣٥٣.

(٣) الموطأ لمالك ج ٢ ص ٨٤٢ ح ٢، المستدرك ج ٤ ص ٣٧٥، فضائل الخمسة ج ٢ ص ٣١٠.

(٤) الاستيعاب ج ٣، ص ١١٠٣، شرح البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩، وذكر القرطبي في تفسيره ج ١٦ ص ٣٩٠، عند الكلام على تفسير قوله تعالى: **﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾** سورة الاحقاف: الاية ١٥، ان عثمان قد أوتي بامرأة ولدت لستة اشهر، فأراد أن يقضي عليها الحق فقال له علي ـ عليه السلام ـ ليس ذلك عليها، قال الله تعالى **﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾**.

(٥) الاستيعاب ج ٣، ص ١١٠٥ ـ ١١٠٦، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج ٢ ص ٣٠٢، ذخائر العقبى ص ٨٤، الصواعق المحرقة ص ٧٧.

(٦) مناقب ابن شهر اشوب ج ٢ ص ٣٦٧، الفصول المائة ج ٥ ص ٣٣٦ ح ١٥، كنز العمال ج ٣ ص ٣٧٩، بحار الانوار ج ٤٠ ص ٢٥٢، الغدير ج ٦ ص ١٧٤.

(٧) كنز العمال ج ٣ ص ١٧٩، بحار الانوار ج ٤٠ ص ٢٥٧.

(٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٢٣١، كتاب الأم ج ٤ ص ٢٣٣، باب الخلاف في

الزانية[١].

ومن العلوم علم التفسير ، وقد علم الناس حال ابن عبّاس فيه وكان تلميذ علي ـ عليه السلام ـ. وسئل فقيل له : أين علمك من علم ابن عمّك ؟ فقال : كبشة مطر في البحر المحيط[٢].

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة ، وعلم التصوّف ، وقد علمتم أنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون ، وعنده يقفون ، وقد صرّح بذلك الشبلي والحنبلي وسرى السقطي وأبو زيد البسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم ، ويكفيكم دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم وكونهم يسندونها بإسناد معنعن إليه أنّه واضعها[٣].

ومن العلوم علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافّة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامع تكاد تلحق بالمعجزات ، لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بمثل هذا الاستنباط .

فأين من هو بهذه الصفة من رجل يسألونه ما معنا (أبّا) فيقول : لا أقول في كتاب الله برأيي ، ويقضي في ميراث الجدّ بمائة قضية يغاير

← قتال أهل البغي ، وقد قال الشافعي : عرفنا حكم البغاة من علي ـ عليه السلام ـ.

(١) فقد روي أنه أُتي عمر بن الخطاب بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها فلقاها علي فقال : ما بال هذه فقالوا : أمر عمر برجمها ، فردها علي ـ عليه السلام ـ وقال : هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها ولعلك انتهرتها ، أو أخفتها ، قال : قد كان ذلك ، قال : أو ما سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال : لاحدّ على معترف بعد بلاء أنه من قيد أو حبس أو تهدد فلا إقرار له ، فخلى سبيلها ثم قال : عجزت النساء أن تلد مثل علي بن ابي طالب، لولا علي لهلك عمر . راجع : الرياض النضرة ج ٣ ص ١٦٣ ، ذخائر العقبى ص ٨١ ، مطالب السؤول ص ١٣ ، مناقب الخوارزمي ص ٤٨ ، الاربعين للفخر الرازي ص ٤٦٦ ، الغدير ج ٦ ص ١١٠ .

(٢) نهج الحق وكشف الصدق ص ٢٣٨ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٩ .

(٣) نهج الحق وكشف الصدق ص ٢٢٨ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٩ .

بعضها بعضاً، ويقول: إن زغت فقوّموني وإن استقمت فاتّبعوني[١]. وهل يقيس عاقل مثل هذا إلى من قال: سلونى قبل أن تفقدوني[٢]، سلوني عن طرق السماء فوالله اني لأعلم بها منكم من طرق الأرض؟ وقال: إنّ هاهنا لعلماً جماً، وضرب بيده على صدره، وقال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فقد ظهر أنّه أعلم[٣].

وأمّا الزهد فإنّه سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تُشدّ الرحال، وتنقص الأحلاس، وما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن الناس لبساً ومأكلاً.

قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت على علي ـ عليه السلام ـ يوم عيد فقدم جراباً مختوماً فوجد فيه خبزاً شعيراً يابساً مرضوضاً فتقدّم فأكل.

فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه وإنّما هو خبز شعير؟

فقال: خفت هذين الولدين يلتانه بزيت أو سمن[٤]. وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أُخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ فإن وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخيطه، وكان لا يزال ساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى بلا لحمة، وكان يأتدم إذا ائتدم بالخلّ والملح فإن ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلاّ قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات، وكان مع ذلك أشدّ الناس قوّة، وأعظمهم يداً[٥].

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٧ ص ٢٥٣، وقد تقدمت تخريجاته فيما سبق.

(٤) فرائد السمطين ج ١ ص ٣٥٢ ح ٢٧٧، مناقب الخوارزمي ص ١١٨ ح ١٣٠.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٦.

وأمّا العبادة فمنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير، ومن محافظته على ورده أن بسط له نطع بين الصفّين ليلة الهرير فيصلّي عليه والسهام تقع عليه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته.

فأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وتعالى وإجلاله وما تضمّنته من الخضوع لهيبته والخشوع لعزّته عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص.

وكان زين العابدين ـ عليه السلام ـ يصلّي في كلّ ليلة ألف ركعة ويقول: أنّى لي بعبادة علي ـ عليه السلام ـ[١].

وأمّا الشجاعة فهو ابن جلاها وطلّاع ثناياها، نسى الناس فيها ذكر من قبله، ومحى اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحروب مشهورة تُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرقط ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاّ قتله، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت إلى ثانية.

وجاء في الحديث إذا ضرب واعتلا قدّ، وإذا ضرب واعترض قطّ، وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً[٢]، وكان المشركون إذا أبصروه في الحرب عهد بعضهم إلى بعض، وبسيفه شيّدت مباني الدين، وثبتت دعائمه، وتعجّبت الملائكة من شدّة ضرباته وحملاته.

وفي غزوة بدر الداهية العظمى على المسلمين قتل فيها صناديد قريش كالوليد بن عتبة والعاص بن سعيد ونوفل بن خويلد الذي قرن

---

(١) الإرشاد للمفيد ص ٢٥٦، إعلام الورى ص ٢٥٥، بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٧٤ ح ٦٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٠.

أبا بكر وطلحة قبل الهجرة وعذّبهما، وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه»[(١)] ولم يزل في ذلك يصرع صنديداً بعد صنديد حتى قتل نصف المقتولين فكان سبعين، وقتل المسلمون كافّة مع ثلاثة الآف من الملائكة مسوّمين النصف الآخر[(٢)]، وفيه نادى جبرئيل:

«لا سيف إلاّ ذوالفقار ولا فتى إلّا علي»[(٣)]

ويوم أُحد لما انهزم المسلمون عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ ورُمي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلى الأرض وضربه المشركون بالسيوف والرماح وعلي ـ عليه السلام ـ مصلت سيفه قدّامه، ونظر النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعد إفاقته من غشوته فقال: يا علي ما فعل المسلمون؟

فقال: نقضوا العهود وولّوا الدبر.

فقال: اكفني هؤلاء، فكشفهم عنه ولم يزل يصادم كتيبة بعد كتيبة وهو ينادي المسلمين حتى تجمّعوا وقال جبرئيل ـ عليه السلام ـ: إنّ هذه لهي المواساة، لقد عجبت الملائكة من حسن موالاة علي لك بنفسه.

فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: وما يمنعه من ذلك وهو منّي

---

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٩٢.

(٢) المغازي ج ١ ص ١٤٧ ـ ١٥٢، الارشاد للشيخ المفيد ص ٤١ ـ ٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤.

(٣) مناقب الخوارزمي ص ١٦٧ ح ٢٠٠، مناقب ابن المغازلي ص ١٩٨ ـ ١٩٩، ح ٢٣٥، كفاية الطالب ص ٢٧٧، الطبري ج ٢ ص ١٩٧، ابن هشام في السيرة ج ٣ ص ٥٢، سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٧٦، المستدرك ج ٢ ص ٣٨٥، الرياض النضرة ج ٣ ص ١٥٥، ذخائر العقبى ص ٧٤، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣١٧، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٩.

وأنا منه[١]. ولثبات علي ـ عليه السلام ـ رجع بعض المسلمين ورجع عثمان بعد ثلاثة أيّام، فقال له النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: فقد ذهبت بها عريضة[٢].

وفي غزاة الخندق إذ أحدق المشركون بالمدينة كما قال الله تعالى: **﴿إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾**[٣]، ودخل عمرو بن عبدودّ الخندق على المسلمين ونادى بالبراز فأحجم عنه المسلمون وبرز علي ـ عليه السلام ـ متعمّماً بعمامة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وبيده سيف فضربه ضربة كانت توازن عمل الثقلين إلى يوم القيامة[٤]، وأين هناك أبو بكر وعمر وعثمان.

ومن نظر غزوات الواقدي وتاريخ البلاذري علم محلّه من رسول الله من الجهاد وبلاءه يوم الأحزاب، وهو يوم بني المصطلق، ويوم قلع باب خيبر، وفي غزاة خيبر، وهذا باب لا يغني الإطناب فيه لشهرته.

وروى أبو بكر الأنباري في أماليه أنّ علياً ـ عليه السلام ـ جلس إلى عمر في المسجد وعنده أُناس، فلمّا قام عرّض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب.

فقال عمر: لمثله أن يتيه والله لولا سيفه لما قام عمود الدين، وهو

---

(١) ذخائر العقبى ص ٦٨، فضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٩٤ ح ١٠١٠، مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٤، نهج الحق وكشف الصدق ص ٢٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٣، الكامل لابن الأثير ج ٢، ص ١١٠، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧، البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨، السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٢١، الدر المنثور ج ٢ ص ٨٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ ـ ٤٧١، وقد تقدم حديث قتل عمر بن ود.

بعد أقضى الأُمّة وذو سابقتها، وذو شأنها.

فقال له ذلك القائل: فما منعكم يا أمير المؤمنين منه؟

فقال: ما كرهناه إلاّ على حداثة سنّه، وحبّه لبني عبد المطّلب، وحمله سورة براءة إلى مكّة.

ولما دعا معاوية إلى البراز لتسريح الناس من الحرب بقتل أحدهما فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل.

فقال له معاوية: ما غششتني كلّما نصحتني إلاّ اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطوق؟ أراك طمعت في إمارة الشام بعدي[1].

وكانت العرب تفتخر لوقوعها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخر رهطهم لأنّه ـ عليه السلام ـ قتلهم وأظهر وأكثر من أن يحصى وقالت[2] في عمرو بن عبدود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً ما عشت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له ... قد كان يدعى أبوه بيضة البلد[3]

وجملة الأمر أنّ كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتمي، وباسمه من مشارق الأرض ومغاربها.

وأمّا كرمه وسخاؤه فهو الذي كان يطوي في صيامه حتى صام طاوياً ثلاثة أيام يؤثر السّؤال كلّ ليلة بطعامه حتى أنزل الله فيه: ﴿ **هل أتى على**

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٠ و ج ٨ ص ٥٣.

(٢) وهي أخته عمرة وكنيتها أم كلثوم.

(٣) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٣٣، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦٢، الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٠٨، لسان العرب لابن منظور ج ٧ ص ١٢٧.

الإنسان ﴾[١] وتصدّق بخاتمه في الركوع فنزلت الآية: **﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾**[٢]، وتصدّق بأربعة دراهم فأنزل الله فيه الآية: **﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية ﴾**[٣] وتصدّق بعشرة دراهم يوم

---

(١) سورة الانسان: الآية ١، تقدمت تخريجاتها.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

نزول هذه الآية في امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ مما اتفق عليه المفسرون والمحدثون راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٦١ ـ ١٨٤ ح ٢١٦ ـ ٢٤١، ترجمة الإمام علي بن ابي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٤٠٩ ح ٩٠٨ و ٩٠٩، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٢٨ و ٢٥٠ و ٢٥١، ط الحيدرية و ص ١٠٦ و ١٢٢ و ١٢٣، ط الغربي، ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي ص ٨٨ و ١٠٢، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ١٨٧، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٢٣ و ١٠٨، الدر المنثور للسيوطي ج ٢، ص ٢٩٣، فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٥٣، الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦٤٩، تفسير الطبري ج ٦ ص ٢٨٨، تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١٩، أسباب النزول للواحدي ص ١٤٨ ط الهندية وص ١١٣ ط الحلبي بمصر، نور الابصار للشبلنجي ص ٧١، ص العثمانية و ص ٧٠ ط السعيدية بمصر، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١١٥ ط اسلامبول و ص ١٣٥ ط الحيدرية، تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٢٦ و ٢٠ ط البهية بمصر و ج ٣ ص ٤٣١ ط الدار العامرة بمصر، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٦ و ٢٠، ط البهية بمصر و ج ٣ ص ٤٣١، ط الدار العامرة بمصر، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ ط دار إحياء الكتب، أحكام القرآن للجصاص ج ٤ ص ١٠٢ ط عبد الرحمن محمد، مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٧٧ ط مصر بتحقيق محمد ابو الفضل و ج ٣ ص ٢٧٥ ط ١ بمصر، الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢٤ ط الميمنية و ص ٣٩ المحمدية، جامع الاصول ج ٩ ص ٤٧٨، احقاق الحق ج ٤ ص ٣٩٩، الغذير للاميني ج ٢ ص ٥٢ و ج ٣ ص ١٥٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٤.

فقد روى الجمهور أن هذه الاية نزلت في أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كانت معه أربعة دراهم، أنفق في الليل درهماً، وفي النهار درهماً، وفي السر درهماً، وفي العلانية درهماً.

راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١، ص ١٠٩، ح ١٥٥ ـ ١٦٣، مناقب علي بن

←

النجوى(١) فخفّف الله سبحانه عن سائر الأُمّة بها، وهو الذي كان يستسقي للنخل بيده ويتصدّق بأجرته، وفيه قال معاوية بن أبي سفيان الذي كان عدوّه لمحفن الضبي لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: ويحك كيف قلت؟ تقول له أبخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفق تبره قبل تبنه(٢)، وهو الذي يقول: يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري، بي تعرّضت أم لي تشوّقت، هيهات هيهات قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها(٣)، وهو الذي جاد بنفسه ليلة الفراش وفدى النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ حتى نزل في حقّه: ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾(٤).

قال يوحنّا: فلمّا سمعوا هذا الكلام لم ينكره أحد منهم، وقالوا: صدقت إنّ هذا الذي قلت قرأناه من كتبنا ونقلناه عن أئمتنا لكن محبّة الله

← أبي طالب لابن المغازلي ص ٢٨٠، ح ٣٢٥، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٣٢، ط الحيدرية وص ١٠٨، ط الغري، أسباب النزول للواحدي ص ٥٠، ط الحلبي وص ٦٤، ط الهندية بمصر، الكشاف للزمخشري ج ١، ص ٣١٩، ط بيروت وج ١، ص ١٦٤ ط مصر، ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص ٨٨، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص ١٤، نور الأبصار للشبلنجي ص ٧١، ط العثمانية وص ٧١، ط السعيدية، تفسير الفخر الرازي ج ٧، ص ٨٩، ط البهية بمصر، تفسير القرطبي ج ٣، ص ٣٤٧، تفسير ابن كثير ج ١، ص ٣٢٦، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١، ص ٢١ وج ١٣، ص ٢٧٦، مجمع الزوائد ج ٦، ص ٣٢٤، الدر المنثور للسيوطي الشافعي ج ١، ص ٣٦٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٩٢ و٢١٢، ط اسلامبول وص ١٠٦ و٢٥٠، ط الحيدريه، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ١٩٨. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢، ص ٤١٣، ح ٩١١ و٩١٢، أسد الغابة ج ٤، ص ٢٥، معالم التنزيل للبغوي الشافعي بهامش تفسير الخازن ج ١، ص ٢٤٩، احقاق الحق للتستري ج ٣، ص ٢٤٦، فرائد السمطين ج ١، ص ٣٥٦.

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٢.

(٣) نهج البلاغة « صبحي الصالح » ص ٤٨٠ ـ ٤٨١، قصار الحكم ٧٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠٧، تقدمت تخريجات نزولها.

ورسوله وعنايتهما أمر وراء هذا كلّه، فعسى الله أن يكون له عناية بأبي بكر أكثر من علي فيفضّله عليه.

قال يوحنّا: إنّا لا نعلم الغيب، ولا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى، وهذا الذي قلتموه تخرص، وقال الله تعالى: ﴿ **قتل الخرّاصون** ﴾[١] ونحن إنّما نحكم بالشواهد التي لعلي ـ عليه السلام ـ على أفضليته فذكرناها.

وأمّا عناية الله به فتحصل من هذه الكمالات دليل قاطع عليها، فأيّ عناية خير من أن يجعل بعد نبيّه أشرف الناس نسباً، وأعظمهم حلماً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم جهاداً وزهداً وعبادة وكرماً وورعاً، وغير ذلك من الكمالات القديمة، هذا هو العناية.

وأمّا محبّة الله ورسوله فقد شهد بها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في مواضع؛ منها: الموقف الذي لم ينكر وهو يوم خيبر، إذ قال النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»[٢] فأعطاها علياً.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ١٠.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٢٠٥ ح ٢٦٩ و ص ١٥٧ ح ٢١٩ ـ ٢٣١، سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٩٦ ح ٣٧٢٤، فرائد السمطين ج ١ ص ٢٥٩، مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥١، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٨ وص ٤٣٧، عيون الأثر ج ٢ ص ١٣٢، مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٨٤، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧١ ح ٣٣ ـ (٢٤٠٥)، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٣، خصائص النسائي ص ٣٤ ح ١١، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ١٨١ ح ٢١٦، الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ١١٠، ينابيع المودة ص ٤٩، المعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ١٠٠، مسند أبي داود الطيالسي ص ٣٢٠، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٢٤، السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠٦ و ص ١٣١، حلية الاولياء ج ١ ص ٦٢، أسنى المطالب للجزري ص ٦٢، صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٢، أسد الغابة ج ٤ ص ٢١، البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٢، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢، ذخائر ←

وروى عالمكم أخطب خوارزم في كتاب المناقب أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: « يا علي لو أنّ عبداً عبد الله عزّ وجلّ مثلما قام نوح في قومه، وكان له مثل جبل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتى حجّ ألف حجّة على قدميه، ثمّ قتل ما بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يوالك يا علي لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها »(١).

← العقبى ص ٨٧، تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩٤، العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٩، مروج الذهب ج ٣ ص ١٤، إحقاق الحق ج ٥ ص ٤٠٠، فضائل الخمسة ج ٢ ص ١٦١.

ولقد تمنّى عمر بن الخطاب أن تكون له هذه الفضيلة التى حاز عليها أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

فقد روي أن عمر قال: « لقد أُعطى علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ ثلاثاً لأن تكون لي واحدة منها أحب إليّ من حمر النعم: زوجته بنت رسول الله، وسكناه المسجد مع رسول الله يحل له ما يحل له فيه، والراية يوم خيبر ».

انظر: المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٥، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٦، ينابيع المودة للقندوزي ص ٢١٠، المناقب للخوارزمي ص ٣٢٢ ح ٣٥٤، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٢٢٠ ح ٢٨٣، الصواعق المحرقة ص ١٢٥، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٢، نظم درر السمطين ص ١٢٩، فرائد السمطين ج ١ ص ٣٤٥ ح ٢٦٨، أسنى المطالب للجزري ص ٦٥، فضائل الخمسة ج ٢ ص ٢٥٠، الغدير ج ٣ ص ٢٠٤.

(١) المناقب للخوارزمي ص ٦٧، لسان الميزان ج ٥ ص ٢١٩، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٩٧.

وفي هذا المعنى قال بعضهم ـ عليه الرحمة ـ:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً ... وودّ كل نبي مرسل وولي
وقام ما قام قوّاماً بلا كسلٍ ... وصام ما صام صوّاماً بلا ملل
وحجّ ما حجّ من فرضٍ ومن سننٍ ... وطاف بالبيت حافٍ غير منتعل
وطار في الجو لا يأوي إلى أحدٍ ... وغاص في البحر لا يخشى من البلل
وعاش في الناس آلافاً مؤلفة ... خلواً من الذنب معصوماً من الزلل
يكسو اليتامى من الديباج كلهم ... ويطعم البائسين البر بالعسل
ما كان في الحشر عند الله منتفعاً ... إلاّ بحب أمير المؤمنين علي

وفي الكتاب المذكور قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: « لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لم يخلق الله النار »[(١)] وفي كتاب الفردوس: حبّ علي حسنة لا تضرّ معها سيّئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة[(٢)].

وفي كتاب ابن خالويه عن حذيفة بن اليمان قال، قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: « من أراد أن يتصدّق بفصّه الياقوت التي خلق الله بيده ثمّ قال لها: كوني فكانت فليتول علي بن أبي طالب بعدي ».

وفي مسند أحمد بن حنبل في المجلّد الأوّل: أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أخذ بيد حسن وحسين وقال: « من أحبّني وأحبّ هذين وأحبّ أباهما كان معي في درجتي يوم القيامة »[(٣)].

قال يوحنّا: يا أئمة الإسلام هل بعد هذا كلام في قول الله تعالى ورسوله في محبّته وفي تفضيله على من هو عاطل عن هذه الفضائل؟

قالت الأئمّة: يا يوحنّا، الرافضة يزعمون أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أوصى بالخلافة إلى علي ـ عليه السلام ـ ونصّ عليه بها، وعندنا أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لم يوص إلى أحد بالخلافة.

قال يوحنّا: هذا كتابكم فيه: ﴿ **كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين** ﴾[(٤)].

وفي بخاريّكم يقول: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: « ما من

---

(١) مناقب الخوارزمي ص ٦٧ ح ٣٩، الفردوس ج ٣ ص ٣٧٣ ح ٥١٣٥.

(٢) الفردوس ج ٢ ص ١٤٢ ح ٢٧٢٥، مناقب الخوارزمي ص ٧٥ ح ٥٦.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٧٧، سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٩٩ ح ٣٧٣٣، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٨٨، كنز العمّال ج ١٣ ص ٦٣٩ ح ٣٧٦١٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

حق امرىء مسلم أن يبيت إلاّ وصيته تحت رأسه »[١] أفتصدقون أنّ نبيّكم يأمر بما لا يفعل مع أنّ في كتابكم تقريعاً للذي يأمر بما لا يفعل من قوله: **﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾**[٢] فوالله إن كان نبيّكم قد مات بغير وصيّة فقد خالف أمر ربّه، وناقض قول نفسه، ولم يقتد بالأنبياء الماضية من إيصائهم إلى من يقوم بالأمر من بعدهم، على أنّ الله تعالى يقول: **﴿فبهداهم اقتده﴾**[٣] لكنّه حاشاه من ذلك وإنّما تقولون هذا لعدم علم منكم وعناد، فإنّ إمامكم أحمد بن حنبل روى في مسنده أنّ سلمان قال: يا رسول الله فمن وصيّك؟

قال: يا سلمان مَنْ كان وصيّ أخي موسى ـ عليه السلام ـ؟

قال: يوشع بن نون! قال: فإنّ وصيّي ووارثي علي بن أبي طالب.

وفي كتاب ابن المغازليّ الشافعي بإسناده عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وأنا وصيّي ووارثي علي بن أبي طالب[٤].

وهذا الإمام البغوي محيي سنّة الدين، وهو من أعاظم محدّثيكم ومفسّريكم، وقد روى في تفسيره المسمّى بمعالم التنزيل عند قوله تعالى: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**[٥]، عن علي ـ عليه السلام ـ أنّه قال: لمّا نزلت هذه الآية أمرني رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أن أجمع

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٤٩ ح ١، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٩٠١ ح ٢٦٩٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٤) مناقب ابن المغازلي: ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ح ٢٣٨، ذخائر العقبى ص ٧١.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

له بني عبد المطّلب فجمعتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون ، فقال لهم بعد أن أضافهم برجل شاة وعسّ من لبن شبعاً وريّاً وإنّه كان أحدهم ليأكله ويشربه : يا بني عبد المطّلب إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني عليه ، ويكون أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي ؟ فلم يجبه أحد .

قال علي : فقمت إليه ، وقلت : أنا أُجيبك يا رسول الله .

فقال لي : أنت أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[١] .

وهذه الرواية قد رواها أيضاً إمامكم أحمد بن حنبل في مسنده[٢] ومحمد بن إسحاق الطبري في تاريخه[٣] والخركوشي أيضاً رواها ، فإن كانت كذباً فقد شهدتم على أئمتكم بأنّهم يروون الكذب على الله ورسوله ، والله تعالى يقول : ﴿ **ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾[٤] ﴿**الذين يفترون على الله الكذب** ﴾[٥] ، وقال الله تعالى في كتابه : ﴿ **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾[٦] وإن كان لم يكذبوا وكان الأمر على ذلك فما ذنب الرافضة ؟ إذن فاتّقوا الله يا أئمة الإسلام ، بالله عليكم ماذا تقولون في خبر الغدير الذي تدّعيه الشيعة ؟

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ج ٣ ص ٤٠٠ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢١ .

(٤) سورة هود : الآية ١٨ .

(٥) سورة يونس : الآية ٦٠ و ٦٩ ، وسورة النحل : الآية ١١٦ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٦١ .

قال الائمة : أجمع علماؤنا على أنّه كذب مفترى .

قال يوحّنا : الله أكبر ، فهذا إمامكم ومحّدثكم أحمد بن حنبل روى في مسنده إلى البراء بن عازب قال : كنّا مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في سفر فنزلنا بغدير خم[1] فنودي فينا الصلاة جامعة وكشح

(١) غدير خم : قيل : موضع تصبّ فيه عين ، وقيل : بئر من الميثّب ، حفرها مرّة بن كعب ، نسب إلى ذلك غدير خُم ، وهو بين مكة والمدينة ، قيل : على ثلاثة أميال من الجُحْفة ، وقيل : على ميل ، وهي التي عناها الشاعر في قوله :

وقالت بالغدير غدير خـمٍّ ... أُخيَّ إلى متى هذا الركـوب

وهناك مسجدٌ للنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ . وقال الشهيد (ره) في الذكرى : من المساجد الشريفة مسجد الغدير وهو بقرب الجحفة جدرانه باقية إلى اليوم وهو مشهور بيِّن وقد كان طريق الحج عليه غالباً .

انظر : مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٨٢ ، سفينة البحار ج ٢ ص ٣٠٩.

وقد جاء اسم هذا المكان ـ غدير خم ـ كثيراً في الشعر وذلك بمناسبة تنصيب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ خليفة من بعده ، في هذا المكان وذلك بعد عودته من حجة الوداع ، وقال فيه يومئذٍ : ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ... الخ .

ومن الشعراء الذين ذكروا ذلك في شعرهم : حسان بن ثابت في قصيدته الشهيرة حيث يقول :

يُناديهمُ يومَ الغدير نبيُّهم ... بخُمٍّ وأكرم بالنبيّ مناديا

والكميت أيضاً حيث يقول :

ويوم الدّوح دوح غدير خمّ ... أبانَ له الولاية لو أُطيعا

ولكنّ الرجالَ تدافعوها ... فلم أرَ مثلها خطراً منيعا

وقال أبو تمام في قصيدته الرائية كما في ديوانه :

ويوم الغدير استوضح الحق أهله ... بفيحاء ما فيها حجاب ولا ستر

أقام رسول الله يدعوهم بها ... ليقربهم عرفٌ وينآهم، نكر

يمد بضبعيه ويعلمُ أنّه ... وليٌّ ومولاكم فهل لكمُ خبرُ

وقال السيد الحميري في ذلك أيضاً :

←

لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ تحت شجرتين، وصلّى الظهر، وأخذ بيد علي ـ عليه السلام ـ فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى فأخذ بيد علي ورفعها حتى بان بياض إبطيهما وقال لهم: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

فقال له عمر بن الخطّاب: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

ورواه في مسنده بطريق آخر وأسنده إلى أبي الطفيل، ورواه بطريق آخر وأسنده إلى زيد بن أرقم(١)، ورواه ابن عبد ربّه في كتاب العقد(٢)، ورواه سعيد بن وهب، وكذا الثعالبي في تفسيره(٣) وأكّد الخبر مما رواه من تفسير ﴿ سأل سائل ﴾ أنّ حارث بن النعمان الفهري أتى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في ملأ من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا أن

← قام النبيُّ يوم خمٍّ خاطباً ... بجانب الدوحات أو حيالها

فقال: من كنت له مولى فذا ... مولاه ربي اشهد مراراً قالها

راجع: الغدير للعلامة الاميني المجلد الاول، سفينة البحار ج ٢ ص ٣٦٠.

وقد ذكر العلامة الاميني في كتابه الغدير الشعراء الذين خلدوا واقعة الغدير في شعرهم ابتدأً من القرن الاول حتى القرن الرابع عشر، وقد طُبع منه أحد عشر مجلداً وقد ذكر فيه ـ ١٠٥ ـ من شعراء الغدير وقد انتهى به المطاف الى القرن الثاني عشر الهجري.

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٩٣ و ج ٤ ص ٣٦٨ و ص ٣٧٢ و ص ٣٨١.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ٦١.

(٣) وممن ذكر خبر الحارث بن النعمان: فرائد السمطين ج ١ ص ٨٢ ح ٥٣، نور الأبصار للشبلنجي ص ٧١ ط السعيدية وص ٧١ ط العثمانية، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٩٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٢٨ ط الحيدرية و ص ٢٧٤، ط اسلامبول و ج ٢ ص ٩٩ ط العرفان بصيدا.

نشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك محمد رسول الله فقبلنا، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلنا، وأمرتنا أن نحجّ البيت فقبلنا، ثمّ لم ترض حتى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت: « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فهذا شيء منك أم من الله؟

فقال: والله الذي لا إله إلاّ هو، إنّه أمر من الله تعالى، فولّى الحارث بن النعمان وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقول محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء، فما وصل إلى راحلته حتى رمى الله بحجر فسقط على رأسه وخرج من دبره فخرّ صريعاً، فنزل: ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾[1]، فكيف يجوز منكم أن يروي أئمّتكم وأنتم تقولون: إنّه مكذوب غير صحيح؟

قال الأئمة: يا يوحنّا قد روت أئمّتنا ذلك لكن إذا رجعت إلى عقلك وفكرك علمت أنّه من المحال أن ينصّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على علي بن أبي طالب الذي هو كما وصفتم ثمّ يتّفق كلّ الصحابة على كتمان هذا النصّ ويتراخون عنه، ويتّفقون على إخفائه، ويعدلون إلى أبي بكر التيمي الضعيف القليل العشيرة، مع أنّ الصحابة كانوا إذا أمرهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بقتل أنفسهم فعلوا، فكيف يصدّق عاقل هذا الحال من المحال؟

قال يوحنّا: لا تعجبوا من ذلك فأمّة موسى ـ عليه السلام ـ كانوا ستّة أضعاف أُمّة محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، واستخلف عليهم أخاه هارون وكان نبيّهم أيضاً وكانوا يحبّونه أكثر من موسى، فعدلوا عنه إلى

---

(١) سورة المعارج: الآية ١.

السامريّ، وعكفوا على عبادة عجل جسد له خوار، فلا يبعد من أُمّة محمد أن يعدلوا عن وصيّه بعد موته إلى شيخ كان رسول الله ـ صّلى الله عليه وآله وسلّم ـ تزوّج ابنته، ولعلّه لو لم يرد القرآن بقصّة عبادة العجل لما صدّقتموها.

قال الأئمة: يا يوحنّا فلم لا ينازعهم بل سكت عنهم وبايعهم؟

قال يوحنّا: لا شكّ أنّه لما مات رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كان المسلمون قليلاً، واليمامة فيها مسيلمة الكذاب وتبعه ثمانون ألفاً والمسلمون الذين في المدينة حشوهم منافقون، فلو أظهر النزاع بالسيف لكان كلّ من قتل علي بن أبي طالب بنيه أو أخاه كان عليه وكان الناس يومئذ قليل من لم يقتل علي من قبيلته وأصحابه وأنسابه قتيلاً أو أزيد وكانوا يكونون عليه، فلذلك صبر وشاققهم على سبيل الحجّة ستّة أشهر بلا خلاف بين أهل السنّة، ثمّ بعد جرى من طلب البيعة منهم فعند أهل السنّة أنّه بايع، وعند الرافضة أنّه لم يبايع، وتاريخ الطبري[1] يدلّ على أنّه لم يبايع، وإنّما العبّاس لما شاهد الفتنة صاح: بايع ابن أخي.

وأنتم تعلمون أنّ الخلافة لو لم تكن لعلي لما ادّعاها، ولو ادّعاها بغير حقّ لكان مبطلاً، وأنتم تروون عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنّه قال: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي»[2]، فكيف يجوز منه أن يدّعي ما ليس بحقّ فيكذب نبيّكم يومئذ ما هذا بصحيح.

وأما تعجّبكم من مخالفة بني إسرائيل نبيّهم في خليفته وعدولهم إلى العجل والسامريّ ففيه سرٌّ عجيب إنّكم رويتم أنّ نبيّكم قال: «ستحذو

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٨، وقد تقدمت تخريجاته.

(٢) تقدمت تخريجاته.

أُمّتي حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه»[١] وقد ثبت في كتابكم أنّ بني إسرائيل خالفت نبيّها في خليفته، وعدلوا عنه إلى ما لا يصلح لها.

قال العلماء: يا يوحنّا أفتدري أنت أنّ أبا بكر لا يصلح للخلافة؟

قال يوحنّا: أما أنا فو الله لم أر أبا بكر يصلح للخلافة، ولا أنا متعصّب للرافضة، لكنّي نظرت الكتب الإسلامية فرأيت أنّ أئمتكم أعلمونا أنّ الله ورسوله أخبر أنّ أبا بكر لا يصلح للخلافة.

قال الائمة: وأين ذلك؟

قال يوحنّا: رأيت في بخاريّكم[٢]، وفي الجمع بين الصحاح الستّة، وفي صحيح أبي داود، وصحيح الترمذي[٣]، ومسند أحمد بن حنبل[٤] أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعث سورة براءة مع أبي بكر إلى أهل مكّة، فلمّا بلغ ذي الحليفة[٥] دعا علياً ـ عليه السلام ـ، ثمّ قال له: أدرك أبا بكر وخذ الكتاب منه فاقرأه عليهم، فلحقه بالجحفة[٦] فأخذ الكتاب

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي ج ٤ ص ٤٦٥، مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٦٢ باختلاف، وقد تقدم المزيد من تخريجات الحديث فيما سبق.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٨١.

(٣) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ح ٣٠٩٠ ـ ٣٠٩٢ وج ٣ ص ٢٢٢ ح ٨٧١.

(٤) مسند أحمد ج ٤ ص ١٦٤.

(٥) ذو الحليفة: قريةٌ بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، منها ميقات أهل المدينة، وهي من مياه بني جُشم. وذو الحليفة: موضع من تهامة بين حاذَة وذات عرق. مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٢٠.

(٦) الجُحفة: كانت قرية كبيرة، ذات منبرٍ، على طريق مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام، إن لم يمرُّوا على المدينة، وكان اسمها مَهْيَعة، وسُميَت الجُحفة لأن السيل جحفها، وبينها وبين البحر ستة أميال، وبينها وبين غدير خُمٍّ ميلان. مراصد الاطلاع ج ١ ص ٣١٥.

منه ورجع أبو بكر إلى النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، فقال: يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟

قال: لا ولكن جاءني جبرئيل ـ عليه السلام ـ، وقال: لن يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجل منك.

فإذا كان الأمر هكذا وأبو بكر لا يصلح لأداء آيات يسيرة عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حياته، فكيف يصلح أن يكون خليفته بعد مماته ويؤدّي عنه كلّه وعلمنا من هذا أنّ علياً ـ عليه السلام ـ يصلح أن يؤدّي عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

فيا أيّها المسلمون لم تتعامون عن الحق الصريح؟ ولم تركنون إلى هؤلاء وكم ترهبون الأهوال؟

قال الحنفي منهم: يا يوحنّا والله إنّك لتنظر بعين الإنصاف، وإنّ الحقّ لكما تقول، وأزيدك في معنى هذا الحديث، وهو أنّ الله تعالى أراد أن يبيّن للناس أنّ أبا بكر لا يصلح للخلافة، فترك رسول الله حتى أخرج أبا بكر بسورة براءة على رؤوس الأشهاد، ثمّ أمر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أن يخرج علياً وراءه ويعزله عن هذا المنصب العظيم ليعلم الناس أنّ أبا بكر لا يصلح لها، وأنّ الصالح لها علي ـ عليه السلام ـ، فقال لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: والله لا يبلّغ عنك إلاّ أنت أو رجل منك[1]، فما تقول أنت يا مالكي؟

قال المالكي: والله فإنّه لم يزل يختلج في خاطري أنّ علياً نازع أبا بكر في خلافته مدّة ستّة أشهر، وكلّ متنازعين في الأمر لا بدّ وأن يكون

---

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ٢١٢، المصنّف لابن أبي شيبة ص ٨٤ ـ ٨٥ ح ١٢١٨٤، كنز العمّال ج ٢ ص ٤٣١ ح ٤٤٢١، البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٧، وقد تقدمت تخريجاته.

أحدهما محقّاً، فإن قلنا إنّ أبا بكر كان محقّاً فقد خالفنا مدلول قول النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: « عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ »[(١)]. وهذا حديث صحيح لا خلاف فيه، فما تقول يا حنبلي ؟

قال الحنبلي: يا أصحابنا كم نتعامى عن الحقّ ؟ والله إنّ اليقين أنّ أبا بكر وعمر غصبا حقّ علي ـ عليه السلام ـ فكانا ... الخ.

فقال له الحنفي: ولا بهذه العبارة.

فقال الحنبلي: يا حنفي تيقّظ لأمرك فإنّ البخاري ومسلم أوردا في صحيحهما أنّه لما توفّي أبو بكر وجلس عمر مكانه أتى العبّاس وعلي إلى عمر وطلبا ميراثهما من رسول الله، فغضب عمر وقال كلاماً يقول فيه: فلمّا توفّي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال أبو بكر أنا وليّ رسول الله، فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب علي هذا ميراث امرأته من أبيها.

فقال لكما أبو بكر: إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: « نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه يكون صدقة »[(٢)]، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، ثمّ توفّي أبو بكر فقلت: أنا ولي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من بعده ووليّ أبو بكر، فجئت أنت وعلي وأنتما جميعاً أمركما واحد فقلتم: الأمر لنا دونكم فقلت لكما مقالة أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، وقول عمر هذا لعلي ـ عليه السلام ـ كان بمحضر أنس بن مالك وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد، ولم يعتذر أمير المؤمنين علي ولا العبّاس عمّا نسب إليهما من الاعتقاد

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١، وقد تقدمت تخريجاته.

الذي ذكره عمر ولا أحد من الحاضرين اعتذر إلى أبي بكر ، فيا حنفي إن كان عمر صدق فيما نسب إلى أبي بكر وإلى نفسه فمن يعتقد فيه العباس وعلي أنّه كاذب آثم خائن غادر فكيف يصلح للخلافة ؟ وإن قلت : إنّ عمر كان كاذباً في ذلك فكفاه ذلك .

قال يوحنّا : يا أئمة الإسلام هذه الرواية هي سبب تجرّي الناس على أبي بكر في الطعن عليه وعلى عمر ، فإذا سمعت الرافضة أنّ في بخاريكم أنّ عمر قد شهد على نفسه أنّ علياً هو الذي رويتم فيه أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال في حقّه : « علي مع الحقّ والحقّ مع علي » والعبّاس عمّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ شهد على أبي بكر وعمر أنّهما كاذبان آثمان خائنان فكيف لا يتجرئون عليهم ويجعلون هذا مبدأ أشياء أُخر .

قالت العلماء : يا يوحنّا إنّ الرافضة يطعنون في أكثر الصحابة ، وهذا هو الذي أوجب قتلهم ، إنّ رسول الله مدح الصحابة وقال : « أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم »(١) فكيف يصح للرافضة أن يطعنوا فيهم ؟

قال يوحنّا : علماء الإسلام لا تقولوا هذا فمن الجائز أن يكون هذا المدح لهم في زمن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وبعد رسول الله حصل لبعضهم الارتداد ، فإنّ إمامكم ومحدّثكم الحميدي روى في الجمع بين الصحيحين من المتّفق عليه عندكم من الحديث الستّين من مسند عبدالله بن العباس ، قال : إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال : ألا إنّه سيجيء برجال من أُمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا ربّ أصحابي

---

(١) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤١٣ ، لسان الميزان ج ٢ ص ١١٨ .

أصحابي ، فيقال لي : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول لهم كما قال العبد الصالح : **﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كلّ شيء شهيد ، إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم ﴾**[١] فيقال : إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم[٢] .

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند عائشة عن عبدالله ، الحديث الحادي عشر من افراد مسلم قال : إنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال : إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أيّ قوم أنتم ؟

قال عبد الرحمن : نكون كما أمرنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسّلم ـ.

فقال رسول الله : بل تتنافسون وتتحاسدون ، ثمّ تتدابرون ، ثمّ تتباغضون وتنطلقون إلى مساكن المهاجرين فتحملون المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض[٣] .

أليس هذا وعد بارتدادهم ، وناهيك بقوله تعالى : **﴿ وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ﴾**[٤] .

قالت العلماء : يا يوحنّا ، هذا الذي ذكرته يدلّ على أنّ ذلك البعض أبو بكر وعمر وأتباعهما وما ندري ما الذي جرّأهم على ذلك ؟ ومن أين

---

(١) سورة المائدة : الآية ١١٧ و ١١٨ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٩ و ١٢٢ ، صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٩٤ ـ ٢١٩٥ ح ٥٨ ، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٣٢ ح ٢٤٢٣ .

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٧٤ ح ٧ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٤٤ .

جاز لهم ذلك ؟

قال يوحنّا : جرّأهم على ذلك أئمتكم وعلماؤكم كالبخاري[١] ومسلم ، فإنّهم أوردوا أنّه لما مات رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أرسلت فاطمة ـ صلوات الله عليها ـ إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مما أفاء الله عليه بالمدينة من فدك وما بقي من خمس خيبر ، فأبى أبو بكر أن يردّ على فاطمة ـ عليها السلام ـ شيئاً منه ، فوجدت فاطمة على أبي بكر مما أقلقها وأحزنها فهجرته ولم تكلّم مما وقع عليها منه من الأذى وما زالت تتنفّس حتى ماتت ، وإنّها عاشت بعد أبيها ستّة أشهر ، فلما توفّيت دفنها علي ـ عليه السلام ـ ليلاً سرّاً ولم يؤذن بها أبا بكر ، ومع هذه الشناعة روى أئمتكم في الصحيحين أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال : « فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ، ويؤذيني ما آذاها »[٢] ، فأخذ الرافضة هذين الحديثين وركّبوا منهما مقدّمتين وهو : أبو بكر آذى فاطمة ، ومن آذى فاطمة فقد آذى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ، ولا شكّ أنّ الله سبحانه يقول : **﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً ﴾**[٣] ، ولو احتجّ عليكم أحد بهذه الحجّة لم يسعكم إنكار مقدّمة من مقدّماتها ، ولا إنكار نتيجتها .

وقال يوحنّا : فاختبط القوم ، وكثر بينهم النزاع لكن كان مآل كلامهم ، أنّ الحقّ في طرف الرافضة ، وكان أقربهم إلى الحقّ إذن إمام الشافعية ، فقال

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٥ ـ ٢٦ .
( ) تقدمت تخريجاته .
(٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٦ ، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٠٣ ح ٩٤ ، وقد تقدمت تخريجاته .
(٣) سورة الاحزاب : الآية ٥٧ .

لهم: أراكم تشكّون أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه[١] فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً.

فما المراد بإمام الزمان؟ ومن هو؟

قالوا: إمام زماننا القرآن فإنّا به نقتدي.

فقال الشافعي: أخطأتم لأنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: الأئمة من قريش[٢] ولا يقال للقرآن إنّه قريشي.

فقالوا: النبيّ إمامنا.

فقال الشافعي: أخطأتم، لأنّ علماءنا لما اعترض عليهم بأن كيف يجوز لأبي بكر وعمر أن يتركا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مسجّى غير مغسّل ويذهبا لطلب الخلافة، وهذا دليل على حرصهم عليها، وهو قادح في صحّة خلافتهما.

أجاب علماؤنا إنّهم لمحوا أقوال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ولم يجوّزوا على أنفسهم الموت قبل تعيين الإمام، فبادروا لتعيينه هرباً من ذلك الوعيد، فعلمنا أن ليس المراد بالإمام هنا النبي.

فقالوا للشافعي: فأنت مَن إمامك يا شافعي؟

قال: إن كنت من قبيلتكم فلا إمام لي، وإن كنت من قبيلة الاثني عشرية فإمامي محمد بن الحسن ـ عليه السلام ـ.

فقال العلماء: هذا والله أمر بعيد كيف يجوز أن يكون واحد من مدّة

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) مسند أبي داود ص ١٢٥ ح ٩٢٦، مسند أحمد ج ٣ ص ١٨٣، المصنّف لابن أبي شيبة ج ١٢ ص ١٦٩ ح ١٢٤٣٨ وص ١٧٣ ح ١٢٤٤٧، كنز العمّال ج ١٢ ص ٣٠ ح ٣٣٨٣١.

لا يعيش أحد مثله، ولا يراه أحد هذا بعيد جدّاً.

فقال الشافعي: هذا الدجّال من الكفرة تقولون: إنّه حيّ وموجود، وهو قبل المهدي والسامري كذلك ووجود إبليس لا تنكرونه، وهذا الخضر، وهذا عيسى تقولون: إنّهما حيّان، وقد ورد عندكم ما يدلّ على التعمير في حقّ السعداء والأشقياء، وهذا القرآن ينطق أنّ أهل الكهف ناموا ثلاث مائة سنة وتسع سنين لا يأكلون ولا يشربون، أفبعيد أن يعيش من ذرّية محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ واحد مدّة طويلة يأكل ويشرب إلاّ أنّه لا يخبرنا أحد أنّه رآه، واستبعادكم هذا بعيد جدّاً.

قال يوحنّا: فأطرق القوم، فقالوا يا شافعي: الناس اختلفوا، وكلّ أحد منهم أخذ طرفاً والله ما ندري ماذا نصنع؟

قال يوحنّا: إنّ نبيّكم قال: ستفترق أُمّتي من بعدي ثلاث وسبعين، واحدة ناجية، واثنتان وسبعون في النار فهل تعرف الناجية من هي؟

قالوا: إنهم أهل السنّة والجماعة لقول النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لما سئل عن الفرقة الناجية من هم؟ فقال: «الذين هم على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(١).

قال يوحنّا: فمن أين لكم أنكم أنتم اليوم على ما كان عليه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟

قالوا: ينقل ذلك الخلف عن السلف.

فقال يوحنّا: فمن الذي يعتمد على نقلكم؟

قالوا: وكيف ذلك؟

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ٢٥٦، كنز العمّال ج ١ ص ٢١٠ ح ١٠٥٥ و ١٠٥٧، مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٩.

قال: لوجهين:

الأوّل: أنّ علماءكم نقلوا كثيراً من الأحاديث التي تدلّ على إمامة علي ـ عليه السلام ـ وأفضليته، وأنتم تقولون إنّه مكذوب عليه، وشهدتم على علمائكم أنّهم ينقلون الكذب فربّما يكون هذا يتّفق أيضاً كذباً ولا مرجح لكم.

الثاني: أنّ النبي ـ صلّى الله عليهِ وآله وسلّم ـ كان يصلّي كلّ يوم الصلوات الخمس في المسجد ولم يضبط له أنّه هل كان يبسمل للحمد أم لا؟ وهل كان يعتقد وجوبها أم لا؟ وهل كان يسبل يديه أم لا؟ ولو كان يعقدهما فهل يعقدهما تحت السرّة أو فوقها؟ وهل كان يمسح في الوضوء ثلاث شعرات أو ربع الرأس أم جميع الرأس؟ حتى إنّ أئمتكم اختلفوا، فبعض أوجب البسملة، وبعض استحبّها، وبعض كرّهها، وبعض أسبل يديه، وبعض عقدها تحت السرّة، وبعض فوقها، وبعض أوجب مسح ثلاث شعرات، وبعض ربع الرأس، وبعض جميعه، فإذا كان سلفكم لم يضبط شيئاً كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يفعله في اليوم والليلة مراراً متعدّدة، فكيف يضبطون شيئاً لم يفعله في العمر إلاّ مرّة واحدة أو مرّتين، هذا بعيد! وكيف تقولون إنّ أهل السنّة هم على ما كان عليه النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والحال أنّهم يناقض بعضهم بعضاً في اعتقاداتهم، واجتماع النقيضين محال.

قال يوحنّا: فأطرقوا جميعاً، ودار الكلام بينهم، وارتفعت الأصوات بينهم، وقالوا: الصحيح أنّا لا نعرف الفرقة الناجية من هي، وكلّ منّا يزعم أنّه هو الناجي، وأنّ غيره هو الهالك، ويمكن أن يكون هو الهالك، وغيره الناجي.

قال يوحنّا: هذه الرافضة الذين تزعمون أنّهم ضالّون يجزمون بنجاتهم، وهلاك من سواهم، ويستدلّون على ذلك بأنّ اعتقادهم أوفى للحقّ، وأبعد عن الشكّ.

قالت العلماء: يا يوحنّا، قل وإنّا والله لانتهمك لعلمنا أنّك تجادلنا على إظهار الحقّ.

قال يوحنّا: أنا أقول باعتقاد الشيعة أنّ الله قديم ولا قديم سواه، وأنّه واجب الوجود، وأنّه ليس بجسم، ولا في محلّ، وهو منزّه عن الحلول، واعتقادكم أنّكم تثبتون معه ثمانية قدماء هي الصفات حتى إنّ إمامكم الفخر الرازي شنّع عليكم، وقال: إنّ النصارى واليهود كفروا حيث جعلوا مع الله إلهين اثنين قديمين وأصحابنا أثبتوا قدماء تسعة، وابن حنبل أحد أئمتكم قال: إنّ الله جسم، وإنّه على العرش، وإنه ينزل في صورة أمرد، فبالله عليكم أليس الحال كما قلت؟

قالوا: نعم.

قال يوحنّا: فاعتقادهم إذاً خير من اعتقادكم، واعتقاد الشيعة أنّ الله سبحانه لا يفعل قبيحاً، ولا يخلّ بواجب، وليس في فعله ظلم، ويرضون بقضاء الله لأنّه لا يقضي إلّا بالخير، ويعتقدون أنّ فعله لغرض لا لعبث، وأنّه لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها، ولا يُضلّ أحداً من عباده، ولا يحيل بينهم وبين عبادته، وأنّه أراد الطاعة، ونهى عن المعصية، وأنّهم مختارون في أفعال أنفسهم، واعتقادكم أنتم أنّ الفواحش كلّها من الله ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ وأنّه كلّ ما يقع في الوجود من الكفر والفسوق والمعصية والقتل والسرقة والزنا فإنّه خلقه الله تعالى في فاعليه وأراده منهم وقضى عليهم به ورفع اختيارهم، ثمّ يعذّبهم عليه، وأنتم لا ترضون بقضاء الله بل

إنّ الله تعالى لا يرضى بقضاء نفسه ، وأنّه هو الذي أضلّ العباد وحال بينهم وبين العبادة والإيمان ، وأنّ الله تعالى يقول : ﴿**ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أُخرى**﴾[(١)] ، فاعتبروا هَلْ اعتقادكم خير من اعتقادهم أو اعتقادهم خير من اعتقادكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون !!

وقالت الشيعة : أنبياء الله معصومون من أوّل عمرهم إلى آخره عن الصغائر والكبائر فيما يتعلّق بالوحي وغيره عمداً وخطأ ، واعتقادكم انّه يجوز عليهم الخطأ والنسيان ، ونسبتم انّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ سهى في القرآن بما يوجب الكفر فقلتم : إنّه صلّى الصبح فقرأ في سورة النجم : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزّى ، ومناة الثالثة الأُخرى** ﴾[(٢)] تلك الغرانيق العلى ، منها الشفاعة ترتجى[(٣)] ، وهذا كفر وشرك جلي، حتى انّ بعض علماءكم صنّف كتاباً فيه تعداد ذنوب نسبها للأنبياء ـ عليهم السلام ـ فأجابته الشيعة عن ذلك الكتاب بكتاب سمّوه بتنزيه الأنبياء[(٤)] ، فماذا تقولون أيّ الاعتقادين أقرب إلى الصواب ، وأدنى من الفوز ؟

واعتقاد الشيعة انّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يقبض حتى أوصى إلى من يقوم بأمره بعده ، وانّه لم يترك أُمّته هملاً ولم يخالف قوله تعالى ، واعتقادكم انّه ترك أُمّته هملاً ، ولم يوص إلى من يقوم بالأمر بعده ، ومن كتابكم الذي أنزل عليكم فيه وجوب الوصيّة ، وفي حديث

---

(١) سورة الزمر : الآية ٧.

(٢) سورة النجم : الآية ١٩ و ٢٠.

(٣) تقدم الحديث عن قصة الغرانيق مع تخريجاتها.

(٤) تنزيه الأنبياء لعلم الهدى الشريف المرتضى ـ اعلى الله مقامه ـ.

نبيّكم وجوب الوصيّة، فلزم على اعتقادكم أن يكون النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أمر الناس بما لا يفعله، فأيّ الاعتقادين أولى بالنجاة.

واعتقاد الشيعة انّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يخرج من الدنيا حتى نصّ بالخلافة على علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ولم يترك اُمّته هملاً فقال له يوم الدار: « أنت أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا أمره »[١] وأنتم نقلتموه ونقله إمام القرّاء والطبري والخركوشي وابن إسحاق.

وقال فيه يوم غدير خم: « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه » حتى قال له عمر: بخّ بخّ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، نقله إمامكم أحمد بن حنبل في مسنده[٢]. وقال فيه لسلمان: « إنّ وصيّي ووارثي علي بن أبي طالب » رواه إمامكم أحمد بن حنبل[٣]. وقال فيه: « إنّ الأنبياء ليلة المعراج قالوا لي: بعثنا على الإقرار بنبوّتك، والولاية لعلي بن أبي طالب » ورويتموه في الثعلبي والبيان وقال فيه: « إنّه يحبّ الله ورسوله »، رويتموه في البخاري ومسلم[٤]. وقال فيه « لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي »، وعنى به علي بن أبي طالب، ورويتموه في الجمع بين الصحيحين، وقال فيه: « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي »، ورويتموه في البخاري[٥]. وأنزل الله فيه: ﴿ **هل أتى على**

---

(١) تقدّمت تخريجاته.

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٨١.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٦١٥ ح ١٠٥٢.

(٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧١ ـ ١٨٧٣ ح ٣٢ ـ ٣٥، صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٣.

(٥) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٨٧٠ ح ٣٠ ـ ٣٢، صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤.

الإنسان حين من الدهر ﴾[١] وأنزل فيه: ﴿ **إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾[٢] وإنّه صاحب آية الصدقة[٣]، وضربته لعمرو بن عبد ودّ العامري أفضل من عمل الأُمّة إلى يوم القيامة[٤]، وهو أخو رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وزوج ابنته، وباب المدينة، إمام المتّقين، ويعسوب الدين، وقائد الغرّ المحجّلين[٥]، حلّال المشكلات، وفكّاك المعضلات، هو الإمام بالنصّ الإلهي، ثمّ من بعده الحسن والحسين اللذان قال فيهما النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: « هذان إماما قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما »[٦].

وقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: « الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة »[٧]، ثمّ علي زين العابدين، ثمّ أولاده المعصومين الذين

---

(١) سورة الدهر: الآية ١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية** ﴾، سورة البقرة: الآية ٢٧٤، وقد تقدمت تخريجات نزولها فيه ـ عليه السلام ـ.

(٤) المستدرك ج ٣ ص ٣٢، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩ رقم: ٦٩٧٨، الفردوس بمأثور الخطاب ج ٣ص ٤٥٥ ح ٥٤٠٦.

(٥) فقد جاء في فرائد السمطين ج ١ ص ١٤٣ ح ١٠٥: عن عبد الله بن عكيم الجهني، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: إن الله تبارك وتعالى أوحى إليّ في عليّ ـ عليه السلام ـ ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: إنّه سيّد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجّلين.
ومثله أيضاً بتفاوت ما جاء في ص ١٤٥ح ١٠٩، بحار الانوار ج ١٨ ص٣٤٣، سفينة البحار ج١ ص ١٣٣.

(٦) كفاية الأثر: ص ٣٨، بحار الأنوار ج ٣٦ص ٢٨٩.

(٧) مسند احمد ج ٣ص ٣و ٦٢، سنن الترمذي ج ٥ ص ٦١٤ح ٣٧٦٨، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٩٠، كنز العمال ج ١٢ ص ١١٢ ح ٣٤٢٤٦.

خاتمهم الحجّة القائم المهدي إمام الزمان ـ عليه السلام ـ الذي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية[١]، وأنتم رويتم في صحاحكم عن جابر بن سمرة أنّه قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً» وقال كلمة لم أسمعها[٢] وفي بخاريّكم[٣] قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثمّ تكلّم بكلمة خفيفة خفيت عليّ.

وفي صحيح مسلم «لا يزال أمر الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»[٤]، وفي الجمع بين الصحيحين والصحاح الستّة أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»[٥].

وروى عالمكم ومحدّثكم وثقتكم صاحب كفاية الطالب عن أنس ابن مالك، قال: كنت أنا وأبو ذرّ وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إذ دخل الحسن والحسين ـ عليهما لسلام ـ فقبّلهما رسول الله، وقام أبو ذرّ فانكبّ عليهما، وقبّل أيديهما، ورجع فقعد معنا، فقلنا له سرّاً: يا أبا ذرّ رأيت شيخاً من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يقوم إلى صبيّين من بني هاشم فينكبّ عليهما ويقبّلهما ويقبّل أيديهما؟

---

(١) تقدّمت تخريجاته.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٩٢ و ٩٤، المعجم الكبير ج ٢ ص ٢٣٦ ح ١٨٧٥ وص ٢٤٨ ح ١٩٢٣.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٨.

(٤) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٥٣ ح ١٠.

(٥) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٥٢ ح ٥، مسند أحمد ج ٤ ص ٩٤ و ٩٦، وقد تقدمت تخريجات هذه الاحاديث.

فقال: نعم، لو سمعتم ما سمعت لفعلتم بهما أكثر ممّا فعلت.

فقلنا: وما سمعت فيهما عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يا أبا ذرّ ؟

فقال: سمعته يقول لعلي ولهما: «والله لو أنّ عبداً صلّى وصام حتى يصير كالشن البالي إذاً ما نفعه صلاته ولا صومه إلاّ بحبّكم والبراءة من عدوّكم.

يا علي، من توسّل إلى الله بحقّكم فحقّ على الله أن لا يردّه خائباً.

يا علي، من أحبّكم وتمسّك بكم فقد تمسّك بالعروة الوثقى».

قال: ثمّ قام أبو ذرّ وخرج فتقدّمنا إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فقلنا: يا رسول الله أخبرنا أبو ذرّ بكيت وكيت.

فقال: صدق أبو ذرّ، والله ما أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ(١).

ثمّ قال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: خلقني الله تعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف عام، ثمّ نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات.

قلت يا رسول الله: وأين كنتم؟ وعلى أيّ شأن كنتم؟

فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: كنّا أشباحاً من نور تحت العرش نسبّح الله ونقدّسه.

ثمّ قال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لما عرج بي إلى السماء وبلغت

---

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٩٧، و ج ٦ ص ٤٤٢، مشكل الآثار ج ١ ص ٢٢٤، مسند احمد بن حنبل ج ٢ ص ١٧٥، وص ٢٢٣ ط الميمنية، الكامل في الضعفاء لابن عُدي ج ٥ ص ١٨١٦، البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٨ ص ٢٥٩، بتفاوت.

إلى سدرة المنتهى ودّعني جبرئيل.

فقلت: يا حبيبي جبرئيل في مثل هذا المقام تفارقني؟

فقال: يا محمد إنّي لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتي، ثمّ زجّ بي من النور إلى النور ما شاء الله تعالى، فأوحى الله تعالى إلى محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: إنّي اطّلعت إلى الأرض اطّلاعة فاخترتك منها وجعلتك نبيّاً، ثمّ اطّلعت ثانياً فاخترت منها علياً وجعلته وصيّك ووارث علمك وإماماً من بعدك، وأُخرج من أصلابكم الذرّية الطاهرة والأئمة المعصومين خزّان علمي، ولو لا هم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة، ولا الجنّة ولا النار، أتحبّ أن تراهم؟

فقلت: نعم يا رب، فنوديت: يا محمد ارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد ابن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجّة بن الحسن يتلألأ من بينهم كأنّه كوكب درّي ـ عليهم افضل الصلاة والسلام ـ.

فقلت: يا ربّ من هؤلاء ومن هذا؟

فقال سبحانه وتعالى: هؤلاء الأئمة من بعدك المطهّرون من صلبك، وهذا هو الحجّة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويشفي صدور قوم مؤمنين.

فقلنا: بآبائنا وأُمّهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً.

فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: وأعجب من هذا أنّ أقواماً يسمعون هذا منّي ثمّ يرجعون على أعقابهم بعد إذهداهم الله ويؤذونني

فيهم لا أنا لهم الله شفاعتي[١].

قال يوحنّا: واعتقادكم أنتم أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لمّا مات مات على غير وصيّة، ولم ينصّ على خليفته، وأنّ عمر بن الخطّاب اختار أبا بكر وبايعه وتبعته الأُمّة، وأنّه سمّى نفسه خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وأنتم تعلمون كلّكم أنّ أبا بكر وعمر لمّا مات رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ تركوه بغير غسل ولا كفن وذهبا إلى سقيفة بني ساعدة فنازعا الأنصار في الخلافة، وولي أبو بكر الخلافة ورسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مسجّى، ولا شكّ أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يستخلفه، وأنّه كان يعبد الأصنام قبل أن يسلم أربعين سنة، والله تعالى يقول: ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾[٢] ومنع فاطمة إرثها من أبيها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بخبر (رواه).

قالت فاطمة: يا أبا بكر ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فريّاً، وعارضته بقول الله: ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾[٣]. ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾[٤]، وقال الله تعالى: ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾[٥] ولو كان حديث أبي بكر صحيحاً لم يمسك علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ سيف رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وبغلته وعمامته ونازع العبّاس عليّاً بعد موت فاطمة ـ عليها السلام ـ في ذلك، ولو كان هذا

---

(١) كفاية الأثر: ص ٦٩ ـ ٧٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٣) سورة مريم: الآية ٦.

(٤) سورة النمل: الآية ١٦.

(٥) سورة النساء: الآية ١١.

الحديث معروفاً لم يجز لهم ذلك، وأبو بكر منع فاطمة ـ عليها السلام ـ فدكاً لأنّها ادّعت ذلك، وذكرت أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ نحلها إياها فلم يصدّقها في ذلك مع أنّها من أهل الجنّة، وأن الله تعالى أذهب عنها الرجس الذي هو أعمّ من الكذب وغيره، واستشهدت عليّاً ـ عليه السلام ـ وأُمّ أيمن مع شهادة النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لها بالجنّة، فقال: رجل مع رجل وامرأة، وصدّق الأزواج في ادّعاء الحجرة، ولم يجعل الحجرة صدقة فأوصت فاطمة وصيّة مؤكّدة أن يدفنها عليّ ليلاً حتى لا يصلّي عليها أبو بكر[1].

وأبو بكر قال: أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم[2]، فإن صدق فلا يصحّ له التقدّم على علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، وإن كذب فلا يصلح للإمامة، ولا يحمل هذا على التواضع لجعله شيئاً موجباً لفسخ الإمامة، وحاملاً له عليه.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١، وقد تقدمت تخريجاته.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٢، كنز العمّال ج ٥ ص ٥٨٨ ح ١٤٠٤٦ وح ١٤٠٥، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠، نهج الحقّ ص ٢٦٤، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٦٩.

ومعنى كلامه هنا أنه يرى نفسه غير صالح للخلافة وذلك لقوله: أقيلوني فلست بخيركم، وقد اعترف في ضمن كلمته هذه بأحقية علي ـ عليه السلام ـ منه بالخلافة ؟!! ومن رأى نفسه كذلك لا يجوز له أن يقبل الخلافة ولا أن يعهد بها إلى غيره!

ولذلك يتعجب منه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ إذ يقول في خطبته الشقشقية: فيا عجباً! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدَّ ما تشطرا ضرعيها!

وقال في هذا المعنى مهيار الديلمي:

حمّلوها يوم السقيفة أوزا ... راً تخف الجبال وهي ثقالُ

ثم جاءوامن بعدها يستقيلو ... ن، وهيهات عثرةٌ لا تقالُ

انظر: ديوان مهيار الديلمي ج ٣ ص ١٦، ورواها ايضاً ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٦٨.

وأبو بكر قال: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا زغت فقوّموني[١]. ومن يعتريه الشيطان فلا يصلح للإمامة !!

وأبو بكر قال في حقّه عمر: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، ووقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[٢]، فتبيّن أنّ بيعته كانت خطأً على غير الصواب، وأنّ مثلها مما يجب المقاتلة عليها.

وأبو بكر تخلّف عن جيش أُسامة وولّاه عليه، ولم يولّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على علي أحداً[٣].

وأبو بكر لم يولّه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عملاً في زمانه قطّ إلّا سورة براءة، وحين ما خرج أمر الله تعالى رسوله بعزله وأعطاها عليّاً[٤].

وأبو بكر لم يكن عالماً بالأحكام الشرعية، حتى قطع يسار سارق، وأحرق بالنار الفجأة السلمي التيمي[٥]، وقد قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «لا يعذّب بالنار إلّا ربّ النار»[٦].

ولما سئل عن الكلالة لم يعرف ما يقول فيها فقال: أقول برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمن الشيطان.

وسألته جدّة عن ميراثها، فقال: لا أجد لك في كتاب الله شيئاً ولا في

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٤، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٤ ص ٩٦.

(٤) تقدّمت تخريجاته.

(٥) راجع: الامامة والسياسة ج ١ ص ١٤.

(٦) شرح السنّة للبغوي ج ١٢ ص ١٩٨، مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٥١، كشف الأستار ج ٢ ص ٢١١ ح ١٥٣٨.

سنّة محمد، ارجعي حتى أسأل فأخبره المغيرة بن شعبة أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أعطاها السدس وكان يستفتي الصحابة في كثير من الأحكام.

وأبو بكر لم ينكر على خالد بن الوليد في قتل مالك بن نويرة، ولا في تزويج امرأته ليلة قتله من غير عدّة[١].

وأبو بكر بعث إلى بيت أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ لمّا امتنع من البيعة فأضرم فيه النار[٢] وفيه فاطمة ـ عليها السلام ـ وجماعة من بني هاشم وغيرهم فأنكروا عليه.

وأبو بكر لمّا صعد المنبر جاء الحسن والحسين وجماعة من بني هاشم وغيرهم وأنكروا عليه وقال له الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ: هذا مقام جدّنا ولست أهلاً له[٣].

وأبو بكر لمّا حضرته الوفاة، قال: يا ليتني تركت بيت فاطمة لم أكشفه، وليتني كنت سألت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: هل للأنصار في هذا الأمر حقّ؟

وقال: ليتني في ظلّة بني ساعدة ضربت على يد أحد الرجلين، وكان هو الأمير وأنا الوزير[٤].

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٩١، نهج الحقّ ص ٢٧، وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٦: فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج اليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة ـ عليها السلام ـ تبكي وتصيح، فنهنهتْ من الناس إلخ وروى ذلك عن ابي بكر الجوهري.

(٣) نهج الحق: ص ٢٧٢، أُسد الغابة، ج ٢ ص ١٤، الصواعق المحرقة ص ١٧٥، ط المحمدية و ص ١٠٥ ط الميمنية بمصر.

(٤) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٤، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢، نهج الحق ص ٢٦٥، فقد

وأبو بكر عندكم أنّه خالف رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في الاستخلاف، لأنّه استخلف عمر بن الخطّاب ولم يكن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولّاه قطّ عملاً إلّا غزوة خيبر فرجع منهزماً، وولّاه الصدقات فشكا العبّاس فعزله النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وأنكر الصحابة على أبي بكر تولية عمر حتى قال طلحة: ولّيت عمر فظّاً غليظاً.

وأمّا عمر، فإنّه أُتي إليه بامرأة زنت وهي حامل فأمر برجمها، فقال علي ـ عليه السلام ـ: إن كان لك عليها سبيل فليس لك على حملها من سبيل، فأمسك وقال: لو لا علي لهلك عمر(١).

وعمر شكّ في موت النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقال: ما مات محمد ولا يموت حتى تلا عليه أبو بكر الآية: ﴿ **إنّك ميّت وإنّهم ميّتون** ﴾(٢) فقال: صدقت، وقال: كأنّي لم أسمعها(٣).

← ذكر المؤرخون ان ابا بكر ندم على اشياء فعلها وتمنى فعل اشياء تركها وممن ذكر ذلك، ابن قتيبة في الامامة والسياسة ص ٢٤: وذكر ذلك في مرضه عند دخول جماعة عليه منهم عبد الرحمٰن وقال له: ولا اراك تأسى على شيء من الدنيا فاتك، قال أجل: والله ما آسى إلا على ثلاث فعلتهن ليتني تركتهن، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن، وثلاث ليتني سألت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عنهن. فأما اللاتي فعلتهن وليتني لم أفعلهن، فليتني تركت بيت عليّ وإن كان أعلن عليّ الحرب، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، فكان هو الامير، وكنت أنا الوزير، وليتني حين أُتيت بالفجاءة السلمي أسيراً أني قتلته ذبيحاً أو أطلقته نجيحاً، ولم أكن أحرقته بالنار، وأما اللاتي تركتهن وليتني كنت فعلتهن، ليتني حين آتيت بالاشعث بن قيس أسيراً أني قتلته ولم أستحيه، فاني سمعت منه وأراه لا يرى غياً ولا شراً الا اعان عليه، وليتني حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام، اني كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق ...الخ.

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) سورة الزمر: الآية ٣.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٦٧، صحيح البخاري ج ٦ ص ١٧، وقد تقدّم الحديث مع

وجاءوا إلى عمر بامرأة مجنونة قد زنت فأمر برجمها، فقال له علي ـ عليه السلام ـ: القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، فأمسك، فقال: لو لا علي لهلك عمر[١].

وقال في خطبة له: من غالى في مهر امرأته جعلته في بيت مال المسلمين، فقالت له امرأة: تمنعنا ما أحلّ الله لنا حيث يقول: ﴿ **وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مُبيناً** ﴾[٢] فقال: كلّ الناس أفقه من عمر حتى المخدّرات في البيوت[٣].

وكان يعطي حفصة وعائشة كلّ واحدة منهما مائتي ألف درهم، وأخذ مائتي ألف درهم من بيت المال فأنكر عليه المسلمون فقال: أخذته على وجه القرض[٤].

ومنع الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ إرثهما من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ومنعهما الخمس[٥].

وعمر قضى في الحدّ بسبعين قضية وفضّل في العطاء والقسمة، ومنع المتعتين وقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حلالتان وأنا محرّمهما، ومعاقب من فعلهما[٦].

← تخريجاته.

(١) تقدّمت تخريجاته.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٠.

(٣) الدرّ المنثور ج ٢ ص ٤٦٦، نهج الحق ص ٢٧٨، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٨٢ وج ١٢ ص ١٧.

(٤) نهج الحقّ ص ٢٧٩، وفيه عشرة آلاف.

(٥) أحكام القرآن للجصّاص ج ٣ ص ٦١.

(٦) نهج الحقّ: ص ٢٨١، الدرّ المنثور ج ٢ ص ٤٨٧، وقد تقدمت تخريجاته.

وخالف النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأبا بكر في النصّ وعدمه، وجعل الخلافة في ستّة نفر، ثمّ ناقض نفسه وجعلها في أربعة نفر، ثمّ في الثلاثة، ثمّ في واحد، فجعل إلى عبد الرحمن بن عوف الاختيار بعد أن وصفه بالضعف والقصور، ثمّ قال: إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالا، وإن صاروا ثلاثة ثلاثة فالقول للذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، لعلمه أنّ علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر، وأنّ عبد الرحمن بن عوف لا يعدل بالأمر عن ابن أُخته وهو عثمان، ثمّ أمر بضرب عنق من تأخّر عن البيعة ثلاثة أيّام[١].

وعمر أيضاً مزّق الكتاب كتاب فاطمة ـ عليها السلام ـ، وهو أنّه لما طالت المنازعة بين فاطمة وأبي بكر، ردّ عليها فدك والعوالي، وكتب لها كتاباً فخرجت والكتاب في يدها فلقيها عمر فسألها عن شأنها، فقصّت قصّتها، فأخذ منها الكتاب وخرَّقه[٢]، ودعت عليه فاطمة، فدخل على أبي بكر ولامه على ذلك، واتّفقا على منعها.

وأمّا عثمان بن عفّان فجعل الولايات بين أقاربه، فاستعمل الوليد أخاه لأُمّه على الكوفة، فشرب الخمر، وصلّى بالناس وهو سكران[٣]، فطرده أهل الكوفة، فظهر منه ما ظهر.

وأعطى الأموال العظيمة أزواج بناته الأربع، فأعطى كلّ واحد من أزواجهنّ مائة ألف مثقال من الذهب من بيت مال المسلمين، وأعطى

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٨ ـ ٢٩، نهج الحقّ ص ٢٨٥، تقدم الحديث مع تخريجاته.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٧٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٣ ص١٨، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٥ و ٢٥٩، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٢،الامامة والسياسة ج ١ ص٣٢، أسدالغابة ج ٥ ص ٩٠،نهج الحق ص ٢٩٠.

مروان ألف ألف درهم من خمس افريقية[١].

وعثمان حمى لنفسه عن المسلمين ومنعهم عنه[٢]، ووقع منه أشياء منكرة في حقّ الصحابة.

وضرب ابن مسعود[٣] حتى مات وأحرق مصحفه، وكان ابن مسعود يطعن في عثمان ويكفّره.

وضرب عمّار بن ياسر صاحب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حتى صار به فتق[٤].

واستحضر أبا ذرّ من الشام لهوى معاوية وضربه ونفاه إلى الربذة[٥]، مع أنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كان يقرّب هولاء الثلاثة.

وعثمان أسقط القود ـ عن ابن عمر ـ لمّا قتل النوار بعد الإسلام.

وأراد أن يسقط حدّ الشراب عن الوليد بن عتبة الفاسق، فاستوفى منه علي ـ عليه السلام ـ، وخذلته الصحابة حتى قتل ولم يدفن إلّا بعد ثلاثة أيّام ودفنوه في حشّ كوكب.

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٩، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٥، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤، نهج الحق ص ٢٩٣، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٩٨.

(٢) نهج الحق ص ٢٩٤، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٢، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٩٩، تاريخ الخلفاء ص ١٦٤.

(٣) نهج الحق ص ٢٩٥، اسد الغابة ج ٣ ص ٢٥٩، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٣، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٨، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٩٨، و ج ٣ ص ٤٠.

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٧١، الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٢، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٣٨، نهج الحق ص ٢٩٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٢، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٦، نهج الحق ص ٢٩٨، انساب الاشراف ج ٥ ص ٥٢، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٣٩.

وغاب عن المسلمين يوم بدر، ويوم أُحد، وعن بيعة الرضوان.

وهو كان السبب في أن معاوية حارب عليّاً ـ عليه السلام ـ على الخلافة، ثمّ آل الأمر إلى أن سبّ بنو أُميّة عليّاً ـ عليه السلام ـ على المنبر، وسمّوا الحسن، وقتلوا الحسين، وشهّروا أولاد النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وذرّيته في البلاد يطاف بهم على المطايا[١]، فآل الأمر إلى الحجّاج حتى إنّه قتل من آل محمد اثني عشر ألفاً وبنى كثيراً منهم في الحيطان وهم أحياء، وكلّ السبب في هذا أنّهم جعلوا الإمامة بالاختيار والإرادة، ولو أنّهم اتّبعوا النصّ في ذلك ولم يخالف عمر بن الخطّاب النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في قوله: «آتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً»[٢]، لما حصل الخلاف وهذا الضلال.

قال يوحنّا: يا علماء الدين هؤلاء الفرقة الذين يسمّون الرافضة هذا اعتقادهم الذي ذكرنا، وأنتم هذا اعتقادكم الذي قرّرناه، ودلائلهم هذه التي سمعتموها، ودلائلكم هذه التي نقلتموها.

فبالله عليكم أيّ الفريقين أحقّ بالأمر إن كنتم تعلمون؟

فقالوا بلسان واحد: والله إنّ الرافضة على الحقّ، وإنّهم المصدّقون على أقوالهم، لكن الأمر جرى على ما جرى فإنّه لم يزل أصحاب الحقّ مقهورين، واشهد علينا يا يوحنا إنّا على موالاة آل محمد، ونتبرّأ من أعدائهم، إلّا أنّا نستدعي منك أن تكتم علينا أمرنا لأنّ الناس على دين ملوكهم.

قال يوحنّا: فقمت عنهم وأنا عارف بدليلي، واثق باعتقادي بيقين

---

(١) انظر: ينابيع المودة ب ٦١ ص ٣٥٠، مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ للمقرم.

(٢) تقدّمت تخريجاته.

فللّه الحمد والمنّة ، ومن يهد الله فهو المهتد .

فسطّرت هذه الرسالة لتكون هداية لمن طلب سبيل النجاة ، فمن نظر فيها بعين الإنصاف أرشد إلى الصواب ، وكان بذلك مأجوراً ، ومن ختم على قلبه ولسانه فلا سبيل إلى هدايته كما قال الله تعالى : ﴿ **إنّك لا تَهْدي مَنْ أحببتَ ولكنّ اللهَ يهدي مَنْ يشاء** ﴾[1] فإنّ أكثر المتعصّبين ﴿ **سواءٌ عليهم أأنذرتَهم أم لم تُنذرْهم لا يؤمنون ، خَتَم اللهُ على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشَاوةٌ ولهم عذابٌ عظيمٌ** ﴾[2] .

اللهمّ إنّا نحمدك على نعمك الجسام ، ونصلّي على محمد وآله المطهّرين من الآثام ، مدى الأيّام ، على الدوام ، إلى يوم القيامة .

إلى هنا ما وقفنا عليه من الكتاب المذكور ، ولله سبحانه الحمد والمنّة[3] .

---

(١) سورة القصص : الآية ٥٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٦ ـ ٧ .

(٣) الكشكول للبحراني : ج ٢ ص ٢٨ .

المناظرة الثالثة والستون

مناظرة الشيخ محمد باقر المازندراني مع رجل من العامة

يقول ـ رحمه الله ـ: حين أويت لحرارة الصيف إلى الفيء، في مسجد من مساجد الري، رأيت واحداً من أهل سَنة[1].

وكان من دهاة أهل السنة وجدته شاباً عاقلاً فطناً، ومتكلماً كيساً لسناً، فسلم عليّ، وجلس لديَّ وتكلمنا معاً فصار معي مأنوساً، بعد ما كان من الرفضة باعتقاده مأيوساً، حتى ما انفك مني لحظة، ولا غفل عني نوماً ولا يقظة، وكنت أنا معه كذلك، في كل المواقف والمسالك.

وقلت له ذات يوم: ايها الشاب العاقل، والحبيب الفطن الكامل، انت طالبي وانا مطلوبك، وحبيبي وانا محبوبك، لا ينبغي ان تكون في مذهب واكون انا في مذهب سواه، مع إنّا من أُولي الألباب بلا اشتباه، فلا بد أن نتكلم في المذهب بالإنصاف ولا نسلك سبيل التعصب وطريق الاعتساف، حتى نرى بلا تعصب ونزاع، أن مذهب أينا أحقّ بالاتباع، فيصير الوداد بيننا باطنياً ومعنوياً، بعد ما كان ظاهرياً ولفظياً.

فقبل وتبسم، وقال: ما شئت تكلم.

فقلت له: أخبرني عن رجل اتفق الفريقان على اتصافه بجميع الصفات الكاملة، واستجماعه بتمام المحاسن الفاضلة، ما من نعوت محمودة إلّا وهو مجمعها، وما من شموس محمودة إلّا وهو مطلعها، وما من مناقب إلّا وهو أبو عذرها، وما من فضائل إلا وهو مَجَلِّي مضمارها

---

(١) قوله: سنة بفتح السين بلد معروف.

وابن بجدتها، ومن رجل اتفق فريق على اتصافه بالمحامد لكن لا بهذه الدرجة العظمى والمرتبة العليا.

واتفق فريق آخر على كونه منبع الكفر والعصيان، ومجمع الشرك والطغيان، أيهما أحق بكونه متبوعاً في البين؟

قال: من وقع عليه الاتفاق من الفريقين.

قلت: إن كنت لا بد أن ترد زوجتك وبنتك المحبوبتين إلى بلدك ودارك، ولا يمكنك الذهاب معهما لاضطرارك، والمفروض أن هذين الرجلين المذكورين يريدان السفر إلى بلدك، وكل منهما يقبل ان يوصلهما إلى مقامك ومقعدك فأنت أيهما تختار لذلك؟

قال: أختار من وقع إجماع الفريقين على محاسنه في جميع المسالك.

قلت: أترضى أن تفوضهما إلى من وقع الاتفاق على محامده من فريق وعلى مثالبه من آخر، وترفض من وقع الإجماع على فضائله من الفريقين؟

قال: كلّا وحاشا إلّا أن أكون معدوم العقل والفطانة، ومسلوب البصيرة والكياسة.

قال: لأنه لو وقع الفساد من هذا الرجل الممدوح من الفريقين بالنسبة إلى أهلي لم أكن أخجل عند نفسي ولا عند العقلاء ملوماً، بل لم أكن عند أحد مذموماً، بخلاف ما لو فوضت أمرهما إلى من وقع اتفاق فريق على مدحه وإجماع آخر على ذمه فإن وقع منه فساد بالنسبة إليها ذمني العقلاء بل الجهلاء أشدَّ الذم، ولاموني أتمَ الملام، واكونُ عند نفسي خَجِلاً، وكلّما دار ذلك في خلدي أكون متحسراً ومنفعلاً.

قال: ومن شك في ذلك فهو ممن سلب عنه المشاعر والمدارك ؟!

ثم قلت: إن كنت سلطاناً وغرضك إعلاء الدين نظماً وبرهاناً وإيصال المنافع إلى الغير وامتياز الشر من الخير، والفساد من الصلاح، والنكاح من السفاح، والجائر من العادل، والعالم من الجاهل والرفيع من الوضيع والفطيم من الرضيع والعابد من العاصي، والأذناب من النواصي، والأداني من الأقاصي، والحمار من الفرس الشناصي[1]، والبيوت من الشعر من الصياصي والعاتي من الخاشع، والطامع من القانع، أيمكن ذلك بلا نزاع وجدال وتسلط وقهر وغلبة وقتال ؟

قال: لا !

قلت: هل يحصل التسلّط والقهر والغلبة وتفريق الصفوف، بدون مد الرماح وإشهار السيوف وإطارة السهام الثواقب وتجهيز العساكر والمقانب، وإجالة السبوح أو البعير، وتسديد الرأي والتدبير ؟

قال: لا.

قلت: هل يحصل ذلك بلا قائد للفيالق وبدون رئيس راتق وفاتق، وغطريف ذي كياسة، وبطريق عارف بقواعد الرئاسة، وأمير ذي سياسة، وشجاع صاحب رأي متين، ومنظم لأمور المجاهدين ؟

قال: لا.

قلت: فإذا كان لك ابن متصف بسداد الرأي والتدبير، وكان شجاعاً مقداماً وصاحب فطانة وكياسة، وعارفاً بقواعد السياسة، ومستحقاً للرئاسة، ومفرقاً للكتائب، وممزقاً للمقانب، ومفنياً للأعداء والأبطال،

---

(١) شناصٌ وشناصيّ: طويلٌ شديدٌ جواد.

ومجدلاً للأقران والأمثال ، وعالماً بقواعد الحرب ، وضوابط القتل والضرب .

وكان ممن يبتغي مرضاتك ولا يتساهل في خدماتك ، ويقول بساستك ويعترف برئاستك ، لا يقول إلّا ما قلت ، ولا يحكم إلا ما حكمت ولا يسلك إلا سبيلك ، ولا يرى إلّا دليلك بل قد جربته في الغزوات ، ودريت أنه لا يخاف المهلكات ورأيته بذل لك الروح ، وأظهر لك الظفر والفتوح ، وعلمت أنه صاحب العزم ، وتيقنت أنه ثابت الجزم ، وعاينت استقرار سلطنتك من عضده واهتمامه ، وشاهدت جلالتك من ساعده ويده وصمصامه ، هل تجعله أميراً لعسكرك ، وأميناً لضبط أمرك ؟

قال : لا شك في ذلك ، بل أجعله صاحب اختيار رعيتي وأهلي وأقاربي في كل المواقف والمسالك .

قلت : هل يمكن أن تدعه مهملاً ، وتجعله عن السلطنة عاطلاً ، إذا ظهرت آثار موتك ، وبلغ زمانُ فوتك ، ولا تجعله نائبك وخليفتك ولا تشيّد أركان نيابته ، وصرح خلافته ، ما دام لك شعور ، ولا تهوى أن تكون السلطنة في سلالتك ، ولا تشتهي أن تكون الرئاسة في أعقابك ؟

قال : كلّا وحاشا إلّا ان أكون سفيهاً أو مجنوناً !!

قال : بل أجعله نائبي ووصيي وخليفتي ، وألتزم من أهل مملكتي ، أن يصدّقوا نيابته ويعترفوا برئاسته ، ويقروا بعد وفاتي سلطته ، بل في حال حياتي لأني مأمون من مخالفته من جميع الوجوه وقاطع باستحقاقه إياها وأُظهرُ جلالتَه عند العباد وأبدي سلطنته ، في البلاد ، وأسعى في إعلائه وارتفاعه ووجوب رئاسته وقبول اتّباعه ، من الأداني والأقاصي ، ومن الأذناب والنواصي ، ومن المطيع والعاصي .

وأفوض إليه الكنوز والصياصي، لأنه قاتل الأعداء وأهل الشقاق، ودمَّر الأشقياء وأصحاب النفاق واستأصلَ القبائل، وضيّق على الأوغاد والأراذل، وبذل جهده في إنجاح مأمولي، وإسعاف مسئولي، وأوقع نفسه في المعارك، وصيّرها معرضاً للمهالك، واختار نفسي على ذاته، وآثر حياتي على حياته، فإن لم أجعله وصيّي ووليّي وخليفتي وصفيي، لكنت من أبخل الناس وأسفههم، وأجهل الخلق وأبلههم، وأرذل البرايا وأسفلهم وأَحطّ العباد وأكسلهم.

بل إن لم أفعل ذلك لكنت أجعل أهلي وأولادي معرضاً للقتل والسبي والاستيصال وأقاربي وعشائري مورداً للإفناء والإعدام والاختلال، وكنوزي عرضة للنهب، وقصوري منصة للهدم، لا سيما ابني الذي بذل سعيه في إعانتي، واهتم في إعلاء درجتي ومرتبتي، وما قصرَ في حمايتي، وما أهمل في كل ما فيه إرادتي، لأن أعقاب المقتولين، وعشائر المستأصلين، ينتهزون الفرصة في الكمين حتى يطلبوا الثارات والدخول، لما ارتكز في النفوس والعقول، من طلب ثار المقتول، ولو بعد أزمنة طويلة وعهود متطاولة فيجعلوه عرضة للأسياف والرماح، ويعضوه كالكلب النبّاح، في الصباح والرواح فيصير مضغة للأكل وفريسة للمفترس الصائل.

قلت: فإذا كان لك خُدّام أجانب، ولهم عندك منازل ومراتب فإذا حدث لك أمرٌ من هجوم الأعداء، وتحتاج إلى المقاتلة في الهيجاء وجهّزتَ العساكر وأردتَ الجهاد، وأقبلت على الأعادي وأهل الفساد.

فإذا احتدمت الحرب، ووقعت صدمات الكسر والضرب، وظهرت السيوف تعلو وترسب وتجيىء وتذهب، والرماح تتصعّد وتتصوّب،

والسهام تطير يميناً وشمالاً وخلفاً وقدّاماً ورأوا العثير مثاراً، والجواد صاهلاً، والعسكر صائلاً، والبطل راجزاً، والمضمار متزلزلاً، والدماء فائضة، والأبدان فيها خائضة، والرؤوس كالحباب، والدروع كالسحاب.

تراهم يفرون عن أعادي القتال ويجعلونك معرضاً للقتل والنهب والاستئصال ويسعون في نجاتهم حباً لحياتهم، وابنك الموصوف بين الأبطال والصفوف، يغزو ويجعله مضرباً للسيوف، ومعرضاً للسهام والحتوف، لا يخاف من الفوت ولا يبالي بالموت ويسعى في طرد الأعداء عنك محصوراً، حتى لا تصير مقتولاً أو مأسوراً، ولم يكن هذا العمل ظهر منه في واقعة واحدة، بل في وقائع متعددة.

وفي كل هذه الوقائع أيضاً فرّ سواه، ولم تكن ترى في الحرب أحداً عداه، حتى استقام أمرك بسعيه، وقام لك عمود السلطنة بوعيه، وكنت في مدة رئاستك، وأزمنة سياستك، من فرارهم في الهيجاء محروق السويدا، ومن حينهم شديد الألم، وعظيم الكربة والغم.

فإذا اتفق موتك، وظهر فوتُك مَدُّوا أعناقهم نحو السلطنة وادعوا الرئاسة، واستحقاق السياسة، وأمروا ابنك المقدام إلى متابعتهم حتى يجعلوه من رعاياهم، وقالوا: نحن نشيد صرح السلطنة ونحفظ المملكة ونجعل اسم السلطان مبسوطاً ونراعي أولاده، أترى إن صرت حياً أنهم صادقون في هذا القول والكلام، بعدما ظهر منهم عدم الاهتمام، في حال حياتك وعدم الرعاية في نجاتك، مع كون تنظيم الأمر في ذلك الوقت أصعب وأشكل وفي هذا الزمان أسهل.

قال: لا أصدقهم في هذا القول، بل أقول بالتسوية بين هذا القول والبول، لأنهم في زمان كانت الأعادي أقوياء ونحن أضعف من جميع

الوجوه، وكدت في أكثر الغزوات والوقائع أتوه، ما اهتموا في تشييد صرح السلطنة، وتعمير قصر المملكة وتنظيم أمور العباد في الأمكنة والأزمنة، وما راعو ما يجب رعايته، وما حفظوا ما يلزم حمايته.

فاذا انتظمت الأمور، وعُمّرتْ البلاد والقصور، ومن الأعادي خلت الأمكنة، وقام عمود السلطنة انتهزوا الفرصة ليصيروا ملوكاً، ورام كل واحد منهم أن لا يسمى صعلوكاً، وذلك يدل على متابعتهم الأهواء وابتغاء الرئاسة، وحبهم صوت النعلين واشتهائهم السياسة، وإلّا لكان ظهر منهم ما ظهر من ابني الباسل المقدام، وقت هجوم الأعداء اللئام، ولو ظفروا في تلك الأيام، لما بقى لنا عين ولا أثر في الأشهر والأعوام، ولا يستقر أمر السلطنة كما استقر بعد قمعهم، ولا تنتظم أمور الأبرار كما انتظم بعد جمعهم، بل استقامة أمور الدين من الجماعة والجمع بمعونة هذا الهزبر المُدَرَّع والكمي المقنع.

ثم قال: والله لا شك أن هذا بناءً على فرضك يدل على متابعتهم الأهواء، ومن أنكر ذلك معدود من المجانين والسفهاء!!

ثم قلت: أكان علي ـ عليه السلام ـ بين الفريقين مجمع المناقب؟

قال: كيف لا، وهو أسد الله الغالب.

قلت: أكان أبو بكر ممدوحاً بين أهل السنة؟

قال: نعم.

قلت: أكان محموداً عند الشيعة؟

قال: لا.

قلت: أيكون الدين أعز من الزوجة والبنت أم لا؟

قال: الدين أعز.

قلت : فلم فوضت دينك إلى أبي بكر ورضيت أن تفوض أهلك إلى من لا يكون ممدوح الفريقين ؟ فأطرق إلى الأرض ملياً .

ثم قلت : ألم يك أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في غزوات المشركين فعل ما فعل كما هو مشهور ، وفي كتب الفريقين مسطور ، وألم يك أبو بكر وعمر فراكما هو في الألسنة مذكور وفي التواريخ[1] مزبور ؟

قال : نعم .

قلت : لم يسعيا في غزوات النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مع كونهما مبشرين بالنعيم إن صارا مقتولين ومعززين عند الله ورسوله إن كانا حيّين ، وحيث لم يسعيا في ذلك الزمان ، أوان ضعف الإسلام والإيمان ، وحين شوكة الشرك والكفر ، بل فرّا في كل الغزوات وما خجلا عن رسول الكائنات ، علم أن طلبهم الرئاسة وابتغائهم السياسة ، كان لأجل الغرض ، بل في قلوبهم مرض ، فأطرق أيضاً إلى الأرض مليّاً .

ثم قلت : أنت ما رضيت بأن تترك الوصية لابنك وأهلك وأولادك لئلّا تخرج السلطنة عنهم ، ولا يصيرون معرضاً للقتل والنهب والأسر والذلة ، فكيف يرضى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ان يموت ولا ينصب علياً ـ عليه السلام ـ خليفته وقاضي دينه ومنجز وعده ولا يجعله إمام العباد ، وسلطان البلاد ، مع علمه بغرائز العرب ، وكثرة إفسادهم في حالة الغضب .

حيث يقتلون القبائل ، لطلبهم ثاراً واحداً من الأراذل ، ولا ينتهون

---

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٢٤٠ ، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ١٧٧ ح ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٧ ، الشذرات الذهبية لابن طولون ص ٥٢ ، كشف الغمة للاربلي ج ١ ص ١٨٨ ، بحار الانوار ج ٢٠ ص ١٠١ ح ٢٩ .

عن ابتغائهم الذحول ولو كانوا في ضنك المحول[١]، وقد زوجه من فلذة كبده ومهجة خلده فاطمة البتول ـ عليها السلام ـ، أيصدر ذلك من الظلوم الجهول، فضلاً عن الرسول سلطان أهل العدل والعقول، ضرورة أن ذلك موجب لإراقة دمائهم واستئصالهم وسبب لاختلالهم وفساد أحوالهم.

مع أن الله تعالى أوجب مودتهم وفرض محبتهم للخلق عجماً وعرباً وقال: ﴿ **قل لا اسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى** ﴾[٢] وأنزل في

---

(١) المحول: الضيق والشدة.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

فقد روى الجمهور أن هذه الآية نزلت في قربى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ.

راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ٢ ص ١٣٠ ح ٨٢٢ـ٨٢٨، مناقب علي ابن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٣٠٧ ح ٣٥٢، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ١٠١ و ١٣٥ ط الميمنية بمصر و ص ١٦٨ و ٢٢٥ ط المحمدية بمصر، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٩١ ط الحيدرية و ص ٣١ ط الغري، تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٤٠٢ ط مصطفى محمد و ج ٤ ص ٢٢٠ ط بيروت، تفسير الفخر الرازي ج ٢٧ ص ١٦٦ ط عبد الرحمن بمصر و ج ٧ ص ٤٠٥، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٠٦ ط إسلامبول و ص ١٢٣ ط الحيدرية و ج ١ ص ١٠٥ ط العرفان، إحقاق الحق للتستري ج ٣ ص ٢ـ٢٢، فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٥٩، فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠ و ج ٢ ص ١٣ ح ٣٥٩، الغدير للأميني ج ٢ ص ٣٠٦ـ ٣١١.

فَوجوب محبتهم ـ عليهم السلام ـ مما لا إشكال فيه، وفي هذا المعنى يقول الشافعي:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

راجع: ينابيع المودة ص ٣٥٤ ط الحيدرية و ص ٢٥٩ ط إسلامبول، نور الأبصار ص ١٠٥ ط السعيدية و ص ١٠٣ ط العثمانية، الغدير للأميني ج ٣ ص ١٧٣، وفي هذا المعنى أيضاً قال الفرزدق:

←

حقهم آية التطهير [١]، فأطرق إلى الأرض مليّاً .

قلت له : أيها الشاب الكامل والحبيب الفطن العاقل إن الله تعالى نهى عن أخذ التعصب والمراء ، واتباع الأمهات والآباء .

أطلب منك الإنصاف والانحراف عن مسلك الاعتساف ، أو ما قرع سمعك أن من تعوّد أن يصدق من غير دليل فقد انسلخ عن الفطرة الإنسانية ؟

قال : والله ما قلت : حقٌ وما نطقتَ : صدقٌ ، يطابقه النقل ويحكم به بديهة العقل .

فقلت له : إن العقل شاهد صدق ودليل حق ، والله تعالى أنعمك به خذ ما يقتضيه ودع متابعة أبيك وأبيه لئلا تصير مستحقاً للعقاب ، في يوم الحساب ، لو كان متابعة الأباء حقاً والعقل معزولاً لمَا كان أحدٌ معذباً ومسئولاً ، مع علمك بأن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ما كان مسبوقاً بالكفر ، وما عبد الأوثان والأصنام ، وما شرب الخمر ، وما أكل الميتة في الأيام ، وما ذبح على النصب والأزلام ، دون أبي بكر .

وما أخرج النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بابه عن المسجد [٢]

← من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٨٠ ط دار صادر بيروت .

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ الأحزاب : ٣٣ ، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيهم ـ عليهم السلام ـ .

(٢) وهو حديث سد الأبواب إلا باب علي ـ عليه السلام ـ وقد تقدم مع تخريجاته .

وأدخله تحت العباء وأثبت له منزلة هارون من موسىٰ[١].

وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله[٢]، وأرسله لتبليغ سورة برائة[٣].

وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: أنا مدينة العلم وعلي بابها[٤] وزوّج فاطمة ـ عليها السلام ـ منه، وسمّاه أمير المؤمنين[٥] ويعسوب المؤمنين[٦]، وأبا تراب[٧].

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) تقدمت تخريجاته.

(٤) تقدمت تخريجاته.

(٥) ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٢٦٠ ح ٧٨٥، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢، لسان الميزان ج ٢ ص ٤١٤، حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٤٤١، فرائد السمطين ج ١ ص ١٤٥ ح ١٠٩.

(٦) حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٣، بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢ ح ١، المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٤٨، ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٢٥٩ ح ٧٨٣.

واليعسوب هو: السيّد العظيمُ المالك لأمور الناسِ، وقد قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في نهج البلاغة:

أنا يَعْسُوب المؤمنينَ، والمال يعسوب الفَجّار. وقال ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الكلمة ـ في شرح النهج ج ١٩ ص ٢٢٤ ـ: هذه كلمةٌ قالها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بلفظين مختلفين، تارة: أنت يعسوب الدِّين، وتارة: أنت يعسوب المؤمنين، والكلُّ راجع إلى معنىً واحد، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيِّدَهم، أو جعل الدِّين يتبعه، ويقفُو أثرَه، حيث سلك كما يتبع النحلُ اليعسوبَ، وهذا نحو قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ وأدر الحقَّ معه كيف دار.

(٧) فقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٠: عن أبي الطفيل قال: جاء النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعليٌّ ـ عليه السلام ـ نائمٌ في التراب فقال: إنَّ أحقَّ أسمائك أبو تراب، أنت أبو تراب.

←

وقال له: أنت سيد العرب(١).

وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: عليٌّ خير البشر فمن أبى فقد كفر(٢).

وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين(٣)، وجعله أحد الثقلين.

وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: إنه مع الحق والحق معه كيفما دار، وجعل له خمس ذي القربىٰ وما كان لأبي بكر شيء منها، ونصّ عليه يوم الغدير ودعاله وقال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله(٤)، ونزلت فيه آية التطهير(٥)، وظهر للمباهلة(٦).

← وأيضاً ذكروا أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وجد علياً أمير المؤمنين وعماراً نائمين في دقعاء من التراب فأيقظهما وحرّك علياً فقال: قم يا أبا تراب، ألا أخبرك بأشقى الناس رجلين: أحُيمر ثمود عاقر الناقة، والذي يضربك على هذه (يعني قرنه) فيخضب هذه منها (يعني لحيته).

راجع: مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٦٣ و ص ٢٦٤، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٤، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٦١، السيرة النبويَّة ج ٢ ص ٢٣٦، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٧، مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٣٦، الجامع الكبير للسيوطي ج ٦ ص ٣٩٩، عمدة القاري ج ٧ ص ٦٣٠.

(١) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٤، حُلية الاولياء ج ٥ ص ٣٨، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٨٩، لسان الميزان ج ٦ ص ٣٩.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) راجع: كنز العمال ج ١١ ص ٦٢٣ ح ٣٣٠٣٥، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٢، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩، الفردوس ج ٣ ص ٤٥٥ ح ٥٤٠٦، ارشاد القلوب للديلمي ج ٢ ص ٢١٩.

(٤) تقدمت تخريجاته.

(٥) تقدمت تخريجات نزولها فيهم ـ عليهم السلام ـ.

(٦) وذلك بنص الآية الشريفة ﴿ **قل تعالوا ندعُ أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا** ←

وأكل الطائر المشوي[١]، وسقط النجم في داره[٢]، وحرمت الصدقة عليه وعلى أهل بيته[٣]، وفرضت مودته ومودة أهل بيته[٤]، وكان ولداهما سيّدي شباب أهل الجنة[٥]، وقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ له: أنت قسيم الجنّة والنار[٦].

وقال: لحمك لحمي[٧] الخ، وما أمّر اسامة عليه[٨]، وعلّمه ألف باب

← **وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ سورة آل عمران: الآية ٦١، وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم ـ عليهم السلام ـ.

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٧٨ ح ٩٥، المناقب لابن المغازلي ص٢٦٦ ح ٣١٣، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٥، لسان الميزان ج ٢ ص ٤٤٩، إرشاد القلوب ج ٢ ص٢٩٩، أمالي الصدوق ج ٤ ص ٤٥٣، بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٧٦ ح ٥.

وجاء في ينابيع المودة للقندوزي ص ٢٣٩ في المناقب السبعين في فضائل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ح ٥٨.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً بمكة مع طائفة من شبان قريش وفينا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إذ انقض نجم، فقال ـ عليه السلام ـ: مَنْ انقض هذا النجم في منزله فهو وصيي من بعدي، فقاموا ونظروا وقد انقض في منزل علي ـ عليه السلام ـ فقالوا قد ضللت بعلي فنزلت ﴿ **والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾ رواه ابن المغازلي.

(٣) راجع: مجمع الزوائد ج ٣ ص ٩٠، مسند أبي داود الطيالسي ص ٣٢٥ ح ٢٤٨٢، صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٥١ ح ١٦١، مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٠، تاريخ بغداد ج ١ ص٤١٨، أسد الغابة ج ٢ ص ١٧٦، السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٩، فرائد السمطين ج ١ ص ٣٥.

(٤) بنص الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى** ﴾.

(٥) تقدمت تخريجاته.

(٦) راجع: لسان الميزان ج ٣ ص٢٤٧، مناقب ابن المغازلي ص٦٧ ح٩٧، الفردوس ج ٣ ص ٦٤ ح ٤١٨٠، أمالي الشيخ الصدوق ج ١ ص ٨١ ح ١، بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٩٥ ح ١١.

(٧) راجع: لسان الميزان ج ٢ ص ٤١٥، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١، ينابيع المودة ص ٥٠ الباب السادس، نظم درر السمطين ص ٧٩، فرائد السمطين ج ١ ص ١٥٠ ح ١١٣ و ص ٣٣٢ ح ٢٥٧.

(٨) لم يؤمَّرْ أسامة عليه ولا غيره، سئل الحسن البصري عن عليّ ـ عليه السلام ـ فقال: ما أقول

←

من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب[١]، وآخاه وواساه بنفسه ونام على فراشه ليفديه بنفسه[٢]، وتصدق بخاتمه ونزلت فيه الآية[٣]، وتصدّق بأربعة دراهم في الليل والنهار سراً وعلانية[٤]، وتصدّق على المسكين والأسير واليتيم[٥]، ونزل فيه ﴿ **ومن عنده علم الكتاب** ﴾[٦] وأكل مع النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ طعام الجنة.

وكان حامل لواء الحمد[٧] دون أبي بكر، وكتب في العرش

← فيمن جَمَع الخصال الأربع، ائتمانه على براءة، وما قال له الرسول في غزاة تبوك، فلو كان غير النبّوة شيء يفوته لاستثناه، وقول النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: الثقلان كتاب الله وعترتي، وإنه لم يؤمّر عليه أمير قطّ وقد أمرت الأمراء على غيره. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٩٥ ـ ٩٦ عن الواقدي، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٤.

(١) نظم درر السمطين ص١١٣، ينابيع المودة ص٧٧، فرائد السمطين ج ١ ص ١٠١ ح ٧٠.

(٢) وقد نزل فيه ـ عليه السلام ـ قوله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله** ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٠٧، وقد تقدمت الآية مع تخريجات مصادر نزولها فيه ـ عليه السلام ـ من مصادر العامة.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ سورة المائدة: الآية ٥٥، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيه ـ عليه السلام ـ من مصادر العامة.

(٤) ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرُهُم عِندَ ربهم ولا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٧٤، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيه ـ عليه السلام ـ من مصادر العامة.

(٥) ونزل فيه قوله تعالىٰ: ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾ سورة الإنسان: الآية ٨، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيه ـ عليه السلام ـ من مصادر العامة.

(٦) سورة الرعد: الآية ٤٣، وقد تقدمت الآية مع تخريجات مصادر نزولها فيه ـ عليه السلام ـ.

(٧) راجع: ينابيع المودة ص ٨١، كنز العمال ج١٣ ص ١٥٣ ح٣٦٤٨٧، أمالي الشيخ الطوسي ج ١ ص ٢٦٤، بحار الأنوار ج٧ ص٢٣٣ ح ٤، فرائد السمطين ج ١ ص ٨٧ ح ٥٧، وجاء في المناقب ←

اسمه[١] ـ عليه السلام ـ، وكان أستاذاً لجبرئيل، وصعد على منكب خير الأنام لكسر الأصنام[٢]، وكان نفس الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بآية أنفسنا[٣]، وردّ الشمس[٤]، وأخبر بالغيب[٥].

← للخوارزمي ص٣٥٨ ح٣٦٩: عن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأنت معي ومعنا لواء الحمد وهو بيدك تسير به أمامي تسبق به الأولين والآخرين.

(١) راجع: لسان الميزان ج٣ ص٢٣٨، ينابيع المودة ص٢٣٨ في المناقب السبعين من فضائل أهل البيت ح٥٢، ذخائر العقبىٰ ص٦٩، نظم درر السمطين ص١٢٠، مجمع الزوائد ج٩ ص١٢١.

(٢) راجع: مسند أحمد ج١ ص٨٤، خصائص أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ للنسائي ص١١٣ ح١١٩، المستدرك للحاكم ج٢ ص٣٦٦، تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٠٢، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص٢٧، ذخائر العقبىٰ ص٨٥، ينابيع المودة ص١٣٩.

(٣) وهي قوله تعالىٰ: ﴿ **قل تعالوا ندع أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ سورة آل عمران: الآية ٦١.

وقد تقدمت الآية مع تخريج مصادر نزولها فيهم ـ عليهم السلام ـ من مصادر العامة.

(٤) تقدمت تخريجاته.

(٥) فقد أخبر أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بالأمور الغيبيّة في عدة مواطن، رواها المحدثون والمؤرخون.

فمنها: أنه قال في خطبة: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله لا تسألونني عن فئة تُضِلّ مائة، وتَهدِي مائةً إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها، فقام إليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقةِ شَعْر، فقال له علي ـ عليه السلام ـ: والله لقد حَدّثني خليلي أنّ على كلّ طاقة شَعْر من رأسك مَلَكاً يلعنُك، وإنّ على كلّ طاقة شعر مِنْ لحيتك شيطاناً يغويك، وإنّ في بيتك سَخْلاً يقتل ابن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وكان ابنه قاتل الحسين ـ عليه السلام ـ يومئذٍ طفلاً يحبو، وهو سنان بن أنس النَّخَعيّ.

راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص ٤٨٨، رواه عن كتاب الغارات لابن هلال الثقفي، نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص ٢٤١.

ومنها: إخباره ـ عليه السلام ـ بمقتل ولده الحسين ـ عليه السلام ـ لما اجتاز بأرض كربلا: «بكىٰ وقال: ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وها هنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد ←

وكان نوره موجوداً قبل إيجاد آدم[(١)] ـ عليه السلام ـ، واستشفع آدم باسمه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ[(٢)].

وذكرت له الشواهد والدلائل، فلما لقيني في الصباح، قال: رأيت في الرؤيا كأنك كسوتني شملة بيضاء.

قلت: الحمد لله أهل العظمة والكبرياء، جزم في اعتقاده، ورسخ الحق في فؤاده،... هذه خلاصة ما جرى بيني وبينه وأقر الله تعالى عيني وعينه.[(٣)]

← ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض».

راجع: ينابيع المودة ص٢١٦، نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص٢٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص١٦٩ ـ ١٧١، دلائل النبوة لابن نعيم ص٥٠٩، ذخائر العقبىٰ ص٩٧، نور الأبصار ص١١٧.

ومنها: إخباره ـ عليه السلام ـ بقتل «ذي الثدية» من الخوارج، وعدم عبور الخوارج النهر، بعد أن قيل له: قد عبروا.

راجع: مروج الذهب ج٢ ص٤٠٥ وص٤٠٦، الكامل لابن الأثير ج٣ ص١٧٤ وص ١٧٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص٢٧٢ و٢٧٧، نهجُ الحق وكشف الصدق للعلاّمة الحلي ص٢٤٢.

(١) راجع: الفردوس ج٢ ص١٩١ ح٢٩٥٢، نظم درر السمطين ص٧٩، ينابيع المودة ص١٠، فرائد السمطين ج١ ص٤١ ح٦، فضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص٦٦٢ ح ١١٣٠، بحار الأنوار ج١٥ ص٢٤ ح٤٢.

وقال المرحوم الحجة الشيخ حسن التاروتي ـ رحمة الله عليه ـ في هذا المعنى:

ومهللين مكبرين وآدم　　　من مائه والطين لن يتركبا

(٢) وقد روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص٩٧ عن ابن المغازلي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: فتاب عليه قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه وغفر له.

(٣) أنوار الرشاد للأمة في معرفة الأئمة: للشيخ محمد باقر المازندراني ص ١٤٦ بتصرف.

المناظرة الرابعة والستون

مناظرة أبي ذر (أبوان) المسيحي الكاثوليكي مع رجل تركماني في السجن

هذا العظيم يعتنق الدين الاسلامي الحنيف وبالخصوص مذهب الشيعة مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وذلك عام ١٣٥٣ هـ.

ولد أبوان عام ١٣٣٠ هـ في المملكة الهستانية من أبوين مسيحيين وبعد بضع سنين دخل إحدىٰ المدارس هناك ودام فيها ثلاث سنين، تاقت نفسه يوماً لمغادرة بلاده فقصد روسيا، وفيها واصل دراسته ستة أعوام أخرىٰ فلم يشاهد ثمة في المدرسة إلّا المعارضة ضد الدين، وهذا ما أوجب تركه المدرسة فعزم علىٰ مغادرة روسيا فغادرها، فقبض عليه في الحدود الروسية الإيرانية، وسجن تسعة عشر يوماً، فاتفق أن وجد في السجن مسلِمَين أحدهما شيعي فارسي، والآخر سني تركماني.

فجرىٰ حديث إسلامي بينهم فاطّلع علىٰ شيء من معتقدات الشيعة والسنة حول خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ فمال من حينه إلىٰ مذهب الشيعة.

ولنستمع إليه كيف يحدثنا بما جرىٰ له في أيام سجنه مع الرجلين المُسلِمين:

قال: لما كنت سجيناً في روسيا مع المُسلِمَين المذكورَين، رأيت

المسلم السني يتحامل علىٰ المسلم الشيعي وينسبه إلىٰ المروق من الدين ، عجبت من ذلك وقلت في نفسي : كيف ينسبه إلىٰ ذلك وهما سيّان في العقيدة . سألت الشيعي عن سبب ذلك .

قال : إننا معاشر الإمامية نقول : بخلافة رجل ـ هو صهر نبينا وابن عمه ـ من بعد النبي محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بلا فصل وهو الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ .

وهذا ينفي خلافته كذلك ، وهو السبب في تحامله عليَّ ونسبته لي إلىٰ المروق من الدين .

قال : فتوجهت إلىٰ السني ، وقلت له : إننا في السجن الآن ثمانية رجال ولو فرضنا أن لك بنتاً واحدة فخطبها منك كل منا كنت تزوج أينا منها ؟

أجاب : كنت أزوج أعلمَكم وأكرمَكم وعدد خصالاً حميدة .

فأجبته : فقد أثبتَّ بنفسك أفضلية علي ـ عليه السلام ـ علىٰ غيره من الصحابة ، إذ لم يزوج النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ابنته فاطمة ـ عليها السلام ـ إلا إلىٰ علي[1] ـ عليه السلام ـ ،مع تقدم غيره من الصحابة عليه في خطبتها[2] منه ، فلم يردّ عليَّ جواباً ، انتهىٰ .

---

(١) وجاء في ينابيع المودة ص١٨٣ عن بريدة عن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أن الله تعالىٰ أمرني أن أزوج فاطمة من علي ـ عليه السلام ـ ، وفي فرائد السمطين ج ١ ص ٩٠ ح ٥٩ ، عن أنس بن مالك قال : كنت عند النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فغشيه الوحي فلمّا أفاق قال لي : ياأنس أتدري ما جاءني به جبرئيل ـ عليه السلام ـ من عند صاحب العرش عزّ وجلّ ؟ قال : فقلت : بأبي وأمّي ما جاءك به جبرئيل ؟ قال : إن الله أمرني أن أزوّج فاطمة من علي ـ عليه السلام ـ الخ .

(٢) راجع : خصائص أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ للنسائي : ص ١١٤ ـ ح ١٢٠ ، المناقب لابن

فمن ذلك الوقت عاهد ربّه في نفسه، إن خرج من السجن في يوم أضمره في نفسه أن يدخل إيران ويعتنق الدين الإسلامي وبالخصوص مذهب الشيعة مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، وما إن حلّ ذلك اليوم وإذا بالأمر يصدر بإطلاق سراحه بلا سؤال ولا تحقيق.

فدخل إيران وأمّ خراسان مشهد الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ وبقي شهرين أو ثلاثة أشهر أظهر فيها رغبته في اعتناق الدين الإسلامي رسمياً وبالخصوص مذهب الشيعة مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وفاءً بعهده، فدخل علىٰ العلّامة الحجة المغفور له الشيخ مرتضىٰ الأشتياني واعتنق الإسلام علىٰ يديه وبالخصوص المذهب الجعفري وسماه أبا ذر كُنيةَ الصحابي الجليل جندب بن جنادة أبي ذر الغفاري ـ رضوان الله عليه ـ الذي ثبت حين انقلب الناس أجمع مع رفاقه الثلاثة سلمان مقداد وعمار.

وأبو ذر (أبوان) يجيد اللغة الفارسية ويتكلم باللغتين الهستانية والروسية كما أنه يقرأ ويكتب فيهما[1].

← المغازلي ص٣٤٧ ح٣٩٩، فرائد السمطين للجويني ج١ ـ ص٨٨ ح٦٨، ذخائر العقبىٰ للطبري ٢٧، وللحديث مصادر أخرىٰ كثيرة.

(١) ماذا في التاريخ للقبيسي: ج٢٥ ص٣٧٣، (كتاب) لماذا اختار هؤلاء العظماء مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ للقبيسي ص ١٨ ـ ١٩.

المناظرة الخامسة والستون

مناظرة الأنطاكي(١) مع عالم شافعي من الشام

يقول الشيخ الأنطاكي :

بعد اشتهار أمرنا بالتشيع أتاني أحد أعاظم علماء الشافعية المشهورين بالعلم والفضيلة في مدينة حلب الشهباء(٢) ، وسألني بكل

---

(١) هو : سماحة العلّامة الكبير المجاهد الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي مولداً ، والحلبي نشأة ، والأزهري تخرجاً ، والشافعي مذهباً ، والشيعي خاتمة ، من أبرز علماء سوريا ، ولد سنة ١٣١٤ هـ في قرية من القُرىٰ التابعة إلىٰ أنطاكية ، درس في قريته قرابة ثلاث سنوات ثم انتقل إلىٰ أنطاكية للدراسة ، وبقي فيها قرابة سبع سنوات ، ثم انتقل إلىٰ الجامع الازهر مع أخيه ، ودرس عند العلامة الأكبر الشيخ مصطفىٰ المراغي شيخ الجامع الأزهر ورئيس المجلس الإسلامي الأعلىٰ ، والعلّامة الكبير الشيخ محمد أبو طه المهنىٰ ، والعلاّمة الكبير الشيخ رحيم وغيرهم من مشيخة الأزهر ، حصل علىٰ شهادات راقية من جامع الازهر ، وعاد إلىٰ بلاده وامتهن إمامة الجماعة والجمعة والتدريس والإفتاء والخطابة نحو خمسة عشر عاماً .

وأخيراً أخذ بمذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لما تبيّن له مذهب الحق ، وذلك بسبب قرائته لكتاب المراجعات للعلامة الحجة السيد شرف الدين الموسوي ، ولوقوع الكثير من المناظرات بينه وبين علماء الشيعة الإمامية ، وقد تشيع علىٰ يده ويد أخيه الشيخ أحمد الكثير من أبناء العامة من سوريا ولبنان وتركية وغيرها .

قد استفدنا هذه الترجمة من كتابه (لماذا اخترت مذهب الشيعة) .

(٢) حلب : (وتعرف بالشهباء أيضاً) مدينة مشهورة بالشام ، واسعة كثيرة الخيرات ، طيِّبة الهواء ، وهي قصبة جند قنسرين . قيل : سُمِّيت حلب ، لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان نازلاً بها يحلب غنمه في الجمعات ، ويتصدَّق به فتقول الفقراء : حلب . وهو قولٌ بعيد ، وقيل : كان حلب وحمص وبرذعة إخوةً من عمليق ، فبنى كل واحد منهم مدينةً سُمِّيت به . ومَشرب أهل حلب من صهاريج في بيوتها ، تمتلىء بماء المطر ، على بابها نهر يُعرف بقويق ، يمدّ في الشتاء

←

لطف لماذا أخذتم بمذهب الشيعة وتركتم مذهبكم وما هو السبب الداعي لكم واعتمادكم عليه وما هو دليلكم علىٰ أحقية علي ـ عليه السلام ـ من أبي بكر ؟

فناظرته كثيراً ، وقد وقعت المناظرة فيما بيننا مراراً وأخيراً اقتنع الرجل .

ومن جملة المناظرة أنه سألني عن بيان الأحقيّة في أمر الخلافة هل أبو بكر أحقُ أم علي ؟

فأجبته إن هذا شيء واضح جداً بأن الخلافة الحقّة لأمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ فور وفاة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ثم من بعده إلىٰ الحسن المجتبىٰ ـ عليه السلام ـ ثم إلىٰ الحسين الشهيد بكربلاء ـ عليه السلام ـ ثم إلىٰ علي بن الحسين زين العابدين ـ عليه السلام ـ ، ثم إلىٰ محمد بن علي الباقر ـ عليهما السلام ـ ، ثم إلىٰ جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ ، ثم إلىٰ موسىٰ بن جعفر الكاظم ـ عليهما السلام ـ ثم إلىٰ علي بن موسىٰ الرضا ـ عليهما السلام ـ ، ثم إلىٰ محمد بن علي الجواد ـ عليهما السلام ـ ثم إلىٰ علي بن محمد الهادي ـ عليهما السلام ـ ، ثم إلىٰ الحسن بن علي العسكري ـ عليهما السلام ـ ، ثم إلىٰ الحجة بن الحسن المهدي الإمام الغائب المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ[1] .

← وينصبُ في الصيف ، وبجانبٍ منها قلعة كبيرة مُحكمة ، بها جامعٌ وكنيستان ، وميدان ودور كثيرة ، وبها مقام لإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ومن حلب إلى قنسرين يوم ، والى المعرّة يومان ، وإلى منبج وبالس يومان .

انظر : مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤١٧ ، سفينة البحار ج ١ ص ٢٩٦ .

(١) تقدمت تخريجات النصوص علىٰ اسماءهم وعددهم من قِبل النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من كتب العامة فراجع .

ودليل الشيعة على ذلك الكتاب الكريم، والسنّة الثابتة عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من الطرفين، وكتبهم مليئة من الحجج والبراهين الرصينة، ويثبتون مدعاهم من كتبكم ومؤلفاتكم، إلا أنكم أعرضتم عن الرجوع إلى مؤلفات الشيعة والوقوف على ما فيها، وهذا نوع من التعصب الأعمى؟

أما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[١].

وأن هذه الآية نزلت في ولاية عليّ بلا ريب، بأجماع الشيعة وأكثر علماء السنة في كتب التفسير كالطبري[٢]، والرازي[٣]، وابن كثير[٤]، وغيرهم[٥]، فإنهم قالوا بنزولها في علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

ومما لا يخفى على ذي مسكة بأن الله جلّ وعلا هو الّذي يرسل الرسل إلى الأمم لا يتوقف أمرهم على إرضاء الناس وكذلك أمر الوصاية تكون من الله لا بالشورى ولا بأهل الحل والعقد ولا بالانتخاب أبداً، لأن الوصاية ركن من أركان الدين والله جلّ وعلا لا يدع ركناً من أركان الدين إلى الأمة تتجاذ به أهواؤهم كل يجر إلى قرصه.

بل لا بد من أن يكون القائم بأمر الله بعد وفاة النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ منصوصاً عليه من الله لا ينقص عن الرسل ولا يزيد، معصوماً

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) ج٦ ص٢٨٨ وص٢٨٩.

(٣) ج١٢ ص٢٦ وص٢٠ ط ـ البهية بمصر وج٣ ص٤٣١ ط ـ الدار العامرة بمصر.

(٤) ج٢ ص٧١ ط ـ دار إحياء الكتب.

(٥) تقدمت تخريجات ذلك فيما سبق فراجع.

عن الخطأ.

فالآية نص صريح في ولاية عليّ[1]، وقد أجمعت الشيعة وأكثر المفسرين من السنّة أيضاً أن الّذي أعطىٰ الزكاة حال الركوع هو عليّ بلا خلاف، فتثبت ولايته ـ عليه السلام ـ أي خلافته بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بهذه الآية.

فأوردَ عليٌّ حجةً يدّعيْ بها تدعيم خلافة أبي بكر.

فقال: إن أبا بكر أحق بالخلافة، إذ أنه أنفق أموالاً كثيرة قدمها إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وزوجه ابنته، وقام إماماً في الجماعة أيام مرض النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ.

فأجبته قائلاً: أما إنفاق أمواله، دعوىٰ تحتاج إلىٰ دليل يثبتها، ونحن لا نعترف بهذا الإنفاق ولا نُقرُّ به، ثم نقول: من أين اكتسب هذه الأموال الطائلة، ومن الذي أمره به، ولنا أن نسألك: هل الإنفاق كان في مكة أم المدينة؟[2]

---

(١) يقول المقداد السيوري في شرح الباب الحادي عشر ص٩٦ ـ: إن المراد بـ(الذين آمنوا) في الآية هو بعض المؤمنين لوجهين.

الوجه الأول: أنه لولا ذلك، لكان كل واحد ولياً لنفسه ـ وهو باطل ـ.

الوجه الثاني: أنه وصفهم بوصف غير حاصل لكلهم، وهو إيتاء الزكاة حال الركوع، إذاً الجملة هنا حالية.

(فعلىٰ هذا) أن المراد بذلك البعض هو علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ خاصة للنقل الصحيح، واتفاق أكثر المفسرين علىٰ أنه كان يصلي، فسأله سائل فأعطاه خاتمه راكعاً. وإذا كان ـ عليه السلام ـ أوّلىٰ بالتصرف فينا، تعين أن يكون هو الإمام لأنّا لا نعني بالإمام إلّا ذلك.

(٢) والجدير بالذكر هنا مارواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج ١٣ ص ٢٧٢، عن شيخه رداً على هذا الادعاء قال:

قال شيخنا أبو جعفر ـ رحمه الله ـ: أخبرونا على أيّ نوائب الإسلام أنفق هذا المال، وفي أيّ

←

فإن قلت : في مكة فالنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لم يُجهز جيشاً ولم يبنِ مسجداً ، ومن يُسْلَم من القوم يهاجره إلىٰ الحبشة والنبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وجميع بني هاشم لا تجوز عليهم الصدقة ، ثم إن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ غني بمال خديجة كما يروون .

وإن قلت : بالمدينة فأبو بكر هاجر ولم يملك من المال سوىٰ (٦٠٠) درهم فترك لعياله شيئاً وحمل معه ما بقي ونزل علىٰ الأنصار ، فكان هو وكل من يُهاجر عالة علىٰ الأنصار ، ثم إن أبا بكر لم يكن من التجّار بل كان تارة بزازاً يبيع يوم اجتماع الناس أمتعته يحملها علىٰ كتفه ، وتارة معلم الأولاد وأخرىٰ نجاراً يصلّح لمن يحتاج باباً أو مثله .

← وجه وضعه ؟ فإنه ليس بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت ، ويُنسى ذكرُه ، وأنتم فلم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلّها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم ، وكيف يُدّعى له الإنفاق الجليل ، وقد باع من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعيرين عند خروجه إلى يثرب ، وأخذ منه الثمن في مثل تلك الحال ، وروى ذلك جميع المحدّثين ، وقد رويتم أيضا أنّه كان حيث كان بالمدينة غنيّاً موسراً ، ورويتم عن عائشة أنّها قالت : هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم ، وقلتم : إن الله تعالى أنزل فيه : ﴿ **وَلاَ يَأتَلِ أُولوا الفَضلِ منكُمْ والسَّعةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولي القُرْبَى** ﴾ النور / ٢٢ ، قلتم : هي في أبي بكر ومسطح بن أثاثة ، فأين الفقر الذي زعمتم أنه أنفق حتى تخلل بالعباءة ! ورويتم أنّ لله تعالى في سمائه ملائكة قد تخلّلوا بالعباءة ، وأنّ النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ رآهم ليلة الإسراء ، فسأل جبرئيل عنهم ، فقال : هؤلاء ملائكة تأسّوا بأبي بكر بن أبي قُحافة صدّيقك في الأرض ، فإنه سينفق عليك ماله ، حتى يخلّل عباءه في عنقه ، وأنتم أيضا رويتم أن الله تعالى لما أنزل آية النجوى ، فقال : ﴿ **يَأَيّها الَّذِينَ آمَنوا إذَا نَاجَيتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ المجادلة / ١٢ ، لم يعمل بها إلّا عليّ بن أبي طالب وحدَه ، مع إقراركم بفقره وقلّة ذات يده ، وأبو بكر في الحال التي ذكرنا من السّعة أمسك عن مناجاته ، فعاتب الله المؤمنين في ذلك ، فقال : ﴿ **أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقدمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفعَلُوا وَتَابَ الله عَلَيكُمْ** ﴾ ، فجعله سبحانه ذنباً يتوب عليهم منه ، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة ، فكيف سخَتْ نفسه بإنفاق أربعين ألفاً ، وأمسك عن مُناجاة الرسول ، وإنما كان يحتاج فيها إلى إخراج درهمين! الخ .

وأما تزويجه ابنته لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فهذا لا يلزم منه تولّي أمور المسلمين به.

وأما صلاته في الجماعة ـ إن صحت ـ فلا يلزم منها تولّي الإمامة الكبرىٰ والخلافة العظمىٰ فصلاة الجماعة غير الخلافة.

وقد ورد أن الصحابة كان يؤم بعضهم بعضاً حضراً وسفراً، فلو كانت هذه تثبت دعواكم لصح أن يكون منهم حقيق بالخلافة، ولو صحت لادعاها يوم السقيفة لنفسه لكنها لم تكن آنذاك بل وُجدت أيام الطاغية معاوية لمّا صار الحديث متبحراً.

ثم حديث الجماعة جاء عن ابنته عائشة فقط، ولا تنسىٰ لما سمع النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ تكبيرة الصلاة قال: من يؤم الجماعة ؟

فقالوا: أبو بكر.

قال: احملوني، فحملوه بأبي وأمي مُعصباً مدثّراً يتهادىٰ بين رجلين عليّ والفضل حتىٰ دخل المسجد، فعزل أبا بكر وأمّ الجماعة بنفسه، ولم يدعْ أبا بكر يكمل الصلاة[١]، فلو كانت صلاة أبي بكر بإذن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أو برضاه فلماذا خرج بنفسه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وهو مريض وأمّ القوم ؟

والعجب كلّ العجب من إخواننا أنهم يقيمون الحجة بهذه الأشياء التي لا تنهض بالدليل، ويتناسون ما ورد في عليّ ـ عليه السلام ـ من الأدلة التي لا يمكن عدها، كحديث يوم الإنذار إذ جمع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ عشيرته الأقربين بأمر من الله: ﴿**وأنذر عشيرتك**

---

(١) تقدمت تخريجاته.

الأقربين ﴾[(١)]، فجمعهم الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وكانوا آنذاك أربعين رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، ووضع لهم طعاماً يكفي الواحد منهم فأكلوا جميعهم حتىٰ شبعوا وبعد أن فرغوا.

قال النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: يا بني هاشم من منكم يؤازرني علىٰ أمري هذا فلم يجبه أحد.

فقال علي ـ عليه السلام ـ: أنا يا رسول الله اؤازرك، قالها ثلاثاً، وفي كلّ مرة يجيب عليٌّ أنا يا رسول الله، فأخذ برقبته وقال: أنت وصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا[(٢)].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) هذا الحديث قد بلغ حد التواتر وقد أخرجه بهذه الألفاظ وقريب منها كثير من الحفاظ والعلماء.

راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢١، الكامل في التاريخ لابن الأثير الشافعي ج ٢ ص ٦٢ وص ٦٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢١٠ وص ٢٤٤، السيرة الحلبية للحلبي الشافعي ج ١ ص ٣١١، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٤١ وص ٤٢، شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٧١ ح ٥١٤ و ٥٨٠، كنز العمال ج ١٥ ص ١١٥ ح ٣٣٤، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ ص ٨٥ ح ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ وص ٩٩ ح ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩، التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي ج ٢ ص ١١٨، تفسير الخازن لعلاء الدين الشافعي ج ٣ ص ٣٧١ و ٣٩٠، حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ١٠٤ الطبعة الاولىٰ سنة ١٣٥٤ هـ. وفي الطبعة الثانية وما بعدها من طبعات الكتاب حذف من الحديث قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «وأن يكون أخي، ووصي وخليفتي فيكم»؟!! وأكبر شاهد مراجعة الطبعة الأولىٰ والطبعات الأخرىٰ، ومراجعة جريدة السياسة المصرية لمحمد حسين هيكل ملحق عدد ـ ٢٧٥١ ـ بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ ص ٥ وص ٦ من ملحق عدد ـ ٢٧٨٥ ـ ذكر الحديث بتمامه، تفسير الطبري ج ١٩ ص ١٢١، ولكن المؤلف أو الناشر حرّف آخر الحديث، فحذف قوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم» وذكر بدله «إن هذا أخي وكذا وكذا»؟!! مع أنه ذكر الحديث بتمامه في تاريخه ج ٢ ص ٣١٩ ط دار المعارف بمصر، الغدير ج ٢ ص ٢٧٨ ـ ٢٨٤.

وحديث يوم الغدير المشهور[١] وحديث الثقلين[٢] وحديث المنزلة[٣] وحديث السفينة[٤] وحديث باب حطة[٥]، وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها[٦] وحديث المؤاخاة[٧] وحديث تبليغ سورة براءة[٨]،

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) تقدمت تخريجاته.

(٤) وهو قول النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)، وقد تقدم مع تخريج مصادره.

(٥) وهو قول النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له». وهو من الأحاديث المتواترة المشهورة.

راجع: كنز العمال ج ١١ ص ٦٠٣ ح ٣٢٩١٠، الفردوس بمأثور الخطاب ج ٣ ص ٦٤ ح ٣١٧٩، أسنى المطالب ص ٢٠١ ح ٨٩٥، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٣٧٨، مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج ٩ ص ١٦٨، المعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ٢٢، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٩٨، رشفة الصادي لأبي بكر الحضرمي ص ٧٩، أرجح المطالب لعبيد الله الحنفي ص ٣٣، الصواعق المحرقة ص ٩١ ط ـ الميمنية وص ١٥٠ ط ـ المحمدية بمصر، فرائد السمطين ج ٢ ص ٢٤٢ ح ٥١٦ و ٥١٩.

(٦) تقدمت تخريجاته.

(٧) حديث المؤاخاة بين الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وعلي ـ عليه السلام ـ.

راجع: صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٠٠ ح ٣٨٠٤، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ١٩٤ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢١، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٢٠ ـ ٢٤، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٣٧ ح ٥٧، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٣٩ ح ٧، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٠، السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٠٨، أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢١ وج ٣ ص ١٣٧ وج ٤ ص ٢٩، ذخائر العقبىٰ ص ٦٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨ ص ٢٤ وج ٦ ص ١٦٧ مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ج ١ ص ٤٨، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢ الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٧، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج ٣ ص ٢٢، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٠، جامع الأصول لابن الأثير ج ٩ ص ٤٦٨، إحقاق الحق للتستري ج ٤ ص ١٧١ وج ٦ ص ٤٦٢، الغدير للأميني ج ٣ ص ١١٣.

(٨) تقدمت تخريجاته.

وسد الأبواب[١]، وقلع باب خيبر[٢]، وقتل عمر بن ود[٣]، وزوج بضعة الرسول فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ، إلىٰ كثير وكثير من ذلك النمط مما لو أردنا جمعها لملأنا المجلدات الضخمة.

أفكل هذه الروايات المتفق عليها لا تُثبت خلافة علي ـ عليه السلام ـ وتلك الروايات المُختلف فيها المُفتَعلة تثبت لأبي بكر تولّي منصب الرسالة وهذا شيء عجاب ؟!

ثم قال لي: أنتم لا تعترفون بخلافة أبي بكر.

قلت: هذا لا نزاع فيه عندنا، ولكن ننازع في الأحقية والاولوية، هل كان أبو بكر أحق بها أم أمير المؤمنين ؟ ها هنا النزاع، ولنا عندئذٍ نظر في هذا الأمر العظيم الذي جرّ علىٰ الأمة بلاء وفرَّق الأمة ابتداء يوم السقيفة إلىٰ فرقتين بل إلىٰ أربع فرق، فالأنصار انقسموا علىٰ أنفسهم قسمين، قسم يريد علياً ـ عليه السلام ـ وذلك بعد خراب البصرة ـ والآخر استسلم وسلّم الأمر إلىٰ أبي بكر، وكذلك المهاجرون منهم من يريد أبا بكر والآخر عليّاً، ثم إلىٰ فرق تبلغ الثالثة والسبعين كل فرقة تحمل على من سواها من الفرق حملةً شعواء لا هوادة فيها، فجرَّ الأمة الإسلامية إلىٰ نزاع دائم عنيف فكفّر بعضُهم بعضاً ولا زالت الأمة تَمخر في بحور من الدماء من ذلك اليوم المشؤوم إلىٰ يوم الناس هذا، ثم إلىٰ يوم يأتي الله بالفرج.

فالشيعة برمتهم يحكمون بما ثبت عندهم من الأدلة قرآناً وسنة وتاريخاً ويحتجون من كتب خصومهم السنّة فضلاً عن كتبهم بالخلافة

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) تقدمت تخريجاته.

لعلي ولبنيه الأئمة الأحد عشر ـ عليهم السلام ـ الذين تمسكت الشيعة بإمامتهم.

إلىٰ غير ذلك من الأدلة الّتي أوردتها علىٰ فضيلته فسمع واقتنع وخرج من عندنا وهو في ريب من مذهبه، وشاكراً لنا علىٰ ما قدّمناه له من الأدلة، وقد طلب مني بعض كتب الشيعة ومؤلفاتهم فأعطيته جملة منها وفيها من كتب الإمام الحجة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين[١].

(١) كتاب لماذا اخترت مذهب الشيعة للأنطاكي ص٣١٩.

المناظرة السادسة والستون

مناظرة الشيخ الأنطاكي مع رجل من أهل حمص[1]

دخل عليَّ يوماً في حلب نفران من أهل حمص أحدهما شيعي مستبصر، والآخر سني مستهتر، وكانت بينهما مناقشة أولوية عليّ ـ عليه السلام ـ بالخلافة.

فقال لي الشيعي: يقول صاحبي هذا وهو من أهل السنّة ليس هناك نص علىٰ علي ـ عليه السلام ـ بأنه الخليفة بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بلا فصل ؟!

فسألني السني: هل هناك نص صريح ؟

فأجبته: نعم، بل نصوص صريحة في كتبكم ومصادركم، وأحلته علىٰ تاريخ الطبري وابن الأثير والتفاسير أجمع وذكرت له تفسير آية ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[2]، من تاريخ الكامل لابن الأثير[3] والحديث بطوله، وقد رواه ابن الأثير بزيادة ألفاظ علىٰ ما رواه الطبري[4] إلىٰ أن انتهيت إلى قول النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: أيكم يا بني عبد

---

(١) حِمص: بلد مشهور كبير مسوّر، في طرفه القبلي قلعةٌ حصينة على تلّ عال كبير، بين دمشق وحلب، في نصف الطريق، يسمّى باسم من أحدثه وهو: حِمص بن مكنف العمليقي. انظر: مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٢٥.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) ج ٢ ص ٦٢ وص ٦٣.

(٤) في تاريخه ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢١.

المطلب يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيي وخليفتي من بعدي، وأجابه عليّ لمّا لم يجبه أحد منهم، فقال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : هذا أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا[١].

ثم قلت له : أيها المحترم أتطلب نصاً أصرح من هذا النص ؟

فقال : إذاً ما صنعوا ؟!

ففهمت من قوله : ما صنعوا، يشير إلىٰ اجتماعهم في السقيفة وتنازعهم فيمن يخلف رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أمهاجرون أم أنصار .

فقلت له : هذا ما وقع ؟

فقال : عجباً عجباً وانتهى الأمر .

وقال قولاً في هذا المقام ولا أريد ذكره، ثم استبصر وذهب حامداً شاكراً[٢].

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) لماذا اخترت مذهب الشيعة للأنطاكي ص ٣٢٧.

المناظرة السابعة والستون

مناظرة الشيخ الأنطاكي مع أحد مشايخ الأزهر

في يوم السابع من شهر ذي القعدة الحرام عام ١٣٧١ هـ قبيل الظهر أخبرني أحد وجهاء حلب وهو الأستاذ شعبان أبو رسول بأن أحد مشايخ الأزهر[١]، وهو علامة كبير، ومؤلف شهير يقصد زيارتكم فمتىٰ يأتكم ؟

فقلت : يا أهلاً وسهلاً، فليشرّف في هذا اليوم فجائني بعد العصر، وبعد أن أخذ بنا المجلس ورحبت به.

سألني قائلاً : إنني قصدتك للاستفسار عن السبب الذي دعاكم علىٰ الأخذ بالمذهب الشيعي وترككم المذهب السني الشافعي ؟

فأجبته بكل لطف : الدواعي كثيرة جداً، منها : رأيت اختلاف المذاهب الأربعة فيما بينهم، ومنها، ومنها، وقد أخذت أعدِّد له الأسباب

---

(١) الازهر : مسجد في القاهرة، بناه ـ ٩٧٢ ـ جوهر الصقلّي بأمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، سمّي بالأزهر ،إشارة الى « الزهراء »، وهو لقب فاطمة ـ عليها السلام ـ يقصده اهل التقى لاسيما طلاب العلم من كل صوب، يسمون « المجاورين » لسكناهم بجواره، أما الاساتذة « المدِّرسون » فيُسمَّون انفسهم « خدمة العلم » وغايتهم نقل ما ورثوه من السلف في أمانة وإخلاص وبرامج العلوم في الأزهر تتناول النحو واللغة والبيان والمنطق والادب والعلوم الدينية من علم التوحيد والفقه والحديث والتصوّف وغير ذلك، أصبح ـ ١٩٣٦ ـ جامعة تضم كليات الشريعة واصول الدين واللغة العربية اضيفت اليها عدة كليات بعد ـ ١٩٦١ ـ. المنجد ـ قسم الاعلام ـ ص ٣٨ ـ ٣٩.

التي دعتني إلىٰ الأخذ بالمذهب الشيعي .

ثم قلت : وأهمها أمر الخلافة العظمىٰ التي هي السبب الأعظم في وقوع الخلاف بين المسلمين إذ لا يعقل أن الرسول الأعظم ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يدع أمته بلا وصي عليهم يقوم بأمر الشريعة التي جاء بها عن الله كسائر الأنبياء ، إذ ما من نبي إلا وله وصي أو أوصياء معصومون يقومون بشريعته وقد ثبت عندي أن الحق مع الشيعة إذ معتقدهم أن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قد أوصىٰ لعلي ـ عليه السلام ـ قبل وفاته بل من بدء الدعوة وبعده أولاده الأئمة الأحد عشر ، وأنهم يأخذون أحكام دينهم عنهم ، وهم أئمة معصومون في معتقدهم بأدلة خاصة بهم .

لهذا وأمثاله أخذت بهذا المذهب الشريف ، ثم أنّا لم نعثر على دليل يوجب علينا الأخذ بأحد المذاهب الأربعة بل ولا مرجح أيضاً غير أننا عثرنا علىٰ أدلة كثيرة توجب الأخذ بمذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وتقود المسلم إلىٰ سواء السبيل .

ثم عرضت له كثيراً من الأدلة القطعية الصريحة بوجوب الأخذ بمذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وكله سمع يصغي إليَّ ، إلىٰ أن قلت : يا فضيلة الشيخ أنت من العلماء الأفاضل فهل وجدت في كتاب الله وسنة الرسول دليلاً ترشدك إلىٰ الاخذ بأحد المذاهب الأربعة ، فأجابني : كلا .

ثم قلت له : ألا تعرف أن المذاهب الأربعة كل واحد منهم يخالف الآخر في كثير من المسائل ولم يقيموا دليلاً قوياً وبرهاناً جلياً واضحاً علىٰ أنه الحق دون غيره وإنما يذكر الملتزم بأحد المذاهب أدلة لاقوام لها إذ ليس لها معضد من كتاب أو سنة فهيَ : ﴿ **كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّت من فوقِ**

الأرض ما لها من قرار ﴾[١].

مثلاً لو سألت الحنفي : لِمَ اخترت مذهب الحنفية دون غيره ، ولِمَ اخترت أبا حنيفة إماماً لنفسك بعد ألف عام من موته ، ولم تختر المالكي أو الشافعي ، أو أحمد بن حنبل مع بعض مزاياهم التي يذكرونها فلم يجبك بجواب تطمئن إليه النفس .

والسر في ذلك أن كل واحد منهم لم يكن نبي أو وصي نبي وما كان يوحى إليهم ، ولم يكونوا ملهمين بل أنهم كسائر من ينتسب إلىٰ العلم وأمثالهم كثير وكثير من العلماء .

ثم أنهم لم يكونوا من أصحاب النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وأكثرهم أو كلّهم لم يدركوا النبي ولا أصحاب النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فاتخاذ مذهب واحد منهم وجعله مذهباً لنفسه ، والالتزام به وبآرائه التي يمكن فيه الخطأ والسهو .... وكل واحد منهم ذوي آراء متشتتة يخالف بعضها بعضاً لا يقره العقل ولا البرهان ولا تصدقه الفطرة السليمة ولا الكتاب ولا السنة ولا حجة لأحد علىٰ الله في يوم الحساب ، بل لله الحجة البالغة عليها حتىٰ أنه لو سأل الله من التزم بأحد المذاهب الأربعة في يوم القيامة بأيّ دليل أخذت بمذهبك هذا لم يكن له جواب سوىٰ قوله : **﴿ إِنَّا وجدنا آبائنا علىٰ أُمّةٍ وإنا علىٰ آثارهم مُقتَدُون ﴾**[٢].

أو يقول : **﴿ إنا أطعنا سادتنا وكُبراءَنا فأضلّونا السبيلا ﴾**[٣] ، فبالله عليك يا فضيلة الشيخ هل يكون لملتزمي أحد المذاهب الأربعة يوم

---

(١) سورة ابراهيم : الآية ٢٦ .
(٢) سورة الزخرف : الآية ٢٣ .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٦٧ .

القيامة أمام الله الواحد القهار جواباً.

فأطرق رأسه ملياً ثم رفع رأسه وقال: لا.

فقلت: هل يكون أحد معذوراً بذاك الجواب؟

أجابني: كلا.

ثم قلت: وأما نحن المتمسكين بولاء العترة الطاهرة آل بيت الرسول - صلىٰ الله عليه وآله وسلّم - العاملين بالفقه الجعفري فنقول في يوم الحساب عند وقوفنا أمام الله العزيز الجبار: ربنا إنك أمرتنا بذلك لأنك قلت في كتابك: ﴿ **ماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنهُ فانتهوا** ﴾[(١)].

وقال نبيك محمد - صلّى الله عليه وآله وسلّم - باتفاق المسلمين (أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا وإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض)[(٢)]. وقال - صلّى الله عليه وآله وسلّم -: (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[(٣)].

ولا ريب لأحد أن الإمام الصادق جعفر بن محمد - عليهما السلام - من العترة الطاهرة وعلمه علم أبيه وعلم أبيه علم جده رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - وعلم رسول الله من علم الله[(٤)]، هذا مضافاً إلىٰ أن الإمام

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) تقدمت تخريجاته.

(٤) وفي ذلك قال الشاعر:

إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهباً ... ينجيك يوم الحشر من لهب النار
فدع عنك قول الشافعي ومالك ... وأحمد والمروي عن كعب أحبار

←

الصادق قد اتفق جميع المسلمين علىٰ صدقه ووثاقته، وهناك طائفة كبيرة من المسلمين من يقول بعصمته وإمامته وأنه الوصي السادس لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وإنه حجة الله علىٰ البرية، وان الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كان يروي عن آبائه الطيبين الطاهرين ولا يفتي برأيه ولا يقول بما يستحسنه فحديثه حديث أبيه وجده، إذ أنهم منابع العلم والحكمة، ومعادن الوحي والتنزيل.

فمذهب الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ هو مذهب أبيه وجده المأخوذ عن الوحي لا يحيد عنه قيد شعرة، لا بالاجتهاد كغيره ممن اجتهد فالآخذ بمذهب جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ ومذهب أجداده آخذ بالصواب ومتمسك بالكتاب والسنة.

وبعد أن أوردت عليه ما سمعت من الأدلة أكبرني وفخم مقامي وشكرني فأجبته: أن الشيعة لا يطعنون علىٰ الصحابة جميعاً، بل إن الشيعة يعطون لكل منهم حقهم لأن فيهم العدل وغير العدل، وفيهم العالم والجاهل، وفيهم الأخيار والأشرار، وهكذا ألا ترىٰ ما أحدثوه يوم السقيفة تركوا نبيهم مسجىٰ علىٰ فراشه وأخذوا يتراكضون علىٰ الخلافة كل يراها لنفسه كأنها سلعة ينالها من سبق إليها مع ما رأوا بأعينهم، وسمعوا بآذانهم من النصوص الثابتة الصارخة عن الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من يوم الذي أعلن الدعوة إلىٰ اليوم الذي احتضر فيه.

مع أن القيام بتجهيزالرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ أهم من أمر الخلافة علىٰ فرض أن النبي لم يوص فكان الواجب عليهم أن يقوموا بشأن الرسول وبعد الفراغ يعزون آله وأنفسهم، لو كانوا ذوي إنصاف فأين

← ووال أناساً قولهم وحديثهم   روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

العدالة والوجدان، وأين مكارم الأخلاق، وأين الصدق والمحبة ؟!

ومما يزيد في النفوس حزازة تهجمهم علىٰ بيت بضعته فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ نحواً من خمسين رجلاً، وجمعهم الحطب ليحرقوا الدار علىٰ من فيها حتىٰ قال قائل لعمر: إن فيها الحسن والحسين وفاطمة، قال: وإن. ذكر هذا الحادث كثير من مؤرخي السنة[(١)] فضلاً عن إجماع الشيعة.

وقد علم البر والفاجر وجميع من كتب في التأريخ أن النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال: « فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أغضبها فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله ومن أغضب الله أكبه الله علىٰ منخريه في النار[(٢)].

ووقائع الصحابة الدّالة علىٰ عدم القول بعدالة الجميع كثيرة، راجع البخاري ومسلم في ما جاء عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث الحوض تعلم صحة ما ذهب إليه الشيعة ومن نحا نحوهم من

---

(١) راجع: الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٢، تاريخ الطبري ج٣ ص٢٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص٥٦ وج٦ ص٤٨، الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٥٧، تاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٦، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٠٥، أعلام النساء لكحالة ج٣ ص٢٠٥، الأموال لأبي عبيد ص١٣١، تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ج٧ ص١٦٤، مروج الذهب ج١ ص٤٠٤، بحار الأنوار ج٢٨ ص٣٢٨ وص٢٣٩، الغدير للأميني ج٧ ص٧٧، عبدالله بن سبأ ج١ ص١٠٨.

وقد نظم هذا المعنىٰ شاعر النيل حافظ ابراهيم بقوله:

وقـولةٍ لعـليّ قـالها عُـمَرُ ... أكْـرِمْ بسـامعها أعظِمْ بمُلقيها
حـرّقتُ دارك لاأُبـقي عـليك بـها ... إن لم تُبايع وبنت المصطفىٰ فيها!!
ما كـان غـير أبـي حـفصٍ بـقائلها ... أمـامَ فـارس عـدنان وحـاميها !!

انظر: ديوان حافظ إبراهيم ج١ ص٨٢، تحت عنوان: « عمر وعلي ».

(٢) تقدمت تخريجاته.

السنّة ، فأي ذنب لهم إذا قالوا بعدم عدالة كثير منهم ؟ وهم الذين دلوا علىٰ أنفسهم ، وحرب الجمل وصفين أكبر دليل علىٰ إثبات مدّعاهم ، والقرآن الكريم كشف عن سوء أحوال كثير منهم وكفانا سورة براءة دليلاً ، ونحن ما أتينا شيئاً إذاً ؟

ألا ترىٰ إلىٰ ما أحدثه الطاغية معاوية ، وعمرو بن العاص ، ومروان وزياد ، وابن زياد ، ومغيرة بن شعبة ، وعمر بن سعد ، الذي أبوه من العشرة المبشرة في الجنة علىٰ ما زعموا ، وطلحة ، والزبير ، اللّذان بايعا عليّاً ونقضا البيعة وحاربا إمامهما مع عائشة في البصرة ، وأحدثوا فيها من الجرائم الّتي لا يأتي بها ذو مروءة .

فليت شعري هل كان وجود النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بينهم موجباً لنفاق كثير منهم ، ثم بعد لحوقه بالرفيق الأعلىٰ بأبي وأمي صار كلّهم عدولاً .

ونحن لم نسمع قط بأن نبياً من الأنبياء أتىٰ قومه وصاروا كلّهم عدولاً ، بل الأمر في ذلك بالعكس ، والكتاب والسنة بيّنتنا علىٰ ذلك ، فماذا أنت قائل أيها الأخ المحترم ؟

فأجابني : حقاً لقد أتيت بما فيه المقنع فجزاك الله عني خيراً .

ثم قلت : جاء في كتاب الجوهرة في العقائد للشيخ إبراهيم اللوقاني المالكي :

فتابع الصالح ممن سلفا　　　وجانب البدعة ممن خلفا

قال : نعم هكذا موجود .

قلت : أرشدني من هم السلف الذين يجب علينا اتباعهم ؟ ومن الخَلفْ الذين يجب علينا مخالفتهم ؟

قال : السلف هم صحابة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ .

قلت: إن الصحابة عارض بعضهم بعضاً، وجرىٰ ما جرىٰ بينهم مما لا يخفىٰ علىٰ مثلكم.

فتوقف برهة ثم قال: هم أصحاب القرون الثلاثة.

قلت له: إذاً أنت في جوابك هذا قضيت علىٰ المذاهب الأربعة لأنهم خارجون عن القرون الثلاثة.

فتوقف أيضاً، ثم قال: ماذا أنت تريد بهذا السؤال؟

قلت: الأمر ظاهر وهو يجب علينا أن نتبع الذين نص عليهم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بأن يكونوا قدوة للأمة.

قال: ومن هم؟

قلت: علي بن أبي طالب وبنيه الحسن والحسين وأبناء الحسين التسعة ـ عليهم السلام ـ آخرهم المهدي ـ عجل الله فَرَجَهُ الشريف ـ.

قال: والخلفاء الثلاثة؟

قلت: الخلاف واقع فيهم فالأمة لم تجتمع عليهم وحدث منهم أعمال توجه عليهم النقد.

قال عجباً: وهذا من رأي الشيعة؟

قلت: وإن يكن، هل وقع في الصحابة ما ذكرت لكم أم لا.

قال: بلىٰ.

قلت: إذاً يجب علينا أن نأخذ بمن اتفقت عليهم الأمة وندع المختلف فيهم، فالشيعة وهم طائفة كبيرة من الإسلام يكثر عددهم عن مائة مليون وهم منتشرون في الدنيا كما تقدم وفيهم العلماء الأعاظم والفقهاء الأكابر والمحدثين الأفاضل.... فلم يعترفوا بخلافة الثلاثة.

ولكن أهل السنة والجماعة اعترفوا بخلافة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، فخلافة أمير المؤمنين مجمع عليه عند المسلمين عامة وخلافة

الثلاثة ليس بمجمع عليه .

والخلافة بعد أمير المؤمنين عليّ إلى ولده الحسن ثم إلىٰ الحسين ثم إلىٰ ولده الأئمة التسعة خاتمهم قائمهم ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ والنصوص في ذلك من كتبكم بكثرة وجاءت الروايات من طرقكم بفضل أهل البيت وتقدمهم علىٰ غيرهم وأهمها العصمة .

قال : نحن لا نقول بالعصمة .

قلت : أعلم ذلك ، ولكن الدليل قائم عند الشيعة علىٰ ما قلت وسأقدم لك كتاباً يقنعك ويرضيك .

قال : إذا ثبت لديَّ عصمتهم انحل الإشكال بيني وبينك ، فقدمت له الكتاب ، وهو كتاب (الألفين) لأحد أعاظم مجتهدي الشيعة الإمام الأعظم « العلامة الحلي ره »[١] ، فأخذ الكتاب يتصفحه في مجلسه فأكبره وأعجبه هذا السفر العظيم .

ثم قال لي : هل تعلم أن فضيلتك أدخلت عليَّ الريب في المذاهب الأربعة وملت إلىٰ مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لكن أريد منك تزويدي ببعض كتب الشيعة .

فقدمت جملة منها له ، ومنها كتب الإمام شرف الدين ودلائل الصدق ، والغدير وأمثالها وأرشدته إلىٰ سائر كتب الشيعة .

ثم ودعني وقام شاكراً حامداً قاصداً إلىٰ محله وهو متزلزل العقيدة وذهب ، ثم بعد أيام أتتني رسالة شكر منه من الأزهر الشريف وأخبرني فيها بأنه قد اعتنق بمذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وصار شيعياً ، ووعدني أن يكتب رسالة في أحقية مذهب الشيعة[٢] .

---

(١) وهو : الحسن بن يوسف المُطهر الحلي ، المتوفي سنة ٧٣٦ هـ وقد تقدمت ترجمته .

(٢) لماذا اخترت مذهب الشيعة للأنطاكي ص ٣٣٢ .

المناظرة الثامنة والستون

مناظرة الشيخ مغنية[1] مع الشيخ عبد العزيز بن صالح

يقول الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله تعالىٰ :

ذهبت إلىٰ المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، وفيها جميع قضاتها وهم خمسة ، وعليهم رئيس ، كما هي الحال بمكة المكرمة ، دخلت غرفة

---

(١) هو : العلّامة الجليل والمفكر الإسلامي الكبير الشيخ محمد جواد بن الشيخ محمود مغنية ، من أبرز علماء لبنان ، ولد سنة ١٣٢٢ هـ في قرية طير دبا من جبل عامل ، درس علىٰ شيوخ قريته ثم سافر إلىٰ النجف الأشرف ، وأنهىٰ هناك دراسته ، ومن أبرز أساتذته ، السيد حسين الحمامي (قدس سره) ، والسيد الخوئي (قدس سره) ثم عاد إلىٰ جبل عامل وسكن قرية طير حرفا ، ثم عين قاضياً شرعياً في بيروت ثم مستشاراً للمحكمة الشرعية العليا فرئيساً لها بالوكالة ، إلىٰ أن أحيل للتقاعد .

والشيخ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من الذين أبدعوا في شتىٰ الميادين الإسلامية والاجتماعية والوطنية ، توجّه بإنتاجه وأفكاره بصورة خاصة إلىٰ جيل الشباب في المدارس والجامعات والحياة العامة ، فكان يعالج في كتبه المشاكل والمسائل التي تؤرقهم وتثير قلقهم كمسائل العلم والإيمان ، ومسائل الحضارة والدين ، ومشاكل الحياة المادية والعصرية ، وكان يقضي في مكتبته بين ١٤ إلىٰ ١٨ ساعة من اليوم والليلة ، وأما مؤلفاته فإنها تربو علىٰ اثنين وستين كتاباً ، أشهرها ، الشيعة في الميزان ، الفقه علىٰ المذاهب الخمسة ، عقليات إسلامية ، فقه الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ، تفسير الكاشف ، في ظلال نهج البلاغة ، وله الكثير من المقالات والنشرات ، وكان كثير الذب عن التشيع بلسانه وقلمه ضد التجني والافتراءات ، توفي ليلة السبت في التاسع عشر من محرم الحرام سنة ١٤٠٠ هـ ، ونقل جثمانه إلىٰ النجف الأشرف وشيع تشييعاً باهراً حيث صلّىٰ عليه السيد الخوئي (قدس سره) ، ودفن في إحدى غرف مقام الإمام علي ـ عليه السلام ـ

اقتطفنا هذه الترجمة من كتاب تجارب محمد جواد مغنية بقلمه ، وأعيان الشيعة : ج ٩ ص ٢٠٥.

أحدهم، وجلست علىٰ بعض مقاعدها، فنظر إليّ القاضي، وقال: هل من حاجة؟

قلت له: هل أنت قاضٍ؟

قال: نعم، ونائب الرئيس.

سألته عن اسمه؟

قال: عبد المجيد بن حسن.

قلت: هل تسمح بالاطلاع علىٰ سجل الأحكام، فإني أحب أن أقارن بينها وبين الأحكام في لبنان؟

قال: هل أنت قاضٍ؟

قلت: أجل.

قال: في المحاكم الحنفية، أو الجعفرية؟

قلت: أنا جعفري، وشرعت بالحديث عن الإسلام والمسلمين، وبأي شيء يؤكدون أنفسهم، ويطورون قواهم اجتماعياً وسياسياً، وكان يردد قول طيب طيب، ولا يزيد، وحين هممت بوداعه قال: إلىٰ أين؟.

قلت: إلىٰ الرئيس الشيخ عبدالعزيز بن صالح، فأرسل معي شرطياً أرشدني إلىٰ غرفته، فتحت الباب، ودخلت، فأهل ورحب.

وابتدأت الحديث بهذا السؤال: كيف تفسرون قول الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ: اختلاف أمتي رحمة(١)؟

قال: اختلافهم في الفروع، لا في الأصول.

قلت: إذن جميع الطوائف الإسلامية من أمة محمد، لأن الأصول هي

---

(١) كنز العمال ج١٠ ص١٣٦ ح٢٨٦٨٦، تذكرة الموضوعات ص٩٠، إتحاف السادة المتقين ج١ ص٢٤٠.

الإيمان بالله ، والرسول ، واليوم الآخر ، والكل يؤمنون بذلك دون استثناء .

قال : وهناك أصل آخر .

قلت : ما هو ؟

قال : خلافة أبي بكر ، وأنها حق له بعد الرسول بلا فاصل .

قلت : الخلافة من الأصول ؟ !

قال : نعم .

قلت : لقد نفىٰ السنة عنهم هذا القول ، ونسبوه إلىٰ الشيعة الإمامية ، وأنكروه عليهم .

قال : أجمع أهل السنة علىٰ أن خلافة أبي بكر من الأصول ، وأصرّ !!

قلت : لا يثبت أصل من أصول الدين إلّا ببديهة العقل ، أو بنصّ الكتاب نصاً صريحاً ، أو بسنّة تكون بقوّة القرآن ثبوتاً ، وبدلالة لا اله الا الله وضوحاً ، أما أخبار الآحاد فليست بشيء في باب الأصول ، وإن كانت حجة في الفروع .

قال : هذا صحيح ، وقد تواتر عن الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إنه قال : يأبىٰ الله ورسوله إلّا أبا بكر[1] .

قلت : كيف يكون هذا متواتراً ، ولم يروه البخاري ، ولا احتج به أبو بكر ، ولا عمر ، ولا أحد يوم السقيفة حين رأىٰ الأنصار أنهم أولىٰ من أبي بكر بالخلافة ؟

---

(١) كنز العمال ج ١١ ص ٥٥٠ ح ٣٢٥٨٣ ، بتفاوت .

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١١ ص ٤٩ ، عن هذا الحديث : إنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه : « أئتوني بدواة وبياض أكتب لكم مالا تضلون بعده أبداً » ، فاختلفوا عنده ، وقال قوم منهم : لقد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله !!

فشرع يتكلم عن الحديث وأقسامه، ثم أكد مصراً علىٰ تواتره، وأنه لم يخالف في ذلك إلا الشيعة.

ولما لم أجد وسيلة لإقناعه، قلت له: هل من شرط صحة الحديث أن يثبت عند الجميع، أو عند من يعمل به فقط؟

قال: بل عند من يعمل به.

قلت: هذا الحديث لم يثبت عند الشيعة لا بطريق التواتر، ولا بطريق الآحاد، ولذا لم تكن خلافة أبي بكر عندهم من الأصول، ولا من الفروع[1].

---

(١) تجارب الشيخ محمد جواد مغنية بقلمه ص ٣٧٤.

المناظرة التاسعة والستون

مناظرة الشيخ القبيسي[1] مع الدكتور الشيخ محمد الزعبي

---

(١) هو : العلّامة الحجة المرحوم الشيخ محمد حسن القبيسي العاملي كان فاضلاً ، جليلاً ، صالحاً ، تقياً ، ورعاً ، زاهداً ، ولد في جبل عامل سنة ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٢ م ، ونشأ في أسرة علمية عريقة في تاريخها العلمي ، درس مقدمات العلوم في جبل عامل ، ثم رحل إلىٰ مركز العلم والعلماء النجف الأشرف علىٰ ساكنها آلاف التحية والسلام ، مارس نشاطه العلمي في الدرس والتدريس إلىٰ أن بلغ المراتب العالية ، وحضر الدروس العالية « البحث الخارج » علىٰ يد فطاحل الحوزة في النجف الأشرف منهم آية الله العظمىٰ السيد الحكيم وآية الله العظمىٰ السيد الخوئي ، تغمدهما الله برحمته ، وشغل منصب المرشد الديني في العراق في مدينة الكفل وأنشأ فيها حسينية وبعض المشاريع الخيرية ، ومن ثم شغل منصب المرشد الديني أيضاً في مدينة الفجر من لواء الناصرية .

وبعد مدة شاءت الظروف والأقدار أن يقفل راجعاً إلىٰ بلاده ، فسكن جبل عامل « أنصار » وشغل فيها منصب المرشد الديني ، وأنشأ فيها مسجداً وجمعية خيرية لحل المشاكل الاجتماعية وإحياء المراسم الدينية ، كما أن له خدمات أخرىٰ في المناطق المجاورة .

وبعد مدة انتقل إلىٰ العاصمة بيروت ، فاستقر في منطقة الشياح ، وهي من أهم المناطق الشيعية في بيروت ، فمارس فيها نشاطه التبليغي مدة غير قصيرة ، ومن ثم اعتزل الناس أكثر من خمسة عشر عاماً ، واستمر علىٰ هذه الحال إلىٰ وفاته منكباً علىٰ التأليف ، حتىٰ صدرت له عشرات الكتب وقد طبعت كلها في حياته أكثر من مرة وكان لها رواج رائع في لبنان وخارجها.

وهي : ماذا في التاريخ ٧٥ جزء ، الحلقات الذهبية ٥٠ جزء ، أشعه الإشراق ٣ أجزاء ، نظرة في شرح نهج البلاغة ٣ أجزاء ، الأحاديث الصافية جزئين ، أين كمال المرأه ، لماذا اختار هؤلاء العظماء مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، وغيرها من المؤلفات ، ارتحل عن هذه الدنيا عن عمر يناهز ٨١ عاماً أو أكثر علىٰ أثر وعكة صحية استمرت أكثر من خمسة أشهر في ٥ /ج٢ / ١٤١٤ هـ ، وشيع في العاصمة بيروت ثم نقل إلىٰ مثواه الأخير في النجف الأشرف ، فشيع فيها ودفن قرب أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ ، فأسكنه الله فسيح جناته وحشره مع أئمته ـ عليهم السلام ـ استفدنا هذه الترجمة من حفيده الأخ العزيز الشيخ هادي الشيخ حسن القبيسي حفظه الله .

لقاء سعيد بدون ميعاد.

في يوم من أيام الجمعة المباركة سنة ١٩٦٧ م بعد فراغنا من صلاة الظهر وقبل مغادرتنا لمكان الصلاة في مسجد الشياح، بيروت لبنان، وإذا بدخول شيخ من مشايخ أهل السنة، من خريجي الأزهر وحملة شهادة الدكتوراه، وهو من المعاصرين فعلاً في بيروت ويصحب الشيخ المذكور بعض الرفقاء من الشباب، منهم من عرفناه ومنهم من لم تسبق لنا معرفة به، وبالخصوص فضيلة الشيخ الذي لم يسبق لنا به رؤية قبل لقائنا هذا.

وبعد التحية والسلام والتعارف التام بفضيلة الشيخ مع رفقائه الكرام، أظهروا الرغبة في الاجتماع معنا، فرحبنا بهم وشكرناهم علىٰ اللّقاء الميمون، فدعوناهم إلىٰ منزلنا الموجود فعلاً في محلة الشياح، وخرجنا من المسجد قاصدين المنزل المذكور وعندما استقر بنا المقام دار بيننا الكلام في جهات شتىٰ، وكان من جملة الجهات التي طرقها فضيلة الشيخ أن قال ـ ما يقرب لفظه من هذا مع الحفاظ علىٰ حقيقة المعنىٰ ـ:.

نحن الآن في عصر حرج وزمان فاسد، فينبغي لنا أن نتآلف ونتكاتف لنكافح بعض ما يدهمنا من هذه المفاسد والمصاعب.

أجبته بكل سرور وترحاب قائلاً له: هذا ما نحبه ونبتغيه ونتمنىٰ حصوله، ولو كلفنا ذلك إلىٰ التضحية بكل غال ونفيس، ولكن يا أخي التآلف والتكاتف يحتاج إلىٰ منهاج ونظام، وإلا غمرته الفوضىٰ وعمه الفساد والضلال بقدر عدده وكثرة أفراده.

فهل يجوز للعقلاء أن يبذلوا جهدهم ويتعبوا أنفسهم في زيادة الفساد والإفساد بين أهلهم وإخوانهم ومن يعز عليهم ؟!

أجاب الشيخ: المنهاج والنظام موجودان وهما القرآن وسنة النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، وعليهما يكون السير وبهما الالتزام وعليهما المعَول في حل جميع المشاكل التي تحدث أو تصير بين أفراد المجتمع، وعليه فلا يبقىٰ أدنىٰ توقف في هذا المجال الذي ادعيتم عسره وصعوبته.

قلنا له: يا فضيلة الشيخ، هل القرآن ينظم أمورنا ويحلّ مشاكلنا؟ فلو صح هذا لوجب أن لا يكون هناك أدنىٰ خلاف أو نزاع بين أفراد المسلمين مع أنه توجد ثلاث وسبعون فرقة[١]، كلّهم يدعي الإسلام ويدّعي التمسك بالقرآن والسير علىٰ وفق أوامره ونواهيه، وأكثرهم يتبرأ بعضهم من بعض ويضلّل بعضهم بعضاً وينسب إلىٰ نفسه الحق والصواب وينسب لغيره الخروج والانحراف.

وهذا أمر لا يمكن لكل مدرك رشيد جحوده أو إنكاره، سواء كان مسلماً أو غير مسلم، لأن القرآن له وجوه متعددة وفيه الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، ولذا ترىٰ جميع الفئات يخاصمون به ويستدلون به علىٰ صحة عملهم وحُسن عقائدهم، حتىٰ المفوِّضة[٢]، والمجبِّرة[٣]، والمجسِّمة[٤]، والملحدة والزنادقة ولذا نطق بذلك القرآن المجيد نفسه

---

(١) اشارة الىٰ حديث افتراق الامة، وقد تقدمت تخريجاته.

(٢) المفوضة: فرقة زعمت أن الله خلق محمداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره، الفرق بين الفرق ص٢٣٨، معجم الفرق الاسلامية ص٢٣٥.

(٣) المجبرة: هذه الفرقة تقول بإسناد فعل العبد إلىٰ الله، أي أن الانسان مجبور في أعماله لا اختيار له، معجم الفرق الإسلامية ص٨١.

(٤) المجسمة: فرقة تقول بأن الله جسمٌ وله ست جهات وأن له يدين ورجلين، معجم الفرق الإسلامية ص٢١٣.

فقال عزوجل: ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آياتٌ محكمات هنَّ أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ **وإذا ما أُنزلت سورة، فمنهم من يقولُ أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلىٰ رجسهم وماتوا وهم كافرون**﴾(٢) وقال تعالىٰ: ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً**﴾(٣).

إذن فالقرآن لا يمكن أن نتمسك به لحل مشاكلنا في كل شيء حتىٰ يوجد من يعرف منه كل شيء، لأنه هو يخبرنا أنه يوجد فيه كل شيء فاستمع إليه حيث يقول تعالىٰ: ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾(٤)، وقال تعالىٰ: ﴿ **ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرىٰ للمسلمين** ﴾(٥)، وقال تعالىٰ: ﴿**اليومَ أكملتُ لكم دينكم واتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلامَ ديناً** ﴾(٦)، وقال تعالىٰ: ﴿ **وكلُ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين**﴾(٧)، وقال تعالىٰ: ﴿ **ما ننسخ من آيةٍ**

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٤ و ١٢٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٢.
(٤) سورة الانعام: الآية ٣٨.
(٥) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٦) سورة المائدة: الآية ٣.
(٧) سورة يس: الآية ١٢.

أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها﴾[١]، وقال تعالىٰ: **﴿ إنا نحنُ نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾**[٢].

إذن فهنا آيات عديدة توجد في هذا القرآن المجيد، بعضها تخبر أن في هذا القرآن آيات محكمات؛ وهي التي يفهم معناها من ظاهرها كلُ عربي بدون أدنىٰ توقف أو تردد ولا يختلف في فهمها اثنان من العرب، وفيه آيات متشابهات يستحيل أن يفهم معناها والمراد منها إلا الله والراسخون في العلم، وهم الأنبياء والأوصياء ومن أخذوا عنهم بحق، وهناك جماعة إذا سمعوا بعض آيات القرآن زادتهم إيماناً وهم يستبشرون وهناك جماعة إذا سمعوا تلك الآيات نفسها زادتهم رجساً إلىٰ رجسهم، وهناك جماعة تزيدهم آيات الله نوراً وشفاء، وهناك جماعة تكون عليهم عمىً وخسراناً، وهناك آيات تثبت لنا أن هذا القرآن جامع مانع لم ينقص منه شيء ولم يخلُ منه شيء مما يحتاجه العباد إلىٰ يوم الميعاد، وفيه تبياناً وبياناً لكل شيء.

وهناك آيات تخبرنا أن هذا القرآن قد أخبر الله به عن تمام النعمة وكمال الدين بكمال الشريعة بالضرورة، والحق واضح لكل من طلبه وأراد الالتزام به والسير عليه، والباطل فاضح لكل من اتبع هواه وأسخط سيده ومولاه.

فإن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قد انتقل إلىٰ جوار ربه قبل أن يُبلّغ عشر معشار ما يحتاج إليه الخلق الموجود في عصره، فضلاً عن الأجيال المتتالية إلىٰ منتهىٰ الأبد، والمفروض والمقرر بين كافة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

المسلمين أنه ليس بعد محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أنبياء ولا شرائع، وحلاله حلال إلىٰ يوم القيامة وحرامه حرام إلىٰ يوم القيامة.

إذن فمتىٰ يصح لأحد من المسلمين أن يقول بحق وعدل: أن شريعة الإسلام قد كملت قبل موت الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، إذا اقتصرنا علىٰ ما نفهم من هذا القرآن المجيد.

إذن فقد ظهر أيضاً أن الأحكام التي ينسبها بعض فرق المسلمين إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لا تفي في حل مشاكل المجتمع وما يحتاج إليه ولذا بعض الفئات اضطرهم الأمر إلىٰ الرجوع إلىٰ القياس والاستحسان، اللّذين ما أنزل الله بهما من سلطان، واللذان يمحقان الدين والشريعة إذا تمسك أهل التدين بهما.

وهنا يحدثنا التاريخ عما جرىٰ لأبي حنيفة مع الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال: دخل أبو حنيفة علىٰ الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين ـ عليهم السلام ـ، فقال له: يا أبا حنيفة أنت مفتي أهل العراق؟ قال: نعم.

قال: بم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله، قال: أفأنت عالم بكتاب الله عزوجل، ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه؟ قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿ **وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين** ﴾[1] أي موضع هو؟

قال أبو حنيفة: هو بين مكة والمدينة، فالتفت الصادق ـ عليه السلام ـ إلىٰ جلسائه، فقال: نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٨.

ولا تأمنون علىٰ دمائكم من القتل وعلىٰ أموالكم من السرقة فقالوا: اللهم نعم.

قال: ويحك يا أبا حنيفة إن الله لا يقول إلّا حقاً، ثم قال ـ عليه السلام ـ: أخبرني عن قوله تعالىٰ: **﴿ومن دخله كان آمناً﴾**[1]، أي موضع هو؟

قال أبو حنيفة: ذلك البيت الحرام، فالتفت الصادق ـ عليه السلام ـ إلىٰ جلسائه، فقال لهم: نشدتكم بالله هل تعلمون أن عبدالله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟ قالوا: اللهم نعم، فقال ـ عليه السلام ـ: ويحك يا أبا حنيفة إن الله لا يقول إلّا حقاً.

فقال أبو حنيفة: ليس لي علم بكتاب الله عزّ وجلّ، أنا صاحب قياس قال الصادق ـ عليه السلام ـ: فانظر في قياسك إن كنت مقيساً، أيها أعظم عند الله القتل أم الزنا؟

قال: بل القتل.

قال الصادق ـ عليه السلام ـ، فكيف رضي الله في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلّا بأربعة؟

ثم قال ـ عليه السلام ـ: الصلاة أفضل أم الصيام.

قال: الصلاة أفضل.

قال ـ عليه السلام ـ: فيجب علىٰ قياسك علىٰ الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله عليها قضاء الصوم دون الصلاة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

ثم قال ـ عليه السلام ـ: البول أقذر أم المني ؟

قال : البول أقذر .

قال ـ عليه السلام ـ: يجب علىٰ قياسك أنه يجب الغسل من البول دون المني ، وقد أوجب الله الغسل عن المني دون البول .

قال أبو حنيفة : إنما أنا صاحب حدُود .

فقال ـ عليه السلام ـ: فما ترىٰ في رجل أعمىٰ فقأ عين صحيح ، وأقطع قطع يد رجل ، كيف يقام عليه الحد ؟

قال أبو حنيفة : أنا صاحب رأي .

قال ـ عليه السلام ـ: فما ترىٰ في رجل كان له عبد فتزوج وزوّج عبده في ليلة واحدة ، ثم سافرا وجعلا المرأتين في بيت واحد فولدتا غلامين ، فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك ، وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث ؟

قال أبو حنيفة : إنما أنا رجل عالم بمباحث الأنبياء .

قال ـ عليه السلام ـ: فأخبرني عن قوله تعالىٰ لموسىٰ وهارون حين بعثهما إلىٰ دعوة فرعون : ﴿ **لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾[1] فلعلّ ، منك شك ؟

قال : نعم .

قال ـ عليه السلام ـ: ذلك من الله شك إذ قال : لعله .

قال أبو حنيفة : لا أعلم .

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: يا أبا حنيفة لا تقس فإن أول من قاس إبليس فقال : ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾[2] ، فقاس ما بين النار

---

(١) سورة طه : الآية ٤٤ .

(٢) سورة ص : الآية ٧٦ .

والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار لعرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما علىٰ الآخر.

يا أبا حنيفة: إنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس إبليس، ولم يُبن دين الإسلام علىٰ القياس، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ صواباً ومن دونه خطأ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿ **لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾[1]، ولم يقل لغيره، وتزعم أنك صاحب حدُود ومن أُنزلت عليه أولىٰ بعلمها منك، ولو لا أن يقال: دخل علىٰ ابن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء فقس إن كنت قيّاساً !!

قال أبو حنيفة: لا تكلمت بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: كلا إن حب الرئاسة غير تاركك كما لم يترك غيرك من كان قبلك[2].

ثم يأتينا كلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين ـ عليه السلام ـ فيفند لنا أسباب اختلاف السنّة الواردة من رسول ـ الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وما كان يعتريها من المصائب والبلايا، فاستمع إليه أيها القارىء الكريم وهو يحدثنا عن ذلك في نهجه القويم[3]، وقد سأله سائل عن سبب اختلاف الأخبار التي في أيدي الناس فقال ـ عليه السلام ـ: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً،

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٥.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٦٧.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٢٥ رقم الخطبة: ٢١٠، كتاب سليم ص ٦١، بحارالأنوار ج ٣٧ ص ٢٧٧ ح ٩٧.

ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، ولقد كُذِّب علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ـ علىٰ عهده حتىٰ قام خطيباً فقال: من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[1] وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس.

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله رأىٰ وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده ـ عليه وآله السلام ـ فتقربوا إلىٰ أئمة الضلالة والدعاة إلىٰ النار بالزور والبهتان فولّوهم الأعمال وجعلوهم حكّاماً علىٰ رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله، فهو أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ شيئاً لم يحفظه علىٰ وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول: أنا سمعته من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ شيئاً يأمر به ثم نهىٰ عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهىٰ عن شيء ثم أمر به، وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه

---

(١) صحيح البخاري: ج١ ص٣٨ مسند أحمد ج١ ص٧٨، المستدرك علىٰ الصحيحين ج١ ص٧٧، مجمع الزوائد ج١ ص١٤٢، تاريخ بغداد ج١٤ ص٢٢٥، مسند أبي يعلى الموصلي ج٧ ص١٢ ح١١٤٩ ـ (٣٩٠٤).

ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب علىٰ الله ولا علىٰ رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله، ولم يتوهم بل حفظ ما سمع علىٰ وجهه، فجاء به علىٰ ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فتجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه.

وقد كان يكون من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ الكلام له وجهان: فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنىٰ الله به ولا ما عنىٰ رسول الله، فيحمله السامع ويوجهه علىٰ غير وجهه ومعناه، وما قصد به وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، من كان يسأله ويستفهمه حتىٰ أنهم كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارىء فيسأله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ حتى يسمعوا، وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلّا سألت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

هذا هو مفسر القرآن وهذا هو الرجل الرابع من هؤلاء الرواة الذي عرف الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والعام والخاص والمجمل والمبين والمطلق والمقيد، ولم يغب عنه شيء ولم تخف عليه خافية ولم يشتبه عليه أمر، وهذا هو كتاب الله الناطق العالم بجميع حقائق كتاب الله الصامت وهذا هو الذي غذاه رسول الله بكل ما نزل عليه من ربه وزقه العلم زقاً وعلّمه من العلم ألف باب ينفتح له من كل باب ألف باب[1].

---

(١) نظم درر السمطين ص١١٣، ينابيع المودة ص٧٧، فرائد السمطين ج١ ص١٠١ ح٧٠.

وهذا هو الذي بولايته كمل الدين والشرع المبين وتمت بولايته وخلافته النعمة وبإمامته وفرض طاعته علىٰ الخلائق أجمع رضي الرحمان وفاض الإحسان، وهذا هو الذي نطق بولايته كتاب رب العالمين وقرن طاعته بطاعته وطاعة رسوله بدون أدنىٰ تفاوت، فقال عز من قائل: **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾**(١)، ثم يزداد في البيان والإيضاح فيقول عزوجل: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾**(٢).

هذا الذي كمل بولايته الدين وتمت بخلافته النعمة ورضي بإمامته رب العالمين، يوم نصّبه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وفرض طاعته المطلقة علىٰ كل رجل وأنثىٰ وأبيض وأسود وعربي وأعجمي، وذلك في غدير خمّ عند رجوعه من حجة الوداع التي شهدها مائة ألف أو يزيدون(٣).

ثم انقلب فريق منهم يوم السقيفة، وأسكر فريقاً آخر منهم حب الرئاسة وغنائم الأموال، وأرهب فريقاً آخر التهديد والتنكيل بسيوف أهل السقيفة، وإرهابهم الأثيم الذين خرجوا شاهرين سيوفهم لم يمر بهم أحد أو لم يمروا بأحد إلا خبطوه ومسحوا يده بيد خليفتهم(٤) الجديد، الذي

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥ و ٥٦.

(٣) انظر الغدير ج ١ ص ٩.

(٤) وقد صور لنا هذا المشهد التاريخي، البراء بن عازب اذ رأى ذلك بعينه يقول ـ رضي الله عنه ـ: لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ خِفتُ أن تتمالأ قريش على ←

ترك رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ علىٰ فراشه بلا غسل ولا كفن ولا دفن وأسرع لعقد الخلافة وتتميم الأمر قبل الفوات وذهاب الرئاسة من أيديهم التي طالما انتظروها بفارغ الصبر وتعاقدوا عليها وعلّقوا صحيفتهم في جوف الكعبة، وستشهد عليهم يوم تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وأفئدتهم بما كانوا يعملون.

هذا هو صاحب الحق والأولىٰ بالأمر بعد الرسول بلا فصل بأمر من الله ورسوله، وهو وليّ كل مؤمن ومؤمنة بإجماع المفسرين لهذه الآية الكريمة وأنها نزلت في علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ حينما تصدق بخاتمه علىٰ السائل وهو في صلاته في حال ركوعه حتىٰ نزلت الآية تصفه كما هو عليه.

ولنستمع الآن إلىٰ ما يحدّثنا عنه من شهد له رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بأنه: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علىٰ ذي لهجة أصدق منه)(١)، وهو من حواري رسول الله الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ـ رضوان الله عليه ـ.

عن الأعمش بن غيابة بن ربعي، قال: بينا عبدالله بن عباس جالس

← إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجُول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، فكنت أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ في الحجرة، وأتفقّد وجوه قريش، فإنّي كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القومُ في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بُويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأُزر الصنعانيّة لا يمرُّون بأحد إلا خبطوه، وقدّموه فمدُّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى، فأنكرتُ عقلي ... الخ.

انظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢١٩، كتاب سُليم بن قيس ص ٧٥.

(١) تقدمت تخريجاته.

علىٰ شفير زمزم يقول: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله .إلّا قال الرجل: قال رسول الله، فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي أنا جندب بن جنادة، البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بهاتين وإلّا صمّتا ورأيته بهاتين وإلّا عميتا يقول:

علي ـ عليه السلام ـ قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إني صليت مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلىٰ السماء وقال: اللّهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي ـ عليه السلام ـ راكعاً.

فأومأ بخنصره اليمنىٰ إليه وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتىٰ أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فلما فرغ النبي من صلاته رفع إلىٰ السماء رأسه وقال: اللّهم إن أخي موسىٰ سألك فقال ﴿ **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري** ﴾[1]، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿ **سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما** ﴾[2]، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً

---

(١) سورة طه: الاية ٢٥ ـ ٣٢.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٥.

من أهلي عليّاً أخي اشدد به أزري ـ ظهري ـ.

قال أبو ذر : فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتىٰ نزل جبرئيل من عند الله ، فقال : يا محمد اقرأ ، قال وما أقرأ قال أقرأ : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾[1] فكبّر رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وقال : ﴿**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾[2].

وروىٰ هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره ، والطبري[3] ، وأبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن ، وحكاه المغربي والرماني ، وهو قول مجاهد والسدي وهو المروي عن الإمام الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ وجميع علماء أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ورواه السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني[4] وكثير من ذلك عن مجمع البيان[5] ، فراجع .

ونظم ذلك حسان بن ثابت فقال شعراً[6] :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدىٰ ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... وأثبتها مثنىٰ كتاب الشرائع

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٥٦ .

(٣) تفسير الطبري : ج٦ ص١٨٦ .

(٤) شواهد التنزيل : ج١ ص٢٢١ ح ٢٣٠ .

(٥) مجمع البيان : ج٢ ص٢١٠ .

(٦) راجع : المناقب للخوارزمي ص٢٦٥ ح ٢٦٤ ، فرائد السمطين للحموي ج١ ص١٨٩ ح ١٥٠ ب٣٩ ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٢٢٩ ب ٦١ ، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص١٥ ـ ١٦ .

ويُحدّث الأصبغ بن نباتة فيقول: لما بويع أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ خرج إلىٰ المسجد متعمماً بعمامة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لابساً بردته منتعلاً بنعله ومتقلداً بسيفه، فصعد المنبر فجلس متمكناً ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه.

ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني: هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً.

سلوني قبل أن تفقدوني، فإن عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بانجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتىٰ ينطق كل كتاب من كتب الله فيقول: صدق علي لقد أفتاكم بما أنزل الله فيه، ولو لا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وهي قوله تعالىٰ: **﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾**[1].

ثم قال ـ عليه السلام ـ: سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرىء النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل نزلت أم في نهار مكيتها ومدنيّها ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأنبأتكم[2].

هذا هو حجة الله علىٰ الخلائق أجمعين ومن أنكر خلافته وولايته بعد رسول الله فمصيره إلىٰ جهنم وبئس المصير، وهذا الذي يقول: أنا

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٢) الاحتجاج ج ١ ص ٢٥٨، فرائد السمطين ج ١ ص ٣٤١ ح ٢٦٣ بتفاوت.

كتاب الله الناطق والقرآن كتاب الله الصامت وأنا أفيِّد لكم من القرآن، كما في نهجه القويم.

فظهر أن القرآن والسنة إنما ينفعان إذا رجعنا في أصولنا وفروعنا إلىٰ أهل بيت النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ الذين نزل عليهم القرآن واستقر في قلوبهم وعرفوا جميع ما يهدف إليه وورثوا علم الرسول، جدهم ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وعندهم المنهج الصحيح والنظام الكامل الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها والذين هم باب مدينة علم الرسول وأبناء البتول الذين عصمهم الله وطهرهم من الرجس تطهيراً، لم يشركوا بالله ولم يشكوا فيه طرفة عين ولم يهموا بما يخالف أمر الله ونهيه، وعندهم علم الأولين والآخرين ولم يترددوا في جواب شيء سُئلوا عنه أبداً وعلمهم بتعليم الله لهم كابر عن كابر حتىٰ ينتهي أمرهم إلىٰ جدهم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وجميع أهل العلم والمعرفة عيال عليهم وهم أغنياء عن جميع الخلق بما منحهم الله وفضّلهم علىٰ كافة الخلق تفضيلاً.

فهل عندكم يا فضيلة الشيخ مثيل هؤلاء أم يعتريكم في ذلك شك أو ارتياب؟ ألم ترد الأخبار الصحيحة من جميع حفاظكم عن أعلمكم وأفضلكم ومصدر حقائقكم (عمر بن الخطاب) أنه قالّ بكل صراحة: لو لا علي لهلك عمر ولا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي ـ عليه السلام ـ[1] فإذا كان عظيمكم هكذا حاله فما حالة من هو لا يساويه ولا يدانيه بعشر معشاره.

---

(١) تقدمت تخريجاته.

وهنا يتوقف الشيخ ويحتار في الجواب وكأنه صار في عالم غير هذا العالم ولكنّي هونت عليه واختصرت له الكلام بأشد الإيجاز .

فقلت له : يا فضيلة الشيخ لندع الكلام في المواضيع الواسعة المطولة ، ولنقتصر علىٰ مسألة واحدة لا غير وعليها يبنىٰ كل شيء ومنها تتفرع الأشياء ، وهنا نسأل فضيلة الشيخ فنقول له : ما تقولون بيوم الشورىٰ ألم تعرض الخلافة علىٰ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ من قبل عبد الرحمن بن عوف قبل أن يعرضها علىٰ عثمان بن عفان ، فلماذا نبذها وأعرض عنها مع كثرة شكواه ممن غصبها منه وسلبه إياها وممن نالها بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ دونه ؟!

أليس لأن عبد الرحمن بن عوف اشترط عليه أن يعمل بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر فكان جواب علي ـ عليه السلام ـ لعبد الرحمن ، بل أعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، فذهب إلىٰ عثمان فقال : نعم فرجع إلىٰ علي ـ عليه السلام ـ وقال له : ابسط يدك لأبايعك علىٰ أن تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين ، فكرر ذلك ثلاثاً وفي الجميع يأبى عليّ ـ عليه السلام ـ أن يلتزم بسيرة الشيخين حتىٰ صفق عبد الرحمن علىٰ يد عثمان وبارك له بالخلافة[1] تنفيذاً لوصية عمر بن الخطاب التي لم تخف علىٰ أدنىٰ فاهم رشيد .

فإذا سألنا : لماذا ترك علي بن أبي طالب الخلافة ونبذها حينما أراد عبد الرحمن أن يقيّده بسيرة الشيخين ؟ ونقول : هل كانت سيرة الشيخين مأخوذة من كتاب الله وسنّة رسوله ونبذها عليّ ، ولم يلتزم بهما ؟ فإذا كان الأمر كذلك أليس الالتزام بكتاب الله وسنّة رسوله التزام بسيرة الشيخين

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص٢٣٨ ، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧١ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٥ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٨٨ .

علىٰ فرض أنها مأخوذة منهما حتماً وضرورة ؟!

وما الداعي لعليّ أن لا يقبل تقيّد الخلافة بسيرة الشيخين إذا فرضنا أنهما مأخوذة منهما أو موافقة لهما علىٰ أقل الاحتمالات وأضعفها ؟

إذن فترك عليّ ـ عليه السلام ـ للخلافة التي يراها أنها من حقه الخاص دون سواه وهو يعلم جيداً أنه إذا لم يقبلها سيقبلها عثمان وهو يسمع ويرىٰ تنعيمه لعبد الرحمن في كلّ مرة يعرضها عليه ، ويعلم حقيقة أنه إن أخذها عثمان سيؤول أمرها إلىٰ صبيان وغلمان بني أمية يلعبون بها كما يلعبون بالكرة .

وهو يعلم بدون شك وارتياب أن بني أمية وسيّدهم أبو سفيان لم يؤمنوا بالله ولا برسوله ، وإنما استسلموا للإسلام لتسلم رؤوسهم من القطع ونفوسهم من الإعدام .

فبأي شرع أو نظام يجوز لعلي ـ عليه السلام ـ الذي هو نبراس العدل والحنان ومتراس التضحية والجهاد أن يدع حوزة الإسلام ودين الله القويم أن يصل لصبيان بني أمية فتلعب به غلمانهم كيفما يشاؤون وهم أعداء الإسلام من أول يوم وجد فيه الإسلام ؟!

أيجوز لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ الذي غرس الإسلام بيده وسقاه بدماء أحبائه وأعزائه وضحىٰ في حفظه وصيانته بكل غال ونفيس ، أن يتركه لتترأس علىٰ منابره الغلمان وتلعب به الصبيان من بني أمية وبني مروان وهو علىٰ يقين من هذا كلّه ؟ لا بالله هذا لا يقبله عقل ولا وجدان ولا يقوله مخلوق مدىٰ الأجيال والأزمان !!

إذن فلا بد أن يكون الأمر أعظم من هذا وأضخم فلا بد من أن يكون الالتزام بسيرة الشيخين سيكلف عليّاً خسراناً ووبالاً أشد من فقدان الخلافة وخسرانها ولم يوجد شيء في جميع ما نتصور وجوده واحتماله

أنه سيوقع الخسران علىٰ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ إلّا فقدان الدين وخسران العقيدة ورضا الخالق القهار ، وهنا لا بد لعلي ولكل من عرف عليّاً ـ عليه السلام ـ وعرف دين عليّ وعقيدة عليّ ورب عليّ أن يعذر عليّاً ولا ينسب إليه أدنىٰ لوم أو عتاب لتركه هذه الخلافة إذا كانت تسبب له ذهاب دينه وفقدان عقيدته وسخط سيّده وخالقه .

ولا شك ولا ارتياب بأن الذي دعا عليّاً إلىٰ التوقف عن قبول شرط عبد الرحمن بسيرة الشيخين وتركه للخلافة هو الحفاظ علىٰ دينه وعقيدته ورضا خالقه وما أعطاه عليّ بن أبي طالب من العهد والميثاق لله ولرسوله أنه سيحافظ علىٰ هذا الدين ويصون هذه الشريعة الغراء ويبذل في سبيل الحفاظ عليها كل غال ونفيس حتىٰ ولو أدىٰ إلىٰ التضحية بنفسه وولده وجميع عشيرته .

إذن فقد ظهر سبب امتناع علي عن قبوله سيرة الشيخين والعمل بهما حفاظاً علىٰ دينه وعقيدته ومبدئه ورضا خالقه ومبدعه .

إذن فنحن نكون قد وصلنا إلىٰ النتيجة المتوخاة ، والغاية المطلوبة ، فكيف يا فضيلة الشيخ نتفق وإياكم ونضع يدنا بأيديكم ؟

فهل أنتم تتركون التمسك بسيرة الشيخين وتتركون العمل بموجبها ؟ أم نحن ندع ديننا وعقيدتنا ورضا خالقنا ونبيّنا ونتبعكم علىٰ سيرة الشيخين ، وبطبيعة الحال سيكلفنا هذا أن ندع إمامنا عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ الذي ترك الخلافة العظمىٰ ولم يقبل الالتزام بتلك السيرة التي أنتم ملتزمون بها من آبائكم وأجدادكم ، ومن زمن ما تبعتم الشيخين ونحن تبعنا شيخنا وسيدنا وعميدنا وإمامنا عليّ بن أبي طالب وأبناءه الغر الميامين الذين اصطفاهم الله وزكّاهم وعصمهم وطهرهم من الرجس تطهيراً .

أم نضع أيدينا بأيديكم وأنتم تبقون متمسكين بسيرة الشيخين، ونحن نبقىٰ نتبع عليّاً الذي هو نفس الرسول بنص القرآن والسنة، ولا شك أنّا إذا فارقنا عليّاً يلزمنا أن نفارق ابن عمه محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ ودينهما وعقيدتهما ورضا خالقهما الذين يتنافون مع سيرة الشيخين بنص أبي الحسنين وسيّد الكونين.

وحيث ندعو للإجتماع بين السنّة أتباع سيرة الشيخين وبين الشيعة أتباع كتاب الله وسنة رسوله نكون كمن يطلب المحال وكمن يطلب اجتماع الضدين واجتماع المشرق والمغرب والليل والنهار في مكان واحد وأوان واحد!

وهذا ما نراه السبب في عدم اجتماع السنة والشيعة اجتماعاً حقيقياً مع تمسك السنّة بسيرة الشيخين، وتمسك الشيعة بكتاب الله وسنّة نبيّه الذين يستحيل اجتماعهما بنص إمام الحق وعدل القرآن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

فدعونا متمسكين بكتاب الله وسنّة نبيه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ولا تُلزمونا بما يتنافىٰ معهما، ونحن معكم علىٰ طول الخط بدون أدنىٰ توقف أو تردد، أجيبونا مأجورين ولكم الفضل العميم والثواب الجزيل والشكر الكثير.

وهنا انتهىٰ المقام وقام فضيلة الشيخ للوداع بعد مضيّ ما يقارب من أربع ساعات، فودعناه بأمان وحمّلناه مزيد الكرامة والسلام، ولحد الآن لم نر له بعد ذلك شخصاً أو خيالاً فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾[(١)] [(٢)].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) ماذا في التاريخ للقبيسي: ج٣٦ ص٣٤٣.

المناظرة السبعون

مناظرة بين شيعي وسني

قال السنّي للشيعي : أنتم معشر الشيعة روافض ، والروافض في الدنيا يشملهم العار ، وفي الآخرة مقرهم النار وبئس القرار .

أجاب الشيعي بكل هدوء وسكون : عافاك الله يا أخي أليس من العدل والإنصاف أن لا يحكم العاقل علىٰ غيره بدون دليل ولا برهان ، فما دليلك علىٰ أننا روافض ؟ وعلىٰ تقدير صحة ما تقول ، ما هو برهانك علىٰ أن علينا في الدنيا العار ، ومصيرنا في الآخرة إلىٰ النار وبئس القرار ؟

قال السني : أما كونكم معشرَ الشيعة روافض لأنكم ترفضون خلافة خلفاء رسول الله الراشدين ، وهذا أمر لا يمكن لكل شيعي إنكاره ، وهذا من أكبر العار عليكم .

وأما كونكم مقركم النار وبئس القرار ، لأنه قد قام الإجماع علىٰ أن كلّ من امتنع عن الإقرار بخلفاء رسول الله الراشدين ، فهو بمثابة الخروج من الدين ، وهذا أيضاً لا يتمكن كل شيعي من إنكاره .

فقال الشيعي : عافاك الله يا أخي ، ها أنا شيعي وأنا أتبرؤ من كلّ من رفض خلفاء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ، وأنا أشهد علىٰ كل شيعي قد فهم حقيقة التشيع أنه أيضاً يتبرء مثلي من كل من رفض خلفاء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ، فدعواك هذه علىٰ الشيعة ظلم وافتراء ، وعار علىٰ أمثالك من أهل العلم والفضل أن يتصفوا بهذه الصفات

الذميمة التي قد يتحاشاها أبسط الجهال والعوام ، وحينئذ لا يبقىٰ لحكمك يا أخي علىٰ الشيعة بالنار وبئس القرار أدنىٰ قيمة أو اعتبار .

فأين دليلك وبرهانك اللّذان قد اعتمدت عليهما في حكمك هـذا الجائر الباطل ، وأرجو المسامحة فأنت أحوجتني لهذا المقال ؟!

قال السني ـ وقد استشاط غضباً وغيظاً ـ : ألستم معشر الشيعة ترفضون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وخلفائه الراشدين ، وكيف يمكنك أو يمكن لكل شيعي أن ينكر هذا الأمر الذي هو أشهر من نور الشمس عند كل من عرف الشيعة حتىٰ من غير المسلمين ، فما جوابك إن كنت من المنصفين ؟

فقال الشيعي : عافاك الله يا أخي ما ذكرت غير الذي به حكمت ، وبين الموضوعين بون بعيد وفارق عظيم قد كان حكمك السابق مستنداً إلىٰ أن الشيعة ترفض خلفاء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ، والآن تثبت لهم رفضهم لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وهذا موضع آخر غير ما ذكرته سابقاً .

لأن نفس هؤلاء الخلفاء الثلاثة وجميع أتباعهم وأشياعهم يستنكرون علىٰ كل من يقول : إن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ، قد استخلف وعيّن له خليفة من بعده أو نصّ عليه وأخذ له علىٰ الناس الخلافة والولاية ، وكلّهم يشهدون ويجزمون علىٰ أن رسول الله قد مات ولم يعين له خليفة ، وهذا شيء كاد أن يكون من خصائص أبي بكر وعمر وعثمان وأشباههم في ذلك العصر ، والباقي أتباعٌ لهم وعنهم قد أخذوا بهذا القول والدعوة التي يدّعونها حتىٰ عصرنا الحاضر .

فقولك : إن الشيعة ترفض أو رفضت خلفاء رسول الله ـ صلّىٰ الله

عليه وآله وسلّم ـ، هذا قد تسالم جميع السنّة علىٰ إنكاره ورفضه، فمتىٰ صار أبو بكر وعمر وعثمان خلفاء لرسول الله وهم أشد المنكرين علىٰ الشيعة الذين يدّعون أن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، قد أوصىٰ في حياته ونصّ علىٰ خليفته وعيّنه بشخصه وذاته وأخذ له من جميع المسلمين علىٰ مشهد مائة ألف أو يزيدون يوم غدير خمّ بعد رجوعه من حجة الوداع.

ولو نظرت يا أخي بعين الإنصاف لكان عنوان الرافضة يصدق علىٰ جماعة السنّة بالخصوص دون سواهم، لأنهم هم رفضوا وصيّة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وخالفوه مخالفة صريحة، وهذه كتبهم وصحاحهم تشهد بذلك بأوضح ما يكون، وإذا أردت فهم ذلك جليّاً فعليك بكتاب الغدير للشيخ النجفي حتىٰ تعرف الحقيقة إذا كنت تجهلها، وأبو بكر وعمر هما أوّل من بايع خليفة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في غدير خمّ وعمر هو الذي أعلنها صرخة مدوّية في ذلك المكان وهو يقول: بخ بخ لك يابن أبي طالب لقد أصبحت مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة[1]، حتىٰ قام حسان بن ثابت وأنشد في ذلك الموقف أبياته التي قَلّ أن يخلو منها كتاب مؤرخ من محدثيهم وصحاحهم وإليك بها:

---

(١) راجع: ترجمة امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٧٥ ح ٥٧٥ و ٥٧٧، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٤، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٥٨ ح ٢١٣، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ١٨ ح ٢٤، فرائد السمطين ج١ ص ٧٧ ح ٤٤، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ ط ١ اسلامبول و ص ٣٣ و ٣٤ و ٢٩٧ ط الحيدرية، تفسير الفخر الرازي الشافعي ج٣ ص ٦٣ ط الدار العامرة بمصر و ج ١٢ ص ٥٠ ط مصر ١٣٧٥ هـ، احقاق الحق ج ٦ ص ٢٥٦، الغدير للأميني ج ١ ص ٢٧٦، بتفاوت.

يُناديهمُ يوم الغدير نبيُّهم — بِخُمٍّ وأسمع بالرسول مناديا
يقولُ فمن مولاكُمُ ووليّكم — فقالوا ولم يُبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليُّنا — ولم تر منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليّ فإنني — رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه — فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: الّلهم والِ وليّه — وكن للذي عادى عليّاً معاديا(١)

وقد أخرج الطبري محمد بن جرير في كتاب الولاية عن زيد بن أرقم أن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ جعل يقول في ذلك الموقف الرهيب ويخاطب الجموع الغفيرة المتراصة حوله:

معاشر الناس قولوا أعطيناك علىٰ ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقاً بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤديه إلىٰ أولادنا وأهالينا، لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا وكفىٰ بالله شهيداً، قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس يقولون: نعم نعم سمعنا وأطعنا، وكان أبو بكر وعمر أوّل من صافق وتداكوا علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ وعلىٰ عليّ ـ عليه السلام ـ.

وخصوص حديث تهنئة الشيخين رواه من أئمة الحديث والتفسير ما يزيد علىٰ ستين محدثاً وراوياً ومؤرخاً وكاتباً راجع الغدير الجزء الأول ص ٢٧٢ ترىٰ العجب العجيب.

وأما قولك الأخير إن الشيعة ترفض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان

---

(١) مناقب الخوارزمي ص ١٣٥ ح ١٥٢، فرائد السمطين الجويني ج ١ ص ٧٣ ح ٣٩ وص ٧٤ ح ٤٠، تذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٨٠، بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٥٠، سفينة البحار ج ٢ ص ٣٠٦، وقد روي هذا الشعر في مصادر كثيرة جداً راجع: الغدير للأميني ج ٢ ص ٣٤ ـ ٣٩.

فهذا شيء صحيح لا ينكره ولا واحد من الشيعة وقوام الشيعة على هذا الإنكار والاستنكار، وهذا فخر وشرف للشيعة لأن الذي دعاها لإنكار ذلك هو نفس إطاعتها وإذعانها لأمر نبيها محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، والثبات علىٰ عهده الذي أعطوه إيّاه في غدير خمّ بأمر من الله تعالىٰ حينما أنزل علىٰ نبيّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في ذلك الموضع وألزمه بالتبليغ وهدده إذا هو لم يبادر ويعلن خلافة عليّ ـ عليه السلام ـ من بعده قبل أن تتفرق الجموع الهائلة وتذهب جهوده أدراج الرياح، فأنزل عليه قوله عزوجل: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[1]، فلم يكتف بالتهديد حتىٰ أخبره أنك إن لم تفعل فجميع جهادك وجهودك يذهب هباءً منثوراً، ولا يترتب عليه أدنىٰ أثر أو نفع، ولذا تراه بعد قيامه بواجب التبليغ والإعلان نزل قوله تعالىٰ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[2] فجعل النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: الحمد لله علىٰ إكمال الدين وإتمام النعمة من الله بولاية أخي وابن عمي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ[3].

وإذا الشيعة رفضت كلّ من خالف الله ورسوله لا خصوص أبي بكر وعمر وعثمان، وتمسكتْ بأمر الله ورسوله تكون مذمومة ومستحقة لعذاب النار كيف يكون ذلك[4] ؟!

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٢٠٠ ح ٢١٠ وما بعده، مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي ج١ ص١١٨ ح٦٦ وص١٣٧ ح٧٦.

(٤) ماذا في التاريخ للقبيسي ج١٢ ص٦١.

المناظرة الحادية والسبعون

مناظرة الدكتور التيجاني[1] مع أحد علماء الزيتونة[2]

يقول الدكتور التيجاني :

والعجيب الغريب أنّ أغلب المسلمين عندما تذكر له حديث الغدير ، لا يعرفه أو قل لمْ يسمع به والأعجب من هذا كيف يدّعي علماء أهل السنّة بعد هذا الحديث المجمع علىٰ صحّته ، بأنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لم يستخلف وترك الأمر شورىٰ بين المسلمين.

فهل هناك للخلافة حديث أبلغ من هذا وأصرح يا عباد الله ؟؟ وإني لأذكر مناقشتي مع أحد علماء الزيتونة في بلادنا عندما ذكرتُ له حديث

---

(١) هو : الدكتور محمد التيجاني السماوي التونسي ، حفظ القرآن في سنٍ مبكرٍ ، نشأ وترعرع على طريقة الصوفية التيجانية وهي منتشرة بكثرة في المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والسودان ، ومصر ، والتي من أُسسها الحفاظ على الشعائر الدينية واحترام الأولياء والصالحين وترتيل القرآن ، ولها أذكارها وأدعيتها الخاصة وكان على مذهب الإمام مالك بن أنس وأخيراً اعتنق المذهب الشيعي بعد بحث طويل في تحقيق مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلامية ، كما جرت بينه وبين بعض العلماء مناظرات حين زيارته للنجف الاشرف منهم السيد الخوئي ـ قدس سره ـ ، والشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ قدس سره ـ ، له من المؤلفات كتاب ثم اهتديت الذي شرح فيه كيفية استبصاره والأسباب التي دعته إلى الأخذ بمذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، لأكون مع الصادقين ، الشيعة هم أهل السنة ، فاسألوا أهل الذكر ، وقد حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون ـ باريس . استفدنا هذه الترجمة من كتابه ثم اهتديت .

(٢) الزيتونة : جامع في تونس بنته عطف ارملة المستنصر الحفصي ـ ١٢٨٣ ـ خارج باب البحر . المنجد ـ قسم الأعلام ـ ص ٣٤١.

الغدير محتجّاً به علىٰ خلافة الإمام عليّ ـ عليه السلام ـ فاعترف بصحّته، بل وزاد في الحبل وصلة فأطلعني علىٰ تفسيره للقرآن الذي ألّفه بنفسه، والذي يذكر فيه حديث الغدير ويصححه، ويقول بعد ذلك:

« وتزعم الشيعة بأن هذا الحديث هو نصّ علىٰ خلافة سيدنا علي ـكرّم الله وجهه ـ، وهو باطل عند أهل السنّة والجماعة لأنه يتنافىٰ مع خلافة سيّدنا أبي بكر الصدّيق وسيّدنا عمر الفاروق وسيّدنا عثمان ذي النورين، فلا بدّ من تأويل لفظ المولىٰ الوارد في الحديث علىٰ معنىٰ المحب والناصر، كما ورد ذلك في الذكر الحكيم، وهذا ما فهمه الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام ـ رضي الله تعالىٰ عليهم أجمعين ـ وهذا ما أخذه عنهم التابعون وعلماء المسلمين، فلا عبرة لتأويل الرافضة لهذا الحديث لأنهم لا يعترفون بخلافة الخلفاء ويطعنون في صحابة الرسول وهذا وحده كافٍ لردّ أكاذيبهم وإبطال مزاعمهم » انتهىٰ كلامه في الكتاب.

سألته: هل الحادثة وقعتْ بالفعل في غدير خم[١]؟

أجاب: لو لم تكن وقعتْ ما كان ليرويها العلماء والمحدّثون!

قلتُ: فهل يليق برسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ أن يجمع أصحابه في حرّ الشمس المحرقة ويخطب لهم خطبة طويلة ليقول لهم: بأنّ علي محبّكم وناصركم؟ فهل ترضون بهذا التأويل؟

أجاب: إن بعض الصحابة اشتكىٰ عليّاً وكان فيهم من يحقد عليه ويبغضه، فأراد الرسول أن يزيل حقدهم، فقال لهم: بأنّ علياً محبّكم وناصركم، لكي يحبّوه ولا يبغضوه.

---

(١) تقدمت تخريجاته.

قلتُ: هذا لا يتطلّب إيقافهم جميعاً والصلاة بهم وبدأ الخطبة بقوله: ألستُ أولىٰ بكم من أنفسكم، لتوضيح معنىٰ المولىٰ، وإذا كان الأمر كما تقول فكان بإمكانه أن يقول لمن اشتكىٰ منهم عليّاً: «إنّه محبّكم وناصركم»، وينتهي الأمر بدون أن يحبس في الشمس، تلك الحشود الهائلة وهي أكثر من مائة ألف فيهم الشيوخ والنساء، فالعاقل لا يقنع بذلك أبداً!

فقال: وهل العاقل يصدّق بأنّ مائة ألف صحابي لم يفهموا ما فهمتَ أنتَ والشيعة؟؟

قلتُ: أولاً لم يكن يسكن المدينة المنوّرة إلّا قليلٌ منهم.

وثانياً: إنهم فهموا بالضبط ما فهمتُه أنا والشيعة، ولذلك روىٰ العلماء بأن أبا بكر وعمر كانا من المهنّئين لعلي بقولهم: بخ بخ لك يابن أبي طالب أمسيت وأصبحت مولىٰ كل مؤمن[١].

قال: فلماذا لم يبايعوه إذاً بعد وفاة النبي؟ أتراهم عصوا وخالفوا أمر النبيّ؟ أستغفر الله من هذا القول!

قلتُ: إذا كان العلماء من أهل السنّة يشهدون في كتبهم بأنّ بعضهم - أعني من الصحابة - كانوا يخالفون أوامر النّبي - صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم - في حياته وبحضرته[٢]، فلا غرابة في ترك أوامره بعد وفاته، وإذا كان أغلبهم يطعنُ في تأميره أسامة بن زيد لصغر سنّه رغم أنها سريّة محدودة ولمدّة قصيرة فكيف يقبلون تأمير عليّ علىٰ صغر سنّه ولمدّة الحياة،

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) صحيح البخاري ومسلم إذ أخرجا عدّة مخالفات لهم كما في صلح الحديبية وكما في رزية يوم الخميس وغير ذلك كثير، وخير من كتب في هذا الموضوع السيد شرف الدين (قدس سره) في كتابه: النص والاجتهاد فراجع.

وللخلافة المطلقة ؟ ولقد شهِدتَ أنتَ بنفسك بأن بعضهم كان يبغض عليّاً ويحقد عليه !!

أجابني متحرّجاً : لو كان الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ورضي الله عنه ـ يعلَمُ أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ استخلفه ، ما كان ليسكتَ عن حقّه وهو الشجاع الذي لا يخشى أحداً ويهابه كل الصحابة .

قلتُ : سيدي هذا موضوع آخر لا أريد الخوض فيه لأنك لم تقتنع بالأحاديث النبوية الصحيحة ، وتحاول تأويلها وصرفها عن معناها حفاظاً علىٰ كرامة السلف الصالح ، فكيف أُقنعك بسكوت الإمام عليّ أو باحتجاجه عليهم بحقّه في الخلافة ؟

ابتسم الرّجل قائلاً : أنا والله من الذين يفضّلون سيدنا عليّاً ـ كرّم الله وجهه ـ علىٰ غيره ، ولو كان الأمر بيدي لما قدّمتُ عليه أحداً من الصحابة ، لأنه باب مدينة العلم وهو أسد الله الغالب ، ولكن مشيئة الله سبحانه هو الذي يقدّم من يشاء ويؤخّر من يشاء ، ﴿ **لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون** ﴾[1] .

ابتسمتُ بدوري له ، وقلتُ : وهذا أيضاً موضوع آخر يجرّنا للحديث عن القضاء والقدر ، وقد سبق لنا أن تحدّثنا فيه وبقي كلّ منّا علىٰ رأيه ، وإنّي لأعجب يا سيدي لماذا كلّما تحدثتُ مع عالم من علماء أهل السنّة وأفحمته بالحجّة سرعان ما يتهرّب من الموضوع إلىٰ موضوعٍ آخر لا علاقة له بالبحث الذي نحن بصدده .

قال : وأنا باقٍ علىٰ رأيي لا أغيّره .

---

(١) سورة الانبياء : الآية ٢٣ .

ودّعته وانصرفتُ . بقيتُ أفكّر مليّاً لماذا لا أجدُ واحداً من علمائنا يكمل معي هذا المشوار ويوقف الباب علىٰ رجله ، كما يقول المثل الشائع عندنا .

فالبعض يبدأ الحديث ، وعندما يجد نفسه عاجزاً عن إقامة الدّليل علىٰ أقواله يتملّص بقوله : ﴿**تلك أمّة قد خلتْ لها ما كسبتْ ولكم ما كسبتم**﴾[١] والبعض يقول ما لنا ولإثارة الفتن والأحقاد فالمهم أنّ السنّة والشيعة يؤمنون بإله واحد ورسول واحد وهذا يكفي ، والبعض يقول بإيجاز : يا أخي اتّق الله في الصحابة ، فهل يبقىٰ مع هؤلاء مجال للبحث العلمي وإنارة السبيل والرجوع للحق الذي ليس بعده إلّا الضّلال ؟ وأين هؤلاء من أسلوب القرآن الذي يدعو الناس لإقامة الدّليل : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾[٢] مع العلم بأنهم لو يتوقّفون عن طعنهم وتهجمهم علىٰ الشيعة لما ألجأونا للجدال معهم حتّىٰ بالتي هي أحسن[٣] .

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١١١ .
(٣) مع الصادقين للدكتور التيجاني السماوي ص ٥٨ .

المناظرة الثانية والسبعون

مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد العلماء

قلت لأحد علمائنا : إذا كان معاوية قتل الأبرياء وهتك الأعراض وتحكمون بأنّه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد .

وإذا كان يزيد قتل أبناء الرسول وأباح المدينة[1] لجيشه وتحكمون بأنّه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد ، حتىٰ قال بعضكم : « قُتل الحسين بسيف جدّه »[2] لتبرير فعل يزيد .

فلماذا لا أجتهد أنا في البحث ، وهو ما يجرّني للشك في الصحابة وتعرية البعض منهم وهذا لا يقاس بالنسبة للقتل الذي فعله معاوية وابنه يزيد في العترة الطاهرة ، فإن أصبت فلي أجران وإن أخطأت فلي أجر « واحد » ، علىٰ أنّ انتقاصي لبعض الصحابة لا أريد منه السبّ والشتم واللّعن ، وإنّما أريد الوصول إلىٰ الحقيقة لمعرفة الفرقة الناجية من بين الفرق الضّالة .

وهذا واجبي وواجب كل مسلم ، والله سبحانه يعلم السرائر وما تخفي الصدور .

أجابني العالم قائلاً : يا بني لقد أُغلق باب الاجتهاد من زمان .

---

(١) تقدمت تخريجاته .

(٢) حياة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ للقرشي ج٣ ص٤٠٣ ، العواصم من القواصم لابن العربي ص٢٣٢ بما معناه .

فقلت : ومن أغلقه ؟

قال : الأئمة الأربعة .

فقلت متحرّراً : الحمد لله إذ لم يكن الله هو الذي أغلقه ولا رسول الله ولا الخلفاء الراشدون الذين « أمرنا بالاقتداء بهم » فليس عليّ حرج إذا اجتهدت كما اجتهدوا .

فقال : لا يمكنك الاجتهاد إلّا إذا عرفت سبعة عشر علماً ، منها علم التفسير واللّغة والنحو والصرف والبلاغة والأحاديث والتاريخ وغير ذلك .

وقاطعته قائلاً : أنا لن أجتهد لأبيّن للناس أحكام القرآن والسنّة أو لأكون صاحب مذهب في الإسلام ، كلا ، ولكن لأعرف من علىٰ الحق ومن علىٰ الباطل ، ولمعرفة إن كان الإمام عليّ علىٰ الحق ، أو معاوية مثلاً ، ولا يتطلّب ذلك الإحاطة بسبعة عشر علماً ، ويكفي أن أدرس حياة كل منهما وما فعلاه حتىٰ أتبيّن الحقيقة .

قال : وما يهمّك أن تعرف ذلك : ﴿ **تلك أُمَّةٌ قد خَلت لها ما كسبت ولكُم ما كسبتُم ولا تُسألونَ عمَا كانوا يعملُونَ** ﴾[1] .

قلت : أتقرأ « ولا تسألون » بفتح التّاء أم بضمّها ؟

قال : تُسألون بالضمّ .

قلت : الحمد لله لو كانت بالفتح لامتنع البحث ، وما دامت بالضم فمعناها أنّ الله سبحانه سوف لن يحاسبنا عمّا فعلوا وذلك كقوله تعالىٰ : ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[2] ، و ﴿ **وأن ليس للإنسان إلّا ما**

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٤ .

(٢) سورة المدثر : الآية ٣٨ .

سعىٰ ﴾[1].

وقد حثّنا القرآن الكريم علىٰ استطلاع أخبار الأمم السابقة ولنستخلص منها العبرة، وقد حكىٰ الله لنا عن فرعون وهامان ونمرود وقارون وعن الأنبياء السابقين وشعوبهم، لا للتسلية ولكن ليعرفنا الحق من الباطل.

أمّا قولك: « وما يهمني من هذا البحث » ؟

فأجيب عليه بقولي: يهمني:

أولاً: لكي أعرف وليَّ الله فأواليه، وأعرف عدوَّ الله فأعاديه، وهذا ما طلبه مني القرآن بل أوجبه عليَّ.

ثانياً: يهمّني أن أعرف كيف أعبد الله وأتقرّب إليه بالفرائض التي افترضها وكما يريدها هو جلّ وعلا، لا كما يريدها مالك أو أبو حنيفة أو غيرهم من المجتهدين لأنّي وجدت مالكاً يقول بكراهة البسملة في الصّلاة[2] بينما يقول أبو حنيفة بوجوبها[3]، ويقول غيره ببطلان الصلاة بدونها!

وبما أنّ الصلاة هي عمود الدّين إنْ قُبِلت قُبل ما سواها وإن رُدّت ردّ ما سواها، فلا أريد أن تكون صلاتي باطلة، كما أنّ الشيعة يقولون بمسح الرجلين في الوضوء ويقول السنّة بغسلهما بينما نقرأ في القرآن **﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ﴾**[4] وهي صريحة في المسح، فيكف

---

(١) سورة النجم: الآية ٣٩.

(٢) الفقه علىٰ المذاهب الأربعة للجزري ج ١ ٢٥٧.

(٣) الفقه علىٰ المذاهب الأربعة ج ١ ص٢٥٧، الفقه الأسلامي وأدلته ج ١ ص٦٤٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦.

تريد يا سيدي أن يقبل المسلم العاقل قول هذا ويردّ قول ذاك بدون بحث ودليل.

قال: بإمكانك أن تأخذ من كلّ مذهب ما يعجبك لأنها مذاهب إسلامية وكلّهم من رسول الله ملتمس.

قلت: أخاف أن أكون ممن قال الله فيهم: **﴿ أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله علىٰ علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾**(١). يا سيدي أنا لا أعتقد بأنّ المذاهب كلّها علىٰ حق ما دام الواحد منهم يبيح الشيء ويحرّمه الآخر، فلا يمكن أن يكون الشيء حراماً وحلالاً في آن واحد والرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لم يتناقض في أحكامه لأنّه «وحي من القرآن»، **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**(٢). وبما أنّ المذاهب الأربعة فيها اختلاف كثير فليست من عند الله ولا من عند رسوله لأنّ الرسول لا يناقض القرآن.

ولما رأىٰ الشيخ العالم كلامي منطقيّاً وحجتي مقبولة.

قال: أنصحك لوجه الله تعالىٰ مهما شككت فلا تشك في الخلفاء الراشدين، فهم أعمدة الإسلام الأربعة إذا هدّمت عموداً منها سقط البناء !!

قلت: استغفر الله يا سيدي فأين رسول الله إذن إذا كان هؤلاء هم أعمدة الإسلام ؟

أجاب: رسول الله هو ذاك البناء! هو الإسلام كلّه.

ابتسمت من هذا التحليل وقلت: استغفر الله مرة أخرىٰ يا سيدي

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٢.

الشيخ فأنت تقول من حيث لا تشعر : بأنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لم يكن ليستقيم إلّا بهؤلاء الأربعة بينما يقول الله تعالىٰ : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفىٰ بالله شهيداً** ﴾[(١)].

فقد أرسل محمداً بالرسالة ولم يشركه فيها أحداً من هؤلاء الأربعة ولا من غيرهم ، وقد قال الله تعالىٰ في هذا الصّدد : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾[(٢)].

قال : هذا ما تعلّمناه نحن من مشايخنا وأئمتنا ، ولم نكن نحن في جيلنا نناقش ولا نجادل العلماء مثلكم اليوم الجيل الجديد أصبحتم تشكّون في كل شيء وتشكّكون في الدين ، وهذه من علامات الساعة فقد قال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : لن تقوم الساعة إلّا علىٰ شرار الخلق[(٣)].

فقلت : يا سيدي لماذا هذا التهويل ، أعوذ بالله أن أشكّ في الدين أو أشكك فيه ، فقد آمنت بالله وحده لا شريك له وملائكته وكتبه ورسله ، وآمنت بأنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله وهو أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم وأنا من المسلمين ، فكيف تتّهمني بهذا ؟

قال : أتهمك بأكثر من هذا لأنّك تشكك في سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وقد قال ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : لو وزن إيمان أمّتي بإيمان أبي

---

(١) سورة الفتح : الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٩٤ ، صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٦٨ ح ١٣١ ـ (٢٩٤٩) ، المعجم الكبير للطبراني ج ١٠ ص ١٢٧ ح ١٠٠٩٧ ، شرح السنّة للبغوي ج ١٥ ص ٩٠ ح ٤٢٨٦ ، كنز العمال ج ١٤ ص ١١٢ ح ٣٨٤٣٦.

بكر لرجح إيمان أبي بكر[١].

وقال في حقّ سيدنا عمر: عرضت عليّ أمتي وهي ترتدي قمصاً لم تبلغ الثدي وعرض عليّ عمر وهو يجرّ قميصه، قالوا: ما أوّلته يا رسول الله؟ قال: الدين[٢].

وتأتي أنت اليوم في القرن الرابع عشر لتشكك في عدالة الصحابة وبالخصوص أبي بكر وعمر، ألم تعلم بأنّ أهل العراق هم أهل الشقاق، هم أهل الكفر والنفاق!!

ماذا أقول لهذا العالم المدّعي العلم الذي أخذته العزّة بالإثم، فتحوّل من الجدال بالتي هي أحسن إلىٰ التهريج والافتراء وبثّ الإشاعات أمام مجموعة من الناس المعجبين به والذين احمرّت أعينهم وانتفخت أوداجهم ولاحظت في وجوههم الشر.

فما كان منّي إلّا أن أسرعت إلى البيت وأتيتهم بكتاب الموطأ للإمام مالك وصحيح البخاري، وقلت: يا سيدي إنّ الذي بعثني علىٰ هذا الشك

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤١٨ ح ٦٥٣، شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٦٩ ح ٣٦، كشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢١٦ ح ٢١٣٠، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ج ١ ص ٣٢٣.

والحديث حكم بضعفه وذلك لضعف راويه وهو عبدالله بن عبد العزيز بن أبي روّاد لأنه يحدّث عن أبيه، عن نافع عن ابن عمر بأحاديث لايتابعه أحد عليها.

قال ذلك ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ج ٤ ص ١٥١٨، وقال عنه العقيلي يحدّث عن أبيه، أحاديثه مناكير غير محفوظة، ليس ممن يقيم الحديث الضعفاء الكبير ج ٢ ص ٢٧٩ ترجمة رقم: ٨٤٢، وفي ميزان الاعتدال قال ابو حاتم وغيره: أحاديثه منكرة، وقال ابن الجنيد: لا يساوي فلساً ج ٢ ص ٤٥٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٨٦، صحيح البخاري ج ٥ ص ١٥، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٥٩ ح ١٥ ـ (٢٣٩٠)، الرياض النضرة ج ٢ ص ٣٠٤.

هو رسول الله نفسه ، وفتحت كتاب الموطأ وفيه روىٰ مالك أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قال لشهداء أحد : هؤلاء أشهد عليهم ، فقال أبو بكر الصديق : ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، فقال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : بلىٰ ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي! فبكىٰ أبو بكر ثم بكىٰ ثم قال : « إنّنا لكائنون بعدك »[1].

ثم فتحت صحيح البخاري وفيه : دخل عمر بن الخطاب علىٰ حفصة وعندها أسماء بنت عميس فقال ـ حين رآها ـ : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس ، قال عمر : الحبشية هذه ، البحرية هذه ، قالت أسماء : نعم ، قال : سبقناكم بالهجرة فنحن أحقّ برسول الله منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنّا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتىٰ أذكر رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ ونحن كنّا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك للنبي أسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلمّا جاء النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ قالت : يا نبي الله ، عمر قال : كذا وكذا .

قال : فما قلت له . قالت : كذا وكذا .

قال : ليس بأحقّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان ، قالت : فلقد رأيت أبا موسىٰ وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم ما في أنفسهم ممّا قال لهم النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ[2].

---

(١) الموطأ لمالك ج٢ ص٤٦١ ح٣٢ ، المغازي للواقدي ج١ ص٣١٠ .

(٢) صحيح البخاري ج٥ ص١٧٥ ، صحيح مسلم ج٤ ص١٩٤٦ ح٢٥٠٣ ، حلية الأولياء ج٢

وبعد ما قرأ الشيخ العالم والحاضرون معه الأحاديث تغيّرت وجوههم وبدأوا ينظرون بعضهم إلىٰ بعض ينتظرون ردّ العالم الذي صدم فما كان منه إلّا أن رفع حاجبيه علامة التعجّب وقال: ﴿ **وقل ربّ زدني علماً** ﴾[1].

فقلت: إذا كان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هو أوّل من شكّ في أبي بكر ولم يشهد عليه لأنّه لا يدري ماذا سوف يحدث من بعده، وإذا كان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لم يقرّ بتفضيل عمر بن الخطّاب علىٰ أسماء بنت عميس بل فضّلها عليه، فمن حقّي أن أشك وأن لا أفضّل أحداً حتىٰ أتبيّن وأعرف الحقيقة ومن المعلوم أنّ هذين الحديثين يناقضان كل الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر ويبطلانها، لأنّهما أقرب إلىٰ الواقع المعقول من أحاديث الفضائل المزعومة.

قال الحاضرون: وكيف ذلك؟

قلت: إنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لم يشهد علىٰ أبي بكر، وقال له إنّني لا أدري ماذا تحدثون بعدي! فهذا معقول جداً وقد قرّر ذلك القرآن الكريم والتاريخ يشهد أنّهم بدّلوا بعده ولذلك بكىٰ أبو بكر، وقد بدّل وأغضب فاطمة الزهراء بنت الرسول، وقد بدّل حتىٰ ندم قبل وفاته[2] وتمنىٰ أن لا يكون بشراً.

أمّا الحديث الذي يقول: لو وزن إيمان أمتي بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر[3]، فهو باطل وغير معقول، ولا يمكن أن يكون رجل

← ص ٧٤، دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٤٤، البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٦.

(١) سورة طه: الآية ١١٤.

(٢) تقدمت تخريجاته.

(٣) تقدمت تخريجاته.

قضىٰ أربعين سنة من عمره يشرك بالله ويعبد الأصنام أرجح إيماناً من أمّة محمّد بأسرها، وفيها أولياء الله الصالحين والشهداء والأئمة الذين قضوا أعمارهم كلّها جهاداً في سبيل الله، ثم أين أبو بكر من هذا الحديث؟ لو كان صحيحاً لما كان في آخر حياته يتمنىٰ أن لا يكون بشراً.

ولو كان إيمانه يفوق إيمان الأمة ما كانت سيدة النساء فاطمة بنت الرسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ، تغضب عليه وتدعو الله عليه في كل صلاه تصلّيها[1].

ولم يرد العالم بشيء، ولكنّ بعض المجالسين قالوا: لقد بعث والله هذا الحديث الشك فينا، عند ذلك تكلم العالم ليقول لي: أهذا ما تريده؟ لقد شككت هؤلاء في دينهم!!

وكفاني أحدهم الردّ عليه، إذ قال: كلا، إنّ الحق معه، نحن لم نقرأ في حياتنا كتاباً كاملاً، واتّبعناكم واقتدينا بكم في ثقة عمياء بدون نقاش، وقد تبيّن لنا الآن أنّ ما يقوله الحاج صحيح، فمن واجبنا أن نقرأ ونبحث!! ووافقه علىٰ رأيه بعض الحاضرين، وكان ذلك انتصاراً للحق والحقيقة، ولم يكن انتصاراً بالقوة والقهر ولكنّه انتصار العقل والحجّة والبرهان ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾[2].

ذلك ما دفعني وشجّعني علىٰ الدخول في البحث وفتح الباب علىٰ مصراعيه فدخلته باسم الله وبالله وعلىٰ ملّة رسول الله، راجياً منه سبحانه وتعالىٰ التوفيق والهداية فهو الذي وعد بهداية كلّ باحث عن الحقّ وهو لا يخلف وعده[3].

---

(١) تقدمت تخريجاته.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٣) كتاب ثم اهتديت للدكتور التيجاني ص ١٤٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلوة على سيدنا محمد وآله وسلم
تسليما كثيرا وبعد فقد سألتني أطال الله بقاك
عما كان بيني وبين الهروي في بلاد خراسان من
المجادلات في المذهب وما الزمته من الحجة فاعلم أني
كنت في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة مجاورا في مشهد
الرضا عليه السلام وكان منزلي في منزل السيد الأجل
والكهف الأظل السيد محسن بن محمد الرضوي القمي وكان
من أعيان أهل المشهد وساداتهم بادزا على أقرانه بالعلم
والعمل وكان هو وكثير من أهل المشهد يشتغلون معي
في علم الكلام والفقه فاقمنا على ذلك مدة فورد علينا
من الهراة خال السيد محسن وكان مهاجرا فيها لتحصيل
العلم فقال إن السبب في ورودي عليكم ما ظهر عندنا
بالهراة من أن هذا الشيخ الأحسائي المجاور بالمشهد
وظهور فضله بالعلم والأدب فقدمت لاستفيد
من فوائده شيئا حتى [illegible] مجلس [illegible] ومكان ولكنه

اهل

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة مناظرة ابن ابي جمهور الأحسائي في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قدّس سرّه رقم: ٦٨٩٦

جمادى

تمت الرسالة يوم الثلاثا حادي عشر من شهر جمدى

الاخرة من سنة خمس وتسعين وتسعماية من الهجرة النبوية

حررها الفقير الحقير المذنب الجاني الي

رحمة الله صالح بن محمد بن عبد

الاله السلامي في بلدة اصفهان

رحم الله من دعا لمالكها

ولكاتبها بالغفران

امين رب

العالمين

والحمد

لله رب

العالمين

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مناظرة ابن ابي جمهور الأحسائي في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قدّس سرّه رقم : ٦٨٩٦

نحن نجد كم تصوبون رأي من يتبع مالكا واحمد بن حنبل

في مسئلة وان خالفه جميع الناس ولم يكن في ظاهر

القرآن ولا في ظاهر المسند ما يعاضده ولا قائل فيها

باجتهاده وتقولون قد قال بها مجتهد ولا يحكم

بخطائه احد فليت شعري من اعلم بكتاب الله وشريعة

نبيه واقضى الامة واهل البيت المطهرون وعبد الله بن

عباس حبر هذه الامة وعبد الله بن مسعود شيخ

القراء وانس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه

وآله في سفره وحضره والحسن البصري وتابعوه

ام احمد بن حنبل وهلا كان قول هؤلاء كلهم عندكم كمنزلة

احمد وما ذكر في جواز اتباعهم وعدم اللوم على

متبعهم ان ذلك لمن عجائب الامور فانها لا تعمى الابصار

ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

قد ورد علينا قديما الى المشاهد

سيد من سادات شيراز الصفوية اسمه قطب

الدين عيسى كان قد هرب قديما مع ابيه من الشاه

اسمعيل الى الهند وكان في الطبقة العليا من الفضل

وله مصنفات وتحقيقات شتى قرأت عليه جانبا

من شرح التجريد وكان لقنا منصفا وعلامة الميل

الى اهل البيت بشهرتهم وكان يميل الى التشيع معي

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة مناظرة مع قطب الدين في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قدّس سرّه رقم: ٦٨٩٦

ولا ريب في وجوب اتباع المتفق على علمه المتروك علمه ولا يجوز

العمل بالمرجوح مع امكان العمل بالراجح فقد لزمكم القول

[illegible] على غيرهم [illegible]

ذلك [illegible] ونفسه [illegible] الانصاف ولا

يغلب عليه الهوى لان المقتضي [illegible] عند [illegible] تقليد [illegible]

وهذا ما [illegible] الينا باعترافكم [illegible] في اهل البيت من

المرجحات التي لا يمكن انكارها وقد بيناها ولا يلزمنا

القول [illegible] مذهب [illegible] لانا شرطنا في المتبع العصمة

حتى يؤمن من الخطا [illegible] الفرقة الناجية

اجماعا بالدليل المسلم [illegible] عندكم [illegible]

[illegible] والله واليوم الاخر [illegible] متبع اهل

البيت [illegible] اتباع الهوى والتعصب وكان

هذا السيد لا يبعد عن الانصاف واذا كان [illegible]

عن المكابرة [illegible] وكان [illegible]

[illegible] بالانصاف [illegible]

[illegible] تكميل [illegible]

[illegible] هذا البحث مع بعض فضلاء [illegible]

في [illegible] من [illegible] الشيعة [illegible]

[illegible] ولا [illegible]

لبعضهم [illegible] عند [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مناظرة مع قطب الدين في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قدّس سرّه رقم : ٦٨٩٦

الفهارس الفنيّة

(١٥) الفهرس الاجمالي للكتاب